

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا العربية
فرع الأدب



الشواهد الشعرية في كتاب

دلائل الإعجاز

للشيخ عبد القاهر الجرجاني

توثيق وتحليل ونقد

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في البلاغة العربية

إعداد الطالبة :

نجاح أحمد عبد الكريم الظاهر

٢٩٤٠

إشراف :

سعادة الأستاذ الدكتور بحلي محمد حسن البخاري



١٤٠٧ هـ - ١٤٠٨ هـ
١٩٨٧ م - ١٩٨٨ م

الهدى ...

إلى من غرس في نفسي حب العلم .. ومهد لي دروبه
وعلمني أن لذة الحياة الحقيقية في العلم وبخاصة ما كان مستمداً
من الشريعة الفراء ، أو ذائصة بيا .. فسبق الأجل قبل
أن يتحقق أمله ويرى ثمرة جوده .. رحمه الله وجعل الجنة
مساواة .

إلى من وقف عمرها على تهيئة سبل الراحة والهدوء
لي ، فكشني من ورود منزل العلم والعرفان .. إلى
منبع الحنان ، وفيض العطاء بل امتنان ..
إلى والديّ الجبيلين أهدي أجد هذا العمل .

شكر وتقدير ...

أحمد الله سبحانه وتعالى وأشكر له أن وفقني بإتمام هذا العمل
التواضع .. وأصلي وأسلم على من أوفى جوامع الكلم النبي الأُمِّي
الذي أرسل رحمة للعالمين ، فجزاه الله عنه أتمه خير الجزاء .

ثم أقدم بالشكر والتقدير إلى والديّ الكريمين اللذين غرسا
في أعماقي حب العلم ، وأثارا في دروبه ، وفتحاً لي أبواب النجاح .
 وإلى أستاذي المشرف الذي رباني فكرياً ومعني خالص
نصحه وسدّد توجيهاته فكان - وبجود - نعم المرشد ونعم الموجه .
 وإلى أستاذتي الأفاضل اللذين قدّموا لي كل نقد بناء ،
وتوجيه صادق هادف .

وإلى كل من أولاني رعاية وسعى في تقييم العون لي من
قريب أو بعيد .

نجاح

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على من أوتي جوامع الكلم النبي الأمي ما فصح الثقلين لساناً ، وأعذبهم بياناً ، وعلى آله وصحبه الأبرار وعلى الأئمة الأطهار الذين جندوا أوقاتهم وأنفسهم لحماية آي القرآن ، فوضحوا غريبه ، وبينوا مشكله ، وفتقوا أكمام بيانهِ وعجائبهِ وبعد :

فإنَّ علمَ البلاغة من أجلِّ العلوم وأشرفها ، فبالبلاغة كان تحدّي الثقلين "قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً" (١)

وهو أرسخ العلوم أصلاً وأسبقها فرعاً ، وأحلاها جنئ ، وأعذبها ورداً ، وأكرمها إنتاجاً ، وأنورها سراجاً ؛ (٢) لأنه قام على أساس شريف ، وهو دراسة إعجاز القرآن ، لذا كان لعلماء العرب جهودهم المشكورة في الارتقاء بهذا العلم فألفوا فيه ما ألفوا من الكتب العظيمة القيمة إلا أنَّ أهمَّ كتابين وأعظم رافدين في هذا العلم هما كتابا الشيخ عبد القاهر "أسرار البلاغة" ودلائل الإعجاز فهما يمثلان مرحلة النضج النقدي والبلاغي عند العرب ، وكلُّ ما ألف بعدهما من مؤلفات في البلاغة أشتى - ولا شك - من هذين الرافدين بطريق مباشر أو غير مباشر .

ولم تخرج البلاغة بعد ذلك عن الصورة التي رسمها الشيخ فكتاب المفتاح وكتاب الإيضاح اللذان اتكأ عليهما المتأخرون لم تختلف أفكار مؤلفيهما كثيراً عن أفكار الشيخ إلا في التقسيم والتبويب والتعريفات وبعض المسائل

(١) الاسراء : ٨٨

(٢) الدلائل - رضا : ٤ - خفاجي - ٥٥-٥٦ - شاكر : ٥

الجزئية ثم تلا هذين الكتابين كتبٌ حفلت بالأفكار الفلسفية، ومالت نحو الشروح المعقدة، فَبَعَدَتْ بذلك عن خطة الشيخ التي رسمها، إذ أَنَّهُ كَانَ يَهْدِفُ إِلَى الطَّرِيقَةِ التحليلية التذوقية في البلاغة، ولو أَنَّهُمْ ساروا على منواله هذا، وانتهجوا نهجه لارتقت نظرية الشيخ، وطرحت ثمارها، آتت أكلها وبارتقائها يظهر تطور الفكر العربي البلاغي والنقدي وهكذا وجدت في نفسي رغبة دفينّة تُلِحُّ عَلَيَّ أَنْ أَقِفَ وجهاً لوجه أمام بلاغة الشيخ وفكره بدلاً من أخذها عن طريق وسيطٍ المفتاح - والإيضاح*.

وقد قَبِلَ اللهُ لِي إتمام دراستي العُليا، فَقَرَّبَتْ قليلاً من نهج الشيخ إلّا أَنَّ زَادِي مِنْ هَذِهِ الدَّرَاسَةِ لم يَكُنْ يَسَعِفُنِي للقيام برحلي الشاقة إلى فكر الشيخ المتعمق الأصيل فأثرت في مرحلة الماجستير أن أختار موضوعاً من موضوعات البلاغة أسير فيه على خطة الشيخ التحليلية، فيكون لي درساً عملياً، وخطوة أولى تَجَرُّؤُنِي على الاطلاع على فكر الشيخ اطلاعاً جدياً من خلال كتابيه فكان موضوعي آنذاك " القصر وأساليبه مع بيان أسرارها في الثلث الأول من القرآن الكريم " وكانت طريقتي فيه طريقة تحليلية مما دَفَعَنِي إِلَى الاطلاع المباشر على طريقة الشيخ التحليلية في كتابيه " الدلائل والأسرار " ومن خلال اطلاعي هذا لمست فيهما اعتماد الشيخ على الشواهد الشعرية اعتماداً كبيراً، أَكْثَرَ مِنْ اعْتِمَادِهِ عَلَى الشواهد القرآنية، وقلّة استشهاده بالأحاديث النبوية ما كان له أَثَرٌ كبيرٌ في نفسي، فرأيت، وأهكذا بدا لي أَنَّ دراسة هذه الشواهد الشعرية دراسة تحليلية نقدية تُعيد بلاغة عبد القاهر أو أكثر آرائه البلاغية في شوبٍ جديدٍ ربّما كان موفقاً رائعاً مع ما تظهره من تأريخ لتطور القول في هذه الشواهد سواءً عند العلماء والنقاد الذين سبقوا عبد القاهر، أو عاصروه أو جاءوا بعده .

وقد تأملت هذه الشواهد ، فكان مما وضع عندي : -

- ١ . أن منها شواهد لم يحكم عليها عبد القاهر بجودة ولا برداءة فعلي أن أحكم عليها مع بيان سر الحكم .
 - ٢ . ومنها ما حكم عليه عبد القاهر بأحد هذين ، ولكن لم يبين سر حكمه فقلت لعلّي أصل إلى هذا السر .
 - ٣ . ومنها ما حكم عليه ، وبيّن سر الحكم ، واكتفى بالظواهر النحوية ، فرأيت أن هذه الظواهر غير كافية وغير مقنعة ، فرأيت أن أخطو خطوة إلى الأمام فأبين الأسرار البلاغية التي تكمن في هذه الظواهر .
 - ٤ . ومنها ما حلّله عبد القاهر ، وحكم عليه ، فرأيت أن أنظر في هذا التحليل وفي هذا الحكم .
 - ٥ . ومنها ما استحسنته الشيخ ، ورأيت أوراى غيري من النقاد أنه غير حسن رأيي أن أتعرف على مضر الاستحسان عند عبد القاهر ، وأبين رأيي في الحكم عليها بعدم الحسن وفي كل ذلك استعنت بما قاله العلماء والنقاد قبل عبد القاهر وما قاله العلماء والنقاد بعده إن كان ورد شيء من هذه الشواهد فيما ألف قبله أو بعده .
 - ٦ . رأيت الشيخ عبد القاهر يميل كثيراً على الأريحية والذوق ، فرأيت أن أفرد هذا الموضوع ببحث أبين فيه مكان الذوق في الحكم على النصوص ، وتطور البحث في هذا الموضوع ، وهل الذوق يعلل أو لا يعلل ، وهل يكفي في الحكم على النص الإحالة على الذوق كما يفعله الشيخ عبد القاهر كثيراً ؟
 - ٧ . كثير من هذه الشواهد لم ينسبها الشيخ ، فرأيت أن أبذل جهدي في نسبته . ويتبع ذلك أن أترجم في الهوامش لمعظم الشعراء تراجم موجزة .
- كما ترجمت لكثير من الأعلام ، وخاصة من قيلت فيه القصيدة التي منها الشاهد . كذلك حاولت ذكر مناسبة القصيدة التي منها الشاهد فإن هذا كله - لاشك - يساعد على فهم الشاهد وتحليله .

٨ . كما حاولت إرجاع هذه الشواهد إلى مظائرها ، وتوثيق كل شاهد ،
فاستعنت بكثير من الدواوين الشعرية ، وكتب الأديب والبلاغة والنقد ،
والنحو والعروض والتفسير .

٩ . وأحياناً يذكر عبد القاهر بيتاً مفرداً ، وربما اكتفى بشرط بيت واحد ،
السرّ البلاغي فيه يتوقف على وصل البيت ، أو الشرط بما قبله ، أو بما
بعده ، فرأيت أن أصل هذه النصوص لا بد منه لتحليلها وتبيان سرّ بلاغتها .

١٠ . أما بالنسبة لباب السرقات ، وما ورد فيه من شواهد وموازنات سكت الشيخ
عن تحليل معظمها ، فقد حاولت ، واجتهدت على قدر علمي واستطاعتي
تحليل تلك الشواهد والموازنة بينها آملّة أن أكون قد أصبت فيها
بعض الإصابتة ، ولا يذهب عن أحدي مدى الصعوبة والمشقة التي يتكبدها
المتصدّي لهذا العمل .

وقد واجهتني بالفعل صعوبات شتى أولها :-

* كثرة شواهد الشيخ الشعرية ، مما استنفذ منّي وقتاً وجهداً واضطرني
إلى إطالة البحث ، فقد وصل عدد الشواهد بعد إسقاط المكررات :-
* اثنين وثلاثين وثلاثمائة وخمسة وأربعين بيتاً .

وذلك بعد أن جعلت كل بيتين أو ثلاثة عقد بينها الشيخ الموازنة شاهداً
واحداً إنَّ عدد الأبيات الشعرية الواردة في كتاب الشيخ بعد إسقاط
المكررات - يبلغ :

* ستين وأربعمائة ، هذاع إضافة أبيات المدخل .

* وثاني هذه الصعوبات هي كيفية تقسيم فصول البحث إنَّه من المعلوم

أنَّ كتاب الدلائل ينقصه التقسيم والتبويب والتنظيم كما قال عبد القاهر نفسه :
“ وليس يتأتى لي أن أعلمك من أول الأمر في ذلك آخره ، وأن أسمي لك الفصول التي
في نيتي أن أحثرها بمشيئة الله عز وجل ، حتى تكون على علم بها قبل مودها عليك
فاعمل كما أن ههنا فصولاً يجي بعضها في إشر بعض . (١)

يضاف إلى ذلك أن بعض الشواهد كان يُكرّرها الشيخ في فصوله عدّة من البحث ، ويستشهد بها على أكثر من مسألة ممّا اضطرني إلى السير على خطّة الشيخ وترتيبه حتى يسهل على قاري هذا البحث الرجوع لكل شاهد في بابه ومعرفة موضعه دون عنا .

* والثّما : تشعب البحث وتفرّعه ما اضطرني إلى الرجوع والاطلاع على أكثر المؤلفات التي سبقت الشيخ عبد القاهر في البلاغة ، أو في النقد ، أو في الأدب ، وعلى أكثر المؤلفات التي عاصرت ، أو كتبت بعده في هذه الفنون .

* ورابعها : أن معظم الكتب التي رجعت إليها لم تكن م فهرسة ، مما اضطرني إلى فهرست الكثير منها حتى أستطيع أن أقف على موضع الشاهد . وأنا أدرك أن هذه الدراسة تحتاج إلى جهود كبيرة وإلى التذرع بالصبر ، وسعة الصدر ، ولكن ثقتي وأملّي كبير في فضل الله تعالى ، وفي عونه وتسديده ، وهو سبحانه الموفق والمستعان .

هذا هو منهجي الذي سرت عليه ، أمّا عن خطّة البحث فتتكون من مقدمة ، وتمهيد ، وبابين ، وخاتمة .

وتتضمن المقدمة : —

* سرّ اختياري لهذا الموضوع .

* أهمية البحث .

* ظاهرة كثرة استشهاد الشيخ بالشعر ، وقلّة استشهاده بالآيات

القرآنية ، وقلّة استشهاده بالحدِيث النبوي الشريف .
ويتضمن التمهيد : —

أ / دراسة موجزة عن الإمام عبد القاهر .

ب / دراسة موجزة عن كتاب دلائل الإعجاز .

ج / معنى كلمة شاهد في اللغة والاصطلاح .

د / بعض الدراسات التي قامت حول الشواهد قديمها وحديثها .

أما الباب الأول وعنوانه : شواهد دلائل الإعجاز " فيتضمن خمسة عشر فصلا :

الفصل الأول : —

أ / أبيات المدخل .

ب / شواهد تحقيق القول في البلاغة والفصاحة .

الفصل الثاني : —

أ / شواهد الكناية والاستعارة والتشيل .

ب / القول في نظم الكلام ومكان الخومنه .

الفصل الثالث : —

شواهد النظم .

الفصل الرابع : —

شواهد التقديم والتأخير .

الفصل الخامس : —

شواهد القول في الحذف .

الفصل السادس : —

شواهد الفروق في الخبر .

الفصل السابع : —

شواهد الفروق في الحال .

الفصل الثامن : —

شواهد الفصل والوصل .

الفصل التاسع : —

شواهد باب اللفظ والنظم .

أ / شواهد أمور شتى في أمر اللفظ والنظم .

ب / شواهد الكناية والاستعارة والتشيل .

ج / شواهد إن ومواقعها .

د / شواهد كان .

هـ / شواهد كل .

- و/ شواهدُ المجازِ الحُكْمِيِّ .
 ز/ شواهدُ الكنايةِ .
 ح/ عودٌ إلى شواهدِ إِنْ وَمَوَاقِعِهَا .

الفصلُ العاشرُ :-

- شواهدُ القصرِ والاختصاصِ .
 أ/ إِنَّمَا وَمَوَاقِعِهَا .
 ب/ مَا وَالْأَ .
 ج/ عودٌ إلى مباحثِ إِنَّمَا .

الفصلُ الحادي عشرُ :-

- أ/ فصلٌ في بابِ اللفظِ والنظمِ .
 ب/ شواهدُ تحريرِ القولِ في الإعجازِ والفصاحةِ والبلاغةِ .

الفصلُ الثاني عشرُ :-

- شواهدُ الأخذِ والسرقةِ
 أ/ الموازنةُ بينَ المعنى المتحدِّ واللفظِ المتعددِ .
 ب/ الموازنةُ بينَ الشعرينِ والإجادةِ فيها من الجانبينِ .
 ج/ وصفُ الشعرِ والإدلالُ بهِ .

الفصلُ الثالثُ عشرُ :-

- أ/ عودٌ إلى الاحتجاجِ على بطلانِ مذهبِ اللفظِ .

- ب/ شواهدُ الخبرِ وما يتحققُ بهِ الإسنادُ .

الفصلُ الرابعُ عشرُ :-

- شواهدُ إدراكِ البلاغةِ بالذوقِ وإحساسِ النفسِ .

الفصلُ الخامسُ عشرُ :-

- فصولٌ ملحقةٌ بالكتابِ .

الباب الثاني :-

* قضايا بلاغية ونقدية في الكتاب *

ويتضمن ثلاثة فصول :

الفصل الأول :-

قضية الإعجاز وصلة هذه الشواهد بها .

الفصل الثاني :-

قضية النقد الأدبي وأثر عبد القاهر فيها .

الفصل الثالث :-

قضية الذوق .

وأخيراً الخاتمة وتتضمن النتائج والتوصيات التي خرجت بها من البحث .

وقد نَيلتَ البحثَ بفهارس عديدة :

فهرس الآيات القرآنية ، وفهرس الأحاديث ، وفهرس الأبيات الشواهد ، وفهرس
 الأشعار غير الشواهد ، وفهرس الشعراء ، وفهرس الأعلام ، وفهرس المصطلحات
 البلاغية ، وفهرس الأمثال ، وفهرس اللغة ، وفهرس الأماكن والبقاع ، وفهرس القبائل
 والدول ، وفهرس الأديان والملل ، وفهرس الحيوانات ، وفهرس المصادر والمراجع ،
 وفهرس الموضوعات .

وذلك إيماناً مِنِّي بأهمية هذه الفهارس ودورها الفعال في مساعدة الباحث على
 كشف كثير من المسائل مما يضيء طريق البحث أمامه .

هذا خلاصة جهدي المتواضع أضعه بين أيدي أساتذتي الأفاضل طامعة منهم
 في كل توجيه صادق ، ونقد بناء ، فإن كنت فيه على شيء من التوفيق ، فهذا بفضل
 الله وتوفيقه * الذي علم الإنسان ما لم يعلم * (١) وإن كنت قد قصرت فالتقصير
 من طبيعة البشر .

وفي الختام أقدم جزيل شكري ووافر امتناني لكل من مدَّ لي يدَ العون من قريب ،
 أو بعيد ، وأخص بالشكر استاذي المشرف الدكتور علي محمد حسن العماري الذي
 تلمذت على يده ما يقرب من تسع سنوات وإني لحظية فخور بهذه التلمذة

التي جعلتني أنهل من بحر معرفته الواسع ، وفيض علمه الأصيل مما كان له
أثر كبير في تسديدي وتقويني وإصلاح ما أعوج من فكري .
كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى أعضاء اللجنة الأجلاء الذين نظروا في
بحثي هذا بعين التقويم والتسديد .
ولا يفوتني أن أشكر جامعة أم القرى التي ربتني ثقافياً وعلمياً وهيأت لي ،
ولطلاب العلم سبل التحصيل والمعرفة .
وفقني الله وإياكم لما فيه الخير والمنفعة .

التمهيد

- ١- دراسة موجزة عن الإمام عبد القاهر .
- ٢- دراسة موجزة عن كتاب دلائل الإعجاز .
- ٣- معنى كلمة شاهد في اللغة والأدب .
- ٤- بعض الدراسات التي قامت حول الشواهد قديماً وحديثاً .

١ - دراسة موجزة عن الإمام عبدالقاهر -

إِنَّ عِلْمَ الْبَلَاغَةِ مِنْ أَهَمِّ الْعِلْمِ وَأَجَلِّهَا ، فَهُوَ عِلْمٌ نَهَضَ مِنْ أَجْلِ خِدْمَةِ الْقُرْآنِ ؛
وَذَلِكَ عَنْ طَرِيقِ دَرَاةٍ إِعْجَازِهِ ، وَهَذَا بِلَا شَكٍّ مِنْ أَشْرَفِ الدِّرَاسَاتِ وَأَعْظَمِهَا
قَدْرًا ، وَأَرْفَعِهَا مَنْزِلَةً .

قال الشيخ عبد القاهر منوهاً بفضل هذا العلم :

” ثُمَّ إِنَّكَ لَا تَرَى عِلْمًا هُوَ أَرْسَخَ أَصْلًا ، وَأَبْسَقَ فِرْعًا ،
وَأَحْلَى جَنَى ، وَأَعْدَبَ وَرْدًا ، وَأَكْرَمَ نِتَاجًا ، وَأَنُورَ سِرَاجًا مِنْ
عِلْمِ الْبَيَانِ الَّذِي لَوْلَا هَلَمْ تَرِ لِسَانًا يَحْكُوكَ الْوَشْيَ ، وَيَصُوغُ الْحَلْيَ ،
وَيَلْفِظُ الدَّرَّ ، وَيَنْفُثُ السَّخَرَ ، وَيَقْرِئُ ^(١) الشَّهَدَ ، وَيُرِيكَ بَدَائِعَ
مِنَ الزَّهَرِ ، وَيَجْنِيكَ الْحُلُوفَ الْيَانِعَ مِنَ الشَّمْرِ ، وَالَّذِي لَوْلَا تَحَفِّيهِ
بِالْعِلْمِ ، وَعَنَانِيَّتُهُ بِهَا ، وَتَصَوِيرُهُ إِثْيَاها ، لَبَقِيتَ كَامِنَةً ، مُسْتَوْرَةً ،
وَلَمَّا اسْتَبْنَتَ لَهَا يَدَ الدَّهْرِ صُورَةً ، وَلَا سَتَرَ السَّرَارُ بِأَهْلَتِهَا ،
وَأَسْتَوَلَى الْخَفَاءَ عَلَى جَمَلَتِهَا إِلَى فَوَائِدَ لَا يَدْرِكُهَا إِلَّا حِصَاءُ ،
وَمَحَاسِنَ لَا يَخْصُرُهَا إِلَّا سَقْصَاءُ ” .
(٢)

ومن هذا المنطلق كان لابد من إلقاء الضوء على أهم شخصية حملت مشعل الدراسات
البلاغية ، فأنارت دروبها ، وسهدت طرقها ، وذلت صعابها .

وسأتحدث في هذه العجالة عن نسبة الشيخ عبد القاهر ، ومكان وزمن نشأته ،
ثم أتحدث عن أبرز ما يميز حياته وهي الناحية العلمية ، ثم أضعه في ميزان القدماء ،
ومعاصريه ، والمحدثين ، لتبرز مكانته ، وتثبت في العلم ريادته ، لعلي أكون بهذه
الدراسة الموجزة قد أضأت بعض الجوانب المهمة في شخصية الشيخ .

(١) أي يجمع الشاهد .

(٢) الدلائل رضا : ٤ - ٥ ، خفاجي : ٥٥ - ٥٦ ، شاكر : ٥ - ٦ .

الإمام عبد القاهر الجرجاني (١) :-

هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني توفي سنة إحدى وسبعين وأربعمائة ، وقيل سنة أربع وسبعين وأربعمائة من الهجرة (٢) .

لم يذكر المؤرخون سنة مولده ، ولم يتحدثوا عن عمره ، كما لم يتحدثوا عن أسرته ، وعن حياته الاجتماعية ، وهذا يدل على أن حياة الشيخ كانت هادئة لم تطرقها أحداث مهمة تلفت انتباه المؤرخين ، ولعل أبرز ما في حياته شغفه بالعلم والتحصيل .

وكل ما يمكن أن يقال عنه : أنه نحوي مشهور متكلم على مذهب الأشعرية ، فقيه على مذهب الشافعية ، كان شيخاً ورعاً تقياً ، يُروى أنَّ لصاً دخل عليه ، وهو

(١) انظر ترجمته في :-

دسية القصر للبأخرزي : ٢ / ١٢ - ١٥ ، نزهة الألباء للأبشاري : ٣٦٣ ، إنباء الرواة للقفطي : ٢ / ١٨٨ - ١٨٩ ، العبر في خبر من غير للذهبي : ٢ / ٣٣٠ ، فوات الوفيات للكتبي : ٢ / ٣٦٩ ، مرآة الجنان لليافعي : ٣ / ١٠١ ، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي : ٣ / ٢٤٢ ، طبقات الشافعية للأسنوي : ٢ / ٤٩١ - ٤٩٢ ، طبقات الشافعية لابن قاضي شعبة : ١ / ٢٧١ - ٢٧٢ ، النجوم الزاهرة لابن تغري بردي : ٥ / ١٠٨ ، بغية الوعاة للسيوطي : ٢ / ١٠٦ ، طبقات المفسرين للداودي : ١ / ٣٣٦ ، روضات الجنات للموسوي : ٥ / ٩٠ ، مفتاح السعادة لطاش كبري زاده : ١ / ١٥٧ ، كشف الظنون لحاجي خليفة : ١ / ٨٣ - ١٢٠ ، ٢١٢ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ١١٦٩ / ٢ ، ١١٧٩ . شذرات الذهب لابن العماد : ٣ / ٣٤٠ ، ٣٤١ ، هدية العارفين للبغدادي : ١ / ٦٠٦ (م٥ من كشف الظنون) ، الأعلام للزركلي : ٤ / ٤٨ ، معجم المؤلفين : ٥ / ٣١٠ .

(٢) انظر هذا الاختلاف في :-

العبر في خبر من غير : ٢ / ٣٣٠ ، طبقات الشافعية للسبكي : ٣ / ٢٤٢ .

في الصلاة فأخذ جميع ما في البيت، وهو ينظر إليه ولم يقطع صلاته ^(١) .
ونستطيع أن نضيف دليلاً آخر على ورعه وتقواه ، وعمق إيمانه ، وحسن توكله على
مولاه . من مقدمة كتابه الدلائل حيث قال :

" الحمد لله رب العالمين حمد الشاكرين ، نحمده على
عظيم نعمائه ، وجميل بلائه ، ونستكفيه نوائب الزمان ،
ونوازل الحداث ، ونرغب إليه في التوفيق والعصمة ، ونبرأ
إليه من الخول والقوة ، ونسأله يقينا يملأ الصدر ، ويعمر
القلب ، ويستولي على النفس حتى يكفها إذا تزغت ويردّها
إذا تطلعت ، وثقة بأنه عز وجل الوزر ، والكالي والراعي ،
والحافظ ، وأن الخير والشر بيده ، وأن النعم كلها من
عنده ، وأن لا سلطان لأحد مع سلطاناه ، نوجه رغباتنا إليه ،
ونخلص نياتنا في التوكل عليه ^(٢) .

ولد الشيخ في مدينة جرجان، وهي مدينة مشهورة بين طبرستان وخراسان،
وعاش في عصر الدولة الزيارية وهي إحدى الدول التي انفصلت عن الدولة العباسية،
وانتهى حكمها سنة ٤٣٣ هـ في عهد "أنوشروان بن منوچهر بن قابوس بن وشمكير"
وانتقل الحكم إلى يد "طغرل بك" ^(٤) فأصبحت في يد السلاجقة ، وتوفي الشيخ وهي
ما تزال في أيديهم .

وفي ظل هذه الدول عاش الشيخ عبد القاهر بعيداً عن الاضطرابات السياسية
قاصراً نفسه على الدرس والتحصيل ، فأخذ النحو بجرجان عن أبي الحسين محمد بن

(١) انظر: طبقات الشافعية للسبكي : ٣ / ٢٤٢ ، طبقات الشافعية

للأسنوي : ٢ / ٤٩١-٤٩٢ ، شذرات الذهب : ٣ / ٣٤٠ .

(٢) الدلائل رضا : ٢ ، خفاجي : ٥٣ ، شاعر : ٣ .

(٣) معجم البلدان : ١١٩ / ٢ .

(٤) الكامل في التاريخ : ٣٠ / ٨ ، وانظر محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية :

" الدولة العباسية " : ٣٩٤ ، ٤١٦ .

الحسين الفارسي^(١) الذي كان من كبار أئمة العربية ، ولم يأخذ عن غيره مجالسة؛ لأنه لم يخرج عن بلده إلا أن ياقوت الحموي يرى أنه درس على يد القاضي الجرجاني^(٢) وجالسه قال :-

* وكان الشيخ عبد القاهر الجرجاني قد قرأ عليه، واغترف من بحرهِ ، وكان إذا ذكره في كتبه تبخّخ به ، وشمخ بأنفسِهِ بالانتفاء إليه^(٣).

وقد شك الدكتور أحمد بدوي فيما رواه ياقوت الحموي وحجته في ذلك أن القاضي الجرجاني توفي سنة ٣٩٢ هـ "فمتى يكون عبد القاهر قد أخذ عنه ؟ . وهذا يتطلب أن يكون الشيخ عبد القاهر قد ولد قبل وفاة القاضي الجرجاني بخمس عشرة سنة على الأقل ، وبذلك يكون الشيخ قد بلغ من العمر ما يقرب التسعين ، والدكتور أحمد بدوي يشك أن يكون الشيخ عبد القاهر قد توفي في هذه السن .

(١) هو أبو الحسين محمد بن الحسين بن محمد بن عبد الوارث الفارسي النحوي ، وهو ابن أخت النحوي المشهور "أبو علي الفارسي" أخذ عن خاله علم العربية ، وطوف الآفاق ، وكان خاله قد أوفده على صاحب بن عباد بالري ، فارتضاه وأكرم مشواه ، ووُزِّرَ للأمير غرسيستان ثم اختص بالأمير إسماعيل بن سبكتكن بغزنه ووُزِّرَ له إلى أن استوطن جرجان ، وقرأ عليه أهلها ، ومنهم عبد القاهر الجرجاني ، وتوفي محمد بن الحسين سنة ٤٢١ هـ ، / انظر ترجمته :-

نزهة الألباء : ٣٤٣-٣٦٣ ، معجم الأدباء : ١٨٦/١٨ - ١٨٨ ، بغية الوعاة : ١ / ٩٤ ، مفتاح السعادة : ١ / ١٥٦ ، ١٥٧ .

(٢) هو أبو الحسن علي بن عبد العزيز بن الحسن بن علي بن إسماعيل الجرجاني قاضي الري في أيام صاحب بن عباد ، وكان أديباً أريباً كاملاً - له رسائل مدونة وأشعار مغننة ، وكان جيد الخط مليحاً يشبه بخط ابن مقلّة . توفي سنة ٣٦٦ هـ ، وقيل ٣٩٢ هـ . / انظر ترجمته :

معجم الأدباء : ١٤ / ٣٥-٣٥ .

(٣) معجم الأدباء : ١٤ / ١٦ .

ويبدو لي أن الاعتماد على تاريخ وفاة القاضي الذي ذكره الدكتور أحمد بسدي ليس بالحجة القوية ؛ لأنه من المحتمل أن يكون الشيخ قد توفي في هذه السن ، ولكن قد تقوى الحجة لو أنه أخذ بأرجح الأقوال في أن وفاة القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني كانت سنة (٣٦٦هـ) ^(١) .

ونقل الدكتور أحمد مطلوب في كتابه : " عبد القاهر الجرجاني " نصاً عن الخوانساري صاحب " روضات الجنات " فهم منه أن الشيخ عبد القاهر قد تلمذ في النحو وغيره على يد ابن جني ، والصاحب بن عباد ، ورد قول الخوانساري محتجاً بأن ابن جني توفي سنة (٣٩٢هـ) ، والصاحب بن عباد توفي سنة (٣٨٥هـ) .

قال :

" وذكر الخوانساري أن عبد القاهر درس النحو على شيخين آخرين في قراءة النحو " ثم قال بعد أن نقل عن بغية الوعاة إنه أخذ عن ابن أخت أبي علي الفارسي :
" وهو غريب ؛ لأن هذا لا يحقر مع قلة بضاعته في هذه الصناعة قد اطلع على شيخين آخرين له في قراءة النحو وغيره :
أحدهما ابن جني المشهور ، والثاني صاحب بن عباد الوزير . ^(٢)

(١) هذا ما رجحه ابن خلكان في وفيات الأعيان قال :

" وذكر الحاكم أبو عبد الله بن البيهقي في " تاريخ النيسابوريين " أنه توفي في سلخ صفر سنة ست وستين وثلثمائة بنيسابور وعمره ست وسبعون سنة ، رحمه الله تعالى ، وقال غيره : إنه كان حسن السيرة في قضاءه صدوقاً ، ورد به أخوه محمد نيسابور في سنة سبع وثلثين وثلثمائة ، وهو صغير غير بالغ وسمعا من سائر الشيوخ ، ومات بالحري ، وهو قاضي القضاة في سنة اثنتين وتسعين وثلثمائة ، وحمل تابوته إلى جرجان ، ودفن بها ، ونقل الحاكم أثبت وأصح " . / انظر :

وفيات الأعيان : ٣ / ٢٨١ .

(٢) روضات الجنات : ٥ / ٩٠ .

وهذا غير صحيح؛ لأن ابن جني توفي سنة (٣٩٢ هـ) ومات
 صاحب بن عباد سنة (٣٨٥ هـ) وقد تكون دراسة عبد القاهر
 لكتبيهما لا عليهما (١)

ويظهر لي أن الخوانساري يقصد بالأحقر وقليل البضاعة والذي قرأ على
 ابن جني والصاحب بن عباد هو محمد بن الحسين الفارسي ابن أخت أبي علي الفارسي
 وأستاذ الشيخ عبد القاهر، وليس المقصود أن الشيخ عبد القاهر هو الذي قرأ
 على ابن جني والصاحب بن عباد كما فهم الدكتور مطلوب.
 والذي يرجح ما ذهبت إليه ما ذكر في ترجمة ابن أخت أبي علي الفارسي من أن خاله
 أوفده على الصاحب بن عباد وهو في الري فأكرمه وأحسن وفادته .
 فالثابت إذاً أنه أخذ عن ابن أخت أبي علي الفارسي مذاكرةً، ثم اعتمد بعد ذلك
 على شغفه وحبه للاطلاع، فدرس كتب من سبقوه ووعاها، وتأثر بها ونقل عنها .
 مثل سيويه، والجاحظ، والمبرد، وابن جني، والآمدي، والقاضي الجرجاني .
 وكان لإقامة الشيخ بجرجان، وعدم خروجه منها، وعكوفه على كتب العلم أن ذاع ذكره
 وارتفع قدره فشددت إليه الرحال من كل مكان . قال القفطي :

" وقرأ ونظر في تصانيف النحاة والأدباء ، وتصدر بجرجان ،

وحُتَّت إليه الرِّحال وصنَّفَ التصانيف الجليلة (٢)

(٣)
 فكان من أشهر تلاميذه : علي بن أبي زيد الفصحي ، وأحمد بن عبد الله

(٤)

المهاباني الضرير صاحب شرح كتاب اللمع لابن جني .

(٥)

ومن تلاميذه أيضاً : أبو نصر أحمد بن إبراهيم بن محمد الشجري .

(١) عبد القاهر الجرجاني : ١٥٠ .

(٢) إنباء الرواة : ٢ / ١٨٨ .

(٣) شذرات الذهب : ٣ / ٣٤٠ .

(٤) معجم الأدباء : ٣ / ٢١٩ ، بغية الوعاة : ٣٢٠ ، روضات الجنات : ٥ / ٩٠ ،

الأعلام : ١٠ / ١٥٨ .

(٥) إنباء الرواة : ٢ / ١٩٠ .

وأكثر مصنفات الشيخ كانت في علم النحو فله :

- ١ كتاب المغني :
وهو عبارة عن شرح لكتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي، ويقع في نحو ثلاثين مجلد^(١).
- ٢ كتاب المقتصد :
وهو ملخص لكتابه المغني، ويقع في ثلاثة مجلدات^(٢)، وذكر الحاجي خليفة أنه مجلد واحد^(٣). وقد عاب القفطي هذا المؤلف فقال :
" وهو مقتصد من مثله على ماسماه ، لم يأت في " الإيضاح " بشيء له مقدار^(٤) "
- ٣ كتاب التكملة :
وهو كالاستدراك لبعض المسائل التي لم يذكرها صاحب الإيضاح ..
وهذا المؤلف لم ينبه إليه إلا الوزير القفطي . وأطلق عليه
الزركلي اسم " التتمة " .^(٥)

(١) نزهة الألباء : ٣٦٣ ، العبر في خبر من غير : ٣٣٠ / ٢ ، فوات الوفيات :
٣٦٩ / ٢ ، طبقات الشافعية للسبكي : ٢٤٢ / ٣ ، بغية الوعاة : ١٠٦ / ٢ ،
مرآة الجنان : ١٠١ / ٣ ، مفتاح السعادة : ١٥٧ / ١ ، طبقات المفسرين
للداودي : ٣٣٦ / ١ ، روضات الجنات : ٩٠ / ٥ ، كشف الظنون : ٢١٢ / ١ ،
شذرات الذهب : ٣٤٠ / ٣ ، هدية العارفين : ٦٠٦ / ١ ، معجم المؤلفين :
٣١٠ / ٥

(٢) إنباء الرواة : ١٨٨ / ٢ ، فوات الوفيات : ٣٦٩ / ٢ ، طبقات الشافعية
للسبكي : ٢٤٢ / ٣ ، بغية الوعاة : ١٠٦ / ٢ ، نزهة الألباء : ٣٦٣ ،
طبقات المفسرين : ٣٣٦ / ١ ، معجم المؤلفين : ٣١٠ / ٥

(٣) كشف الظنون : ٢١٢ / ١

(٤) إنباء الرواة : ١٨٨ / ٢

(٥) الأعلام : ٤٩ / ٤

- ٤ كتاب الإيجاز :
وهو مختصر الإيضاح^(١).
- ٥ العوامل المائة :
وهو كتاب مختصر ، مشهور منذ أول كما قال عنه صاحب كشف الظنون ؛
ولشهرته هذه حظي بعناية الشارحين ، شرحه حاجي بابا الطوسيوي
والمولى أحمد بن مصطفى المعروف بطاش كبري زاده ، ونظمه بالتركية
محمد بن أحمد الداعي المعروف بصوفي زاده الأدرنوي ، المتوفى سنة
١٠٢٤ هـ وترجمه أيضا كمال الدين المدرس.^(٢)
- ٦ الجمل :
وهو عبارة عن شرح لكتابه العوامل ، ويسمى الجرجانية.^(٣)
وقد طبع عدة طبعات ، وشرح عدة شروح منها :
" المرتجل " لمحمد بن عبد الله الخشاب (٥٦٧ هـ) ، وشرح السيد
البطليوسي (٥٢١ هـ) وشرح أبي عبد الله البلنسي (٥٨٦ هـ) ، وشرح
أبي الحسن الحضرمي النحوي (٦٠٩ هـ) ، وشرح أحمد الشريشي (٦١٦ هـ)
وشرح محمد علي الفرناطي (٧١٥ هـ).^(٤)
- ٧ التلخيص : وهو شرح لكتابه الجمل.^(٥)
- وله في علم الصرف :
- ٨ كتاب العمدة في التصريف.^(٦)

-
- (١) كشف الظنون : ٢١٢ / ١ ، هدية العارفين : ٦٠٩ / ١ .
- (٢) كشف الظنون : ١١٧٩ / ٢ ، وهناك شروح كثيرة انظرها في كشف الظنون ،
نزهة الألباء : ٣٦٣ .
- (٣) إنباء الرواة : ١٨٩ / ٢ .
- (٤) كشف الظنون : ٦٠٢ / ١ - ٦٠٣ .
- (٥) نزهة الألباء : ٣٦٣ ، فوات الوفيات : ٣٦٩ / ٢ .
- (٦) بغية الوعاة : ١٠٦ / ٢ ، شذرات الذهب : ٣٤٠ / ٣ ، معجم المؤلفين :
٣١٠ / ٥ .

- ٩ وله كتاب في العروض :^(١)
- " وهو قصيدة تتضمن قواعد الأوزان الشعرية وقد طبعت في ذيل كتاب الإقناع في العروض، وتخرّيج القوافي " للمصاحب بن عباد سنة ١٣٧٩ هـ في بغداد بتحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين^(٢) .
- أما في الدراسات القرآنية فله :
- ١٠ كتاب " شرح الفاتحة " ويقع في مجلد واحد .^(٣)
- ١١ درج الدرر في تفسير الآي والسور .^(٤)
- ١٢ المعتضد :
- وهو شرح لكتاب إعجاز القرآن للواسطي أطلق عليه السيوطي^(٥) اسم إعجاز القرآن الكبير .^(٦)
- ١٣ كتاب إعجاز القرآن الصغير : وهو شرح لكتاب الواسطي^(٧) .

-
- (١) فوات الوفيات : ٢ / ٣٦٩ .
- (٢) عبد القاهر الجرجاني ، أحمد مطلوب : ٤٥ .
- (٣) فوات الوفيات : ٢ / ٣٦٩ ، طبقات الشافعية للسبكي : ٣ / ٢٤٢ ، شذرات الذهب : ٣ / ٣٤٠ ، معجم المؤلفين : ٥ / ٣١٠ .
- (٤) هدية العارفين : ١ / ٦٠٦ .
- (٥) هو محمد بن يزيد الواسطي عالم متكلم من علماء المعتزلة عاش في النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة ، وتوفي سنة (٣٠٦ هـ) ، وقيل (٣٠٧ هـ) اشتهر بكتابه : الإمامة ، وإعجاز القرآن ، انظر ترجمته :
- الفهرست لابن النديم : ٢٤٥ ، شذرات الذهب : ٢ / ٢٩٩ ، كشف الظنون : ١ / ١٢٠ .
- (٦) بغية الوعاة : ٢ / ١٠٦ .
- (٧) نزهة الألباء : ٣٦٣ ، طبقات الشافعية للسبكي : ٣ / ٢٤٢ ، بغية الوعاة : ٢ / ١٠٦ .

- ١٤- الرسالة الشافية :
- وهي رسالة في إعجاز القرآن مطبوعة ضمن كتاب " ثلاث رسائل في إعجاز القرآن " وأطلق عليه ابن شاكر الكتبي اسم " إعجاز القرآن " (١).
- وله في البلاغة :
- ١٥- دلائل الإعجاز.
- ١٦- أسرار البلاغة.
- وهما من أعظم مصنفاته وأكبرها فائدة قال عنها طاش كبري زاده :
- " ومن جملة مصنفاته دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة في علمي المعاني والبيان ، وهما الآية الكبرى واليد البيضاء في العلمين المذكورين ، وإليهما ينتهي علم من تأخر في ذنوبك العلمين " (٢).
- وله كتب متفرقة في الأدب :
- ١٧- المختار من دواوين المتنبي والبحري وأبي تمام .
- وقد اعتنى بنسخه وتصحيحه ، والتعليق عليه الأستاذ " عبدالعزيز الميني " ونشره ضمن كتاب الطرائف الأدبية (٣).
- ورأى أنه سار فيه على مذهب أستاذه القاضي الجرجاني ، وذلك في تقديم البحري على أبي تمام (٤).
- ١٨- وذكر البديعي في الصبح المنبي أن لعبد القاهر كتاباً في شرح ديوان المتنبي (٥).
- ١٩- مختار الاختيار: في فوائد معيار النظائر في المعاني والبيان والبديع والقوافي . والذي نبه لهذا الكتاب إسماعيل باشا البغدادي (٦).

(١) فوات الوفيات : ٣٦٩/٢ .

(٢) مفتاح السعادة : ١٥٧/١ - ١٥٨ .

(٣) الطرائف الأدبية : ٢٠١ .

(٤) المرجع السابق : ٢٠٠ .

(٥) الصبح المنبي : ٢٦٨ .

(٦) هدية العارفين : ١ / ٦٠٦ .



٢٠- التذكرة :

وأشار إليه القفطي حيث قال :

" وله مسائل منشورة أثبتتها في مجلد ، هو " كالتذكرة " له لم يستوف القول حق الاستيفاء في المسائل التي سطرها ^(١) .

٢١- المفتاح :

ولم يذكر المترجمون غير اسمه ^(٢) .

هذا هو تراثه العلمي المتين الذي ورثه للعلماء من بعده ، وهو بحق تراث زاخر بالفوائد الجمة .

أما عن أدب الشيخ وكتابات الشعرية ، فهي لا تعد شيئاً بجانب ذلك التراث الضخم . إنما هي محاولات قام بها الشيخ للتعبير عن بعض ما يعتور في نفسه من إحساس بالتشاؤم والضييق ، وهي محاولات ينقصها الخيال الفني البارع . ومن هذه الأبيات :

هَذَا زَمَانٌ لَيْسَ فِيهِ (٣)

سِوَى النَّذَالَةِ وَالْجَهَالَةِ

لَمْ يَسْرِقْ فِيهِ صَاعِدٌ

إِلَّا وَسُلَّمَهُ النَّذَالَةُ (٣)

وهذان البيتان يظهران فلسفة الشيخ في الحياة ، وهي فلسفة متشائمة تدل على ضيق الشيخ ، وتبرمه من ذلك الزمن المليء بالندالة والجهالة ، وعدم تقدير العلم والعلماء والحفاوة بهما ، وتدلل أيضاً على عفة نفسه وسموها ، وترفعها عن الوصول إلى العلا بغير طريق الشرف .

(١) إنباه الرواة : ٢ / ١٨٩ .

(٢) فوات الوفيات : ٢ / ٣٦٩ ، طبقات الشافعية للسبكي : ٣ / ٢٤٢ ،

شذرات الذهب : ٣ / ٣٤٠ .

(٣) دمية القصر : ١٣ .

ومن هذه الأبيات أيضا :

كَبَّرَ عَلَى الْعِلْمِ يَا خَلِيلِي

وَمِيلَ إِلَى الْجَهْلِ مِثْلَ هَائِمٍ

وَعِشْ حِمَارًا تَعِشْ سَعِيدًا

(١) فَالَسَّعْدُ فِي طَالِعِ الْبَهَائِمِ

وأنا أشك في نسبة هذين البيتين للشيخ ؛ وذلك لأن شخصيته الورعة ، وشخصيته العلمية الجادة تأبى عليه التلفظ بمثل هذه الألفاظ ، فهو لم يدرس العلم للكسب المادي حتى يضيق كل هذا الضيق ، وهو رجل علم وتعلم سلفه من أمر الجهل في أول كتابه لذا يبعد أن تكون هذه أبياته ، وأولعه قائلهما في أيام الشباب .

وهكذا نرى أن للشيخ عبد القاهر مكانة علمية لا يمكن الغض منها ومن أحسن شهادة من معاصره الباخري الذي أثنى عليه الثناء الحسن فقال عنه :

" اتفقت على إمامته الأكسنة وتجلت بمكانه وزمانه

الأمكنة والأزمنة ، وأثنى عليه طيب العناصر ، وثنيت به

عقود الخناصر ، فهو فردٌ في علمه الغزير ، لا بل هو العلم

القرء في الأئمة المشاهير ، وقد أفادني الشيخ أبوعامر

ما ألقاه بحر الفضل على لسانه ، مانطق لسان الدهر

باستحسانه ، ولست فيما فاتني من كريم مشاهدته واشتبار

لذيذ الشهد من مذاكرته ، أيام أسعدتني الأيام منه

بدنو الدار ، ولف أطناب الخيمتين قُربُ الجوار إلا كمن

ودَّع الماء والخضرة وتدرع الشعثة والغبرة ، وواصل الغربة

وفارق الوطن . . . (٢)

(١) فوات الوفيات : ٦١٣/١ ، طبقات الشافعية للسبكي : ١٥٠/٥ ، مفتاح

السعادة : ١٥٨/١

(٢) دمية القصر : ١٢/٢

كما أشاد السكاكي في كتابه المفتاح بفضل عبد القاهر، فقال عند حديثه عن الاستعارة :

" . . . ومدار ترديد الإمام عبد القاهر قدّس الله روحه

لهذا النوع بين اللغوي تارة ، وبين العقلي أخرى على هذين

الوجهين جزاء الله أفضل الجزاء ، فهو الذي لا يزال ينور

القلوب في مستودعات لطائف نظره لا يألو تعليماً وإرشاداً^(١) .

كما أشاد بفضل عبد القاهر عند حديثه عن الذوق فقال :

" وها هو الإمام عبد القاهر قدّس الله روحه في دلائل

الإعجاز كم يعيد هذا^(٢) .

واعتبره صاحب الطراز واضح علم البلاغة ، ومؤسسها الأول قال في فاتحة كتابه :

" وأول من أسّس من هذا العلم قواعده ، وأوضح براهينه ،

وأظهر فوائده ، ورتّب أفانيه ، الشيخ العالم النحرير عليم

المحققين عبد القاهر الجرجاني ، فلقد فكّ قيد الفرائس

بالتقيد . وهدّ من سّور المشكلات بالتسوير المشيد . وفتح

أزهاره من أكامها . وفقّ أزراره بعد استغلاقتها ، واستبهاها

فجزاه الله عن الإسلام أفضل الجزاء . وجعل نصيبه من ثوابه

أوفر النصيب والإجزاء . وله من المصنفات فيه كتابان ، أحدهما

لقبه " بدلائل الإعجاز " والآخر لقبه " بأسرار البلاغة^(٣) " .

ولقد تطرق الدارسون قديماً^(٤) وحديثاً لهذه الشخصية الكبيرة الفذة ، إلا أنّ

أهم ما يميز الدراساتين أنّ القدماء أبرزوها شخصية نحوية ، ولم يشر معظمهم إلى

مكانتها البلاغية ، وكانت دراستهم موجزة متشابهة . وما يستغرب له إغفال ياقوت

(١) المفتاح : ١٥٧ .

(٢) المفتاح : ٧٤ .

(٣) الطراز : ١ / ٤ .

(٤) لقد ذكرت الكتب التي ترجمت له قديماً في هامش الصفحة الأولى من ترجمة

الشيخ . انظر ص : ٢ .

الحموي للشيخ في كتابه معجم البلدان ، فهو لم يذكره حين ذكر جرجان ، وكذلك أغفله في كتابه معجم الأدباء ، فلم يتطرق إلى ترجمته إنما أشار إلى اسمه عند ترجمة أحمد بن عبد الله الضرير تلميذ عبد القاهر .^(١)

كذلك أهمله ابن خلدون فلم يذكره في مقدمته الشهيرة ، وكذلك لم يترجم له ابن خلكان في وفيات الأعيان .

أما الدراسات الحديثة فأبرزت شخصية الشيخ شخصية بلاغية نقدية فذة وامتازت بـ دراستهم بالتفصيل والتعمق ، وهذا يدل على أن لهذه الشخصية قدماً راسخة في كلاً المجالين النحوي والبلاغي . فمن الدراسات الحديثة التي أفردت الشيخ بالدراسة :

- ١- عبد القاهر والبلاغة العربية للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ، وهو من القطع الصغير ويقع في اثنتين وأربعين ومائة صفحة .
- ٢- عبد القاهر الجرجاني للدكتور أحمد أحمد بدوي " ضمن سلسلة أعلام العرب " وهو من الحجم الصغير ، ويقع في تسع وعشرين وأربعمئة صفحة .
- ٣- عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده للدكتور أحمد مطلوب وهو من الحجم المتوسط ، ويقع في سبع وأربعين وثلاثمئة صفحة .
- ٤- تربية الذوق البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني للدكتور عبد العزيز عبد المعطي عرفة ، وهو من القطع المتوسط ، ويقع في أربع وستين وستمئة صفحة .
- ٥- النقد التحليلي عند عبد القاهر الجرجاني " دراسة مقارنة " للدكتور أحمد عبد السيد الصاوي ، وهو من القطع المتوسط ويقع في ست عشرة وأربعمئة صفحة .
- ٦- التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر للدكتور عبد الفتاح لاشين وهو من القطع المتوسط ويقع في إحدى وستين ومائتي صفحة .
- ٧- مفهوم الجمال عند عبد القاهر الجرجاني للدكتور أحمد عبد السيد الصاوي وهو من القطع المتوسط ، ويقع في ثلاث وتسعين صفحة .

- ٨ - نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني للدكتور وليد محمد مراد .
- ٩ - نظرية العلاقات بين عبد القاهر والنقد الغربي للأستاذ محمد نايل .
- ١٠ - نظرية عبد القاهر في النظم للدكتور د رويش الجندي .
- ١١ - النظم في دلائل الإعجاز للدكتور مصطفى ناصف وهو ضمن حوليات كلية الآداب بجامعة عين شمس يناير سنة ١٩٥٥ م .
- ١٢ - المقاييس الجمالية عند عبد القاهر الجرجاني وهو رسالة ماجستير لسيد حجاب ، وهو في جامعة الأزهر كلية اللغة العربية .
- أما عن الكتب التي أفردت له بعض الفصول فهي كثيرة نذكر منها :-
- ١٣ - قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث للدكتور محمد زكي القشماوي ذكره تحت عنوان :
- " نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني " من ص (٣٠٢-٣٧٢) ثم ذكره عند حديثه عن منهج الآمدي في الموازنة بعنوان :
- " عبد القاهر والسرقة الشعرية " .
- ١٤ - أثر النحاة في البحث البلاغي للدكتور عبد القادر حسين .
- وقد أفرد له الباب الرابع من الكتاب ، تحت عنوان :
- " البلاغة في القرن الخامس الهجري " وذلك من ص (٣٥٨-٤٠٩) .
- هذا عدا كثير من الإشارات المتكررة في كل موضع من الكتاب تقريباً .
- ١٥ - من الوجهة النفسية للدكتور محمد خلف الله أحمد .
- تحدث عن الشيخ من ص : (٣٢-٣٣) تحت عنوان :
- " عبد القاهر الجرجاني ونظريته النفسية " ، ثم أفرد له الفصل الرابع بعنوان :
- " المنزع النفسي في بحث أسرار البلاغة " من ص (٩٩-١٥٤) .
- ١٦ - البلاغة تطور وتاريخ للدكتور شوقي ضيف تحدث عنه في الفصل الثالث تحت عنوان :-
- " ازدهار الدراسات البلاغية " من ص (١٦٠-٢١٩) .

- ١٧ - في الميزان الجديد للدكتور محمد مندور
تحدث عن الشيخ من ص : (١٧٣-١٨٨) تحت العناوين التالية :-
" نظرية عبد القاهر الجرجاني " .
" النظم عند الجرجاني " .
" الذوق عند الجرجاني " .
- ١٨ - مقالات في تاريخ النقد العربي للدكتور " داود سلوم " أفرد له الفصل
السادس تحت عنوان :
" عبد القاهر الجرجاني وكتابه دلائل الإعجاز " من ص (٣٧٤-٣٨٧) .
- ١٩ - " البلاغة عند السكاكي " للدكتور أحمد مطلوب ذكره في الفصل الأول تحت
عنوان :
" أثر عبد القاهر " من ص : (٢٠٧-٢٣٣) .
- ٢٠ - " من قضايا النقد والبلاغة " للدكتور: توفيق الفيل أفرد له الفصل الثاني
تحت عنوان :
" التصوير الفني " من ص : (٦٩-١١٤) ثم ذكره من ص : (٢٠٨-٢١٥) .
- ٢١ - " النقد الأدبي الحديث " للدكتور محمد غنيمي هلال ذكره في الفصل
السادس تحت عنوان :
" اللفظ والمعنى " من ص : (٢٦٨-٢٩١) .
- ٢٢ - " نظرية المعنى في النقد العربي " للدكتور مصطفى ناصف ، ذكره في
الفصل الأول تحت عنوان : " نظام الكلمات " من ص (١٠-٣٥) ، ثم
ذكره في الفصل الثاني تحت عنوان : " الصورة العادية والصورة المنمقة " من ص (٤٣-٥٢) ومن ص : (٥٩-٦٥) إلى غير ذلك من الإشارات
المتناثرة في ثنايا الكتاب .
- ٢٣ - " تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية " للدكتور : مهدي صالح
السامرائي ذكره في الفصل الثاني تحت عنوان :
" نظرية عبد القاهر في وجهها العلمي " من ص : (٩٢-١٠٧) .

- وذكره في فصل المجاز من ص : (١٢١-١٢٤-١٣٦) .
- ثم ذكره في الفصل الثالث عند حديثه عن التعليل من ص : (١٦١-١٦٢)
- ثم أفرده بالحديث في الفصل الثالث من الباب الثاني تحت عنوان :
- " الإعجاز البياني في نظرية عبد القاهر " من ص : (٢٤٩-٢٥٧) .
- ٢٤ - " دراسات في النقد الأدبي " للدكتور : وليد قصاب ذكره عند حديثه
- عن " فكرة النظم وأثرها في حل مشكلات النقد العربي " من ص : (٧١-٨٤) .
- ٢٥ - " من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم " للدكتور : عثمان موافي ، أشار إليه في الفصل الرابع عند حديثه عن اللغة وارتباط الألفاظ بعضها ببعض من ص : (١٠١-١١٩) .
- ٢٦ - " أساليب بلاغية " للدكتور أحمد مطلوب ، ذكره في الفصل الأول تحت عنوان : " الفصاحة والبلاغة " ، وتحدث عنه من ص : (٣١-٣٧) ، ثم ذكره ص ٥٧ هذا مع الإشارات المتفرقة في الكتاب .
- ٢٧ - " النقد المنهجي عند العرب " للدكتور محمد مندور ، ذكره في الفصل السابع وعنوانه " تحول النقد إلى بلاغة " وتحدث عنه من ص : (٣٣٢-٣٣٩) .
- ٢٨ - " آراء الجاحظ البلاغية وتأثيرها في البلاغيين العرب حتى القرن الخامس الهجري " للدكتور أحمد أحمد فشل ، ذكره في الفصل الثاني من الباب الثالث عند ذكره قضية اللفظ والمعنى .
- ٢٩ - التفكير البلاغي عند العرب للدكتور حمادي صمود ذكر الشيخ في موضعين :
- ١- في الفصل الأول من القسم الأول من ص : ٨٠-٨٣ عند حديثه عن المؤثرات الأجنبية ، وتكلم عن مدى تأثير الشيخ بالبلاغة الأجنبية .
- ٢- في القسم الثالث تحت عنوان " أهم قضايا التفكير البلاغي إلى القرن السادس " تحدث عن نظرية النظم في الدلائل والأسرار من ص : ٤٩٧-٥٢٩ .
- هذا إلى جانب كثير من الكتب التي لا يمكن حصرها في هذا الموضع وهي مثبتة في ثنايا البحث .

ب - دراسة موجزة عن كتاب -

* دلائل الاعجاز *

لقد آثرت أن أضيف إلى خطة البحث هذا البحث ، لأنني وجدت أن الآراء
 قد تضاربت في طريقة ومنهج كتاب الدلائل ، وأيهما أسبق الدلائل أو الأسرار ،
 كما أن بعض الأكسن أخذت تدين أصالته ، فرأيت أنه من الضروري أن أتطرق
 لهذا الموضوع ، لاسيما أنني أعيش هذا الكتاب ، وأعالج موضوعاته من حيث
 الشواهد ، فكل ما قيل فيه من آراء ، ودار حوله من نقاش يمس موضوعي أيّ مساس .
 وسأتوخى في هذه الدراسة الإيجاز الذي يلقي الضوء على الحقائق .

لقد حاول كثير من المحدثين البحث عن أى الكتابين أسبق في التأليف ، ولم يصلوا في ذلك إلى نتيجة حتمية إذ أنَّ الشيخ عبد القاهر لم يصرِّح في كتابيه بأسبقية أحد الكتابين فليس هناك دليل قاطع يحتج به .

ومن رأى أن الدلائل أسبق :

الدكتور شوقي ضيف^(١) ، محمد خلف الله أحمد^(٢) ، أحمد مطلوب^(٣) ، أحمد أحمد بدوي^(٤) ، وحثهم في ذلك أن موضوع الدلائل موضوع ذو أهمية كبيرة عند المؤلف ، فقد عُني فيه بالدلالة على إعجاز القرآن ، وكان هذا شغله الشاغل ، فهو كتاب عام في النظرية الأدبية ومدى اتصالها بإعجاز القرآن الكريم .

أما كتاب الأسرار فهو بحث خاص في البيان ، وهو أدق وأوضح من الدلائل ، كما أنه يحتوى على آراء نفسية لم تعرف طريقها في الدلائل ، وهذا يدل على تطور الفكر عند الشيخ .

ومن ذهب إلى أن الأسرار أسبق :

والدكتور محمد عبد المنعم خفاجي^(٥) ، حفني محمد شرف الذي قطع وجزم بأن دلائل الإعجاز أُلْفَ بعد أسرار البلاغة^(٦) .

(١) البلاغة تطور وتاريخ : ١٩٠-١٩١-٢٠٤ .

(٢) من الوجوه النفسية : ١٠١ .

(٣) عبد القاهر ، أحمد مطلوب : ٣٣ .

(٤) عبد القاهر أحمد أحمد بدوي : ٦٦ .

(٥) عبد القاهر والبلاغة العربية ، محمد عبد المنعم خفاجي : ٣٥ .

دلائل الإعجاز ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي : ٦٠٥ .

(٦) مقدمة بديع القرآن : ٢٧ .

وحجة هذا الفريق :-

أن في الدلائل إشارات من ألفاظ وجمل تُحيل على كتاب سابق في البلاغة قد يكون هو كتاب " الأسرار " إلى غير ذلك من الحجج التي لا يمكن القطع والجزم عن طريقها بأسبقية أحد الكتابين .

وللدكتور الفاضل : " على محمد العماري " أدلة يرى أنها تكاد تكون حاسمة في أن " أسرار البلاغة " كان سابقاً للدلائل .

ومن هذه الأدلة أن الشيخ عبد القاهر روى عن الآمدي - في الأسرار - أنه وازن بين بيتين أحدهما للبحتري وهو :

فَصَاغَ مَا صَاغَ مِنْ تَبَرٍّ وَمِنْ وَرِقٍ . . . وَحَاكَ مَا حَاكَ مِنْ وَشْيٍ وَدِيَّاجٍ

والآخر لأبي تمام ، وهو :

إِذَا الْغَيْثُ غَادَى نَسَجَهُ خِلْتُ أَنَّهُ . . . خَلَّتْ حِقَبٌ حَرَسْلَهُ وَهُوَ حَاكُهُ

وقوله في بيت البحتري : " صوغ الغيث ، وحوكه النبات ليس باستعارة ، بل هو

حقيقة ، وقوله في بيت أبي تمام : " إن لفظة حاك خاصة في غاية الركاقة ، إذا أخرج على ما أخرج عليه أبو تمام في قوله . . .

وهذا قبيح جداً ، والذي قاله البحتري " وَحَاكَ مَا حَاكَ " حسن مستعمل ، فانظر مابين الكلامين لتعلم مابين الرجلين .

قال الشيخ عبد القاهر :

" قد كتبت هذا الفصل على وجهه ، والمقصود منه أن تطلق

الاستعارة على الصَّوْغِ وَالْحَوْكِ ، وقد جعلاً فعلاً للربيع ، واستدلاله على

ذلك بامتناع أن يقال : وكأنه صائغ ، وكأنه حاك ، اعلم أن هذا

الاستدلال كأحسن ما يكون ، إلا أن الفائدة تتم بأن تبين جهته ،

ومن أين كان كذلك (١) .

ثم يبين الشيخ عبدالقاهر جهة استدلال الآمدي ، ومعنى ذلك أنه مؤمن بقوله بل معجب به غاية الإعجاب .

ثم نراه في الدلائل يذكر نفس الفصل ، ولكنه يخطئ " الآمدي " بل يعجب من نفسه أنه ظل زمنًا يعتقد صحة مقاله هذا الناقد ، قال عبدالقاهر :

" ومن ذلك أنك ترى من العلماء من قد تأول في الشيء وتأويلًا ، وقضى فيه بأمر ، فتعتقد اتباعًا له ، ولا ترتاب أنه على ما قضى وتأويل ، وتبقى على ذلك الاعتقاد الزمان الطويل ، ثم يلوح لك ما تعلم به أن الأمر على خلاف ما قدر^(١) "

ثم يذكر البيتين ، وقول الآمدي فيهما على نحو ما في الأسرار ، ثم يذكر ما ذهب إليه الآمدي ، ويعقب عليه بوجهة نظره الجديدة المخالفة للآمدي ، فعبدالقاهر كان يعتقد رأي الآمدي ولا يرتاب في قضائه بالنسبة لبيت أبي تمام ، وقد مضى عليه في ذلك الاعتقاد الزمان الطويل ، ثم تبين له أن الآمدي وقع في سهو حين قضى بما قضى به .

ومعنى ذلك أن عبدالقاهر ألف الأسرار أولاً ، ثم مضى على ذلك زمن طويل انتهى فيه من تأليف الدلائل ، فمن العجيب أن القصة ذكرت في آخر كل من الكتابين^(٢) . ومن الأدلة التي أشار إليها الدكتور العماري أن في الدلائل ما يشعر بأن الشيخ ألف الكتاب في زمن متأخر من حياته ، فهو يقول في " المدخل " :

" وقد دخلت بآخرة في كلام^(٣) من أصفى إليه وتدبره تدبر ذي دين ، وفتوة دعاه إلى النظر في الكتاب الذي وضعناه ، ويعنه على طلب ما دونناه^(٤) "

(١) الدلائل ، رضا : ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، خفاجي : ٥٠٣ .

شاكر : ٥٥٣ .

(٢) قضية اللفظ والمعنى - مخطوطة بكلية اللغة العربية - جامعة الأزهر : ١١١-١١٢ .

(٣) في الدلائل تحقيق شاكر :

(٤) الدلائل ، رضا : غ ، خفاجي : ٤٥ ، شاكر : ٣-٤ .

ويقول في آخره :

" وإنيك لتتظرفي البيت دهرًا طويلًا ، وتفسره ، ولا ترى أن فيه شيئًا لم تعلمه ، ثم بيد ولك فيه أمر خفي لم تكن قد علمته ، مثال ذلك بيت المتنبي :

عَجَبًا لَهُ حِفْظَ الْعَيْنَانِ بِأَنْتَلِ . : مَا حِفْظُهَا الْأَشْيَاءَ مِنْ عَادَاتِهَا
مضى الدهر الطويل ، ونحن نقرؤه فلا ننكر منه شيئًا ، ولا يقع لنا أن فيه خطأ ، ثم بان بآخرة أنه قد أخطأ " (١)

فيستنبط الدكتور العماري أن الدهر الطويل ، والزمان الطويل ، وإدراكه الشيء بآخرة " كل ذلك يدل على أن عبدالقاهر ألف الدلائل في زمن متأخر ربما كان في آخر حياته .

وما يرجح الدكتور أنه دليل على أسبقية الأسرار قول الشيخ في الدلائل :
" وأما المجاز فقد عول الناس في حده على حديث النقل وأن كل لفظ نقل عن موضعه فهو مجاز ، والكلام في ذلك يطول ، وقد ذكرت ما هو الصحيح من ذلك في موضع آخر " (٢)

وقد ذكر الأستاذ رشيد رضا في هامش الكتاب :

" لعله يريد بالموضع الآخر كتاب " أسرار البلاغة " (٣)

وقد أيد الدكتور العماري ما ذهب إليه الأستاذ رشيد رضا ورجحه بدليلين :
الأول : لأنه لم يتقدم في الدلائل ، على هذه الكلمة ذكر المجاز ، وقد قال :
" ذكرت " ، فدل على أنه ذكره في كتاب آخر .

الثاني : أنه حقيقة ذكر حديث نقل المجاز في " الأسرار " وأطال فيه ، وصح أنه مجاز لغوي .

(١) الدلائل : رضا : ٤٢٤ ، خفاجي ٥٠٢ ، شاکر : ٥٥١ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٥٣ .

(٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

ومن الأدلة المرجحة - أيضا - أن عبد القاهر ، وهو يُعَلِّي من شأن النحو ، قال :
 " وضربوا له المثل بالملح - كما عرفت (١) .

وكأنه يشير إلى عرضه هذا المثل في " الأسرار " والإطالة في شرحه ،
 وتصحيح وجه الشبه فيه (٢) ، والتعبير بالفعل الماضي يرجح هذه الإشارة .

ولو كان يريد بـ " عرفت " كلام العرب لعبير بالمضارع وقال : كما - تعرف " ، لأن هذا
 المقام - حينئذ - له (٣) .

هذا عن أسبقية أحد الكتابين - ولقد أطلت الحديث عن أدلة الدكتور العماري -
 لعلها تضيء جانبا جديداً في هذا الموضوع .

أما عن موضوع الدلائل : فهو قائم على إثبات نظرية النظم للإرشاد إلى إعجاز
 القرآن ، فالبلاغة ليست في اللفظ في حال آنفاده وأنقطاعه عما يليه ، بل البلاغة
 تكمن في تلك العلاقات التي تربط كل لفظة بالتي تليها بحيث يأخذ بعض الألفاظ
 برقاب بعض ، وتكون كل لفظة سبباً في التي تليها .

وليس النظم عنده هو ضم الشيء إلى الشيء على أي حال وكيفما اتفق بل النظم
 في ترتيب الألفاظ بحسب ترتيب المعاني في النفس مع توخي معاني النحو .

وسار الشيخ في كتابه الدلائل يبرهن ويدلل على صحة ما ذهب إليه . وساقه
 حماسه لهذه الفكرة إلى التكرار ، وعدم تنسيق أبواب الكتاب .

أما عن منهج الشيخ ، وتناوله للموضوعات وأسلوبه في الكتابة فقد تضاربت الآراء ،
 ووجهات النظر في ذلك ، فمن قائل بأنه نهج أسلوب المتكلمين والفلاسفة ، ومن قائل
 بأن أسلوبه أدبي محض لا تعقيد فيه - وسأرجي التفصيل في هذا الموضوع إلى الفصل
 الثاني " الذوق " من الباب الثاني .

أما عن مصادر الشيخ ، فقد اختلف الباحثون في منبعها ، هل هي ذات جذور

(١) الدلائل ، رضا : ٦ ، خفاجي : ٥٩ ، شاکر : ٨ .

(٢) الأسرار : - هـ ، ريتز - : ٦٥ .

(٣) قضية اللفظ والمعنى : ٢٤٣ - ٢٤٤ .

عربية أصيلة ، أو أنه استقاها من روافد أجنبية .

وهذه النقطة يصعب عليّ تتبعها في هذه العجالة ، لأنها تحتاج إلى بحث متقصٍ يتتبع آراء عبد القاهر مع مقارنتها بآراء كل من سبقوه ، ومقارنتها أيضاً بالكتب المترجمة في عصره . وهذا بحث قائم بذاته .

ولكنني أستطيع أن أشير إلى مآراء الباحثون في هذا المضمار .

فمنهم من يجزم بتأثره بالثقافة اليونانية في كثير من أفكاره ، وزعيم هذا الرأي الدكتور طه حسين الذي رأى أن الشيخ عبد القاهر قد استطاع أن يوفق بين البلاغتين العربية واليونانية ، وأنه متأثر في كتابه أسرار البلاغة بما عربه ابن سينا في " العبارة " في كتاب الخطابة لأرسطو ، واعترف بأنه شارح جيد لبلاغة أرسطو ، ورأى كذلك أنه قد تأثر بأرسطو في فصل الحقيقة والمجاز المرسل ، أما المجاز العقلي فنراه يسلم بأنه من ابتكار عبد القاهر .

قال في المقدمة التي قدم بها كتاب نقد النثر عند تحقيقه :

" . . . لم يكن عبد القاهر الجرجاني عندما وضع في القرن الخامس كتاب " أسرار البلاغة " المعتبر غرة كتب البيان العربي إلا فيلسوفاً جيد شرح أرسطو والتعليق عليه " .

وقال في موضع آخر :

" على أن مجهود ابن سينا لم يكن ليذهب عبثاً ، لقد عرب كتاب " الخطابة " إذا صح هذا التعبير ، وجعله في متناول الفكر العربي ، وبذلك هيأ أسباب التوفيق بين البيانين اللذين عاشا متجاورين دون أن يتلاقيا ويتآلفا . وقد تحقق هذا التوفيق في القرن الخامس على يد عبد القاهر الجرجاني الذي سبق ذكره . صنف عبد القاهر كتابين يعتبران بحق أنفس ما كتب في البيان العربي . هما " أسرار البلاغة " و " دلائل الإعجاز " فعندما نقرأ أولهما نكاد نجزم بأن المؤلف قرأ الفصل الذي عقده ابن سينا " للعبارة "

وانه فكر فيه كثيرا وحاول ان يدرسه دراسة نقد وتمحيص . . . فمجاز ارسطو هذا هو ما يسميه عبد القاهر " مجازا مرسلًا" ^(١) واما المجاز الذي يقوم على التشبيه والذي يسميه ارسطو "صورة" فيسميه عبد القاهر " استعارة " وهو لفظ كان القدماء يطلقونه على المجاز بكافة

انواعه . . . اما المجاز العقلي " فهو من ابتكار عبد القاهر " . . . " (٢) وكذلك رأى الاستاذ محمد خلف الله ان عبد القاهر تأثر بـ ارسطو في المنزع النفساني العام وفي بعض الأسرار التي اهتمت اليها . قال :

" . . . ان عبد القاهر تأثر - على نحو ما - بالبحوث الاغريقية المترجمة ، وانتفع بها انتفاعا ظاهرا في دراسته لآثار البلاغة ، وهذا التأثر اظهر ما يكون في النواحي التفرعية والتحقيقية . . . ولكنه باد ايضا في المنزع النفساني العام عند عبد القاهر وفي بعض الأسرار التي اهتمت اليها في كتابه " ^(٣) .

وبعد ان اثبت هذا التأثر حاول ان يثبت أصالة الشيخ عبد القاهر ، وان هذا التأثر لا ينفي عنه صفة العالم المبتكر . (٤)

وممن جزم بهذا التأثر ايضا الدكتور احمد مطلوب ، فبعد ان قلب آراء الباحثين في تأثر عبد القاهر بأرسطو قال :

" لقد حاولنا ان نربط بين عبد القاهر وسابقه ، وقد اتضح انه أفاد مما كتب العرب وانه لابد قد اطلع على ما كتب ابن سينا في الخطابة ، ولكن ليس معنى ذلك انه صدر فيما كتب عن ارسطو ، لأن الفرق بين الرجلين عظيم " ^(٥) .
وممن ذهب الى هذا الرأي الأستاذ أمين الخولي ^(٦) . الذي استدل على هذا التأثر

(١) في الحقيقة ان عبد القاهر لم يسم المجاز مجازا مرسلًا ، ولكن الذي حصل انه وجد في اواخر كتابه اسرار البلاغة تحقيق رشيد رضا " فضلا تحت عنوان " هذا كلام في ذكر المجاز وفي بيان معناه وحقيقته وفيه بيان المنقول والمشارك والمجاز المرسل وعلاقته " وهذا العنوان يوحى بان عبد القاهر هو الذي وضع المصطلح اذ لم توجد هذه التسمية قبله وبالبحث تحت هذا العنوان نجد مادة هذا المجاز ومعناه ، ولكنه لم يسمه في اثناء الشرح ، والراجح ان محقق الكتاب هو الذي سماه لما رأى مناسبة للمضمون .

(٢) نقد النثر - سابقا - : ٣٨ - ٣٩ .

(٣) من الوجهة النفسية : ١٥٢ .

(٤) المرجع السابق نفس الصفحة .

(٥) عبد القاهر الجرجاني ، احمد مطلوب : ٣٠٥ .

(٦) مناهج تجديد : ١٥٤ / ١٥٥ .

بإشارة عبد القاهر إلى أهل الخطابة ونقد الشعر.

قلت : وقد ذكر الشيخ عبد القاهر أهل الخطابة ونقد الشعر في موضعين : الأول

عند حديثه عن المجاز حيث قال :

" ولهذا الموضع تحقيق لا يتم إلا بأن يوضع له فصل مفرد ، والمقصود الآن غير ذلك ، لأن قصدي في هذا الفصل أن أبين أنَّ المجاز أعم من الاستعارة ، وأن الصحيح من القضية في ذلك أن كل استعارة مجاز ، وليس كل مجاز استعارة ، وذلك أننا نرى كلام العارفين بهذا الشأن ، أعني علم الخطابة ، ونقد الشعر ، والذين وضعوا الكتب في أقسام البديع ^(١) .

فقله الأخير " والذين وضعوا الكتب في أقسام البديع " ، وهو يريد به العارفين بهذا الشأن يدل دلالة قاطعة على أنه لا يريد فلاسفة اليونان ، لأنه لا يُعرف أن هؤلاء وضعوا الكتب في أقسام البديع .

والموضع الثاني عندما تحدث عن صنيع ابن دريد ، وكلامه عن الاستعارة حيث قال :

" فالوجه في هذا الذي رأوه من إطلاق الاستعارة على ما هو تشبيه كما هو شرط أهل العلم بالشعر ، وعلى ما ليس من التشبيه في شيء ^(٢) .

وفي الرد على الأستاذ أمين الخولي ومن سار في إثره يقول الدكتور حمادي صمود :

" فأمين الخولي ، ومن لفَّ لفه حاول لإثبات التأثر ، الوقوف في مؤلفات الرجل - يعني عبد القاهر - على الدليل المادي ، فرأى أن إشارته مرتين متاليتين إلى " أهل الخطابة ونقد الشعر " دليل على أنه ينسب الطريقة البلاغية لأهل الخطابة " ويعتبرهم العارفين بهذا الشأن " ، وليس فسي هذه الإشارة ما يدل على أن المعني كتاب أرسطو .

والقصد من السياقين المذكورين التفريق بين منهجين في دراسة الاستعارة ، منهج الأدباء والعالمين بالشعر ، ومنهج اللغويين ، مع أننا لا نعدم فسي

(١) أسرار البلاغة - هـ ، ريتز - : ٣٦٨ .

(٢) المصدر السابق : ٣٦٩ .

التراث السابق واللاحق عند الحديث عن أصناف المتعاملين مع النص

الأدبي إشارات من هذا القبيل (١) .

ثم ذكر الدكتور حمادي صمود في الهامش أن المبرد في " الكامل " استعمل في موضعين قوله : " العلم بجواهر الكلام " (٢)

وكذلك ذكر الآمدي في الموازنة : " أهل المعاني ومن يميل إلى التدقيق وفلسفي الكلام " (٣) .

أضف إلى ذلك قول قدامة :

" والفلو عندني أجود المذهبين ، وهو ما ذهب إليه أهل الفهم بالشعر والشعراء قديماً ، وقد بلغني عن بعضهم أنه قال :
" أحسن الشعر أكذبه " .

وكذا يرى فلاسفة اليونان في الشعر على مذهب لغتهم " (٤) .

ويبدو لي أن المراد بأهل الفهم في هذا الكلام هم غير فلاسفة اليونان بدليلين :

الأول : عطف فلاسفة اليونان عليهم ، والعطف يقتضي المغايرة .

الثاني : أن الثعالبي ذكر في بعض كتبه (٥) أن أول من قال :-

" أحسن الشعر أكذبه " هو حجر بن عمرو الكندي والد أمري القيس ،

ولعل هذا ما عناه قدامة بقوله " بعضهم " .

ومن استند إلى رأي الخولي - السابق - الدكتور شكري عياد ، والدكتور شوقي ضيف (٦) .

(١) التفكير البلاغي عند العرب : ٨١

(٢) الكامل - مكتبة المعارف - : ١ / ٢١ ، ١٠٦ .

(٣) الموازنة : محمد محيي الدين عبد الحميد : ١٠ .

(٤) نقد الشعر : ٢٦ .

(٥) ذكر ذلك في كتابه " الإعجاز والإيجاز " : ٦٣ .

(٦) كتاب أرسطو طاليس في الشعر : ٢٤١ .

(٧) البلاغة تطور وتاريخ : ١٩١ .

أما الدكتور أحمد بدوي فإنني أراه شديد التحفظ عند الإدلاء برأيه ، فهو لم يصرح بنفي هذا التأثير نفيًا قاطعاً ، فعبارته التي صاغ بها رأيه ، وقوله : بأنه يقف موقف الشاك لا يوضح رأيه تماماً ، ثم إن قوله بأن صمت عبد القاهر يثير في الربيب في أن الشيخ قد نقل نقلاً مباشراً ، يفهم منه أنه لا يمانع في أن الشيخ نقل من أرسطو نقلاً غير مباشر . قال :

" إن صمت عبد القاهر عن الحديث عن آراء أرسطو يثير في الربيب في أن صاحب الدلائل والأسرار قد نقل نقلاً مباشراً عن الفيلسوف الإغريقي ، فإنه حتى في فكرة النظم التي وقف عليها كتابه دلائل الإعجاز قد نقل عن العلماء ما يؤيدها ، كما نقل عن العلماء كثيراً مما يؤيد أفكاره التي كتبها في أسرار البلاغة فإذا كان قد نقل عن أرسطو ، فلم يكن الفيلسوف اليوناني بمن يستر عبد القاهر الأخذ عنه ، ولذلك أقف في ريبة من أمر دراسة عبد القاهر للثقافة الإغريقية المرتبطة بالبلاغة والنقد الأدبي (١) .

أما الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي فإنه يرى أن الشيخ عبد القاهر قد تأثر بطريقة غير مباشرة ببلاغة اليونان قال :

" ويظهر في الأسرار والدلائل أثر بلاغة اليونان المترجمة في الخطابة والشعر لأرسطو الذين ترجمهما ابن سينا في الشفاء ، وترجمهما غيره ، وقد اقتبس عبد القاهر من هذه الترجمات وتأثر بها (٢) .

أما عن تأثره بمن سبقه من النقاد العرب ، فهذا أمر لم يرفضه أحد من الدارسين ؛ لأن عبد القاهر نفسه قد صرح بهذا الأخذ ، وذلك بذكر أسمائهم في كثير من المواضع ، فنراه يصرح بأخذه من سيبويه (ت : ١٨٠ هـ) في باب التقديم والتأخير ، وبباب الحذف (٣) ، كما تأثر بالجاحظ (ت : ٢٥٥ هـ) ونقل عنه كثيراً من آرائه وأقواله ، ووافقه

(١) عبد القاهر الجرجاني ، أحمد بدوي : ٣١٢ .

(٢) عبد القاهر والبلاغة العربية ، محمد عبد المنعم خفاجي : ٤٦ .

(٣) الدلائل ، رضا : ٨٤ ، ١١١ ، ١١٢ ، ٢٤٧ .

في بعضها ورد عليه البعض الآخر ، ونقل كلامه في اللفظ والمعنى ، وأخذ ببعض شواهد^(١) .

ونقل عن ابن قتيبة " ت : ٢٧٦ هـ " تقسيمه الشعر إلى أربعة أضرب^(٢) ، ولكنه لم يصرح بهذا النقل .

كما تأثر الشيخ عبد القاهر بالقاضي الجرجاني صاحب الوساطة في مواضع كثيرة من كتابه ، وأخذ عنه بعض شواهد ، وقد تأثر به أيضاً في باب السرقات ، وقوله بأن المعاني المشتركة المتفقة في الغرض وعموم الدلالة لاتعد سرقة^(٣) ، وكذلك نقل عبد القاهر عن الآمدي (ت : ٣٧٠ هـ) كلمته في بيتي الطائيين ، واستدل بهما في الأسرار^(٤) ، ثم نقدها في الدلائل^(٥) .

أما نظرية النظم التي بنى عليها كتابه الدلائل فقد أشار إليها كثير من العلماء الذين سبقوا الشيخ من أمثال :

عبد الله محمد بن يزيد الواسطي (ت : ٣٠٦ هـ) في كتابه " إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه " وخاصة أن الشيخ أهتم به اهتماماً خاصاً فشرحه مرتين^(٦) .
ومن أشار إلى قضية النظم أبو الحسن علي بن عيسى الرمانى (ت : ٣٨٦ هـ)^(٧)
وأبو سليمان الخطابي (ت : ٣٨٨ هـ)^(٨) ، والباقلاني (ت : ٤٠٣ هـ)^(٩) كما تأثر

- | | |
|-------|---|
| (١) | الدلائل ، رضا : ٤٦ ، ٧٦ ، ١٩٧ ، ٢٢٦ ، ٢٤٥ ، ٣٨٩ . |
| (٢) | الدلائل ، رضا : ٢٧٩ ، وانظر الشعر والشعراء : ٧٠ / ١ - ٧٥ . |
| (٣) | الدلائل رضا : ٣٩٠ ، الأسرار - هـ - ريتز - : ٣١٣ - ٣١٤ ، الوساطة : ٢٠٥ . |
| (٤) | الأسرار : هـ - ريتز - : ٣٥٢ . |
| (٥) | الدلائل : رضا : ٤٢٥ . |
| (٦) | أثر القرآن في تطور النقد العربي : ٢٣٤ . |
| (٧) | ثلاث رسائل في إعجاز القرآن : " النكت في إعجاز القرآن " : ١٠٧ . |
| (٨) | ثلاث رسائل في إعجاز القرآن " بيان إعجاز القرآن " : ٢٩ . |
| (٩) | إعجاز القرآن للباقلاني : ١٦٨ وما بعدها . |

الشيخ بما كتبه القاضي أبو الحسن عبد الجبار الأسدآبادي (ت : ١٥٤٥ هـ) في كتابه " المغني في أبواب التوحيد والعدل " (١).

واستبعد الدكتور مهدي السامرائي تأثر الشيخ عبد القاهر بالقاضي عبد الجبار بل ذهب إلى أبعد من ذلك فرأى أن القاضي عبد الجبار لم يرم إلى النظم، ولم يقصده، بل هو يدفعه ويأباه، يقول بعد أن عرض عدة نصوص من كتاب المغني :

" بيد ومن مجموعة هذه النصوص أن القاضي عبد الجبار لا يعمل على النظم وهو يدفعه ويأباه بكل ما يستطيع، وهو في ذلك يهدف إلى تقويض فكرة النظم التي فشت في بيئة الأشاعرة، إن أساس نظرية عبد القاهر مستمدة من بيئة الأشاعرة، وإن الإمام عبد القاهر وسع مدلولها وأثراها بمواهبه العقلية " (٢).

فهو إذاً يرى أن هناك فرقاً وبنواً شاسعاً بين نظرة عبد القاهر للنظم وبين نظرة القاضي عبد الجبار، فنظرية عبد القاهر تنطلق من مبدأ الكلام النفسي - المعاني - الذي يؤكد الأشاعرة، أما القاضي عبد الجبار فينطلق من مبدأ الألفاظ الذي يؤكد المعتزلة (٣).

ويرفض الدكتور عبد القادر حسين فكرة تأثر عبد القاهر المطلق بالجاحظ، أو الأمازيغي أو الجرجاني بحجة أنه أشار إليهم في غير موضع من كتابه، أو لأنه نسج على منوال القاضي الجرجاني، أو أنه تأثر بالخطابي، لأنه سبقه إلى الحديث عن النظم أو أنه تأثر بالواسطي، لأنه شرح إعجاز القرآن قبله.

فإن كان القصد أنه انتفع بجهودهم، وأنهم كانوا أشعة أضاءت له الطريق، فهذا أمر لا يتطرق إليه الشك، فما من نظرية تخلق من العدم، أو تبني في الهواء، أما إن كان المراد أنه تأثر بهم تأثراً واضحاً، فهذا رأي مردود، لأن ما أتى به

(١) المغني : ١٦ / ١٩٩٠ .

(٢) تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية : ٩٨ .

(٣) المرجع السابق : ٩٦ .

السابقون هو مجرد إشارات بسيطة ، وأضواء خافتة لاتحدد المعالم ، فلا تعتبر
 عملاً مدروساً .^(١)

وأيّاً ماكان فإن العلماء يأخذ بعضهم عن بعض ، والثقافات تتفاعل ، وتبقى لكل
 عالم أصالته .

فإن ماذهب إليه الدكتور عبد القادر حسين أمر صحيح يحفظ للشيخ مكانته ،
 ويعطيه حقه ، وينصفه ممن قد يطعن في أصالته البلاغية بنفي صفة الابتكار عنه ،
 وينظر إليه على أنه مجرد عارض مجيد لآراء علماء العربية والبيان قبله .

(١) أثر النحاة في البحث البلاغي : ٣٦٦ - ٣٦٧ .

ج - معنى كلمة شاهد في اللغة والاصطلاح .

لما كان موضوع هذا البحث دراسة الشواهد كان من الضروري أن أوضح
ما المقصود بكلمة شاهد ؟ وأبين معناها في اللغة والاصطلاح .

ومن المعلوم أن الاستشهاد بالشواهد الشعرية نهج سار عليه علماء العربية
في جميع فروعها ، لتسليمهم بأهميته في ترسيخ القواعد وتوضيحها ، والاحتجاج
لصحة المفردات والتراكيب .

وهنا يطرأ علينا سؤال :

ما الفرق بين الشاهد النحوي والشاهد البلاغي ؟

وفي هذا البحث أوضحت بعض الفروقات التي ظهرت لي من خلال دراستي
لأقوال العلماء فيما يصح الاستشهاد به .

معنى الشاهد في اللغة :-

الشاهد مصدره شهادة ، وهي الخبر القاطع .

- وشَهِدَ كَعَلِمَ وَكَرَّمَ - يقال شَهِدَ الرجل على كذا ، وربما يقال : شَهِدَ الرجلُ بسكون الهاء للتخفيف ، وورد هذا عن الأخفش ، وقلوبهم أَشْهَدُ بكذا أي أَخْلِيفَ ، وشَهِدَ بكذا يتعدى بالباء ؛ لأنه بمعنى أخبر به .

وتأتي الشهادة أيضا بمعنى البيان والوضوح ، قال أبو عبيدة : معنى شَهِدَ الله (١) قَضَى الله أنه لا إله إلا هو . وحقيقته عَظِمَ الله وَبَيَّنَّ الله ؛ لأن الشاهد هو العالم الذي يبين ما علمه ، وقال أبو العباس :

شَهِدَ الله بَيَّنَّ الله وَأَظْهَرَ ، وشَهِدَ الشاهد عند الحاكم أي بَيَّنَّ ما يعلمه وَأَظْهَرَ (٢) .

ومن هذا التعريف اللغوي نستطيع أن نقول إن الشاهد البلاغي في الاصطلاح : هو كل ما يستشهد به البلاغيون من آيات قرآنية ، وأحاديث نبوية ، وأقوال نثرية أو شعرية لتوضيح ، وبيان قاعدة بلاغية .

وما تجدر الإشارة إليه أن هناك فرقاً بين الشاهد النحوي ، والشاهد البلاغي . فالشاهد النحوي يُؤْتَى به لا من أجل توضيح ، وبيان قاعدة ما ، بل للتقعيد والاحتجاج على قاعدة من القواعد النحوية إطراداً أو شذوذاً .

(١) مشيراً إلى قوله تعالى في سورة آل عمران ، آية (١٨) :

" شَهِدَ الله أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ . . . "

(٢) انظر :

الصاحح : " شهد " : ٤٩٤/٢ ، لسان العرب : " شهد " : ٢٣٩/٢ ، مختار الصحاح : باب الشين : ٣٤٩ ، المصباح المنير : " شهد " : ٣٤٩/١ ، القاموس المحيط : " شهد " : ٣٥٩/١ ، ٣٦٠ ، تاج العروس :

" شهد " : ٣٩١/٢ .

وهناك فرق آخر :

وهو أن الشاهد النحوي محدد بزمان معين ، فليس كل الشعراء يُحْتَجُّ بأشعارهم .
فالقائلون للشعر أربع طبقات :^(١)

الطبقة الأولى :

الجاهليون : وهم الذين لم يدركوا الإسلام كأمريء القيس والأعشى .

الطبقة الثانية :

المخضرمون : وهم الذين قضا فترة من حياتهم في الجاهلية، ثم أدركوا الإسلام
كلبيد وحسان .

الطبقة الثالثة :

المتقدمون : ويقال لهم الإسلاميون ، وهم الذين كانوا في صدر الإسلام
كجرير، والفرزدق .

الطبقة الرابعة :

المؤدّون : ويقال لهم المُحدّثون ، وهم من بعد الطبقة الثالثة إلى زماننا هذا
كبشار بن برد وأبي نواس .

فالطبقة الأولى والثانية يستشهد بشعرهما في جميع علوم الأدب من لغة وصرف
ونحو، ومعاني وبيان وديع وغيرها . وذلك بإجماع العلماء .
أما الثالثة وهي طبقة الإسلاميين فقد اختطف العلماء في الاستشهاد بكلامها ،
والصحيح صحة الاستشهاد به .

(١) انظر هذا التقسيم في :

العمدة : ١ / ١١٣ ، المزهر : ٢ / ٤٨٩ ، الخزانة للبغدادي :

" تحقيق عبد السلام هارون " : ١ / ٦٥٥

وكان أبو عمرو بن العلاء^(١)، وعبد الله بن أبي إسحاق^(٢)، والحسن البصري^(٣)،
وعبد الله بن شبرمة^(٤)، يلحنون الفرزدق والكُميت، وذا الرُّمة، وأضرابهم، وكانوا
يعدونهم من المولدين، لأنهم كانوا في عصرهم، والمعاصرة حجاب^(٥).
قال ابن رشيق في العمدية :

« كل قديم من الشعراء فهو مُحَدَّثٌ في زمانه بالإضافة إلى من كان قبله،
وكان أبو عمرو بن العلاء يقول :

(١) هو أبو عمرو زَيَّان بن العلاء المازني من القراء السبعة وإمام البصرة
في اللغة والنحو (ت : ١٥٤ هـ) / انظر ترجمته :

نزهة الألباء : ٣٠ - ٣٥ ، إنباء الرواة : ٤ / ١٣١ - ١٣٩ ، النجوم
الزاهرة : ٢ / ٢٢ ، بغية الوعاة : ٢ / ٢٣١ ، ٢٣٢ ، المزهر :
٢ / ٤١٨ ، شذرات الذهب : ١ / ٢٣٧ ، مراتب النحويين : ٣٣ .

(٢) هو أبو بحر عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي ، كان قنبا بالعريضة
والقراءة ، إماما فيها . (ت : ١١٧ هـ ، وقيل ١٢٧ هـ) / انظر :
نزهة الألباء : ١٨ - ٢٠ ، إنباء الرواة : ٢ / ١٠٤ ، بغية الوعاة :
٢ / ٤٠ ، أخبار النحويين البصريين : ٤٢ - ٤٥ ، طبقات النحويين
واللغويين : ٣١ .

(٣) هو الحسن بن يَسَار البصري التابعي الأنصاري ، إمام أهل البصرة
في القراءة (ت : ١١٠ هـ) / وستأتي ترجمته فيما بعد :
انظر : المعارف لابن قتيبة : ٤٤٠ / ٤٤١ ، غاية النهاية : ٢٣٥ / ١ ،
أسماء التابعين للدارقطني رقم (١٨٨) : ١٠١ / ١ .

(٤) هو عبد الله بن شبرمة الضبي ، قاضي الكوفة ، وشاعرها (ت : ١٤٤ هـ) /
انظر :

أسماء التابعين رقم (٦٠٤) : ١٣٤ / ٢ .

(٥) خزانة الأدب للبغدادلي : - تحقيق عبد السلام هارون - : ٦ / ١ .

• لقد أحسن هذا المولد حتى همتُ أن آمر صبياننا بروايته، -يعني بذلك شعر جرير والفرزدق-، فجعله مولداً بالإضافة إلى شعر الجاهلية والمخضرمين، وكان لا يعد الشعر إلا ما كان للمتقدمين.

قال الأصمعي : جلست إليه ثاني حجج فما سمعته يحتج ببيت إسلامي^(١).

الطبقة الرابعة : والصحيح عدم الاستشهاد بكلامها مطلقاً. قال السيوطي :

• أن يكون النقل عمن قوله حجة في أصل اللغة، كالعرب العاربة، مثل قحطان ومعدّ وعدنان، فأما إذا نقلوا عمن بعدهم بعد قسّاد لسانهم، واختلاف المولدين فلا^(٢).

وذهب بعضهم إلى إمكانية الاستشهاد بكلام من يوثق به منهم^(٣)، وهذا الرأي الأخير اختاره الزمخشري^(٤)، وتبعه المحقق الرضي^(٥).

فقد استشهد الزمخشري في كشفه ببعض أبيات لأبي تمام، وذلك

-
- (١) العمدة : ٩٠/١، وانظر : المزهري للسيوطي : ٤٨٨/٢.
- (٢) المزهري : ٥٨/١.
- (٣) خزانة الأدب للبغداد : "تحقيق عبد السلام هارون" : ٦/١.
- (٤) هو أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الإمام الكبير في التفسير والحديث والنحو واللغة. من كتبه : "المحاجة بالمسائل النحوية" "المفرد والمركب" وهو صاحب تفسير الكشف المشهور، كان معتزلياً - الاعتقاد متظاهراً به ولد سنة ٤٦٧ هـ بزمخشر، وتوفي سنة ٥٣٨ هـ - بجرجانية خوارزم . / انظر :
- نزهة الألباء : ٣٩١-٣٩٣، إنباء الرواة : ٢٦٥/٣، وفيات الأعيان :
- ١٦٨/٥، ١٧٣، بغية الوعاة : ٢٧٩/٢، إيضاح المكنون : ٦٧/١/٣،
- ٠٨٦/٢/٤
- (٥) هو محمد بن الحسن نجم الملة والدين الإستراباذي صاحب كتاب شرح الكافية، وكتاب الشافية - لابن الحاجب - (ت : ٦٨٦ هـ) / انظر :
- بغية الوعاة : ٥٦٧/١، مقدمة خزانة الأدب للبغداد - دار صادر - :
- ١٢/١، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة : ٢٠٧.

عند تفسيره أوائل سورة البقرة (١).

قال :

" هو وإن كان مُحَدَّثًا ، لا يُستشهد بشعره في اللغة ، فهو من علماء العربية ، فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه ألا ترى إلى قول العلماء :
والدليل عليه بيت الحماسة " فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه (٢).
واعترض عليه بأن قبول الرواية مبني على الضبط والوثوق ، واعتبار القول مبني على معرفة أوضاع اللغة العربية وقوانينها .

ومن الواضح أن إتقان الرواية لا يوجب إتقان الدراية (٣).

جاء في الاقتراح للسيوطي :

" أجمعوا على أنه لا يحتج بكلام المولدين والمحدثين في اللغة والعربية ، وفي الكشف ما يقتضي تخصيص ذلك بغير أئمة اللغة ورواتها ، فإنه استشهد على مسألة بقول حبيب بن أوس (٤).

وكذلك قال الزركشي :

" ووقع في كلام الزمخشري وغيره الاستشهاد بشعر أبي تمام ، بل في الإيضاح للفارسي ووجهه بأن الاستشهاد بتقرير النقلة كلامهم ، وأنه لم يخرج عن قوانين العرب (٥).

(١) استشهد الزمخشري في تفسيره بأقوال أبي تمام في المواضع التالية :-

١ / ٢٠٥ ، ١ / ٢٢٠ ، ١ / ٢٦٣ .

(٢) الكشف : ١ / ٢٢٠ ، وذلك عند تفسيره للآية رقم (٢٠) من سورة البقرة

وهي قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ﴾ ، استشهد ببيت أبي تمام :
هَذَا أَظْلَمًا حَالِي تُمَتَّ أَجْلِيَا . . . ظَلَامَتُهُمَا عَنْ وَجْهِ أَمْرَدٍ أَشْشَبِ
استشهد به على أن " أَظْلَمَ " قد يكون متعديًا منقولاً من ظلم الليل ، ثم ذكر بعد ذلك قوله : " وهو وإن كان مُحَدَّثًا لا يستشهد بشعره . . . "

(٣) خزانة الأدب للبغدادي - تحقيق عبد السلام هارون - ١ / ٥ - ٧ .

(٤) الاقتراح : ٣٧ .

(٥) المزهر : ١ / ٥٨ .

وكذلك احتج الأُخفش^(١)، وسيبويه^(٢) بشعر بشار بن برد^(٣) - وهو أول الشعراء المحدثين - تقريباً إليه لأنه كان قد هجاها لتركها الاحتجاج بشعره^(٤) ونقل ثعلب^(٥) عن الأصمعي^(٦) أنه قال :

* ختم الشعر بإبراهيم بن هرمة وهو آخر الحجج * .

فالشاهد النحوي إنَّما يرتبط بزمن معين، وهو زمن الجاهليين، والمخضرميين والإسلاميين، أما زمن المولدين والمحدثين، فقد اختلف فيه، والصحيح عدم الاستشهاد بهم .

-
- (١) هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي البصري، وهو المعروف بالأُخفش الأوسط، والأُخفش أسن من شيخه سيبويه، فقد ولد قبله، ومات بعده، واختلف في سنة وفاته فقليل أنها سنة (٢١٠ هـ أو ٢١١ هـ أو ٢١٥ هـ أو ٢٢١ هـ / انظر ترجمته :
- المعارف : ٥٤٥-٥٤٦، بغية الوعاة : ١ / ٥٩٠، المزهر : ٢ / ٤٦٣ ، طبقات النحويين واللفويين : ٧٢ - ٧٤ .
- (٢) هو عمرو بن عثمان بن قنبر، فارسي الأصل ينتهي بالولاء إلى الحارث بن كعب بن أد وهو إمام النحاة * ت : ١٦١ هـ / انظر ترجمته :
- المعارف : ٥٤٤، نزهة الألباء : ٥٤، مراتب النحويين : ١٠٦ .
- (٣) هو بشار بن برد بن بهمن ولد ونشأ بالبصرة * ٩٦ هـ - ١٦٨ هـ / انظر ترجمته :
- الأغانى : ٣ / ١٣٥ - ٢٥٠، مقدمة شرح ديوانه للطاهر بن عاشور : ١ / ٨ - ٤٩ .
- (٤) الموشح : ٢٢٤، الاقتراح : ٣٨ .
- (٥) هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن سيار المشهور بثعلب إمام الكوفيين في النحو واللغة * ٢٠٠ هـ - ٢٩١ هـ / انظر ترجمته :
- نزهة الألباء : ١٧٣ - ١٧٤، إنباء الرواة : ١ / ١٣٨، مراتب النحويين : ١٥١، بغية الوعاة : ١ / ٣٩٦، المزهر : ٢ / ٤٦٤ .
- (٦) هو عبد الملك بن قريب بن ياهلة من ولد أصم وهو من أشهر الرواة العرب ولد سنة ٢٢٣ هـ وعمر نيفاً وتسعين سنة / انظر ترجمته :
- المعارف : ٥٤٣ - ٥٤٤ .
- (٧) هو أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن هرمة القرشي * ت : ١٧٦ هـ / انظر ترجمته :
- طبقات ابن المعتز : ٢٠، الشعر والشعراء : ٧٥٧، الأغانى : ٤ / ٣٦٧ ، وستأتي ترجمته فيما بعد .
- (٨) العمدة : ٩٠، الاقتراح : ٣٨ .

أما الشاهد البياني ، فلا يرتبط بزمان معين بل يصح الاستشهاد بكلام المولدين ،
وغيرهم من المتأخرين إلى زماننا هذا .

قال ابن جني :

” يستشهد بشعر العرب المولدين في المعاني كما يستشهد بشعر
العرب في الألفاظ ” (١)

وأيد ابن رشيق ابن جني فيما ذكره ، وظل صحة الاستشهاد بكلام المحدثين
في علوم البلاغة ، بأن علوم البلاغة تعتمد على المعاني والمولدون قد حضروا الحواضر ،
وتغننوا في المشارب ، والمطاعم ، فاتسع الخيال ، وتولدت المعاني .

قال ابن رشيق :

” قال أبو الفتح عثمان بن جني : المولدون يستشهد بهم في المعاني
كما يستشهد بالقدماء في الألفاظ ، والذي ذكره أبو الفتح صحيح بَيِّن ؛ لأن
المعاني إنما اتسعت لاتساع الناس في الدنيا ، وانتشار العرب بالإسلام
في أقطار الأرض ، فمَضَرُوا الأُمُصَارَ ، وحَضَرُوا الحَوَاضِرَ ، وتَأَنَّقُوا في المطاعم
والملبس ، وعرفوا بالعيان عاقبة ما دلَّتْهم عليه بَدَاهَةُ العقول من فضل
التشبيه وغيره . . . ومن هنا حكى عن ابن الرومي أن لائماً لامه فقال :

لم لا تشبه تشبيه ابن المعتز وأنت أشعر منه ؟ قال : أنشدني شيئاً

من قوله الذي استعجزتني في مثله ، فأنشده في صفة الهلال :

(٢) فَأَنْظَرُ إِلَيْهِ كَزَوْقٍ مِنْ فِضَّةٍ . . . قَدْ أَثْقَلَتْهُ حُمُولَةٌ مِنْ عَنَبٍ (٣)

(١) العمدة : ٢ / ٢٣٦ ، المزهرة : ١ / ٥٩٠ .

ولقد استشهد ابن جني بشعر المولدين في كتابيه الخصائص والمنصف :

انظر : الخصائص : ١ / ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٠ ، ٤٠ ، المنصف : ٢ / ١٩٨ .

(٢) رواية الديوان : ” وانظر ” .

(٣) ديوان ابن المعتز : ٢٤٧ .

فقال : زدني ، فأنشده :

كَأَنَّ أَذْرِيُونَ تَهْتَكُونَ (١) . . وَالشَّمْسُ فِيهِ كَالْيَمِّ
مَذَاهِبٌ مِنْ ذَهَبٍ . . فِيهَا بَقَايَا غَالِيَةٍ (٢)

فصاح واغوثاه ، يا الله ، لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ذلك إنما يصف ماعون بيته ،
لأنه ابن الخلفاء ، وأنا أي شيء أصف ؟ (٣)

و كذلك ذكر الحموي في خزانته أن الاستشهاد بأشعار المحدثين في البديع
لأنقص فيه ثم استشهد على ذلك برأي ابن جني وابن رشيق السابقين . قال :

• وهنا بحث لطيف، وهو أن الاستشهاد بكلام المولدين، وغيرهم ممن
المتأخرين ليس فيه نقص، لأن البديع أحد علوم الأدب الستة ؛ وذلك أنك
إذا نظرت في الكلام العربي إما أن تبحث عن المعنى الذي وضع له
اللفظ، وهو علم اللغة ، وإما أن تبحث عن ذات اللفظ بحسب ما يعتريه ،
وهو علم التصريف ، وإما أن تبحث عن المعنى الذي يفهم من الكلام المركب
بحسب اختلاف أواخر الكلم ، وهو علم العربية ، وإما أن تبحث عن
مطابقة الكلام لمقتضى الحال بحسب الوضع اللغوي وهو علم المعانسي ،
وإما أن تبحث عن طرق دلالة الكلام إيضاحاً، وخفاءً بحسب الدلالة
العقلية ، وهو علم البيان ، وإما أن تبحث عن وجوه تحسين الكلام ، وهو
علم البديع ، فالعلوم الثلاثة الأولى يستشهد عليها بكلام العرب نظاماً
ونشراً ؛ لأن المعترف فيها ضبط ألفاظهم ، والعلوم الثلاثة الأخيرة يستشهد
عليها بكلام العرب وغيرهم ؛ لأنها راجعة إلى المعاني ، ولا فرق في ذلك
بين العرب ، وغيرهم إذا كان الرجوع إلى العقل . . . ثم ذكر رأي ابن جني ،
وابن رشيق المشار إليهما سابقاً .

(١) أَذْرِيُونَهَا : الآذْرِيُونَ : زهر أصفر في وسطه خمل أسود تعريب آذْرُكُون واصل

معناه شبه النار ، وآذ ريون لغة فيه بالفارسية . / معجم الألفاظ الفارسية -

- آدي شير : ٨ .

(٢) لم أجده في ديوانه . (٣) العمدة - دار بيروت - : ٢ / ٢٣٦ - ٢٣٧ .

(٤) خزانة الأدب للحموي : ٥ .

د - بعض الدراسات التي قامت حول الشواهد قديمها وحديثها .

إن دراسة الشاهد أمر ضروري في ترسيخ الأصول والقواعد، وهذه الدراسة تجعل الدارس يقف على كل جوانب القضية وملايساتها مما يساعد على فهمها وثباتها في الأذهان .

وقد تغطَّن العلماء قديماً إلى أهمية دراسة الشواهد - وبخاصة علماء النحو الذين عكفوا على أهم الكتب النحوية يشرحونها تارة، ويدرسون شواهدها تارة أخرى، ومن أهم الكتب التي عكفوا عليها كتاب سيبويه الذي بلغت شروح أبياته ما يقرب من أربعة عشر شرحاً، فمن قام بشرح أبياته :-

- ١- أبو العباس المبرد (ت : ٢٨٥ هـ) .
- ٢- أبو إسحاق الزجاج (ت : ٣١٠ هـ أو ٣١٦ هـ) .
- ٣- أبو جعفر النحاس (ت : ٣٣٨ هـ) .
- ٤- محمد بن علي الملقب بمبرمان النحوي البصري (ت : ٣٤٥ هـ)
- ٥- أبو سعيد السيرافي (ت : ٣٦٨ هـ)
- ٦- هارون بن موسى القرطبي (ت : ٤٠١ هـ) .
- ٧- أبو عبد الله محمد بن عبد الله الإسكافي (ت : ٤٢١ هـ)
- ٨- الأعم الشنتمري (ت : ٤٧٦ هـ)
- ٩- جارا لله أبو القاسم محمود الزمخشري (ت : ٥٣٨ هـ)
- ١٠- ابن هشام محمد بن أحمد اللخمي (ت : ٥٧٠ هـ)
- ١١- أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت : ٦١٦ هـ)
- ١٢- محمد بن علي الشلوين الصغير (ت : ٦٦٠ هـ)
- ١٣- غفيف الدين ربيع بن محمد بن منصور الكوفي (ت : ٦٨٢ هـ)
- ١٤- أبو بكر محمد بن علي المراغي (١) .

وقد اطلعت على اثنين منها وهما :

(١) كشف الظنون : ٢ / ١٤٢٧، ١٤٢٨، وانظر كذلك : مقدمة محقق كتاب " شرح أبيات سيبويه " لابن السيرافي : تحقيق محمد علي سلطاني .

- ١- شرح أبيات سيوية لأبي جعفر النحاس (ت : ٣٣٨ هـ) شرح فيه ثلاثة وأربعين وسبعمئة شاهد منها سبعون غير موجودة في كتاب سيويه .
 - ٢- شرح أبيات سيويه لأبي سعيد السيرافي ، ويبلغ عدد شواهد سبعة وعشرين وستمئة شاهد . وقد توصل إلى معرفة الشاعر في تسعة وعشرين ومائة موضع ، وصحح النسبة عند سيويه في واحد وثلاثين موضعاً .
- ودراسة الشواهد في هذين الكتابين فيها بعض أوجه القصور منها عدم الاهتمام بالناحية العروضية ، عدم الترجمة للشاعر ، عدم الاهتمام بالأبيات السابقة ، واللاحقة ، والتي تساعد على تصور معنى البيت ، شرح الأبيات شرحاً موجزاً مختصراً . وهناك كثير من الكتب التي اهتمت بشرح الشواهد النحوية في غير كتاب سيويه منها :-

- ١- شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح لابن مالك ، (٦٠٠ هـ - ٦٧٢ هـ) .
 - ٢- شرح الشواهد للعيني (٧٩٢ هـ - ٨٥٥ هـ) .
 - ٣- شرح شواهد المغني لجلال الدين السيوطي (٨٤٩ هـ - ٩١١ هـ) .
- ويبلغ عدد شواهد الكتاب تسعة وسبعين وثمانمئة شاهد .
- ٤- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٣٠ هـ - ١٠٩٣ هـ) .
- ولقد سار في كتابه الخزانة على منهج جعله أعلى وأضخم موسوعة عربية في علوم اللغة العربية ، وآدابها إلى كونه كتاب تراجم يضم ترجمة الكثير من الشخصيات ، كما جمع كثيراً من النصوص النادرة ، وحفظ فيه كثيراً من أسماء المؤلفات الضائعة .

- ٥- شرح شواهد الشافية لابن الحاجب لعبد القادر بن عمر البغدادي .
 وعدد شواهد تسعة وأربعون ومائتي شاهد .
 وإن ذكر هو أنها مائة وستة وتسعون بيتاً ، وهو كتاب مختصر في شرح
 الشواهد ، نهج فيه نهجاً مماثلاً للخزانة مع انتفاعه بالإحالة إلى
 ماسبق تفصيل له في الخزانة .
- ٦- شرح شواهد ابن عقيل ، للشيخ عبد المنعم عوض الجرجاوي (ت : ١١٩٥ هـ)
 اهتم الشيخ الجرجاوي أكثر ما اهتم بإعراب الشاهد ، ونسبته إلى قائله
 ما أمكن .
- ٧- فتح الجليل بشرح شواهد ابن عقيل .
 للعلامة محمد قطه العدوي (ت : ١٢٨١ هـ) .
 وهو موجود على هامش شرح الشيخ عبد المنعم الجرجاوي على شواهد
 ابن عقيل .
- هذا عرض سريع للكتب التي ألفت في شرح الأبيات النحوية ، والذي ساقني لهذا
 العرض ما لاحظته من اهتمام علماء النحو بهذا الجانب من الدراسة ، على عكس
 علماء البلاغة ، فلم تحظ الشواهد البلاغية عند هم بذلك الاهتمام ، حيث لم يتعرض
 لدراستها إلا القليل منهم - على حسب علمي - ، ولا أعلم السرفي اهتمامهم بشرح
 أبيات الإيضاح ، والتلخيص ، والمطول ، وانصرفهم عن الكتاب الأم " الدلائل " والسذي
 هو المصدر الأساسي لجميع من كتب بعده ، وأن معظم الشواهد التي جاءت في
 الكتب اللاحقة مستقاة منه ، وهو كتاب لا يقل أهمية في البلاغة عن كتاب سيبويه في
 النحو . ٢٠ !
- وفيما يلي عرض لبعض الدراسات التي اهتمت بالشواهد البلاغية مع دراسة
 موجزة لمنهج كل دراسة .

١- شرح أبيات الإيضاح :

(١)
لفخر الدين الخوارزمي .

وهو مخطوط في المكتبة الأزهرية تحت رقم "٤٣" بلاغة وهناك نسخة أخرى

في دار الكتب المصرية تحت رقم ١٢م كما توجد نسخة ثالثة في تركيا

في مكتبة فيض الله " ملت " باستانبول تحت رقم ١٨١٦ .

ويبلغ عدد شواهد المخطوط خمسة وعشرين وستمئة شاهد .

أما عن منهجه في تناول الشواهد فهو كالآتي :

١- كان يكتفي بنسبة البيت من غير تعريف بقاءه .

كما أنه لم يهتم بنسبة جميع الشواهد إلى قائلها .

٢- شرح المفردات معتمداً في أغلب الأحيان على أساس البلاغة ، والصحاح .

٣- شرح الأبيات شرحاً مجملأً ، وكثيراً ما يكتفي بشرح المرزوقي للشاهد

- إن كان قد ورد في الحماسة - وأحياناً يستغني بشرح المفردات عن

شرح البيت .

٤- يلجأ أحياناً إلى الإحالة على الإيضاح إن كان هناك تفصيل للبيت .

٥- كثيراً ما يأتي بأبيات المفتاح التي تناسب الموضوع .

٦- نادراً ما يورد الأبيات التي قبل الشاهد ويعدده .

٧- لم يهتم بالمعارف العروضية .

٨- لم يورد خلاف العلماء في الشاهد إن كان هناك خلاف دائر بينهم .

٩- لا يذكر موضع الشاهد البلاغي .

٢- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص .

(٢)
للشيخ : عبد الرحيم بن أحمد العباسي (٨٦٢ هـ - ٩٦٣ هـ)

(١) لم أقف على ترجمته .

(٢) هو عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد أبو الفتح العباسي عالم بالأدب من

المشتغلين بالحدِيث ، ولد بمصر ورحل إلى القسطنطينية مرتين وتوفي بها

من كتبه : " نظم الوشاح على شواهد تلخيص المفتاح " / انظر ترجمته :

=====

حققه وعلق حواشيه وصنع فهارسه : محمد محيي الدين عبد الحميد ،
وهو يقع في أربعة أجزاء ، والكتاب يحوي أربعة وعشرين ومائتي شاهد .
أما منهجه في معالجة الشاهد فهو :

- ١- إيراد الشاهد ونسبته إلى قائلة مع الترجمة للشاعر ترجمة موجزة .
- ٢- الاهتمام بالوزن العروضي .
- ٣- ذكر موضع الشاهد البلاغي .
- ٤- إيراد مطلع القصيدة في الكثير الغالب ، وأحيانا يلجأ إلى ذكرها بكاملها ، وأحيانا يذكر المشهور من أبياتها .
- ٥- وضع بيت الشاهد ضمن إطار من الأبيات السابقة ، واللاحقة التي تزيد المعنى وضوحاً .
- ٦- ذكر ما يناسب كل شاهد من النظائر الأدبية كلما أمكن ذلك .

وقد وضع هو منهجه فقال :

" . . . وسلكت فيه منهج الاختصار ، ومدّرج الاختصار وتّصيت ^(١) على أبحر تلك الشواهد العروضية ، ووضعت في كل شاهد منها ما يناسبه من نظائره الأدبية ، وذكرت ترجمة قائله إلا ما لم اطلع عليه بعد التفتيش في كتب الأدب والتحرّي والاستقصاء في الطلب ، ومزجت فيه الجذّ بالهزل ، والحزن بالسهل ، وسميته بـ " معاهد التنصيص على شواهد التلخيص " ^(٢) .

ثم يذكر أن فيه كثيراً من الفضول الذي قد يميل إلّا أنه اعتذر لنفسه بأن هذا الفضول فيه فوائد فريدة . فقال :

" . . . وهو وإن كان من جنس الفضول الذي ربما يستمل ، أو هو بقول الحسود داخل في قسم المهمل فهو أمنية كان الخاطر يطمئنها ، وحاجة

==== الشقائق النعمانية : ٢٤٦-٢٤٧ ، معاهد التنصيص : ٢٧٤ / ٤ ، وفيه نسبة

كما كتبه هو ، كشف الظنون : ١ / ٤٧٧ ، هدية العارفين : ١ / ٥٦٣ ،

الأعلام : ٣ / ٣٤٥ .

(١) أصله : " نصصت " . (٢) معاهد التنصيص : ١ / ٢-٣ .

في نفس يعقوب قضاها ، على أنه لا يخلو من فائدة فريدة ، ونكتة عسـن
مواطنها شريفة ، ودرة مستخرجة من قاع البحور ، وشذرة تزين بها قلائد
النحور (١) .

٣- شواهد المطول المسمي :

" عقود الدرر في حل أبيات المطول والمختصر "

لحسين بن شهاب الدين العاملي " ١٢٠ هـ - ٧٦٠ هـ (٢) "

وهو مخطوط بالمكتبة الأزهرية تحت رقم (٥٤٦) ، ١١١٥٤ ، ويقع في ثلاثة
وثمانين لوحة ، تشتمل كل صفحة على ثلاثة وعشرين سطراً ماعدا الصفحة الأولى
فتشمل خمسة عشر سطراً .

وفي جامعة أم القرى جزء من مخطوط مجهول المؤلف تحت عنوان :

" شرح شواهد كتاب في البلاغة "

مخطوط (ق ١ - ١٢) رقم ١٣٠٥ .

وهي اثنتا عشرة لوحة تحوي كل لوحة اثنين وثلاثين سطراً ، ويبدو أنها جزء من
المخطوط الأم لشواهد المطول لحسين بن شهاب الدين العاملي ، وذلك
بمقارنتها بمخطوط المكتبة الأزهرية .

(١) معاهد التنصيص : ١ / ٣ .

(٢) هو حسين بن شهاب الدين بن حسين بن جندار البقاعي الكركسي
العاملي ، وعرفه الحر العاملي في كتابه " أمل الآمل " بالحكيم العاملي
وقال في نسبه هو :

" حسين بن شهاب الدين بن حسين بن محمد بن حسين بن حيدر
العاملي الكركي الحكيم " كان شاعراً أدبياً من الشعراء العلماء ، وكان
متكلماً حكيماً ، وكان شعره جيداً سكن أصفهان ، وانتقل إلى حيدر آباد ،
وأقام فيها إلى أن توفي (٧٦٠ هـ) . من كتبه :

" شرح نهج البلاغة " ، " هدية الأبرار في أصول الدين " / انظر ترجمته :

أمل الآمل : ١ / ٧٠-٧٤ ، هدية العارفين : ١ / ٣٢٣ ، الأعلام : ٢ / ٢٣٥ .

ويبلغ عدد الشواهد فيه بعد إسقاط المكررات أحد عشر وستائة شاهد، منها
 في المطول ثمانية وتسعون وخمسمائة شاهد، والباقي مع بعض ما فيه في غيره .
 وقد أشار المؤلف إلى ذلك فقال :
 " . . . وأعلم أن المذكور في الشرحين والحاشية الشريفة صريحاً، وإشارة من
 الأبيات التامة، والمصاريع المفردة يبلغ بعد إسقاط المكررات ستائة وأحد
 عشر، منها في المطول خمس مائة وثمانية وتسعون ، والباقي مع بعض ما فيه
 في غيره ، والله أعلم (١) .

أما عن منهج المخطوط في تناول الشاهد، فيمكن تلخيصه في النقاط التالية :-

١- الاهتمام بنسبة الشواهد إلى قائلها مع إيراد الاختلافات في ذلك
 إن وردت .

٢- ذكر بعض الأبيات السابقة واللاحقة لبيت الشاهد إن توقف فهم المعنى
 عليها .

٣- ذكر عروض الشاهد .

٤- إعراب الشاهد .

٥- شرح المفردات .

٦- شرح الشاهد شرحاً أدبياً .

٧- بيان موضع الشاهد .

٨- استخلاص ما يرد في الشاهد من وجوه بلاغية أخرى .

ولقد أشار المؤلف إلى منهجه هذا في مقدمة المخطوط فقال :

" أعلم أنني التزمت في كثير من الأبيات أن أذكر الشاهد أولاً، وبعده اسم
 ناظمه وعروضه ، وما قبله وما بعده ، إن توقف فهمه عليه ، ثم أذكر اللغة
 والإعراب والمعنى ومحل الشاهد ، ثم أشير إلى بعض ما فيه من البلاغة ،

ليكون تخريجاً للمبتدي ، وتذكرة للمنتهي ، ولم ألتزم ذلك في كلِّ الأبيات خوفاً من الإكثار والتكلف حتى لا أكون كحاطب ليل وطالب رَجُلٍ وخَيْلٍ ، وربما خالفت الشراح في بعض الأماكن مصرحاً بالخلاف تارة ، ومقتصراً على ما اخترته أخرى ، إن ليس شأني شين أحد ، بل بيان الصواب ، فتأمل الكلامين ؛ ليظهر لك الحق بلا ميين ، وعلى الله سبحانه الاعتماد ، ومنه طلب السداد (١) .

وهذا مخطوط قيم في الشواهد يخدم علم البلاغة خدمة جليلة ؛ لذا أنـسـوي - بإذن الله تعالى - تحقيقه مستقبلاً هو ومخطوط شرح أبيات الإيضاح - السابق الذكر - ليستفيد منهما طلاب العلم - أسأل الله العون والثبات .

٤- القول الجيد في :

" شرح أبيات التلخيص وشرحيه وحاشية السيد "

لمحمد زهني " ١٢٦٢ هـ - ١٣٢٩ هـ (٢) .

وهو مطبوع بإستانبول سنة ١٣٠٤ هـ ، ومكتوب باللغة التركية ذات حروف عربية .

عدد شواهد التي أوردها ستة وعشرون وستمئة شاهد ،

ويتلخص منهجه في النقاط التالية :-

١- نسبة الشاهد لقائه مع الإشارة إلى مناسبة القصيدة .

٢- الاهتمام بالناحية العروضية .

٣- الإتيان بمطلع القصيدة .

٤- إيراد أبيات قبل وبعد الشاهد .

٥- الاهتمام بإعراب البيت وشرح مفرداته ، وهو كتاب يميل إلى الاختصار والإيجاز .

(١) عقود الدرر : لوحة : ٢٢ .

(٢) هو محمد زهني بن محمد رشيد الرومي الإسماعيلي فقيه حنفي ، أديب بالعربية ،

رومي " تركي " من أهل إستانبول كان من أعضاء مجلس المعارف العثمانية

ومن المدرسين بالمكتب السلطاني ، له كتب منها :

" الألفاظ الفقيه - ط " و " الحقائق - ط " في الحديث . / انظر ترجمته :

هدية العارفين : ٦ / ٤٠٠ ، الأعلام : ٥ / ١٢٣ .

وهناك كتاب في شرح شواهد التلخيص أشار إليه البغدادي في هديسة
العارفين - لم يقع تحت يدي - واسمه :

" شرح أبيات تلخيص المفتاح " للسيوطي (١).

٥- معجم شواهد العربية :

للأستاذ : عبدالسلام هارون .

وهو معجم لا يختص بشواهد البلاغة فقط، بل يهتم بشواهد العربية عامة من
نحو وصرف وبلاغة ، وقد آثرت ذكره لتطرقه لشواهد البلاغة .

وهو كتاب يقع في مجلد واحد ، رتب صاحبه الشواهد على الحروف الأبجدية
ويقتصر عمله على :

١- نسبة الشاهد ما أمكن .

٢- الاهتمام بالناحية العروضية .

توثيق الشاهد من كتب العربية .

البَابُ الْأَوَّلُ

شَوَاهِدٌ دَلِيلُ الْإِعْجَازِ
الشَّعْرِيَّةِ

الفصل الأول

أ- أبيات المدخل .

ب- شواهد تحقيق القول في البلاغة والفصاحة

✱ أبيات المدخل ✱

لقد آثرت أن أطلق على هذا الفصل عنوان :-

*** أبيات المدخل ***

لأن الشيخ لم يسمه تمهيداً ولا مقدمة . وأطلقت لفظ " أبيات " بدلاً من " شواهد " على الأشعار الواردة فيه ، إن الشاهد يرتبط في الآن ذاته بالقاعدة ، والشيخ أتى بهذه الأبيات ليس لتوضيح قاعدة بلاغية ، وإنما ساقها في معرض دفاعه عن الشعر والنحو ، إن هما لبنتان أساسيتان في توضيح فكرة النظم التي بنى عليها الكتاب ويبلغ عدد

أبيات هذا الفصل :-

أربعة عشر بيتاً .

* الكلام في الشعر *

البيت الأول : * (الكامل)

الْيَوْمَ عِنْدَكَ دَلُّهَا وَحَدِيثُهَا . . . وَغَدَا لِفَيْرِكَ كَفَّتْهَا وَالْمِقْصَمُ^(١)

لم يذكر الشيخ قائله ، وإنما ذكر أن الحسن البصري^(٢) كان يتمثل به ، وكان من أوجع الأبيات عنده .

والشاهد من أبيات في مذمة النساء ، وقبله :

إِنَّ النِّسَاءَ وَإِنْ ذُكِرْنَ بِعِفَّةٍ . . . فَيَمَّا يُظَاهَرُ فِي الْأُمُورِ وَيَكْتُمُ
لَحْمَ أَطَافٍ بِهٍ سِبَاعٌ جُوعٌ . . . تَمَالًا يُدَادُ فَإِنَّهُ يَتَقَسَّمُ
لَا تَأْمَنُ أَنْشَى حَيَاتِكَ^(٣) وَأَعْلَمُ . . . إِنَّ النِّسَاءَ وَمَالَهُنَّ مَقَسَّمُ

وبعدها البيت وبعده :-

كَالْخَانَ تَسْكُنُهُ وَتُصْبِحُ^(٤) غَادِيَا . . . وَيَحُلُّ بَعْدَكَ فِيهِ مَنْ لَا تَعْلَمُ

الدلائل ، رضا : ١٠ ، خفاجي : ٦٥ ، شاعر : ١٣ .
انظر البيت في :

(*) (١)

أُمالي المرتضى : ١٦٠ / ١ ، بهجة المجالس وأنس المجالس : ٥٢ / ٣ ،

شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ١٤٩ / ٣ .

(٢)

هو الحسن بن يسار البصري ، أبوسعيد تابعي ، كان إمام أهل البصرة ،

(٣)

وحبر الأمة في زمنه ، وهو أحد العلماء الفقهاء النسّاك ، ولد بالمدينة

(٢١ هـ) ، وشبّ في كنف علي بن أبي طالب ، واستكتبه الربيع بن زياد

والي خراسان في عهد معاوية ، وسكن البصرة ، وعظمت هيئته في قلوب

العامة والخاصة ، توفي (١١٠ هـ) / انظر ترجمته :

تهذيب التهذيب : ٢٥٧-٢٧٦ ، وفيات الأعيان : ٦٩ / ٢ ، ميزان

الاعتدال : ٥٢٧ / ١ ، حلية الأولياء : ١٣١-١٦١ ، أُمالي المرتضى :

١٥٢-١٥٧ .

(٤) رواية بهجة المجالس : " حبثك بودها " .

(٥) رواية شرح ديوان الحماسة للتبريزي : " وترحل " .

ذكر البيت الأول والثالث والرابع والخامس في شرح ديوان الحماسة للتبريزي

ذكر الشيخ البيت في الرد على من زعم أن قول الشعر مرفوض برمته ، وأن رواية الشعر أتيًا كان فعل مذموم ، وعمل مردود ينتقص من قدر قائله ، ويحط من مكانة راويه ، فرد هذا الزعم محتجاً بأن الراوي هو مجرد حاكٍ ، وليس على الحاكى وزر إن لم يقصد بروايته نصره الباطل ، واحتج لذلك بأن الله سبحانه وتعالى قد حكى كلام الكفار في كتابه الكريم .

وها هو ذا الحسن البصري - وهو رجل مشهود له بالتقوى والوقار والزهد - قد تمثل بهذا البيت من الشعر ، فأستعان بالباطل في الحق ، فقد نقله من غرضه الذي جاء به الشاعر إلى غرض آخر هو أحق به وأكرم له عند العباد الصالحين ، فالبيت في الأصل من الأبيات الحكيمة التي جاءت في مذمة بعض النساء اللواتي لا يؤمن جانبهن ، إلا أن الحسن البصري جاء به للوعظ والإرشاد ، فيه ذكر الإنسان بقضية الموت ، ومفارقة الأحبة ، وأنه لا وفى لابن آدم غير عمله الصالح .

وتذكير الإنسان بمفارقة زوجه وما يجده من متعة في دلها وحديثها ، وأنها قد تكون بعد وفاته لغيره من أشد الأمور إيلاماً للنفس ، والغرض من إثارة هذا الألم حث النفس على ترك ملاهي الدنيا ، وعدم الاغترار بمفاتنها الزائلة ، والعمل الصادق للآخرة . فلو أن في رواية الشعر حرجاً لكان الحسن البصري أبعد الناس عنه . قال الشيخ :

” هذا وراوي الشعر حاكٍ ، وليس على الحاكى عيبٌ ، ولا عليه تبعة ، إذا هو لم يقصد بحكايته أن ينصّر باطلاً ، أو يسوء مسلماً ، وقد حكى الله تعالى كلام الكفار . فانظر إلى الغرض الذي له روى الشعر ، ومن أجله أريد ، ولم دُونَ ، تعلم أنك قد زُغْتَ عن المنهج ، وأنتك مُسِيءٌ في هذه العداوة ، وهي العصبية منك على الشعر . وقد استشهد العلماء لغريب القرآن وإعرابه بالأبيات فيها الفحش ، وفيها ذكر الفعل القبيح ، ثم لم يعيبتهم ذلك ، إن كانوا لم يقصدوا إلى ذلك الفحش ولم يريدوه ، ولم يترؤوا الشعر من أجله ^(١) .

=== ١٤٩/٣ ، وذكر البيت الثالث والرابع في بهجة المجالس : ٥٢/٣ ، وذكر

البيت الرابع في أمالي المرتضى : ١٦٠/١ .

(١) الدلائل ، رضا : ١٠ ، خفاجي : ٦٥ ، شاكر : ١٢ .

البيت الثاني : (*) (الطويل)

قول عمار بن الوليد :

أَسْرَكَ لَمَّا صَرَعَ الْقَوْمُ نَشْوَةَ (٢) . . . خُرُوجِي مِنْهَا سَالِمًا غَيْرَ غَارِمٍ (٣)
بَرِيغًا كَأَنِّي قَبْلُ (٤) لَمْ أَكُ مِنْهُمْ (٥) . . . وَلَيْسَ الْخِدَاعُ مَرْتَضًى فِي التَّشَادُّمِ (٦) (٧)

وقبل البيتين :

وَلَسْنَا بِشَرْبِ أُمِّ عَمْرٍو إِذَا انْتَشَوْا (٩) . . . شِيَابُ النَّدَامَى عِنْدَهُمْ كَالْغَنَائِمِ (١٠)
وَلَكِنَّا يَا أُمَّ عَمْرٍو نَدِيمُنَا . . . بِمَنْزِلَةِ الرِّيَّانِ لَيْسَ بِعَائِلِمِ (١١) (١٢)

(*) الدلائل ، رضا : ١١ ، خفاجي : ٦٦-٦٧ ، شاکر : ١٣-١٤ .
(١) هو عمار بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم بن يقظة بن مرة

ابن كعب بن لؤي بن غالب ، وهو أحد أزواد الركب وهم :

مسافر بن أبي عمرو ، وزمعة بن الأسود ، وأبو أمية بن المغيرة ، وعمار بن
الوليد . يقال له الوحيد ، وكان أزواد الركب لا يُمرُّ عليهم أحد إلا قسروه ،
وأحسنوا ضيافته ، وزودوه ما يحتاج إليه . / انظر ترجمته :

الأغاني : ١٨ / ١٢٢-١٢٦ ، الدلائل ، رضا : ١١ ، خفاجي : ٦٦ ، شاکر : ١٤ .

(٢) رواية معجم الشعراء : " وانتشوا " .

(٣) رواية الأغاني ، " أن أخرج منها " .

(٤) رواية الأغاني ومعجم الشعراء : " خلياً " .

(٥) رواية معجم الشعراء : " من تصافي " .

(٦) ذكر محقق الأغاني أنه جاء في إحدى مخطوطاته : " مرتضى في الترانيم "

(٧) رواية الأغاني : " كأني لم أكن كنت فيهم " .

(٨) رواية معجم الشعراء : " ولست " .

(٩) ذكر محقق الأغاني أنه ذكر في إحدى مخطوطاته : " أم عوف " .

(١٠) رواية معجم الشعراء : " بينهم " .

(١١) رواية معجم الشعراء " بِقَارِمِ " ، وعاء من القيمة وهي شهوة اللبن ، عام

الرجل إلى اللبن يَعامُ وَيَعِيمُ عَيْماً وَعَيْمَةً : شتاه ، والعيمة شدة الشهوة

للبن حتى لا يصبر عنه ، فإذا اشتبه الرجل اللبن قيل قد اشتبهى فلان

اللبن فإذا أفرطت شهوته جداً قيل عام إلى اللبن .

(١٢) انظر الأبيات في : الأغاني : ١٨ / ١٢٣ ، معجم الشعراء للمرزبانسي :

والشاهد فيه كسابقه ، فالمتمثل هنا بالشعر هو عمر بن الخطاب ، وهو ثاني الخلفاء الراشدين ، وقد عُرِفَ بتقواه ، وورعه ، وخوفه من الله ، ولم يمنعه هذا من التمثل بقول عمارة بن الوليد ، وهو رجل صاحب خمر مفرم بها ، وأبياته هذه مبنية على ذكر الخمر وتعاطيها ، والانتشاء بها .

فهو هنا يخاطب زوجه التي عاتبته في شرب الخمر ^(١) قائلاً لها :

هل يسرك ويرضيك إذا تنادم القوم وانتشوا أن لا أشاركهم في هذا الانتشاء ، وقد كنت من قبل واحدا منهم ، فإني إن فعلت ذلك ، فأنا مخادع ، وخداع الأحياء والأصحاب أمر مذموم غير مرتضى .

فعمر بن الخطاب تمثل بهذه الأبيات تنبيهاً لزيد بن حارثة - الذي أراد أن يأخذ أجود الحل لابن زوجه ، محمد بن حاطب ، دون صحبه - إلى أن خداع الأحياء والأصحاب أمر قبيح ، فشبه حالة زيد هذه بحالة الشاعر مع صحبه .

جاء في الدلائل : " أُتِيَ عمر رضوان الله عليه بحل من اليمن ، فأناه محمد بن جعفر بن أبي طالب ، ومحمد بن أبي بكر الصديق ، ومحمد بن طلحة بن عبيد الله ، ومحمد بن حاطب ، فدخل عليه زيد بن ثابت رضي الله عنه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هؤلاء المحمدون بالباب يطلبون الكسوة ، فقال : إئذن لهم يا غلام ، فدعا بحل ، فأخذ زيد أجودها حلة ، وقال هذه لمحمد بن حاطب ، وكانت أمه عنده ، وهو من بني لؤي ، فقال عمر رضي الله عنه : أيهاات أيهاات ! وتمثل بشعر عمارة بن الوليد ^(٢) .

(١) انظر القصة :

الدلائل ، رضا : ١١ ، خفاجي : ٦٦ ، شاکر : ١٤ .

(٢) المصدر السابق ، رضا : ١٠ ، خفاجي : ٦٥ ، شاکر : ١٣ .

البيت الثالث : (*) (الكامل)

قول أبي تمام :^(١)

وَاللّٰهُ قَدْ ضَرَبَ الْأَقْلَّ لِنُصُورِهِ . : مَثَلًا مِّنَ الْمِشْكَاتِ وَالنَّبْرَاسِ^(٢)

والشاهد من قصيدة يمدح بها أحمد بن المعتصم ، ومطلعها :^(٤)

تَأْمَنِي وَقَوْفَكَ سَاعَةً مِّنْ بَّاسٍ . : نَقَضِي زِمَامَ الْأَرْبَعِ الْأَنْرَاسِ^(٥)

(*) الدلائل ، رضا : ١١ ، خفاجي : ٦٧ ، شاکر : ١٤ .

(١) هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائي ، ولد في قرية جاسم وهي من قرى دمشق ،

ونشأ بمصر ، وكان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب غير المقاطيع والقصائد

ولد سنة (١٨٨ هـ) ، وتوفي سنة (٢٣١ هـ) وقيل ٢٣٢ هـ وقيل ٢٢٨ هـ ،

وقيل ٢٢٩ هـ . / انظر ترجمته :

طبقات ابن المعتز : ٢٨٢-٢٨٦ ، نزهة الألباء : ١٢٣-١٢٤ ، وفيات الأعيان

٢ / ١١-٢٦ ، تاريخ بغداد : ٨ / ٢٤٨-٢٥٤ ، تهذيب ابن عساكر : ٤ / ٢١-

٣ . الأعلام : ٢ / ١٦٥ .

(٢) رواية تحرير التحبير ووفيات الأعيان ، والمنصف في نقد الشعر : " فالله "

(٣) انظر البيت في :

ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي : ٢ / ٢٥٠ .

ديوان أبي تمام - دار صعب - : ١٥٢ ، البيان والتبيين : ٤ / ٧٩ ،

الموشح : ٢٩٣ ، أخبار أبي تمام للصولي : ٢٣١ ، المنصف في نقد الشعر :

١٥٧ ، العمدة : ١ / ١٩٢ ، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب : ١ / ٩٢ ،

تحرير التحبير : ٢ / ٥٠٧ ، شرح شافيه ابن الحاجب : ٤ / ٢٩٧ ، وفيات

الأعيان : ٢ / ١٥ .

(٤) جاء في شرح شافيه ابن الحاجب أنه مدح بها أحمد بن المأمون بن هارون

الرشيد ، وذكر ابن خلكان قصة لهذا الشاهد ذكر فيها أنه مدح به

الخليفة ، وأنكر ابن خلكان ذلك ، وأورد أنه مدح به أحمد بن المعتصم ،

وأحمد بن المأمون ، قال :

" إن هذه القصيدة ما هي في أحد من الخلفاء بل مدح بها أحمد بن المعتصم ،

وقيل أحمد بن المأمون ، ولم يل واحد منهما الخلافة " الوفيات : ٢ / ١٦ .

(٥) ذكر محقق ديوان أبي تمام بشرح الخطيب أنه روى في إحدى مخطوطات

الكتاب : " هل في وقوفي " .

وقبل الشاهد :

أُجْلِيَتْ هَذَا التَّجْدَ أَبْعَدَ غَايَةٍ . : فِيهِ وَأَكْرَمَ شَيْمَةٍ وَنَحَاسٍ (١)
إِقْدَامَ عَمْرٍو (٢) فِي سَمَاحَةٍ حَاتِيَمٍ (٣) . : فِي حِلْمٍ أَخْنَفٍ (٤) فِي ذَكَاءِ إِيَّاسٍ (٥)
لَا تُثَكِّرُوا ضَرْبِي لَهُ مَنْ دُونَهُ . : مَثَلًا شَرُوداً فِي النَّدَى وَالْبَسِاسِ

(١) النُّحَاس : بضم النون وكسرهما الطبيعة والأصل . / اللسان " نحس " : ٢٢٧ / ٦ .

(٢) يقصد بعمره هنا عمرو بن معدى كرب بن ربيعة بن عبد الله الزبيدي ،

فارس اليمن ، وفد على المدينة سنة (٥٩ هـ) في عشرة من بني زبيد ، فأسلم وأسلموا ، ثم عادوا إلى اليمن ، ولما توفي النبي صلى الله عليه وسلم ارتد عمرو ثم رجع إلى الإسلام ، وشهد اليرموك والقادسية ، وكان شجاعاً ألباً / انظر ترجمته :

المبجج : ٢٠ ، الشعر والشعراء : ١ / ٣٧٩-٣٨٣ ، الأغاني :

٢٠٨ / ٥ - ٢٢٩ ، المؤتلف والمختلف : ١٥٦ ، معجم الشعراء

للمرزباني : ٢٠٨ ، سبط الآلي : ٦٣ ، ٦٤ ، الإصابة : ١٨ / ٣ ، رقم (٥٩٧٢)
خزانة البغدادي : ٢ / ٤٤٤ ، ٤٤٦ .

(٣) ويقصد بحاتم هنا حاتم الطائي ، وهو حاتم بن عبد الله بن سعد بن

الحشر الطائي القحطاني أبو عدي ، فارس ، شاعر ، جواد ، جاهلي يضرب به المثل في الجود ، كان من أهل نجد ، زار الشام ، وتزوج ماوية بنت حجر الفسانية ، ومات في عوارض جبل طي ، / انظر ترجمته :

الشعر والشعراء : ١ / ٢٤٧ ، تهذيب ابن عساكر : ٣ / ٤٢٤ - ٤٣٢ ، الخزانة
للبيدادي - مكتبة الخانجي - : ٣ / ١٢٧ ، الأعلام : ١٥١ / ٢ ، الجلييس
الصالح : ١ / ٣٢٠ - ٣٢١ .

(٤) هو الأخنف بن قيس بن معاوية بن حصين المرّي السعدي المنقري التميمي

(٣ ق - ٧٢ هـ) أحد العظماء الدهاة ، يضرب به المثل في الحلم ، ولد في البصرة ، وأدرك النبي - صلى الله عليه وسلم - ولم يره ، كان صديقاً لمصعب بن الزبير / انظر ترجمته :

نهاية الأرب : ٦ / ٥٠ ، الأعلام : ١ / ٢٧٦ - ٢٧٧ .

(٥) ويقصد بإيَّاس هنا إيَّاس بن معاوية بن قرة المزني أبو وائلة ، قاضي البصرة

وأحد أعاجيب الدهر في الفطنة والذكاء ، يضرب المثل بذكائه . قال الجاحظ " إيَّاس من مفاخر مضر ومن مقدمي القضاة ، كان صادق الحدس نقاباً عجيب الفراسة ، ملهماً ، وجيهاً عند الخلفاء ، توفي بواسط (٢٢ هـ) . /

وبعد البيت وعده :

إِنْ تَحْوِ خَصْلَ الْمَجْدِ فِي أَنْفِ الصَّبَا . . يابُنَ الْخَلِيفَةِ يَا أَبَا الْعَبَّاسِ
فَلَرَبَّ نَارٍ مِنْكُمْ قَدْ أُنتَجَتْ . . فِي اللَّيْلِ مِنْ قَبَسٍ مِنَ الْأَقْبَاسِ

والبيت ذكره الشيخ ؛ ليوضح أن الشعر وإن كان خسيساً ، فقد يتوصل به إلى معنى شريف ، فالله سبحانه وتعالى قد شبه نوره العظيم بما هو أقل منه ، وإن كان المشبه من أبلغ ما يعرفه الناس ضوءاً ، فقال تعالى :

” اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّي يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مَبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ . . (١) ”

قال الشيخ عبد القاهر :

” فَإِنْ رُبَّ هَزَلٍ صَارَ أَدَاةً فِي جَدِّ وَكَلَامٍ جَرَى فِي بَاطِلٍ ثُمَّ اسْتُعِينَ بِهِ عَلَى حَقٍّ ، كَمَا أَنَّهُ رَبَّ شَيْءٍ خَسِيسٍ تَوَصَّلَ بِهِ إِلَى شَرِيفٍ ، بِأَنْ ضُرِبَ مِثْلًا فِيهِ ، وَجَعَلَ مِثْلًا لَهُ (٢) . ”

والبيت أورده المرزباني ، وابن رشيق شاهدأ على سرعة البديهة (٣) ، فيحكى أن

أبا تمام كان ينشد أحمد بن المعتصم قصيدته هذه ، فلما بلغ إلى قوله :

إِقْدَامُ غَيْرِي فِي سَمَاحَةِ حَاتِمٍ . . فِي حِلْمٍ أَحْتَفَ فِي ذِكَاةٍ إِيَّاسِ

==== انظر ترجمته في : البيان والتبيين : ١/ ٩٨ ، ١٠١ ، ٢٧٥ - ٢/ ١٩٥ - ٣١٥

٩١/ ٤ ، وفيات الأعيان : ١/ ٢٤٧ ، ٢٥٠ ، شار القلوب : ١/ ٩٢ ، ميزان

الاعتدال : ١/ ٢٨٣ ، حلية الأولياء : ٣/ ١٢٣ ، ١٢٥ ، الجليس الصالح :

١/ ٥٥٢ ، كتاب الأذكياء : ٦٤ - ٦٥ ، الأعلام : ٢/ ٣٣ .

(١) : النور : ٣٥ .

(٢) : الدلائل ، رضا : ١١ ، خفاجي : ٦٧ ، شاكر : ١٤ .

(٣) : البديهة : هي أن يفكر الشاعر يسيراً ، ويكتب سريعاً إن حضرت آلة ، إلا أنه

غير بطيء ولا متراخ ، فإن أطال حتى يفرط أو قام من مجلسه لم يعد بديهاً /

انظر : العمدة : ١/ ١٩٢ .

قال له الكندي - وهو أحد فلاسفة العرب ، وكان حاضراً ، وأراد الطعن عليه -
الأمير فوق ما وصفت ، فأطرق أبو تمام قليلاً ، ثم زاد في القصيدة بيتين لم يكونا فيها ،
وهي قوله :

لَا تُتَكَبَّرُوا ضَرْبِي لَهُ البيت (١)

وطبق ابن رشيق على بديهة أبي تمام فقال :
" . . . فهذا أيضاً وما شاكله هو البديهة ، وإن أعجب ما كان البديهة ، من أبي تمام ،
لأنه رجل متصنع لا يحب أن يكون هذا في طبعه ، وقد قيل : إن الكندي
لما خرج أبو تمام قال :

هذا الفتى قليل العمر ؛ لأنه ينحت من قلبه ، وسيموت قريباً ، فكان كذلك (٢)

ذكر ابن وكيع أن بيت أبي تمام أفضل من قول المتنبي :

تَمْثَلُوا حَاتِمًا وَلَوْ عَقَلُوا . . . لَكُنْتُ فِي الْجُودِ غَايَةَ الْمَثَلِ

وذلك لأن المتنبي اقتصر في التشبيه على حاتم في معنى واحد من المدح . ورأى
أن أبا تمام أشعر منه ؛ لأنه أتى في ذلك بأربع صفات حيث ذكر أن الممدوح يساوي
من فوقه ، ثم لم يرضَ بذلك حتى استدرك ذلك بأن قال :

لَا تُتَكَبَّرُوا ضَرْبِي لَهُ مَن دُونَهُ

فَاللَّهُ قَدْ ضَرَبَ الْأَقْلَّ لِنُصُورِهِ

وطبق ابن وكيع على بيتي أبي تمام بقوله :

" فهذا كلام فائق ، ومعنى رائق يقع كلام أبي الطيب معه بعيداً ، ورجحانه

لا خفاء به (٣)

(١) انظر :

الموشح : ٢٩٣ ، العمدة : ١ / ١٩٢ .

(٢) العمدة : " باب في البديهة والارتجال " : ١ / ١٩٢ .

(٣) المنصف في نقد الشعر : ١٥٧ .

(*) البيت الرابع : (الكامل)

(١) قول كعب بن مالك :

زَعَمْتُ سَخِينَةً (٢) أَنْ سَتَغْلِبَ (٣) رَبَّهَا . . . وَلَيَغْلِبَنَّ مَغَالِبُ الْفَلَّابِ (٤) (٥)

(*) الدلائل ، رضا : ١٤ ، خفاجي : ٧٠ ، شاكر : ١٧ .

(١) نسبه في العقد الفريد لحسان بن ثابت . جاء في العقد :

" قال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت : لقد شكر الله لك قولك
حيث تقول :

زَعَمْتُ سَخِينَةً أَنْ سَتَغْلِبَ رَبَّهَا . . . / انظر :

العقد : دار الفكر : ١١١/٦ .

وجاء في طبقات فحول الشعراء أن هذا القول وجهه النبي صلى الله عليه

وسلم لكعب بن مالك ، وليس لحسان ، وذكر البيت غير منسوب فسي :

التثليل والمحاضرة ، وذكر في بقية المراجع لكعب بن مالك .

فالراجع أن البيت لكعب وهو :

كعب بن مالك بن عمرو بن القين الأنصاري السلمي الخزرجي ، صحابي

من أكابر الشعراء من أهل المدينة اشتهر في الجاهلية ، وكان في الإسلام

من شعراء النبي صلى الله عليه وسلم ، وشهد أكثر الوقائع ثم كان ممن

أصحاب عثمان ، وأنجده يوم الثورة ، وحرّض الأنصار على نصرته ، ولما قتل

عثمان قعد عن نصرته علي ، وعي في آخر عمره ، وعاش سبعاً وسبعين سنة /

انظر ترجمته :

الأغاني : ٢٢٧-٢٤٠ ، الاستيعاب " ضمن الإصابة " : ٢٧٤/٣ ، الإصابة :

٢٨٥/٣ رقم (٧٤٣٥) ، نكت الهميان : ٢٣١-٢٣٣ ، معجم الشعراء : ٣٤٢ ،

خزانة البغدادي - الخانجي - : ٤١٧/١-٤١٨ ، الأعلام : ٢٢٨ .

كان هذا الاسم مما سميت به قريش قديماً ، ذكروا أن قصياً كان إذا ذبحت

ذبيحة أو نحيزة بمكة أتى بعجزها ، فضع منه خزيرة ، وهو لحم يطبخ ببيسر

فيطعمه الناس ، فسميت قريش بها سخينة ، وقيل : إن العرب كانوا إذا

أستوتوا أكلوا العلهز ، وهو الوبر والدم ، وتأكل قريش الخزيرة والفتسة ،

فنفست عليهم ذلك فلقبوهم : سخينة ، ولم تكن قريش تذكره هذا اللقب ،

ولو كرهته ما استجاز كعب أن يذكره ورسول الله - صلى الله عليه وسلم -

منهم ، وَلَتَرَكَهُ أدياً مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ كان قرشياً ، ولقد

استشهد عبد الملك بن مروان ما قاله الهوازني في قريش :

.....

يَلْشِدَّةٌ مَا شَدَدْنَا غَيْرَ كَانِ بَسْمَةٍ .: عَلَى سَخِينَةٍ لَوْلَا اللَّيْلُ وَالْحَرَمُ
 فقال : ما زاد هذا على أن استثنى ، ولم يكره سماع التلقيب بسخينة ،
 فدل هذا على أن هذا اللقب لم يكن مكروهاً عندهم ، ولا كان فيه تعبير لهم
 بشيء . / الروض الأنف : ٣٠٠ / ٣ .

وجاء في اللسان أن السخينة طعام يصنع من الدقيق دون العصيدة في
 الرقة وفوق الحساء ، وكانت تأكل منها في شدة الدهر وغلاء السعر ،
 وعجف المال ، أو هي دقيق يُلقَى على ماء أولبن فيطبخ ، ثم يؤكل بتمر
 أو يُحسى ، وقيل إنها تعمل من دقيق وسمن ، وكانت قریش تكثر من أكلها
 فعُيرت بها حتى سُمِّوا سخينة . / اللسان : " سخن " : ٢٠٧ / ١٣ .
 وهذا هو الظاهر من بيت كعب ، فهو يقصد التهمك من أن تزعم هذه
 التي تأكل السخينة أن تغلب ربها ، وقوله " زعمت " يدل على الاستصغار
 والتحقير .

(٣) رواية الديوان والسيرة : خزانة البغدادي :
 جَاءَتْ سَخِينَةُ كَيْ تَغَالِبَ رَبَّهَا .: قَلِيلَيْنِ مُغَالِبُ الْفَلَّابِ
 ورواية اللسان :

(هَمَّتْ سَخِينَةُ أَنْ تَغَالِبَ رَبَّهَا)
 (٤) غَلَبَهُ يَغْلِبُهُ غَلْبًا وَغَلْبًا ، وَغَلَبَهُ وَمَغْلَبًا وَمَغْلَبَةً : قهره / اللسان " غلب "

٠٦٥١ / ١

(٥) انظر البيت في :

ديوان كعب بن مالك : ١٨٢ ، السيرة النبوية لابن هشام : ٣ / ١٦١ ،
 طبقات فحول الشعراء : ٢٢٢ / ١ ، العقد الفريد ، " دار الفكر " : ٦ / ١١١ ،
 نشر الدر الآبي لمنصور الآبي : ١٣٧ / ٢ ، التثيل والمحاضرة : ٨ ،
 الاستيعاب - ضمن الإصابة - ٢٧٤ / ٣ ، الروض الأنف : ٣٠٠ / ٣ ، لسان
 العرب : " غلب " : (١ / ٦٥١) ، خزانة الأدب للبغدادي - مكتبة
 الخانجي - : ١ / ٤١٧ .

والبیت لكعب بن مالک یرد فیہا علی عبد اللہ بن الزبعری الذی قال یوم

الخنق :

حَتَّى الدَّيَّارُ مَحَا مَعَارِفَ رَسْمِهَا .: طَوَّلَ الْبِلَى وَتَرَاوَحَ الْأَحْقَابِ
فَكَأَنَّمَا كَتَبَ الْيَهُودُ رُسُومَهَا .: إِلَّا الْكَنِيفَ وَمَقْعِدَ الْأَطْنَابِ (١)

فأجابه حسان ، ثم أجابه كعب بن مالك ، فقال :

أَبْقَى لَنَا حَدَثُ الْحُرُوبِ بَقِيَّةً .: مِنْ خَيْرِ نَحْلَةٍ رَبَّنَا الْوَهَّابِ (٢)

وقبل الشاهد :

وَمَوَاعِظٌ مِنْ رَبَّنَا نُهْدِي بِهَا .: بِلِسَانٍ أَزْهَرَ طَيِّبِ الْأَثْوَابِ
عُرِضَتْ عَلَيْنَا فَاشْتَهَيْنَا ذِكْرَهَا .: مِنْ بَعْدِ مَا عُرِضَتْ عَلَى الْأَحْزَابِ
حِكْمًا يَرَاهَا الْمُجْرِمُونَ بِزَعْمِهِمْ .: حَرَجًا وَيَغْفِيهَا ذَوُ الْأَلْبَابِ (٣)

وبعد ها البيت وهو آخر بيت في القصيدة .

والبيت ساقه الشيخ ليثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يطلب من أصحابه قول الشعر وسماعه ، فهو هنا قد استشهد أبا بكر قول كعب في مذمة كفار قريش ، إن أن بيت كعب هذا فيه انتصار للإسلام ، وانتقاص من قدر كفار قريش ، فهو يتحكم بقريش التي زعمت أنها تستطيع مغالبة ربها ، والانتصار عليه بمعاداة نبيه ، وإنكار كتابه ، فرد كعب على هذا الزعم بروح إسلامية قوية تولد عنها أسلوب قوي مؤكد ، فأتى بلام القسم ونون التوكيد الثقيلة * وَلْيُغْلَبَنَّ * واختار من صفات المولى عز وجل صفة * الْغَلَابَ * على صيغة المبالغة زيادة في التوكيد ، وإلقاء الرهبة في القلوب .

(١) شعر عبد الله بن الزبعرى : ٢٩ .

(٢) ديوانه : ١٢٨ .

(٣) انظر الأبيات في : ديوانه : ١٨١ ، السيرة النبوية : ٣ / ١٦٠ ، ١٦١ .

(الطويل) البيت الخامس : (*)

قول أبي طالب :

وَأَبْيَضَ يَسْتَسْقَى الْغَمَامَ بِوَجْهِهِ . . . شِمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ
مُطِيفٌ بِهِ ^(٥) الْهَلَاكُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ . . . فَهُمْ عِنْدَهُ فِي نِعْمَةٍ ^(٦) وَفَوَاضِلٍ ^(٧)

(*) الدلائل ، رضا : ١٤ ، خفاجي : ٧٠ ، شاکر : ١٨٠ .
(١) أبو طالب هو عم الرسول صلى الله عليه وسلم اسمه عبد مناف وقيل شيبة بن عبد المطلب بن هاشم ، قال ابن عساکر في تاريخه قيل أنه : أسلم ولكن لا يصح إسلامه . مات في السنة العاشرة من البعثة وكان عمره بضعا وثمانين سنة . وأخرج الزبير بن بكار وابن عساکر عن إسحاق بن عيسى قال : سمعت بعض المشيخة يقول : لم يكن أحد يسود في الجاهلية إلا بمال ، إلا أبو طالب وعتبة بن ربيعة ، وكان أبو طالب شقيقاً على النبي صلى الله عليه وسلم كفله بعد وفاة جده عبد المطلب ، وكان من مشركي قريش ، وكان أبو طالب شاعراً جيد الكلام ، ومن أبرع ما قال قصيدته التي منها البيت . ومن الغريب ما ذكره ابن عساکر حيث ذكر أن أبا طالب مات ولم يعقب وقد ذكر هو نفسه ص : ٢٥٨ أن أبا طالب كان يحب الرسول صلى الله عليه وسلم أكثر من أولاده ؟ والصحيح أنه عقب أولاداً منهم : علي بن أبي طالب ، وعقيل ، وأم طالب ، وطالب الذي كني به أبو طالب ، وغيرهم . / انظر ترجمته :

تهذيب تاريخ ابن عساکر : ١ / ٢٨٥ - ٢٩١ ، إنسان العيون : ١ / ١٢٥ ، الإصابة : ٤ / ١١٥ ، خزنة الأدب للبغدادي : ٢ / ٧٥ ، من الضائع من معجم الشعراء للمرزباني : ٧٩ .

(٢) رواية طبقات فحول الشعراء : " ربيع اليتامى " ، ومعنى شمال اليتامى : المتولى أمرهم القائم به .

(٣) عصمة للأرامل : أي منعة لهن يمنعهن ويحفظهن . / المصباح المنير

" العين مع الصاد وما يثلثهما " : ٢ / ٦٤ .
(٤) رواية السيرة : " يلون به الهلاف من آل هاشم " .

(٥) الهلاك : جمع هالك وهو الفقير المعدم . / اللسان " هلك " : ١٠ / ٥٠٤ .

(٦) رواية السيرة : " في رحمة " .

(٧) انظر البيتين في :

السيرة النبوية لابن هشام : ١ / ٢٤٨ ، طبقات فحول الشعراء : ١ / ٢٤٤ ، ===

والبيتان من قصيدة^(١) قالها في معاداة خصومه^(٢).

ومطلعها :

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ لَا وَتَّ مِنْهُمْ . . . وَقَدْ قَطَعُوا كُلَّ الْعُرَى وَالْوَسَائِلِ

وقبل الشاهد :

وَمَا تَرَكُ قَوْمٌ لَا أَبَا لَكَ سَيِّدًا . . . يَحُوطُ الذَّمَّ مَا رَغَبَ نَزَبُ مَوَاكِيلِ

ولقد امتدح ابن سلام هذه القصيدة ، ورأى أنها أبرع ما قال .

قال ابن سلام :

* وكان أبوطالب شاعراً جَيِّدَ الكلام أبرع ما قال قصيدته التي مدح فيها

النبي صلى الله عليه وسلم^(٣).

== دلائل النبوة : ٢٢٣ / ١ ، حساسة ابن الشجري : ١٨ ، الإصابة : ١١٥ / ٤ ،

مغنى اللبيب : ١٣٥ / ١ ، شرح شواهد المغني : ٢٩٦ / ١ ، خزانة الأدب

للبيгдаدي : - الخانجي - : ٦٧ / ٢ .

(١) ذكر ابن سلام أن هذه القصيدة قد زيد فيها وطولت حتى لا يُعرف منهاها

قال :

* وقد زيدَ فيها وطُوِّلت . ورأيتُ في كتاب يُوسُف بن سَعْدٍ صاحبنا مُنْذُ

أكثر من مائة سنة ، وقد علمتُ أن قد زاد النَّاسُ فيها ، ولا أدري أيُّهن

منتهاهَا ؟ وسألتُ الأصمعيَّ عنَّا ، فقلتُ صبيحةً جيدةً ! قال : أتدري أين منتهاهَا ؟ قلت : لا .

طبقات ابن سلام : ١ / ٢٤٤ - ٢٤٥ .

(٢) ذكر ابن هشام في سيرته :

* فلما خشي أبوطالب دهاء العرب أن يركبوه مع قومه ، قال قصيدته

التي تعوَّذَ فيها بحرم مكة وبمكانه منها وتودد فيها لأشراف قومه ،

وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم في ذلك من شعره أنه غير مُسلم رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، ولا تاركه لشيء أبداً حتى يهلك دونه * /

السيرة : ١ / ٢٤٥ .

(٣) طبقات ابن سلام : ١ / ٢٤٤ .

(*) البيت السادس : (الطويل)

قول أبي طالب :

كَذَّبْتُمْ^(١) وَبَيَّتَ اللَّهُ إِنَّ جَدَّ مَا أَرَى . . . لَتَلْتَبَسْنَ أَسْيَافُنَا بِالْأَنَامِ^(٢) لِحِلِّ
وَيَنْهَضُ قَوْمٌ فِي الدُّرُوعِ^(٣) إِلَيْهِمْ^(٤) . . . نَهْوَسُ الرِّوَايَا^(٥) فِي طَرِيقِ حُلَا^(٦) حِلِّ^(٧)

البيتان من قصيدته المشار إليهما في البيت السابق

الأبيات بحسب ترتيب السيرة مع ذكر ما قبل البيتين وما بعدهما :

كَذَّبْتُمْ وَبَيَّتَ اللَّهُ نَبِيَّ مُحَمَّدًا . . . وَلَمَّا نَطَاعِنُ دُونَهُ وَنَنَاضِلِ
وَنُسْلِمُهُ حَتَّى نَصْرَعَ حَـ____ـوَلَهُ . . . وَنَذْهَلُ عَنْ أَبْنَائِنَا وَالْحَلَائِلِ

(*) الدلائل ، رضا : ١٥ ، خفاجي : ٧١ ، شاعر : ١٨ .
(١) رواية السيرة :

" وإما لعمر الله " .

والبيت الذي فيه كذبتهم هو قوله :

" كذبتهم وبیت الله نترك مكة "

وقوله : " كذبتهم وبیت الله تبزي محمداً "

(٢) رواية السيرة : " بالأماثل "

والبيت الذي فيه بالأنامل هو قوله :

وَقَدْ خَالَفُوا قَوْمًا عَلَيْنَا أَظُنُّهُ . . . يَعْصُونَ غِيظًا خَلَفْنَا بِالْأَنَامِ لِحِلِّ

(٣) رواية السيرة وخزانة الأدب : " في الحديد " .

(٤) رواية السيرة : " إليكم " .

(٥) الروايات : جمع رواية وهو ما يستقي عليه من بغير وغيره ، / اللسان " روى : ١٤ / ٣٤٧ .

(٦) رواية السيرة : " تحت ذات الصلاصل " ، والصلاصل : بقية الماء . / اللسان

" صلل : ١١ / ٣٨٤ .

والبيت الذي فيه كلمة حلا حل :

وَسَائِطُ كَانَتْ فِي لُؤْيِ بْنِ غَالِبٍ . . . نَفَاهُمْ إِلَيْنَا كُلُّ صَقَرٍ حُلَا حِلِّ

(٧) انظر : السيرة النبوية لابن هشام : ١ / ٢٤٧ ، خزانة الأدب للبغدادي

- الخانجي : ٢ / ٦٣ - ٦٤ .

وَيَنْهَضُ قَوْمٌ فِي الْحَدِيدِ إِلَيْكُمْ . . . نَهَضَ الرُّوَايَا تَحْتَ ذَاتِ الصَّلَاحِ
وَحَتَّى تَرَى ذَا الضَّغْنِ يَرْكَبُ رَذَعَهُ . . . مِنَ الطَّعْنِ فِعْلُ الْأَنْكَبِ الْمُتَحَامِلِ
وَإِنَّمَا لَعَمْرُ اللَّهِ إِنَّ جَدَّ مَا أَرَى . . . لَتَلْتَبَسَنَّ أَسْيَافُنَا بِالْأَنَامِ سِلِ
يَكْفِي فَتَى مِثْلَ الشَّهَابِ سَمِيدَعٌ ^(١) . . . أَخِي ثِقَةٍ حَامِي الْحَقِيقَةِ بِأَسْسِلِ

أورد الشيخ عبد القاهر قول أبي طالب الأول :

وَأَبْيَضَ يَسْتَسْقَى الْغَمَامَ بِوَجْهِهِ

وقول الثاني :

كَذَبْتُمْ وَبَيَّتَ اللَّوْإِنْ جَدَّ مَا أَرَى

مثالاً على استنشاد النبي صلى الله عليه وسلم للشعر فالقول الأول استنشده حين استسقى فسقى ، والثاني استنشده حين نظر في يوم بدر إلى القتلى مصرعين فقال لأبي بكر لو أن أبا طالب حي لعلم أن أسيافنا قد أخذت بالأنامل .

(١) السَّمِيدَعُ : بالفتح : الكريم ، السَّيْدُ الجميل الجسم الموطأ الأكناف ،

وقيل هو الشجاع ، ولا يقال سَمِيدَع بالضم / اللسان " سمع - سمدع " :

(*) البيت السابع : (السريع)

(١) قول الأعشى :

عَلَّمْتُ مَا أَنْتَ إِلَيَّ عَامِرٍ . النَّا قَضِ الْأَوْتَارَ (٢) وَالْوَاثِرَ (٣) (٤)

وهو من قصيدة قالها في هجاء علقمة بن علاثة (٥) ، ويمدح عامر

(*) الدلائل ، رضا : ١٦ ، خفاجي : ٧١ ، شاکر : ١٩ .

(١) الأعشى (. . - ٧ هـ) هو ميمون بن قيس بن جندل من بني قيس بن

ثعلبة الواثلي ، كنيته أبو بصير ، ويعرف بأعشى قيس ، ويقال له أيضا

الأعشى الكبير ، وأعشى بكر بن وائل ، ولد وتوفي في قرية منفوحة باليمامة ،

وهو من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية ، وأحد أصحاب المعلقات ،

كان كثير الوفود على ملوك العرب والفرس ، غزير الشعر لم يعرف أحد

قبله أكثر شعراً منه ، وكان يغني بشعره فسمي " صناجة العرب " ، أدرك

الإسلام ولم يسلم . / انظر ترجمته :

جمهرة أشعار العرب : ١١٩-١٢٨ ، طبقات فحول الشعراء : ١ / ٦٥ ،

الشعر والشعراء : ٢٦٣-٢٧٣ ، الأغاني : ١٠٨-١٢٩ ،

المؤلف والمختلف : ١٢ ، معجم الشعراء للمرزباني : ٤٠١ ، النقائض :

١ / ٤٧٨ ، ٢ / ٦٤٤ ، معاهد التنصيص : ١ / ١٩٦-٢٠٢ ، خزانة البغداديين

" دار صادر " : ١ / ٨٤-٨٦ ، شعراء النصرانية : ١ / ٣٥٧-٣٩٩ ،

الأعلام : ٧ / ٣٤١ .

(٢) الأوتار : جمع وتر وهو الثار . / اللسان " وتر " : ٥ / ٢٧٤ .

(٣) الواتر : الغالب الذي يترك ثأره في الأعداء ولا يستطيعون الأخذ به . /

اللسان " وتر " : ٥ / ٢٧٤ .

(٤) انظر البيت في :

ديوانه - شرح وتعليق : محمد محمد حسين : ١٩١ قصيدة رقم ١٨ ،

ديوانه - دار بيروت - : ٩٣ ، العمدة : ١ / ٥٣ ، شرح نرج البديعة ، ابن أبي الحديد :

١ / ١٦٦ شرح نساء هذا المفعفج : ٢ / ٩٦

(٥) هو علقمة بن علاثة بن عوف الكلابي العامري ، وهو صاحب جليل من بني عامر

ابن صعصعة ، كان في الجاهلية من أشرف قومه ، وفد على قيصر ، ثم أسلم

وارتد في أيام أبي بكر ، فانصرف إلى الشام ، فبعث إليه أبو بكر القعقاع

ابن عمرو ، ففقر علقمة منه ، ثم عاد إلى الإسلام ، وولاه عمر بن الخطاب

حوران فنزلها إلى أن مات ، ولقد كان جواداً كريماً ، روى عن النبي صلى الله

عليه وسلم حديثاً واحداً ، توفي سنة (٢٠ هـ) / انظر ترجمته :

ابن الطفيل^(١) في المنافرة التي جرت بينهما وأولها :

شَاقْتُكَ مِنْ قَتْلَةِ أَطْلَالِهَا . . . بِالشَّطِّ فَالْوَتْرِ إِلَى حَاجِرِ

وقبل الشاهد :

دَعَمَهَا فَقَدْ أَعْذَرْتُ فِي حُبِّهَا . . . وَأَنْكُرُ خَنَا عِلْقَةِ الْفَاجِرِ

وبعد الشاهد وبعده :

وَاللَّائِسِ الْخَيْلَ يَخِيلُ إِذَا . . . تَارَ غُبَارُ الْكَبَةِ^(٢) الثَّائِرِ

سُدَّتْ بَنِي الْأَحْوَصِ لَمْ تَعُدْهُمْ . . . وَعَايِرُ سَنَانِ بَنِي عَامِرِ

والبيت جاء به الشيخ دليلاً على أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يَنْهَ أصحابه

عن قول الشعر وإنشاده ، وإنما أراد تعليمهم العبادي ، والقيم الفاضلة التي لا بد

أن يتحلوا بها حتى في قولهم الشعر ، فللشعر أخلاق ومثل وآداب يجب الالتزام بها

الإصابة : ٤٩٦/٣ رقم (٥٦٧٢) ، الأعلام : ٢٤٧/٤ - ٢٤٨ .

===

هو عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر العامري من بني عامر بن صعصعة

(١)

ولد سنة (٧٠) قبل الهجرة ، وتوفي سنة (١١١هـ) ، وكان فارس قومه ،

وأحد فتاك العرب وشعرائهم ، وكنيته أبو علي ، ولد ونشأ بنجد ، أدرك

الإسلام شيخاً ، ووفد على الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة بعمد

فتح مكة ، وكان يريد الغدربه ، فدعاه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى

الإسلام ، فطلب من الرسول أن يجعل الأمر له من بعده ، فردّه فعاد

حنقاً ، ومات في طريقه قبل أن يبلغ قومه مصاباً بالطاعون في عنقه ، وكان

أعور أصيبت عينه في إحدى الوقائع ، عقيماً لا يولد له ، وهو ابن عم لبيد

الشاعر ، وله ديوان شعر من رواية أبي بكر الأنباري . / انظر ترجمته :

الشعر والشعراء : ٣٤١/١ ، معجم الشعراء للمرزباني : ١٥٤ - ٢٢٢ ،

الإصابة : ١٢٥/٣ (٦٥٥٨) ، خزانة الأدب للبغدادي : تحقيق

عبد السلام هارون - ٨٠ / ٣ ، الأعلام : ٢٥٢ / ٣ .

الدفعة والجماعة من الخيل / اللسان " كيب " : ١ / ٦٩٦ .

(٢)

حتى في باب الهجاء الذي يجد الشاعر فيه متفساً للنيل ممن يريد ، فالرسول صلى الله عليه وسلم نهى أصحابه عن إنشاد الشعر الذي فيه نيل و طعن فيمن كان كريم الأخلاق ، وإن كان مشركاً ، فعلقمة بن علاثة الذي هجاه الأعشى ، و حط من قدره - بقوله : إنك يا علقمة لا يمكن أن تقاس بعامر ، فأنت لا تدانيه منزلة و شرفاً فهو الآخذ ثأره من الخصم لا يتركه أبداً ، وهو التارك الثأر فيهم لا يستطيعون الأخذ به - ، كان كريم الخلق حيث أحسن القول في النبي صلى الله عليه وسلم حين ذكر عند قيصر .
جاء في الدلائل :

”... كُنَّا يَوْمًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لِحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ :
أَتَشْدُنِي قَصِيدَةً مِنْ شِعْرِ الْجَاهِلِيَّةِ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ وَضَعَ عَنَّا آثَامَهَا
فِي شِعْرِهَا وَرَوَايَتِهِ ، فَأَنْشُدْهُ قَصِيدَةً لِلْأَعَشَى هَجَا بِهَا عَلْقَمَةَ بْنَ عَلَاثَةَ ..
فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

يَا حَسَّانُ لَا تَعُدْ تَنْشِدُنِي هَذِهِ الْقَصِيدَةَ بَعْدَ مَجْلِسِكَ هَذَا ، فَقَالَ :
يَا رَسُولَ اللَّهِ تَنْهَانِي عَنْ رَجُلٍ مَشْرُوكٍ مُقِيمٍ عِنْدَ قَيْصَرَ ؟

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
” يَا حَسَّانُ أَشْكُرُ النَّاسَ لِلنَّاسِ أَشْكُرُهُمُ لِلَّهِ تَعَالَى ، وَإِنْ قَيْصَرُ سَأَلَ أَبَاسْفِيَانَ
ابْنَ حَرْبٍ عَنِّي فَتَتَاوَلَ مِنِّي وَفِي خَيْرٍ آخِرَ فَشَعْتُ (١) مِنِّي ، وَإِنَّهُ سَأَلَ هَذَا عَنِّي
فَأَحْسَنَ الْقَوْلَ ، فَشَكَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ذَلِكَ (٢) .

(١) أي عاب وانتقص . / اللسان ” شعْتُ ” : ١٦١/٢ .

(٢) الدلائل ، رضا : ١٦ ، خفاجي : ٧١-٧٢ ، شاکر : ١٩ .

البيت الثامن : (*) (الكامل)

(١) أَرْفَعُ ضَعِيفَكَ لَا يَحْزَنُ (٢) بِكَ ضَعْفُهُ . . . يَوْمًا فَتَدْرِكُهُ الْعَوَاقِبُ (٣) - (٤) قَدْ تَمَسَّى
يَجْزِيكَ أَوْ يُثْنِي عَلَيْكَ (٥) وَإِنْ مَسَّنْ . . . أَثْنَى (٦) عَلَيْكَ بِمَا فَعَلْتَ فَقَدْ (٧) - (٨) - (٩) جَزَى

والبيتان ذكرهما الشيخ من غير نسبة وهما لغريض اليهودي (١٠) .

- (*) الدلائل ، رضا : ١٦ ، خفاجي ، ٧٢ ، شاكر : ١٩ .
(١) رواية الطبراني : " ادفع " .
(٢) أي لا يثنيك ويرجعك ضعفه عن تقديم المساعدة له .
(٣) رواية العقد الفريد ، " فتدركه عواقب ما جئني " .
(٤) رواية ابن عساكر : " ما جئنا " .
(٥) رواية العقد الفريد : " فإن " بالفاء بدل الواو .
(٦) رواية الوحشيات : " يُثْنِي " .
(٧) رواية مجموعة المعاني : " بما صنعت " .
(٨) رواية عيون الأخبار والعقد الفريد والطبراني : " كمن جَزَى " .
(٩) انظر البيتين في :
الوحشيات : ١١٠ ، عيون الأخبار : ١٦٢ / ٨ / ٣ ، العقد الفريد : ١٩٢ / ١ ،
الأغاني : ٣ / ١١٤ - ١١٧ - ١١٨ ، سبط اللالكى : ٢٠٦ / ١ ، المعجم
الصغير للطبراني : ١ / ١٦٣ ، تاريخ ابن عساكر : ٣٩٠ / ٥ ، مجموعة
المعاني : ١٢٨ .

(١٠) والبيت في الوحشيات ورد منسوباً لسعيد بن غريض اليهودي ، وفي
العقد الفريد وتاريخ ابن عساكر لزهير بن جَنَاب وهو شاعر جاهلي من
سادات كلب ، وفي الأغاني والسبط نُذكر أنهما لورقة بن نوفل ، وجاء
في الأغاني : " الشعر لغريض اليهودي ، وهو السموأل بن عَادِيَاء ،
وقيل إنه لابنه سعيد بن غريض ، وقيل إنه لزيد بن عمرو بن نفيل ، وقيل
إنه لورقة بن نوفل ، وقيل إنه لزهير بن جَنَاب ، وقيل إنه لعامر بن
المجنون الجرهمي الذي يقال له مَدَّ رَجُ الرِّيح ، والصحيح أنه لغريض
أولابنه " / انظر : الأغاني : ١١٥ / ٣ .

وغريض اليهودي من ولد الكاهن بن هارون بن عمران ، وذكر فسي

الوحشيات أنه رجل من أهل وادي القرى يهودي ، وذكر في الأغاني =====

والبيتان من قصيدة أولهما :

وَإِذَا رَأَيْتَ مُفَمَّرًا فَتَعَسَّلَمَنَّ . . . أَنْ سَوْفَ تُدْرِكُهُ الْخُطُوبُ فَيَنْطَلِي (١)

وقبل البيتين :

إِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا أَرَدَتْ إِخْسَاءَهُ . . . لَمْ تُلْغِ حَبْلِي وَاهِيَا رَثَّ الْقُسْوَى
أَرْغَى أَمَانَتَهُ وَأَحْفَظُ عَهْدَهُ . . . عِنْدِي وَيَأْتِي بَعْدَ نَزْلِكَ مَا أَتَى (٢)

والبيتان ساقهما الشيخ مثالا على أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يهيب بالمسلم أن يتحلى بالأخلاق الفاضلة ، وأنه كان يحب سماع الأبيات التي تحت على مكارم الأخلاق وتنطوي على معاني سامية . فكان كثيرا ما يطلب من عائشة رضي الله عنها إنشاده هذين البيتين لما فيهما من الحث على رفع الضعيف ، والأخذ بيده ، ومساعدته ، وعدم التقاعس عن نصرته لضعفه وقلة حيلته ، فقد تدور الأيـام ويعلو شأنه ، ويرتفع قدره ، فينال المساعد منه الشكر والجزاء ، فإن من شكر واعترف بالجميل ، فقد وفى وجزى ، فأشكر الناس للناس أشكرهم لله .

والبيتان دليل على حرصه صلى الله عليه وسلم على أن يعلم نساءه التمثل بالشعر الجيد الذي يُقَوِّمُ الأخلاق ، ويربي النفس .

جاء في الدلائل :

" . . . ومن المعروف في ذلك خبر عائشة رضوان الله عليها أنها قالت :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقول : " أبيتك "

فأقول :

== أنسه السموأل ، - والمذكور في ترجمة السموأل أنه السموأل بن

عريض بن عادي بن حباء ، وبعضهم يقول هو السموأل بن عادي من غير ذكر عريض - وهو صاحب الحصن المعروف بالأبلق بتيما المشهور بالوفاء ، وقيل : بل هو ولد الكاهن بن هارون بن عمران ، وكان هذا الحصن لجده عادي احتفر فيه بئرا روية عذبة / انظر :

الوحشيات : ١١٠ ، الأغاني : ١١٧ / ٢٢ - ١١٥ / ٣ .

(١) ذكر في الأغاني أن أول القصيدة :

رَحَلْتُ قَتِيلَةً عَيْرَهَا قَبْلَ الضَحَى . . . وَأَخَالَ أَنْ شَحَطَتْ بِجَارَتِكَ النَّسْوَى

(٢) الوحشيات : ١١٠ .

ارفع ضعيفك لا يحتر ...

قالت فيقول عليه السلام : " يقول الله تبارك وتعالى لعبد من عبده : صنع
إليك عبدي معروفا فهل شكرته عليه ؟ فيقول : يا رب علمت أنه منك فشكرتك
عليه . قال فيقول الله عز وجل : لم تشكرني إذا لم تشكر من أجرته على
يده (١) .

البيت التاسع : - (*) (الطويل)

وهو لقيس بن معّدان الكلبي (٢)

فَحَالِفٌ وَلَا وَاللَّهِ تَهْبِطُ ثَلْعَةٌ (٣) . . . مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا أَنْتَ لِلذَّلِّ عَارِفُ
أَلَا مَنْ رَأَى الْعَبْدَيْنِ أَوْ ذَكَرَا لَهُ (٤) . . . عَدِيٌّ وَتَيْمٌ تَبْتَغِي مَنْ تُحَالِفُ (٥) (٦) (٧) (٨)

(١) الدلائل ، رضا : ١٧ ، خفاجي : ٧٢ ، شاكر : ٢٠ .

(*) الدلائل ، رضا : ١٧ ، خفاجي : ٧٣ ، شاكر : ٢٠ .

لم أقف عليه بهذا اللفظ ، جاء في مسند الإمام أحمد :

عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من لم يشكر
الناس لم يشكر الله عز وجل " . / انظر :

مسند الإمام أحمد : ٢/٢٥٨ ، ٢٩٥ ، ٣٠٣ ، ٣٨٨ ، ٤٦١ ، ٤٩٢ ، ٣/٣٢٢ .
(٢) ذكر البيتان في طبعة رشيد رضا وطبعة خفاجي غير منسوين ، وذكرهما

منسوين لقيس بن معّدان الكلبي في طبعة شاكر . ولم أقف لقيس هذا على
ترجمة .

(٣) رواية فرحة الأديب والمخصص : " فلا والله " .

(٤) الثلعة من الأضداد يقال لما انحدر من الأرض ولما ارتفع منها . / اللسان

" ثلغ " : ٣٦/٨ . رواية فرحة الأديب : " إن ذكرا له " .

(٥) عدي وتيم ابنا عبد مائة بن أد بن طابخة / جمهرة أنساب العرب : ١٩٨ -

١٩٩-٢٠٠ ، الأعلام : ٩٥/٢ ، ٢٢١/٤ .

(٦) ويريد بحالف " الحبي " لذلك ذكر وأفرد .

(٧) ذكر البيتان في شرح أبيات سيويه للسيرافي : ١٣٣/٢ مع جعل البيت

الأول هو الثاني ، والثاني هو الأول .

وذكر البيت الثاني فقط في : الكتاب : ١٠٥/٣ ، شرح أبيات سيويه

للنحاس : ٢٢٩ ، رقم (٦٢٧) ، المخصص : ١٧/٥ ، ٦٤ ، ٦٥ ، فرحة الأديب :

وقيل هو للقيط بن زُرارة^(١).

وذكر الأسود الغندجاني بيتاً ثالثاً هو :

وَضَبَّةٌ عَبْدٌ ثَالِثٌ لَا أَخَالَهُ . كَمَا زَيْفَ النَّعِيِّ بِالْكَفِّ صَارِفُ^(٢)

والبيتان ذكرهما الشيخ لبيد أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان خبيراً بالشعر عالماً بدقيق معانيه ، فحين أنشدت سورة^(٣) الشُّعْرُ الأخير من البيست الثاني ظنت عائشة وحفصة رضي الله عنهما أنها عرضت بهما ، وجرى بينهما كلام ، فبلغ الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك ، فدخل عليهن ، وقال : " يا ويلكن ليس في عديكن ولا تبيكن قيل هذا ، وإنما قيل هذا في عدي تيم وتيم تيم^(٤) .

فالبيتان فيهما انتقاص من قدر وهيبة وشجاعة عدي وتيم فالمعنى : حالف من تعتز وتفتخر بحلفه ، والآء عرفت الذل والضم حيث توجهت من الأرض ، وعدي وتيم

(١) نُسب البيتان في شرح أبيات سيويه للسيرافي ، والمخصص ، وفرحة الأديب للقيط بن زُرارة ، ووردا في الكتاب لسيويه ، وشرح أبيات سيويه للنحاس من غير نسبة .

ولقيط هو : لقيط بن زُرارة بن عَدَس من تميم وكنيته أبو دَخْتَمُوس وأبو نهشل وهو شاعر جاهلي فارس مقدم من أشرف تيم قتل يوم جيلة عام مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان يرأس قومه / انظر ترجمته : الشعر والشعراء : ٢ / ٧١٤ ، المؤلف والمختف : ١٧٥ .

(٢) فرحة الأديب : ٧٧ .

(٣) هي أم المؤمنين سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس من لؤي ، من قريش ، كانت في الجاهلية زوجة السكران بن عمرو بن عبد شمس ، وأسلمت ثم أسلم زوجها ، وهاجرا معاً إلى الحبشة في الهجرة الثانية ، ثم عادا إلى مكة وتوفي السكران ، فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بعد السيدة خديجة ، وتوفيت في المدينة المنورة في آخر زمان عمر بن الخطاب . / انظر ترجمتها :

الطبقات الكبرى لابن سعد : ٨ / ٥٢-٥٧ ، الإصابة : ٤ / ٣٣٠ رقم (٦٠٦) ، الأعلام : ٣ / ١٤٥ .

(٤) الدلائل ، رضا : ١٧ ، خفاجي : ٧٣ ، شاكر : ٢٠ .

ابنا عبد مناة بن أد جعلها بمنزلة العبدین لا بتغائهما من يحالفهما ، وأفسرد
 "تبتغي " ، لأنه رجع إلى جملة القبيلة ، فعدي وتيم تبتغي من يعاهد ها ، ويناصر ها
 ويعينها إن قصد ها قوم . (١)

البيت العاشر : (*) (الكامل)

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُحَوَّلُ رَحْلَهُ . هَلَّا نَزَلْتَ يَا لَ عَبْدِ الْمَنَافِ

والصحيح :

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُحَوَّلُ رَحْلَهُ . هَلَّا سَأَلْتَ (٣) عَنْ آلِ عَبْدِ مَنَافِ (٤)

والبيت ذكره الشيخ من غير عزو ، وهو لمطroud بن كعب الخزاعي (٥) ، في

(١) شرح أبيات سيبويه للسيرافي : ١٣٣ / ٢ ، ٢١٠ .
 (٢) *) الدندنة ، ص ١٧ ، حناجي : ٧٣ ، شاكرك : ٢١٠ .
 سمط اللآلي : ٥٤٧ / ١ .

(٣) رواية أمالي المرتضى : " ألا نزلت " ورواية معجم الشعراء : " هَلَّا حَلَلْتَ "

(٤) انظر البيت في :

السيرة النبوية لابن هشام : ١٦٣ / ١ ، أمالي القالي : ٢٤١ / ١ ، الروض
 الأنف : ٢٠٣ / ١ ، أمالي المرتضى : ٢٦٨ / ٢ ، ٨ / ٢ ، معجم
 الشعراء للمرزباني : ٣٧٥ ، سمط اللآلي : ٥٤٧ ، أنباء نجباء الأبناء :

٦٣ ، اللسان : باب الفاء فصل الجسيم (١١٣ / ٩) .

(٥) مطرود بن كعب الخزاعي شاعر جاهلي فحل لجأ إلى عبد المطلب بن
 هاشم بن عبد مناف لجناية كانت منه فحماه ، وأحسن إليه ، فأكثر
 مدحه ومدح أهله ، ويقال انه صاحب هذه الأبيات .

وينسب بعض أبيات هذه القصيدة لعبد الله بن الزبير كما في
 اللسان ، وهو قوله :

كَانَتْ قُرَيْشٌ بَيْضَةً فَتَغَلَّقَتْ . فَالْمَحْ خَالِصَهَا لِعَبْدِ مَنَافِ

اللسان " مح " : ٥٨٩ / ٢ انظر ترجمة مطرود فيج :

معجم الشعراء للمرزباني : ٣٧٥ ، أنباء نجباء الأبناء : ٦٣ - ٦٥ ، الأعلام :

رثاء عبد المطلب، وبني عبد مناف. (١)

وبعد البيت :

هَبْلَتَكَ أُمُّكَ لَوْ حَلَلْتَ بِدَارِهِمْ (٢) . ضَمِنُوكَ (٤) مِنْ جَزْمٍ (٥) وَمِنْ إِقْسَرَاةٍ (٦)
الْخَالِطِينَ غَنِيَّهِمْ بِفَقِيرِهِمْ . حَتَّى يَعُودَ فَقِيرُهُمْ كَالْكَافِرِ (٧)

والبيت كسابقه ساقه الشيخ مثلاً على خبرته صلى الله عليه وسلم ومعرفته—
بالشعر، فحين سمع الرجل يروى البيت على غير وجهه سأل أبا بكر سؤال المستنكر
لَمَّا سَمِعَ طَالِباً مِنْهُ تَصْحِيحَ الْبَيْتِ ، وَإِزَالَةَ مَا لَحِقَهُ مِنْ خَطَأٍ فِي الرِّوَايَةِ .

قال الشيخ :

* وروى الزبير بن بكار قال : مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه—

أبو بكر رضي الله عنه برجل يقول في بعض أزقة مكة :

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُحَطَّلُ رَحْلَهُ . هَلَّا نَزَلْتَ بِآلِ عَبْدِ الدَّارِ

فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر ، أهكذا قال الشاعر؟

قال : لا يا رسول الله ، ولكنه قال :

(١) هذا ما جاء في سيرة ابن هشام :

* رثاء مطرود الخزاعي لعبد المطلب . قال ابن اسحاق : وقال

مطرود بن كعب الخزاعي يبكي عبد المطلب وبني عبد مناف * ١٦٣/١/٠

وكذلك جاء في اللسان أنها في رثاء عبد المطلب . ١١٣/٩/٠

(٢) رواية أمالي القالي وأنباء نجباء الأبناء : " لو نزلت " .

(٣) رواية أنباء نجباء الأبناء : " إليهم " .

(٤) رواية أمالي القالي : " منعوك " .

(٥) رواية أمالي القالي : " من عدم " ورواية أنباء نجباء الأبناء " من جوع " .

(٦) إحدى روايات أمالي القالي : " ومن اقتار " .

(٧) رواية أمالي المرتضى " الخالطون " ، وذكر المرتضى في أماليه أبياتاً

عدة قبل هذا البيت .

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُحَوَّلُ رَحْلَهُ . هَلَّا سَأَلْتَ عَنْ الرِّبْدِ مَنْصَافٍ
فَقَالَ الرِّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَكَذَا كُنَّا نَسْمَعُهَا ^(١).

البيت الحادي عشر : (*) (الطويل)

^(٢)
قول النابغة الجعدي :

بَلَّغْنَا السَّمَاءَ مَجْدَنَا وَجَدْنَا ^(٣) . وَإِنَّا لَنَرْجُو ^(٤) فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا

(١) الدلائل ، رضا : ١٧ ، خفاجي : ٧٣ ، شاكر : ٢١ .

(٢) الدلائل رضا : ١٨ ، خفاجي : ٧٤ ، شاكر : ٢١ .

وانظر الخبر في : أمالي القاضي : ١ / ٢٤١ .

والهاء في قوله " نسمعها " يعود إلى الرواية ، والظاهر " نسمعه " عوداً
على البيت .

(٢) هو الصحابي قيس بن عبد الله بن عمرو بن عدس بن ربيعة بن جعدة وقد
اختلف في اسمه فقيل (قيس) وقيل " حبان " ، وهو شاعر مشهور عاش
في الجاهلية والإسلام وحسن إسلامه ، وقيل أنه عمّ مائتين وعشرين سنة ،
ومات بأصبهان ، وهو أحد نعات الخيل ، وهو الذي دعا له الرسول
صلى الله عليه وسلم بأن لا يفض الله فاه ، فبلغ عشرين ومائة سنة لم
تسقط له سن / انظر ترجمته :

الاستيعاب : ٣ / ١٢٩٧ ، ٤ / ١٥١٤ - ١٥٢١ ، الإصابة : ٣ / ٥٠٨ ،
رقم (٨٦٤١) ، طبقات فحول الشعراء : ١٢٣ - ١٢٥ ، معجم الشعراء :
٣٢١ .

(٣) رواية الديوان ورسائل الجاحظ والصناعتين وشرح الأشموني :
" بَلَّغْنَا السَّمَاءَ مَجْدَنَا وَسَنَّاؤُنَا " .

ورواية جبهة أشعار العرب :

" بَلَّغْنَا السَّمَاءَ مَجْدًا وَجُودًا وَسُودًا " .

ورواية عيار الشعر :

" بَلَّغْنَا السَّمَاءَ نَجْدَةً وَتَكْرَمًا " .

(٤) رواية رسائل الجاحظ : " وَإِنَّا لَنَبْفِي " .

(١٦) وَلَا خَيْرَ فِي حِلِيمٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ . . . بَوَادِرُ تَحِيٍّ صَفْوُهُ أَنْ يَكْشُرَا
وَلَا خَيْرَ فِي جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ . . . حَلِيمٌ إِذَا مَا أَوْرَدَ الْأَمْرُ أَضْدَارَا

والأبيات من قصيدة مطلعها :

خَلِيلِي عَوْجًا سَاعَةً وَتَهَجَّسْرَا . . . وَلَوْ مَا عَلَيَّ مَا أَخَذَتْ الدَّهْرُ أَوْدَارَا

وقبل الأبيات :

أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ بِالْهُدَى . . . وَيَتْلُو كِتَابًا كَالْمَجَسَّرَةِ نَسِيرَا (١٧)

(١) رواية معجم الشعراء : " فَلَا خَيْرَ " .

(٢) رواية الاستيعاب : " إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ " بالياء وليس بالتاء .

(٣) انظر الأبيات في :

ديوان النابغة الجعدي : ٧٣ ، جمهرة أشعار العرب : ٢٨٠ - ٢٨١ ، رسائل

الجاحظ : ١ / ٣٦٣ - ٣٦٤ ، عيون الأخبار : ١ / ٢٨٥ ، عيار الشعر :

٥١ ، معجم الشعراء للمرزباني : ٣٢١ ، الصناعتين : ٩٤ البيت الأول فقط ،

بهجة المجالس : ٢ / ٦٠٨ ، البيتان الثاني والثالث ، الاستيعاب - تحقيق

البيجاوي - : ٤ / ١٥١٤ - ١٥٢١ ، العمدة : ١ / ٥٣ ، سمط اللآلئ :

٢ / ٧٧٢ ، نهاية الأرب : ٦ / ٥٦ ، شرح الأشموني مع الشواهد للعيني :

٢ / ١٣٢ ، خزانة الأدب للبغدادي - دار صادر - : ١ / ٥١٣ - ٥١٤ ، الإبانة

عن سرقات المتنبي : ١٩٦ .

(٤) جاء في جمهرة العرب قبل البيت الأول :

وَنَحْنُ أَنَا سَ لَا نُعَوِّدُ خَيْلَنَا . . . إِذَا مَا التَقَيْنَا أَنْ تَحِيدَ وَتَنْفُرَا

وَمَا كَانَ مَعْرُوفًا لَنَا أَنْ نَرُدَّهَا . . . صَحَا حَا وَلَا مُسْتَكِرَا أَنْ تُعَقَّرَا

وبعده :

وَكُلُّ مَعَدٍّ قَدْ أَطَّتْ سَيْفُونَا . . . جَوَانِبَ بَحْرِ نِي غَوَارِبَ أَخْضَرَا

ثم ذكر بعده عدة أبيات ثم أتى

وَحَيَّ أَبِي بَكْرٍ وَلَا حَسِيٍّ مِثْلَهُمْ . . . إِذَا بَلَغَ الْأَمْرُ الْعِمَاسَ الْمَدْسَرَا

وبعده البيتان وبعدهما :

إِذَا افْتَخَرَ الْأَزْدِيُّ يَوْمًا فَقُلْ لَهُ . . . تَأَخَّرَ فَلَمْ يَجْعَلْ لَكَ اللَّهُ مَفْخَرَا

وبعد الأبيات .

والأبيات ذكرها الشيخ مثلاً على استحسان الرسول صلى الله عليه وسلم وارتياحه للجيد من الشعر ، فحين أنشد النابغة البيت الأول قال له النبي صلى الله عليه وسلم أين المظهر يا أبا ليلى ، فقال النابغة الجنة يا رسول الله ، فقال أجلس إن شاء الله ، ولما أنشده البيتين الآخرين استحسناهما صلى الله عليه وسلم بقوله : " أجدت " ، ثم دعا له بقوله : " لا يفضى الله فاك " (١) .

الأبيات الثانية عشرة : (*) (البسيط)

(٢)
وأنشد كعب بن زهير :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول . . . متيم إثرها لم يفد (٣) مغلول
وما سعاد غداة البين إذ رحلت (٤) . . . إلا أغن (٥) غصيف الطرف مكحول
تجلو عوارض ذي ظلم (٦) إذا ابتست . . . كأنه منهل (٧) بالراح مغلول (٨)

(*) الدلائل ، رضا : ١٨ ، خفاجي : ٧٤ ، شاكر : ٢٢ .

(١) الدلائل ، رضا : ١٩ ، خفاجي : ٧٥ ، شاكر : ٢٢ - ٢٣ .

(٢) هو كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني ، أبو المضرّب ، وهو شاعر مجيد

من أهل نجد ، وكان ممن اشتهر في الجاهلية ، ولما ظهر الإسلام هجا النبي صلى الله عليه وسلم ، وشبب بنساء المسلمين فأهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمه ، فأسلم وطلب الأمان من الرسول صلى الله عليه وسلم وأنشد بين يديه لاميته المشهورة التي مطلعها :

" بانت سعاد . . . فخلع عليه الرسول صلى الله عليه وسلم بردته . توفي

سنة ٣٦ هـ / انظر ترجمته :

طبقات فحول الشعراء : ١ / ٩٩ - ١٠٣ ، الشعر والشعراء : ١٦٠ - ١٦٢ ، سمط اللآلي : ١٦٠ - ١٦٢ ، عيون الأثر : ٢ / ٢٠٨ - ٢١٥ ، خزائن الأدب للبغدادي :

- دار صادر : ١ / ١٢٠ - ١٢١ ، لم يجز مكبول . (٤) رواية الديوان : " إذ رحلوا " . (٣)

الأغن : الذي في صوته غنة . / اللسان " غن " : ١٣ / ٣١٤ . (٥)

وغصيف الطرف : فاطر الطرف . / اللسان " غصض " : ٧ / ١٩٧ .

العوارض : الأسنان وهي ما بين الثنية والضرس ، والظلم ماء الأسنان . / اللسان " عرض " : ٧ / ١٨٠ . (٦)

منهل : النهل أول الشرب . / اللسان " نهل " : ١١ / ٦٨٠ - ٦٨١ . (٧)

والعلل : الشرب الثاني . / اللسان " علل " : ١١ / ٤٦٧ . (٨)

سَحَّ السَّقَاةُ عَلَيْهَا مَاءَ مَحْنِيَةٍ . . مِنْ مَاءٍ أَبْطَحَ أَضْحَى وَهُوَ مَشْهُولٌ^(١)
 وَيَلْتَمُّهَا خَلَّةٌ لَوْ أَنَّهَا صَدَقَتْ . . مَوْعِدَهَا أَوْ لَوْ أَنَّ النَّصْحَ مَقْبُولٌ^(٢)
 إِنَّ الرُّسُولَ لَسَيْفٌ^(٣) يُسْتَضَاءُ بِهِ . . مَهْدَدٌ مِنْ سَيْوفِ اللّٰهِ مَسْئُولٌ
 فِي فِتْنَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَاظِلُهُمْ . . بِبَطْنِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا زُلُومًا
 زَالُوا فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلَا كُشْفٌ . . عِنْدَ اللِّقَاءِ وَلَا يَمِيلُ مَعَارِيزُ
 لَا يَقَعُ الطَّعْنُ إِلَّا فِي نُحُورِهِمْ . . وَمَا بِهِمْ عَنْ حِيَاضِ الْقَوْتِ تَهْلِيلٌ
 شَمُّ الْعَرَانِينَ أَبْطَالَ لَبُوسَهُمْ . . مِنْ نَسِجِ دَاوُدَ فِي الْهَيْجَا سَتْرَابِيلٌ^(٤)

والأبيات ساقها الشيخ لإثبات استحسانه صلى الله عليه وسلم وارتياحه للشعر

الجيد ، فقد بلغ من استحسانه لهذه الأبيات أن ألقى على كعب برده .

كما أن في إشارته صلى الله عليه وسلم إلى خلق أصحابه بأن اسمعوا دليل

على سلامة هذه الأبيات وحسنها .

(١) رواية الديوان :

شَجَّتْ بِذِي شَبَمٍ مِنْ مَاءٍ مَحْنِيَةٍ . . صَافٍ بِأَبْطَحَ أَضْحَى وَهُوَ مَشْهُولٌ

(٢) بداية الديوان :

يَا وَيَحَهَا خَلَّةٌ لَوْ أَنَّهَا صَدَقَتْ . . مَا وَعَدَتْ أَوْ لَوْ أَنَّ النَّصْحَ مَقْبُولٌ

(٣) رواية جمهرة أشعار العرب ، وعيون الأثر ، والسيرة لابن هشام ، وشرح

شواهد المغني " لنور " .

(٤) وبعض هذه الأبيات في :-

شرح ديوان كعب للسكري : ٦ - ٢٥ ، جمهرة أشعار العرب : ٢٨٢ - ٢٨٧ ،

طبقات فحول الشعراء : ١ / ٩٩ - ١٠٣ ، الشعر والشعراء : ١٦٠ - ١٦٢ ،

مجالس ثعلب : ٣٤٢ / ٨ / ٢ ، المصون : ١٩٥ - ١٩٧ ، سبط اللاكسي :

٤٢١ ، أراجيز العرب : ٥٠ ، حساسة ابن الشجري : ٩٧ ، عيون

الأثر : ٢ / ٢٠٨ - ٢١٥ ، السيرة لابن هشام : ٤ / ١٠٩ - ١١٦ ،

مغني اللبيب : ٢ / ٤١١ - ٤٣٨ ، شرح قصيدة كعب بن زهير :

٢٣ - ٢٨ ، شرح شواهد المغني : ٢ / ٥٢٥ ، خزانة الأدب للبغدادى :

- دار صادر - : ١١ / ٤ - ١٢ .

جاء في الدلائل :-

"... روى أن كعباً وأخاه بجيراً خرجا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغا أبرق العزاف فقال كعب لبجير: الق هذا الرجل ، وأنا مقيم ههنا ، فانظر ما يقول ، وقدم بجير على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض عليه الإسلام فأسلم ، وبلغ ذلك كعباً فقال في ذلك شعراً ، فأهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمه ، فكتب إليه بجير يأمره أن يسلم ، ويقبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويقول : إن من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قَبِلَ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسقط ما كان قبل ذلك ، فقدم كعب وأنشد النبي صلى الله عليه وسلم قصيدته المعروفة ... فتأشّر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحلق أن اسمعوا . قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون من أصحابه مكان المائدة من القوم يتحلقون حلقة دون حلقة ، فليفت إلى هؤلاء وإلى هؤلاء (١) .

الكلام في النحو :-

البيت الثالث عشر : (*) (الوافر)

وَالْأَفْطَمُوا أَنَا وَأَنْتُمْ . بَغَاةٌ مَبْقِيْنَا فِي شَيْءٍ قَاقٍ (٢)

(١) الدلائل ، رضا : ١٨-١٩ ، خفاجي : ٧٤-٧٦ ، شاكر : ٢٢-٢٣ .

(٢) الدلائل رضا : ٢٦ ، خفاجي : ٨٣ ، شاكر : ٣٢ .

وانظر الخبر في :

طبقات فحول الشعراء : ٩٩-١٠٣ ، الشعر والشعراء : ١٦٠-١٦٢ ،

عيون الأثر : ٢٠٨-٢١٢ ، السيرة لابن هشام : ١٠٧-١١٨ ، خزائن

الأدب للبغداديين - مكتبة الخانجي - : ١٢/٤ .

(٢) رواية الديوان ومعاني القرآن للفراء : " مَا حَيَيْنَا " .

(٣) انظر البيت في :

ديوانه : ١٦٥ ، الكتاب : ١٥٦/٢ ، شرح الكافية : ٥١٣/١ ، شرح المفصل :

٢/٨/٦٩ ، الإنصاف : ١٩٠ ، شرح التصريح على التوضيح : ٢٨٨/١ ، معاني

القرآن : ٣١١/١ ، غير منسوب . - خزائن الأدب للبغداديين - دار صادر :-

ذكره الشيخ من غير عزو ، وهو لبشر بن أبي خازم الأسدي (١) من قصيدة

مطلعها :

أَهَمَّتْ مِنْكَ سَلْمَى يَا نَطِـلَاقٍ . . وَلَيْسَ وَصَالُ غَانِيَةٍ بِبَاقِي (٢)

وقبله :

فَإِنْ جَزَتْ (٣) نَوَاصِي آلِ بَسْدِرٍ . . فَأَدَّوْهَا وَأَسْرَى فِي الْوِثَاقِ (٤)

والبيت أورده الشيخ في معرض رده على من زهد في النحو ، واحتقره ، وصغر أمره ، وتهاون به ، فهو علم يحتاجه العلماء لفهم آيات القرآن الكريم ، فكل كلمة الصائبون * من قوله تعالى :

* إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ ، وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٥) .

(١) هو شاعر من بني أسد جاهلي قديم ، شهد حرب أسد وطى ، وشهد هو وابنه نوفل بن بشر الحلف بينهما ، وكان بشرفي أول أمره يهجو أوس بن حارثة الطائي ، فأستترته بنو نيهان من طى ، فركب أوس إليهم فاستوهبهم منهم ، وكان قد نذر ليحرقنهم إن قدر عليه ، فوهبوه له ، فقالت له أمه سَعْدَى : قبح الله رأيك أكرم الرجل وخلّ عنه ، فإنه لا يمحو ما قال غير لسانه ففعل ، فجعل بشر مكان كل قصيدة هجاء قصيدة مدح ، وقد جعله ابن سلام في الطبقة الثانية من فحول الشعراء الجاهليين . / انظر :

الشعر والشعراء : ١ / ٢٧٧ ، طبقات فحول الشعراء : ١ / ٩٢ .

(٢) ديوانه : ١٦١ ، خزانة الأدب - دار صادر - : ٤ / ٣١٦ .

(٣) رواية خزانة الأدب :

* فَإِنْ جَزَتْ * .

(٤) ديوانه : ١٦٥ .

(٥) المائدة : ٦٩ .

جاءت مرفوعة ، ولا يمكن معرفة وجه الرفع فيها إلا عن طريق علم النحو ، فهو علم يخدم القرآن أولاً وأخيراً ، فوجه الرفع فيها أنها عطفت على محل الذين آمنوا قبل استكمال الخبر ، وهو قوله تعالى : " مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ " وسباق الشيخ البيت الشعري الذي نحن بصدده تنظيراً لوجه الرفع في الآية ، فالبيت فيه عطف " أنتم " وهو ضمير مرفوع على محل ضمير المتكلم المعظم نفسه ، أو المشارك لغيره قبل استكمال الخبر .

وأصل الكلام : **وَالَا فاعلموا أنا بغاة وأنتم بغاة .**

وحذف خبر الثاني لدلالة الأول عليه .^(١)

البيت الرابع عشر : (*) (الصويل)

يَقُولُونَ أَقْوَالًا وَلَا يَعْلَمُونَهَا^(٢) . وَلَوْ قِيلَ هَاتُوا حَقَّقُوا لَمْ يَحَقِّقُوا^(٤)

ذكره الشيخ بن غيرنسية وهو لأبي الأسود الدؤلي^(٥) .

(١) شرح التصريح على التوضيح : ٢٢٧ / ١ - ٢٢٨ ، وانظر : الكتاب :

١٥٦ / ٢ ، خزانة البغدادي - دار صادر - : ٤ / ٣١٥ .

(*) الديلم ، رضا : ٣٣ ، خفاجي : ٩٠ ، شاکر : ٤٠٠ .

(٢) رواية الديوان والأغاني ومعجم البلدان : " بظن وشبهة " .

ورواية زهر الآداب : " بظن وتهمة " ، ورواية العقد الفريد :

" ولا يحكمونها " ، ورواية الحيوان : " ولا يعرفونها " .

(٣) رواية الديوان : " فإن قيل " ، ورواية الشعر والشعراء : " وإن قيل " .

(٤) انظر البيت في :

ديوان أبي الأسود : ١١٨ ، الحيوان : ١١٦ / ٣ ، عيون الأخبار : ١ / ٥٩ ،

الشعر والشعراء : ٢ / ٧٤٢ ، الكامل - المعارف - : ١ / ١٨٥ ، العقد الفريد :

٢ / ٣٧٤ ، الأغاني : ٨ / ٤٠٦ ، أمالي المرتضى : ١ / ٣٨٥ ، زهر الآداب :

٤ / ٩٨٦ ، معجم البلدان : ٣ / ٢١٤ .

(٥) نسب البيت لأبي الأسود الدؤلي في :

ديوانه ، العقد الفريد ، الأغاني ، زهر الآداب ، معجم البلدان ،

ونسب في بقية المراجع لأنس بن أبي أناس .

وأبو الأسود هو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل ، وقيل هو ظالم بن عمرو

وينسب أيضا لأنس بن أنيس الدؤلي^(١)، والبيت أحد أبيات قيلت في حارثية
ابن بدر الغداني^(٢) حين ولي كورة "سُرَق" من أعمال الأهواز، وأول الأبيات:
أَحَارِبِينَ بَدْرٍ قَدْ وَلَّيْتَ وَلَا يَمُ^(٣) . . فَكُنْ جَرَدًا فِيهَا تَخُونُ وَتَسْرِقُ

وقبل الشاهد :

^(٤) فَلَا تَحْقِرَنَّ يَا حَارِ شَيْئًا تَصِيهُ^(٥) . . فَحَظُّكَ مِنْ مُلْكِ الْعِرَاقَيْنِ سُرَقُ

==== ابن جندل بن سفيان (١ ق هـ - ٦٩ هـ) يعد من شعراء الطبقة الأولى
من تابعي البصرة ، ويعد أيضا من المحدثين والبخلاء ، والمغاليج ، والفُرج ،
وهو يعد من أول النحويين لأنه أول من عمل في النحو كتاباً ، وقد أُمِّره
زياد بن أبيه بتنقيط المصحف فنقطه ، أخذ حدود النحو من علي بن أبي
طالب وشهد معه صفين وولي البصرة ، توفي سنة تسع وستين وله خمس
وشاتون سنة / انظر ترجمته :

طبقات ابن سعد : ٩٩ / ٧ ، المعارف : ٤٣٤ - ٤٣٥ ، الشعر والشعراء :

٢ / ٧٣٣ ، الأغاني : ١٢ / ٢٩٧ - ٣٣٤ ، الأنساب للسمعاني : ٥ / ٣٦٤ - ٣٦٧

معجم الأدباء : ١٢ : ٣٤ - ٣٨ ، نزهة الألباء : ١٨ - ٢٤ ، إنباء السرواة :

١ / ٤٨ - ٥٨ ، النجوم الزاهرة : ١ / ١٨٤ ، تهذيب التهذيب : ٥ / ٣٧ ،

بغية الوعاة : ٢ / ٢٢ - ٢٣ ، المزهر : ٢ / ٣٩٧ ، ٤١٨ ، ٤٦١ ، الإصابة :

٢ / ٢٣٢ - ٢٣٣ رقم (٤٣٢٩) ، والضائع من معجم الشعراء للمرزباني : ٨٣ .

(١) هو أنس بن أبي أناس ويقال " إياس " ويقال " أنيس " بن زُنيَم الكِنَاني الدؤلي ،

وهو من رهط أبي الأسود الدؤلي ، وكان أعور ، وأبوه أبو أناس شاعر شريف ،

وأخو أنس سارية بن زُنيَم الذي قال له عمر بن الخطاب يا سارية الجبل الجبل . /

انظر : الإصابة : ١ / ٨٢ - ٨٣ ، الخزانة : ٣ / ١١٩ - ١٢٢ .

(٢) وكان حارثة ذا بيان وجهارة وأدب ، وكان شاعراً عالمياً بالأخبار ، والأنساب ،

وكان مشهوراً في الشراب . / انظر :

الأغاني : ٨ / ٣٨٤ - ٤٤٥ ، زهر الآداب : ٤ / ٩٨٥ .

(٣) رواية الشعر والشعراء والكامل والأغاني وأمالى المرتضى " إلمارة " .

(٤) رواية الحيوان ، وعيون الأخبار ، والكامل ، والأغاني ، وأمالى المرتضى " وَلَا تَحْقِرَنَّ " .

(٥) رواية الحيوان " مَلَكْتَهُ " ، ورواية الشعر والشعراء : " أَصَبْتَهُ " ، ورواية الكامل

وأمالى المرتضى : " وَجَدْتَهُ " .

(١)
فَإِنَّ جَمِيعَ النَّاسِ إِذَا مَكَدَبُ . . . يَقُولُ بِمَا يَهْوَىٰ وَإِنَّمَا مُصَدِّقُ

وبعد الشاهد :

(٢)
وَلَا تَعْجَزَنَّ فَالْعَجْزُ أَخْبَثُ مَرْكَبٍ . . . فَمَا كُلُّ مَذْفُوعٍ إِلَى الرَّزْقِ يُرْزَقُ
(٣)
وَيَارِزُ تَيْمِيًّا بِالْغِنَىٰ إِنَّ لِلْغِنَىٰ . . . لِسَانَ بِمِ الْمَرْءِ^(٤) الْهَيْبُوتَةُ يَنْطِقُ

وقد أورد الشيخ في معرض حديثه عن إعجاز القرآن ، وأنه من المحتم على المرء أن يبحث عن أسرار الإعجاز ويبحث عن الطرق والخصائص التي تكشف له هذه الأسرار ، فإن اكتفى بظاهر الكلام من غير فحص ولا تحصيل ، كان كمن يردد القول وهو يجهل المراد به ، فلو طلب منه الدليل والحجة على ما يقول عجز عن ذلك .

قال الشيخ :

" . . . فبنا أن ننظر أيُّ أشبه بالفتى في عقله ودينه ، وأزيد له في علمه وبقينه ، أن يقلد في ذلك ، ويحفظ متن الدليل وظاهر لفظه ، ولا يبحث عن تفسير المزايا والخصائص ما هي ؟ ومن أين كثرت الكثرة العظيمة ، واتسعت الاتساع المجاوز لوسع الخلق وطاقة البشر ؟ وكيف يكون أن تظهر في ألفاظ محصورة ، وكلم معدودة معلومة ، بأن يؤتى ببعضها في إثر بعض ، لطائف لا يحصرها العدد ، ولا ينتهي بها الأمد ؟ أم أن يبحث عن ذلك كله ، ويستقصي النظر في جميعه ، ويتبعه شيئاً فشيئاً ، ويستقصيه باباً فباباً ، حتى يعرف كلاً منه بشاهده ودليله ، ويعلمه بتفسيره وتأويله ويوثق بتصويره وتشيله ، ولا يكون كمن قيل فيه :

يَقُولُونَ أَقْوَالًا وَلَا يَعْلَمُونَهَا . . . وَلَوْ قِيلَ هَاتُوا حَقَّقُوا لَمْ يَحَقِّقُوا^(٥)

==== وروى البيت في العقد الفريد : " فدع عنك ما قالوا ولا تكثرت بهم . "

ورواية زهر الآداب : " ولا تدعن الناس شيئاً تصييه . "

(١) رواية العقد : " وَمَا النَّاسُ إِلَّا أَثْنَانِ إِذَا مَكَدَبُ " .

ورواية زهر الآداب : " فَمَا النَّاسُ إِلَّا قَائِلٌ فَمَكَدَبُ " .

(٢) رواية الأغاني : " ولا تحقرن يا حار شيئاً تصييه . . . فحظك من ملك العراقين سرق "

(٣) رواية الحيوان والشعر والشعراء والكامل والعقد : " وَيَاه . . . ورواية عيون الأخبار "

" وَيَار . . . ورواية الأغاني : " وَكَأَثَرُ " ،

وهذا البيت ذكره بعد قوله : " أCHAR بن بذر قد وليت . . . "

وذكروا خمسة أبيات فقط ولم يذكروا قوله - ماعدا الأغاني - :

(٤) رواية الأغاني : " به يَشْطُو الْقَيْثُ " ، ورواية أمالي المرتضى : " الْعَيُّ " .

(٥) الدلائل ، رضا : ٣٣ ، خفاجي : ٩٠ ، شاكر : ٤٠ .

ب - شواهد تحقيق القول في الفصاحة
والبلادة .

(الطويل)

الشاهد الأول (*) :

تَلَفَّتْ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدَتْ نَيْسِي . . وَجِئْتُ مِنَ الْإِصْفَاءِ لَيْتًا وَأَخْذَعًا^(١)^(٢)^(٣)^(٤)
 لم يذكر الإمام عبد القاهر قائل هذا البيت ، وإنما ذكر أن البيت من أبيات
 الحماسة ، ووجدت - فيما رجعت إليه من مصادر - أن البيت - في المشهور - للصمة
 أبْن عبد الله القشيري^(٥) .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٨ ، خفاجي : ٩٦ ، شاكر : ٤٧ .

(١) رواية الأشباه والنظائر :

" تشكيت للإصفاء ليتاً وأخذعاً " ، وذكر المحقق أنه جاء في نسخة " تنكبت "
 وأن الرواية " رجعت من الإصفاء " .

(٢) اللئيت بالكسر : صفحة العنق : وقيل الليتان صفحتا العنق ، وقيل :

أدنى صفحتي العنق من الرأس عليهما ينحدر القرطان . / اللسان " ليت " : ٨٧ / ٢ .

(٣) الأخدع : عرق في موضع المحجمتين ، وهما أخذعان .

والأخذعان : عرقان خفتان في موضع الحجامه من العنق . / اللسان " خدع " : ٦٦ / ٨ .

(٤) وفي رواية الأغاني التي ذكر فيها أن مطلع القصيدة :

أَمِنْ ذِكْرِ دَارِ الرِّقَاشِينَ أَصْبَحَتْ . . بِهَا عَاصِفَاتُ الصَّيْفِ يَدُءٌ أَوْرَجَمَا

لم يذكر ضمن الأبيات بيت الشاهد ، وكذلك في بهجة المجالس ذكر بعض

أبيات القصيدة دون ذكر بيت الشاهد / ٨٢٦ / ٢ ، وكذلك العقد الفريد

ذكر ثلاثة أبيات لم تتضمن بيت الشاهد ، انظر البيت في :

الحماسة - تحقيق عبد الرحيم عسيلان : ٤ / ٢ رقم ٤٦٠ ، الأمالي لليزيدي :

١٤٩ ، الأمالي لأبي علي القالي : ١٩٠ - ١٩١ ، الأغاني - دار الكتب :

٢٠٨٥ / ٦ ، الأشباه والنظائر : ٢٨ / ٢ ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقسي :

١٢١٦ / ٣ ، سبط اللآلي : ٤٦٢ / ١ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ١١٤ ،

المثل السائر : ٣٨٤ / ١ ، الطرائف الأدبية : ٧٦ ، ٧٧ .

(٥) لقد نسبت بعض أبيات قصيدة الصمة إلى قيس بن ذريح ، وللمجنون ، ونسبت

في وفيات الأعيان : ٥ / ٤١٣ ، وفي مصارع العشاق : ٣٧٨ لابن الطثرية ،

ونسبت بعض الأبيات في العقد الفريد لابن الدمينه .

جاء في الأغاني : " وهذه الأبيات التي أولها " حننت إلي ريا " تروى ===

والشاهد من قصيدة مطلعها :

حَنَنْتُ إِلَى رَيَّا وَنَفْسِكَ بَاعَدَتْ . . مَزَارَكَ مِنْ رَيَّا وَشَعْبَاكُمَا مَعَا

وقبل الشاهد :

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْبِشْرَ (٢) أَعْرَضَ (٣) دُونَنَا . . وَحَالَتْ (٤) بَنَاتُ الشَّوْقِ يَحْنِنُ نَزْعًا

====
لقيس بن ذريح في أخباره ، وشعره بأسانيد قد ذكرت في مواضعها ، ويروى بعضها للمجنون في أخباره بأسانيد قد ذكرت أيضا في أخباره . . . *

٢٠٨٥/٦ - ٢٠٨٦

وجاء في بهجة المجالس : * ومنهم من ينسبها إلى قيس بن ذريح ، وللمجنون أيضا تنسب ، والأكثر أنها للصمة : ٨٢٦/١/٢

والصمة القشيري هو الصمة بن عبد الله بن طفيل بن مرة بن هبيرة بن عامر ابن سلمة الخير بن قشير بن كعب ، شاعر غزل ، وهو شاعر إسلامي بسدي مقل من شعراء الدولة الأموية ، ولجده مرة بن هبيرة صحبة بالنسبي صلى الله عليه وسلم ، وهو أحد وفود العرب الوافدين عليه صلى الله عليه وسلم ، وتوفي الصمة في بلاد طبرستان ، وقد ذكر التبريزي أنه كان أعور / انظر ترجمته :

الأغانسي : ٦ / ١ - ٩ ، المؤلف والمختلف : ١٤٤ - ١٤٥ ،

جُمُهورية أنساب العرب : ٢٨٩ ، سبط اللاكبي : ١ / ٤٦١ ، ٤٦٢ ،

شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٣ / ١١٢ - ١١٤ .

(١) ذكر صاحب الطرائف الأدبية أن أول القصيدة :

أَرَيْتُ بِهَا الْأَزْوَاحَ حَتَّى تَتَسَفَّتْ . . مَعَارِفَهَا إِلَّا الصَّفِيحَ الْمَوْضِعَا

انظر الطرائف : ٧٧ ، وذكر اليزيدي في أماليه : ١٤٩ ، أن مطلع القصيدة :

أَمِنْ أَجْلِ دَارِ الرِّقَاشِينَ أَصْبَحَتْ . . بِهَا بَارِحَاتُ الصَّيْفِ بَدْءًا وَرَجْعًا

وكذلك ذكر في الأغاني في إحدى الروايات (٢٠٨٧/٦) أن مطلع القصيدة :

أَمِنْ نِكَرِ دَارِ الرِّقَاشِينَ أَصْبَحَتْ . . بِهَا عَاصِفَاتُ الصَّيْفِ بَدْءًا وَرَجْعًا

(٢) البشر : جبل في أطراف نجد من جهة الشام . / معجم البلدان : * بشر : ١ / ٤٢٧ .

(٣) وفي الأغاني : ٦ / ٥ : * وَلَمَّا رَأَيْتُ الْبِشْرَ قَدْ حَالَ بَيْنَنَا * .

(٤) رواية الأغاني : * وَجَالَتْ * وكذلك رواية الأمالي .

بَكَتْ عَيْنِي الْيُمْنَى فَلَمَّا زَجَرْتُهُمَا . . . عَنْ الْجَهْلِ بَعْدَ الْحِلْمِ اسْبَلْتَا مَعَا

وبعد الشاهد : (٢)

وَأَذْكُرُ أَيَّامَ الْحِمَى ^(٣) ثُمَّ أَنْشَرَنِي . . . عَلَى كَيْدِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَصَدَّعَا

(١) ذكر في الأغاني روايتين (بكت عيني اليمنى . بكت عيني اليسرى *
وذكر في أمالي اليزيدي : ١٤٩ ، ومعاني أبيات الحماسة : ١٦٣ ، وبهجة
المجالس : ١ / ٢ / ٨٢٦ ، وشرح الحماسة للتهريزي : ٣ / ١١٤ ،
" بكت عيني اليسرى " ، قال البكري قال ابن القزاز العين اليسرى أضعف
وأقل إمساكاً من اليمنى ، فلذلك صارت أسرع بالدمع ، وكذلك الميامن أقوى
من المياسر في كل شيء ، إلا في اللمس خاصة ، فإن اليد اليسرى فيه أقوى
حاشية ، والقول الصحيح الصادر في معناه أن الصفة قائل البيت كان
أعور العين اليمنى والدليل على عوره قوله :
تَوَاهَسَ أَصْحَابِي حَدِيثًا لَقَيْتُهُ . . . خَفِيًّا وَأَعْضَادُ التَّطِيَّ حَسَوَانِ
كَأَنَّ قَدْ دَى بِالْعَيْنِ قَدْ مَرَجَتْ بِهِ . . . وَمَا حَاجَةُ الْأُخْرَى إِلَى الْمَرْجَسَانِ
عَذْرَتِي يَا عَيْبِي الصَّحِيحَةَ بِالْبُكََا . . . فَمَا أَوْلَعَ الْعَوْرَاءَ بِالْهَمَلَانِ /
انظر هامش سبط اللاكبي : ١ / ٤٦٢ .

(٢) ذكر صاحب الطرائف الأدبية أن القصيدة ستون بيتاً ، وذكر فيها أبياتاً
لم تذكرها المراجع الأخرى ، وذكر قبل الشاهد :
وَسِرُّ بَدَتْ لِي فِيهِ بَيْضُ تَوَاهِدُ . . . إِذَا سُمْتُ هُنَّ الْوَصْلَ أَمْسَيْنَ قُطْعَا
وذكر بعد الشاهد :

فَإِنْ كُنْتُمْ تَرْجُونَ أَنْ يَذْهَبَ الْهَوَى . . . يَقِينًا وَتَرَوِي بِالشَّرَابِ فَتَنْقَعَا
وفي الأمالي لليزيدي ذكر قبل الشاهد :
لَمْ تُصَبِّ قَدْ عَزَهُ الْقَوْمُ أَمْرَهُ . . . يُسَرُّ حَيَاءً عِبْرَةً أَنْ تَطْلَعَا
وذكر البكري بيتين بعد الشاهد ، وأشاد بحسنهما ، وأنه لا ينبغي أن
يُحذفاً لجودتهما ، وانتظام الكلام بهما وهي :

أَلَا يَا خَلِيلِي اللَّذَانِ تَوَاصِيَا . . . بَلَوْنِي إِلَّا أَنْ أُطِيعَ وَأَسْمَعَا
قِفَا وَدَعَا نَجْدًا وَمَنْ حَلَّ بِالْحِمَى . . . وَقَلَّ لِنَجْدٍ عِنْدَنَا أَنْ يُودَعَا
(٣) الحمى : موضع فيه ماء وكلاً يُمنع منه الناس ، ويقال : أحميت المكان إذا
جعلته حمى . / اللسان " حما " : ١٤ / ١٩٩ .

ومناسبة القصيدة التي منها البيت أن الصمة هوى ابنة عم له يقال لها
 العامرية^(١) بنت غطيف بن حبيب بن قرة^(٢) بن هبيرة ، فخطبها من أبيها ، فرفض
 أن يزوجه إياها ، وزوجها من عامر بن بشر بن براء ، فلما بنى بها زوجها وجد
 الصمة بها وجداً شديداً ، فزوجه أهله امرأة منهم يقال لها جبرة بنت وحشي بن الطفيل ،
 فمكث معها مدة قصيرة ثم رحل إلى الشام^(٣) .

ولقد شرح المرزوقي بيت الشاهد بقوله :

” يقول : أخذت في مسيرى لما أبصرت حال نفسي في تأثير الصباة فيها
 ملتفتاً إلى ما خلفته من الحيّ وأرض نجد ، حتى وجدْتُني وجع الليت - وهو عرق
 فيها - لطول أصغائي ، ودوام التفاتي كل ذلك تحسراً في إثر الفات من
 أحبابي وديارها ، وتذكراً لطيب أوقاتي معهم فيها ، وقد قيل فيه :
 إنَّ من رموزهم أن من خرج من بلد ، فالتفت وراءه رجع إلى ذلك البلد ،
 وأنشد فيه أبيات منها قوله :

عَيْلَ صَبْرِي بِالشَّعْلَبِيَّةِ لَمَّا . طَالَ لَيْلِي وَقَلْبِي قُرْنَاءِي
 كُلَّمَا سَارَتْ الْمَطَايَا يَنَامِي . لَا تَتَفَسَّتْ وَالتَّفْتُ وَرَائِي
 قالوا التفت لكي يقضى له الرجوع ، لكونه عاشقاً^(٤) .

(١) وفي الأُمالي للبيزدي أن اسمها ” رَيا ” وهو الاسم المذكور في مطلع

القصيدة ، ولعل العامرية لقب لها .

(٢) يروى في معجم الشعراء : ” مرة ” .

(٣) انظر : الأغاني : ٦ / ٢ ، وذكرت القصة فسي

شرح الحساسة التبريزي برواية أخرى ربما تكون مكمله لهذه الرواية :

١١٣ / ٣ ، وكذلك في الأُمالي للبيزدي : ١٤٨ - ١٤٩ ، وكذلك

رواية أخرى في الأغاني : ٦ / ٧ .

(٤) شرح الحساسة للمرزوقي : ٣ / ١٢١٨ - ١٢١٩ .

ويبدو لي أن هذا الشرح لم يبرز لنا عاطفة الشاعر على حقيقتها ، ولم يكشف لنا عن ذلك الشوق الذي يعصف في جنبات نفسه ، وإنني لألح وراء هذا البيت معاني غزيرة وأسراراً لطيفة ، فالقصيدة من بدايتها يشيع فيها الحنين الصادق ، والتألم المحرق من كثرة الشوق ، وسيت الشاهد صور لنا لونا من ألوان هذا الحنين ، الذي يضطرم في نفس المحب ، وقد نجح الشاعر في تصوير هذا الإحساس تصويراً حركياً دقيقاً ، فهو عندما رأى جيل " البشر " قد اعترض طريقه ازداد إحساسه بألم الفراق ، وصاحت نوازع الشوق توقظ كوامن إحساسه وتفرغ ما تبقى في نفسه من الصبر ، حتى أن عينه العمراء قد خرجت عن نطاق العرف والعادة ، فأخذت تشارك أختها الصحيحة في البكاء ، وأخذ الحنين يستير أعضاء جسمه ، فأخذ أخذه يتلفت ويطيل التلفت من غير أن يشعر فلما طال تلفته استيقظ على ألم في ليته وأخذ عسه . . . فقله : " حتى وجدتني " يظهر أنه أثناء تلفته لم يكن يشعر بوخز ألم التلفت لشدة وجده ، وأن تلفته هذا جاء تبعاً لشعوره ، ورغماً عن إرادته ، فقد كان أسلوب الإرادة يتحكم فيه شوقه وحنينه .

ولقد كان الشاعر دقيقاً في انتقاء عباراته ، انظر كيف اختار لفظ " تلفت " بدلاً من " التفت " ؛ وذلك لأن التلفت يدل على كثرة واستمرار الحركة ، فهو أعمق دلالة على الشوق . جاء في اللسان :

" لَفَتَ وَجْهَهُ عَنِ الْقَوْمِ : صَرَفَهُ ، وَالتَفَتَ الرِّغَاتَا ، وَالتَفَتَ أَكْثَرَ مِنْهُ .

وَتَفَتَ إِلَى الشَّيْءِ ، وَالتَفَتَ إِلَيْهِ : صَرَفَ وَجْهَهُ إِلَيْهِ (١) .

ثم إنه قال : " حتى وجدتني وجعت من الإصفا (٢) " ولم يقل من التلفت وهي

(١) اللسان : " لفت " : ٢ / ٢٨٤ .

(٢) صَفَا إِلَيْهِ يَصْفِي وَيَصْفُو صَفَوًا وَصَفَوًا : صَفَاً : مال ، وكذلك صَفِي بالكسر يَصْفِي صَفًى وَصَفِيًا .

قال ابن السكيت : صَفَيْتُ إِلَى الشَّيْءِ أَصْفِي صُفْيًا إِذَا مَلَتْ .

وَأَصَفْتُ النَّاقَةَ تُصْفِي إِذَا أَمَالَتْ رَأْسَهَا إِلَى الرَّجْلِ كَأَنَّهَا تَسْتَمِعُ شَيْئًا

حين يشد عليها الرجل . / اللسان : " صفا " : ١٤ / ٤٦٠-٤٦١ .

اللفظة التي ابتدأ بها البيت ، ولعل السرفي ذلك أن الشاعر يريد أن يقول أنه كان لا ينظر النظرة العابرة ، يدير وجهه ثم يعود بسرعة إلى حالته الطبيعية ، وإنما كان يتلفت ثم يظل على هذا الوضع زمناً طويلاً يتسمع فيه بأذنه ، ويصفى بقلبه ، علّه يسمع خبراً من الحي ، أو يرد عليه ما يهدي من لوعته ، ويخفف من حنينه وشوقه ، وهذا الوضع هو الذي ينشأ عنه الوجد الشديد .

وكان الإصغاء عند ، يكون بالقلب ، فهو أشد من التلفت دلالة على التلهف والحنين ، فلفظ " الإصغاء " في هذا الموقف كان له وحي خاص ، فقد دلّ على التطور الشعوري عند الشاعر ، وأنه قد بلغ مداه .

وقد ورد معنى الإصغاء هذا في قول الشاعر :

مَنْ لِي بِإِنْسَانٍ إِذَا أَغْضَبْتُهُ . . وَجَهِلْتُ كَانَ الْحِلْمُ رَدًّا جَسَوَاهِ
وَإِذَا صَبَوْتُ إِلَى الْمَدَامِ شَرِبْتُ مِنْ . . أَخْلَاقِهِ وَرَوَيْتُ مِنْ آدَابِهِ
وَتَرَاهُ يُصْفِي لِلْحَدِيثِ بِسَمْعِهِ . . وَيَقْلِبُهُ وَلَعَلَّهُ أَدْرَى بِسَمْعِهِ (١)

وقد ورد لفظ الإصغاء في القرآن مع " القلب " قال تعالى : ﴿ وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ

أَفئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ﴾ (٢)

أَي وَلِتَمِيلَ إِلَيْهِ . (٣)

وقال تعالى : ﴿ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ (٤)

وإذا صح هذا كان معنى الصمة هذا مصدراً لمعنى الشريف الرضي الذي

أعجب به النقاد في قوله :

وَلَقَدْ مَرَرْتُ عَلَى دِيَارِهِمْ . . وَطُلُوتُهَا يَبْدُرُ الْبَيْلَى نَهْسَبُ

(١) لم أقف على قاعه .

(٢) الأنعام : ١١٣ .

(٣) اللسان : " لفت " : ٢ / ٢٨٤ .

(٤) التحريم : ٤ .

فَوَقَّعْتُ حَتَّى ضَجَّ مِنْ لَغَبٍ . نِضْوَى وَلَجَّ بِعَذْلِي الرُّكْبُ
وَتَلَفَّتْ عَيْنِي فَمَدَّ خَفِيَّتْ . عَنْهَا الطَّلُوفُ تَلَفَّتْ الْقَلْبُ (١)
فتلفت القلب هذا - وهو معني رائع حقاً - هو الإصغاء بالقلب في بيت الصمة .

(الطويل)

الشاهد الثاني : (*)

(٢)
بيت البحري :

وَإِنِّي وَإِنْ بَلَّغْتَنِي شَرَفَ الْغِنَى . وَأَعْتَقْتُ مِنْ رِقِّ الْمَطَامِعِ أَهْدَعِي (٦)

- (١) ديوانه : دار صادر - : ١ / ١٨١ .
(*) الدلائل ، رضا : ٣٨ ، خفاجي : ٩٦ ، شاکر : ٤٧ .
(٢) هو الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي ، أبو عباد (٢٠٦ هـ - ٢٨٤ هـ) ، شاعر كبير ، يقال لشعره " سلاسل الذهب " وهو أحد الثلاثة الذين كانوا أشعر أبناء عصرهم : المتنبي ، وأبو تمام والبحري ، ولد بمنبج ، ورحل إلى العراق ، فاتصل بجماعة من الخلفاء أولهم المتوكل ، ثم عاد إلى الشام وتوفي بمنبج ، له كتاب " الحماسة " و " عت الوليد " ، / انظر ترجمته :
أخبار البحري للصولي ، الأغاني : ٢١ / ٣٧ - ٥٣ ، تاريخ بغداد : ١٣ / ٤٧٦ - ٤٨١ ، معجم الأدباء : ١٩ / ٢٤٨ - ٢٥٨ ، عبر الذهبي : ١ / ٤٠٩ ، وفيات الأعيان : ٦ / ٢١ - ٣٦ ، الشذرات : ٢ / ١٨٦ ، الأعلام : ٨ / ١٢١ ، سير أعلام النبلاء : ١٣ / ٤٨٦ .
(٣) رواية الديوان : " شرف العلي " ، ورواية أخرى هي " أعتقت من رِقِّ المطامع " ،
الشاعر يتحدث عن العطاء والنوال الذي يكون بهما الإنسان غنياً .
(٤) رواية الموازنة وإعجاز القرآن للباقلاني : " من دل " .
(٥) الأخدع : عرق بالعنق ، وهنا أراد العنق كله ، فاستعمل الجزء فسي الكل .
(٦) انظر البيت في :-

ديوانه : ١ / ١٠٦ ، الموازنة : ٢٣٩ ، إعجاز القرآن للباقلاني :

٢٣٦ ، المثل السائر : ١ / ٣٨٤ .

وهو من قصيدة يمدح فيها الفتح بن خاقان^(١)، ومطلعها :

سَقَيْتِ الْغَوَادِي مِنْ طُلُولٍ وَأَرْبَعٍ . . وَحَيَّتِ مِنْ دَارِ لَأَسْمَاءَ بَلْقَعِ^(٢)

وقبل الشاهد :

لَكَ الْخَيْرُ إِنِّي لَا حَقَّ بِكَ فَاتَّئِدُ . . عَلَيَّ وَإِنِّي قَائِلٌ لَكَ فَاسْمَعِ
مَكَانِي مِنْ نَعْمَاكَ غَيْرَ مُؤَخَّرٍ . . وَحَظِّي مِنْ جَدِّكَ غَيْرَ مُضَيِّعِ^(٣)

وبعد الشاهد :

فَمَا أَنَا بِالْمَغْضُوفِ عَمَّا أَتَيْتَهُ . . إِلَى وَلَا الْمَوْضِعِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِي^(٥)

جاء بيت الشاهد ضمن قصيدة مدح تشيع في نفس صاحب السعادة والحبور

والولاء ، وقد ابتدأها بمطلع غزلي على عادة الشعراء في ذلك العهد يدعوفيه

لديار محبوبته وأطلالها بالسقيا .

(١) هو الفتح بن خاقان بن أحمد بن غرطوج ، أبو محمد (. . - ٢٤٧هـ) فارسي

الأصل من أبناء الملوك اتخذ المتوكل أخاً له واستوزره وجعل له إمارة

الشام على أن ينيب عنه ، وكان يفضل على جميع أهله وولده ، وهو

شاعر ، أديب ، فصيح ، فطن ذكي ، جمع خزانة كتب تعد من أعظم

الخزائن وألف عدة كتب منها :-

" اختلاف الملوك " ، " الصيد والجوارح " ، " الروضة والزهر " ،

قتل مع المتوكل . / انظر ترجمته :

الفهرست : ١ / ١٦٩ - ١٧٠ ، معجم الشعراء للمرزباني : ٣١٨ ،

فوات الوفيات : ٣ / ١٧٧ ، معجم الأدباء : ١٦ / ١٧٤ - ١٨٦ ،

الأعلام : ٥ / ١٣٣ .

(٢) الديوان : ١ / ١٠٣ .

(٣) الديوان : ١ / ١٠٥ - ١٠٦ .

(٤) المغضوض : وهو من غَضَّ الشيءَ يَغْضُهُ أي وضع ونقص من قدره ،

ولا أَغْضَكَ درهماً أي لا أنقصك . / اللسان : " غَضَّضَ " : ٧ / ١٩٨ .

(٥) الديوان : ١ / ١٠٦ .

ونرى الشاعر في قصيدته متفائلاً فرحاً واثقاً من مكانته لدى المدوح ، وأنه المقدم
عنده في العطاء المذكور دائماً في النوال ، ثم يؤكد للمدوح ولأهله التام بقوله :
فَرَانِي وَإِنْ أَبْلَغْتَنِي شَرَفَ الْغِنَى . . وَأَعْتَقْتَ مِنْ رِقِّ الْمَطَامِعِ أَخْذَعِيسِي .
حيث استعمل " إن " التي هي للتوكيد ، وجاء بصورة : " الطمع والرق والعق " .
فصور ما يفعله الطمع في الإنسان ، فهو يمتلك له وتفكيره ، ويجعله دائب العسل
للحصول على ما يريد . لا يكفيه القليل ولا يرضيه الكثير ، باذلاً في ذلك كرامته ، مريقاً
ماء وجهه ، فيكون بذلك عبداً مملوكاً للدرهم والدينار .

وقوله " اعتقت " اعتراف من الشاعر لمدوحه بالولاء الكامل ؛ لأنه رفعه عن تلك
النقائص ، وكفاه مشقة الطلب ، ببذله العطاء من غير منة ولا إذلال ، وهذا هو
الكرم الحقيقي .

ثم يذكر له أنه مهما بلغ من الغنى والدرجات العلى - وهما من حياء المدوح
وفضله - فلن يكون له غنى عن مدوحه ، ولن يتخطاه في الفضل والمكانة ، فمكانة كل
منهما معروفة واضحة .

ويبدو لي أن هناك ارتباطاً قوياً بين موضوع القصيدة ، وبين مطلعها الذي ابتدئ
بالدعاء بالسقيا ، وبين قوله : " وليني وإن أبلفتني . . " فكأنه يشير إلى أن فضله
عليه في إغداق العطاء مثل فضل تلك السحب على الطلول والأربع .
وفي البيت عيب عند علماء البديع يسمونه التضمين .^(١)

فقد فصل أداة وفعل الشرط عن الجواب فذكر الأداة والفعل في البيت الأول ،
ثم جاء بالجواب في البيت الثاني .

(١) التضمين في الشعر : هو أن يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعلقاً لا يصح
إلا به . / كتاب التعريفات : ٦٠ .

الشاهد الثالث : (*) (المنسرح)

بيت أبي تمام :^(١)

يَا دَهْرُ قَوْمٍ مِنْ أَخْدَعَيْكَ فَقَدْ . . . أَضْجَعْتَ هَذَا الْأَنَامَ مِنْ خُرْقِكَ^(٢) ^(٣)

والشاهد من قصيدة قالها في مدح أبي الحسين محمد بن الهيثم بن شيبانة^(٤)

ويهنئه بالعافية ، ومطلعها :

كَانَتْ صُرُوفُ الزَّمَانِ مِنْ فَرْقِكَ^(٥) . . . وَاكْتَنَيْتَ^(٦) أَهْلَ الْإِعْدَامِ فِي وَرْقِكَ

وبعد البيت شاهد :

مَا السَّبْقُ إِلَّا سَبْقُ يَحَازَ عَلَى^(٧) . . . جَوَادٍ قَمِيمٍ لَمْ يَجْرِ فِي طَلْقِكَ

وبعد بيت الشاهد :

سَائِلُ لِيَا لَيْكَ فَهَيَّ عَالِمَةً . . . أَيْ كَرِيمٍ أَرْسَفَنَ^(٨) فِي حَلْقِكَ^(٩)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٩ ، خفاجي : ٩٦ ، شاكر : ٤٧ .

(١) سبقت ترجمته : ص : ٥٥ .

(٢) الخُرْقُ : بالضم الجهل والحق ، وعدم إحسان العمل . / اللسان " خرق " : ١٠ / ٧٥ .

(٣) انظر البيت في : ديوانه بشرح الخطيب التبريزي : ٢ / ٤٠٥ ، ديوانه

- دار صادر - : ١٨٦ ، الوساطة : ٤٠ ، ٤١ ، ٤٣٢ ، الموازنة : ٢٢٨ - ٢٤٠ ،

الصناعتين : ٧٥ ، سر الفصاحة : ١١٦ ، المثل السائر : ١ / ٣٨٤ .

(٤) ستأتى ترجمته : ١٠٢٣ .

(٥) رواية الديوان - دار صادر - :

" قَدْ مَاتَ مَحَلُ الزَّمَانِ مِنْ فَرْقِكَ " .

(٦) اكتن : استتر / اللسان " كتن " : ١٣ / ٣٦٠ .

(٧) ذكر التبريزي أن هناك رواية أجود وهي :

" السَّتْرُ إِلَّا سَتْرُ يَحَازَ عَلَى " وذكر أنه يروى أيضا " يَمْدُ عَلَى " وأن المعنى :

أن جياد القوم وعناقمهم إذا طلبوا شأوا هذا المدح وجروا في ميدانه

افتضحوا .

(٨) أرسفن : قيدن . / اللسان " رسف " ٩ / ١١٨ .

(٩) وجاء في الديوان طبعة - دار صادر - بعد الشاهد :

لَا بَحْرُهُ فِي النَّدَى إِلَى رَنْقِكَ . . . وَلَا ضُحَى شَمْسِهِ إِلَى شَفَقِكَ

والمقصود " بالرَّنْق " : الكدر .

إِقْبِضْ يَدَا عَنْ أَبِي الْحُسَيْنِ تَجِدْ . جَدِيدُهُ عَائِدًا عَلَى خَلْقِكَ
 "يلمح أن أبا تمام في هذا البيت ذن ونفسية غاضبة ، فقد ضج من الدهر وأيامه
 التي مالقي فيها ، إلا العناء والتعب ؛ لذا ابتداء البيت بياء النداء للزجر واللوم ،
 ونكر لفظ الدهر تحقيراً له ، ثم غلظ في مخاطبته حيث خاطبه مخاطبة الأمر المتضرجر
 بأن يستقيم ، ويصلح حاله مع الناس ، فاستعمل لفظ " قَوْمٌ " وفي هذا كله جعله وكأنه
 شخص يسمع ويعي ، فاستعار له لفظ الأختد عَيْن ، ثم بين له أن ضجر الناس منه ،
 ومن جهله أمر محقق ، فاستعمل " الفاء " مع حرف التحقيق " فقد " .

وهذه الأبيات الثلاثة استشهد بها الإمام عبد القاهر ، لإثبات أن الكلمات المفردة
 لا تتفاضل من حيث هي كلم مفردة ، والألفاظ مجردة ، وإنما تكون لها الفضيلة وخلافها
 بحسب وضعها في الجملة ، وملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها . قال :

" . . . إن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ، ولا من حيث هي
 كلم مفردة ، وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها ، في ملاءمة معنى اللفظة
 لمعنى التي تليها ، وما أشبه ذلك ، مما لا تعلق له بصريح اللفظ .

ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروك وتؤنسك في موضع ، ثم تراها بعينها
 تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر كلفظ " الأخدع " في بيت الحماسة :
 تَلَفَّتْ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَسَدْتُني . . . وَجَعْتُ مِنَ الْإِصْغَاءِ لَيْتًا وَأَخْدَعَا
 وبيت البحتري :

وَأُنِي وَإِنْ بَلَّغْتَنِي شَرَفَ الْفَسْنِي . . . وَأَعْتَقْتُ مِنْ رِقِّ الْمَطَامِعِ أَخْدَعِي
 فإن لها في هذين المكانين ما لا يخفى من الحسن ، ثم إنك تتأملها في بيت
 أبي تمام :

يَا دَهْرُ قَوْمٍ مِنْ أَخْدَعِيكَ فَقَسِدْ . . . أَصْجَبْتَ هَذَا الْأَنَامَ مِنْ خُرْقِكَ
 فتجد لها من الثقل على النفس ، ومن التنغيص والتكدير أضعاف ما وجدته
 هناك من الروح والخفة . (١) والإيناس والبهجة . (٢)

(١) وفي الدلائل ، تحقيق شاكر : " ومن الإيناس والبهجة " .

(٢) الدلائل ، رضا : ٤٦ ، خفاجي : ٩٦ ، شاكر : ٤٧ .

ومن نص الإمام عبد القاهر يتضح أنه استحسّن لفظ الأَخْدَع في بيت الصّـمّة
القشيري ، وفي بيت البحتري ، واستهجنه في بيت أبي تمام ، ولكنه لم يبين
سبب الاستحسان والاستهجان ، وإنما اكتفى بقوله في الاستحسان :

" فإن لها في هذين المكانين ما لا يخفى من الحسن " .

وقال في استهجان لفظ أبي تمام " أَخْدَعَيْكَ " :

" فتجد لها من الثقل على النفس ، ومن التنغيص والتكدير أضعاف ما وجدت

هناك من الروح والخفة ، والإيناس والمهجة " .

فقد اعتمد على ما يظهر على الذوق الشخصي ، والشعور النفسي بدليل قوله :

" فتجد لها من الثقل على النفس " .

هذا هو رأى الشيخ في الأبيات الثلاثة ، فماذا عن رأى علماء البلاغة فيها ؟

ذهب القاضي الجرجاني إلى القول بقبح الاستعارة في بيت أبي تمام ، قال :

" فإذا سمعت بقول أبي تمام :

يَا دَهْرُ قَوْمٍ مِّنْ أَخْدَعَيْكَ فَقَدْ . . . أَضَجَّجْتَ هَذَا الْأَنَامَ مِنْ خُرْقِكَ

فاسدد سامعك ، واستغش ثيابك ، وإياك والإصغاء إليه ، واحذر الالتفات

نحوه ، فإنه ما يصدي القلب ويعميّه ، ويطمس البصيرة ، ويكد القريحة ^(١) .

ثم ذكر أنه ربما حدا بأبي تمام إلى استعارة الأخدع أنه جارئ القدماء في

ذلك ، وهذا خطأ منه ، لأن مجازاة القدماء لا تصح إلا فيما قرب وعُرف وظهر ووضح .

قال :

" وإذا قال أبو تمام :

" يَا دَهْرُ قَوْمٍ مِّنْ أَخْدَعَيْكَ " .

فإنما يريد : اعدل ولا تجر ، وانصف ولا تحف ، لكنه لما رآهم قد استجازوا أن

ينسبوا إليه الجور والميل ، وأن يقذفوه بالعسف والظلم ، والخرق والعنف ، وقالوا :

قد أعرض عَنَّا ، وأقبل على فلان ، وقد جَفَانَا وواصل غيرنا ، وكان الميل والإعراض
 إِنَّمَا وقع بانحراف الأُخْدَع وَزَوَارِ الْمُنْكَبِ ، استحسن أن يجعل له أُخْدَعَا ،
 وأن يَأْمُر بتقويمه ، وهذه أمور متى حُطِلَتْ على التحقيق ، وطلب فيها محض
 التقويم أخرجت عن طريقة الشعر ، ومتى اتبع فيها الرخص ، وأُجْرِيت على
 المسامحة ، أدت إلى فساد اللغة ، واختلاط الكلام ، وإنما القصد فيها
 التوسط والاجتزاء بما قَرُبَ وعُرف ، والاقتصار على ما ظهر ووضح (١) .

والى تقبيح الاستعارة في بيت أبي تمام ذهب الآمدي ، فذكرها في مرزول ألفاظ
 أبي تمام وقبيح استعاراته ، وعلل سبب القبح أن أبا تمام استخدم لفظ "الأخدع"
 على سبيل الاستعارة ، ولم يأت به على الحقيقة كما فعل البحتري ، وليست هناك
 ضرورة تدعوه إلى استخدام هذه اللفظة ، فكان بإمكانه أن يقول "قوم من أعوجاجك"
 قال الآمدي :

" فقد تراه كيف يخطط الحسن بالقبيح ، والجيد بالردي ، وإنما قبح الأخداع
 لما جاء به مستعاراً للدهر ، ولو جاء في غير هذا الموضع أو أتى به حقيقة ،
 ووضعه في موضعه ما قبح ، نحو قول البحتري :

" وَأَعْتَقْتُ مِنْ ذُلِّ الْمَطَامِعِ أَخْدَعِي "

ثم قال :

" . . . أي ضرورة دعت إلى الأخْدَعَيْنِ ؟ وكان يمكنه أن يقول : " من أعوجاجك "
 أو " قوم ما تَعَوَّج من صنعك " أي : ياد هر أحسن بنا الصنيع ؛ لأن الأخرق
 هو الذي لا يُحْسِنُ العمل ، وضده الصَّنْعُ (٢) .

وذهب إلى ما ذهب إليه القاضي الجرجاني من أن أبا تمام رأى في بعض أشعار
 القدماء شيئاً من بعيد الاستعارة ، فاحتذاها ، واشتط في ذلك ، قال :

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه : ٤٣٢ .

(٢) الموازنة - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - : ٢٣٩ - ٣٤٠ .

" وإنما رأى أبو تمام أشياء يسيرة من بعيد الاستعارات متفرقة فسي

أشعار القدماء... لا تنتهي في البعد إلى هذه المنزلة، فاحتداهما،

وأحب الإبداع، وأغرق في إيراد أمثالها، واحتطب، واستكثر منها^(١).

وكذلك كره وعاب أبو هلال العسكري لفظة "الأخدع" في بيت أبي تمام، فذكر

في باب "تمييز الكلام جيد من رديئه ونادره من بارد" أن أحسن الشعر

ما تلام نسجه وحسن لفظه، ولم يستعمل فيه الغليظ من اللفظ، ودلل على قوله

هذا بكلمة "الأخدع" لأبي تمام، قال :

" والشعر كلام منسوج، ولفظ منظوم، وأحسنه ما تلام نسجه ولم يسف،

وحسن لفظه ولم يهجن، ولم يستعمل فيه الغليظ من الكلام، فيكون جلفاً

بغياً، ولا السوقي من الألفاظ، فيكون مهلهلاً دوناً... فالبغيف كقول

أبي تمام :

جعل^(٢) القنا الدرجات للكذجات^(٣) ذاً . : ت الغيل والخرجات والأدحال^(٦) (٧)

من^(٨) كان حزن الخطب في أحزانه . : فدعاه داعي الحين للإسهال^(٩)

(١) الموازنة - محمد محيي الدين عبد الحميد - : ٢٤٠ .

(٢) رواية الديوان - دار صادر - : " جعلوا " وكذلك رواية الديوان بشرح الخطيب التبريزي .

(٣) الكذجات : جمع الكذج وهو المأوى / اللسان " كذج " : ٣٥١ / ٢ ،

(٤) الغيل : كل موضع فيه ماء من واد ونحوه / اللسان " غيل " : ٥١٢ / ١١ ،

(٥) الحرجات : مجتمع الشجر / اللسان : " حرج " : ٢٣٤ / ٢ - ٢٣٥ ،

(٦) الأدحال : جمع دحل وهو نقب ضيق الفم وأسفله واسع يجتمع فيه الماء /

اللسان " دحل " : ١١ / ٢٣٧ .

(٧) ديوانه بشرح الخطيب التبريزي : ٣ / ١٣٨ . ديوانه - دار صادر - : ٢٣٢ .

(٨) رواية الديوان : - دار صادر - : " قد كان " . وكذلك رواية الديوان

بشرح الخطيب التبريزي .

(٩) ديوانه : - دار صادر - : ٢٣١ ، ديوانه بشرح الخطيب التبريزي :

وقوله :

يَا دَهْرُ قَوْمٍ مِّنْ أَخْدَعَيْكَ فَقَدْ .: أَضْجَجْتَ هَذَا الْأَنَامَ مِنْ خُرْقِكَ
ولا خير في المعاني إذا استكرهت قهراً ، والألفاظ إذا اجتثت قسراً ،
ولا خير فيما أجيد لفظه إذا سَخَفَ معناه ، ولا في غرابة المعنى إلا إذا شَرُفَ
لفظه مع وضوح المغزى ، وظهور المقصد ، وقد غلب الجهل على قوم فصاروا
يستجيدون الكلام إذا لم يقفوا على معناه إلا بكدي ، ويستفصحوه إذا وجدوا
الفاظه كزّة غليظة ، وجاسية غريبة ، ويستخفون الكلام إذا رأوه سلساً عذياً ،
وسهلاً حلواً ، ولم يعلموا أن السهل أضع جانباً ، وأعز مطلباً ، وهو أحسن
موقعاً ، وأعذب مستمعاً ، ولهذا قيل أجود الكلام السهل المستمع .(١)

فيظهر أن أبا هلال العسكري قد عاب بيت أبي تمام ليس من أجل استعارة
لفظ الأخدع للدهر فقط بل لأنه رأى أن هذه اللفظة كزّة غليظة في ذاتها .
وتبعه الباقلاني من حيث استهجان لفظة "الأخدع" من حيث هي لفظة ، فعابها
في بيت البحتري ، مخالفاً بذلك الأمدى ، والإمام عبد القاهر اللذين استحسنا لفظة
"الأخدع" في بيت البحتري وامتدحا موضعها .

ونذكر أن الذي حدا بالبحتري إلى استخدامها ولوعه باتباع أبي تمام . قال :

... كما عيب على أبي تمام قوله :

فَضَرْتُ الشَّتَاءَ فِي أَخْدَعِي .: ضَرْبَةً غَادَرَتْهُ عَوْدًا رُكُوبًا

وقالوا : يستحق بهذه الاستعارة أن يصفع في أخدعيه ، وقد اتبعه البحتري
في استعارة الأخدع ، ولوعاً باتباعه ، فقال في الفتح بن خاقان :

وَلَوْ نِيَّ وَلَوْ أَبْلَغْتَنِي شَرَفَ الْعَلَا .: وَأَعْتَقْتَنِي ذُلَّ الْمَطَامِعِ أَخْدَعِي

إن شيطانه حيث زين له هذه الكلمة ، وتابعه حين حسن عنده هذه اللفظة
- لخبث مارد ، ووردي معاند ، أراد أن يطلق أعنة الذم فيه ، ويسرّح جيوش
العتب إليه ... (٢)

(١) الصناعتين : ٧٤ - ٧٥ .

(٢) إعجاز القرآن : ٢٣٦ .

وكذلك ذهب ابن سنان الخفاجي إلى القول بقبح الاستعارة في بيت أبي تمام لما فيها من بُعد وإغراب ؛ لأنه لا بد لكل استعارة من حقيقة يرجع إليها ويكون بينهما شبه ظاهر وتعلق وكيد (١) .

قال :

يَا دَهْرُ قَوْمٍ مِّنْ أَخْدَعَيْكَ فَقَدْ . . . أَضْجَعْتَ هَذَا الْأَنَامَ مِنْ خُرْقِكَ

وقوله :

فَضَرَبْتَ الشَّتَاءَ فِي أَخْدَعَيْهِ . . . ضَرْبَةً غَادَرَتْهُ عَوْلُ (٢) رُكُوبِ (٣) (٤)

وقوله :

سَأَشْكُرُ فَرْجَةَ اللَّيْلِ (٥) الرَّحِيَّ . . . وَلَيْمَنَ أَخَادِعِ الدَّهْرِ (٦) الْأَبْيَّ (٧)

فإن أخادع الدهر والشتاء من أقبح الاستعارات ، وأبعدها مما استعيرت له ، وليس بقبح ذلك خفاء ، ولا يعرف أبو تمام الوجه الذي لأجله جعل للشتاء والدهر أخادع إلا سوء التوفيق في بعض المواضع (٨) . ولقد استحسّن ابن الأثير بيت الصمة القشيري (٩) واستهجن بيت أبي تمام ،

(١) سر الفصاحة : ١٢٤ .

(٢) العود : المسن من الإبل / اللسان "عود" : ٣ / ٣٢١ .

(٣) الركوب من الإبل السهل المتقاد / اللسان "ركب" : ١ / ٤٣٢ .

(٤) ديوانه : - دار صادر - : ٣٠ ، شرح ديوان أبي تمام - تحقيق محمد

محيي الدين عبد الحميد - : ٦٧ .

(٥) رواية الديوان - دار صادر - : "الليت" ، والفرجة ما انفرج بين الشيتين

واتسع / اللسان "فرج" : ٢ / ٣٤١ ، ٣٤٢ .

(٦) رواية الديوان - دار صادر - : "الزمن" .

(٧) ديوانه - دار صادر - : ٣٠٦ .

(٨) سر الفصاحة : ١١٦ .

(٩) وهو الشاهد الأول :

تَلَفَّتْ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدْتَنِي . . . البيت .

ونذكر أن العلة في مجيء كلمة "الأخدع" مستحسنة في بيت الصمة ، مستهجنة في بيت أبي تمام ، إنما ترجع لتركيب اللفظة فقد جاءت موحدة في بيت الصمة ، مشناة في بيت أبي تمام .

قال عند حديثه عن أنواع تأليف الألفاظ - " النوع السادس " - وفي اختلاف صيغ الألفاظ واتفاقها :

" وها هنا فلينعلم الخاضعون في هذا الفن نظرهم ، ويعلموا أن في الزوايا خبايا ، وإذا أنعموا الفكر في أسرار الألفاظ عند الاستعمال ، وأغرقوا في الاعتبار والكشف ، وجدوا غرائب وعجائب .

ومن هذا النوع لفظة "الأخدع" فإنها وردت في بيتين من الشعر وهسي في أحدهما حسنة رائقة ، وفي الآخر ثقيلة مستكرهة ، كقول الصمة بن عبد الله من شعراء الحماسة :

تَلَفَّتْ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدْتُ نِي . . وَجِئْتُ مِنَ الْإِصْفَاءِ لَيْتًا وَأَخْذَعًا

وكقول أبي تمام :

يَا دَهْرُ قَوْمٍ مِّنْ أَخْذَعَيْكَ فَقَدْ . . أَضْجَعْتَ هَذَا الْأَنَامَ مِنْ خُرْقِكَ

ألا ترى أنه وجد لهذه اللفظة في بيت أبي تمام من الثقل على السمع ، والكراهة في النفس أضعاف ما وجد لها في بيت الصمة بن عبد الله من الروح والخفة ، والإيناس والبهجة ؟ وليس سبب ذلك إلا أنها جاءت موحدة في أحد هما مشناة في الآخر ، وكانت حسنة في حالة الأفراد مستكرهة في حالة التثنية ، وإلا فاللفظة واحدة ، وإنما اختلاف صيغتها فعل بها ما ترى (١) .

ويلاحظ أن ابن الأثير متأثر بالشيخ عبد القاهر ناقلاً عنه تعليقه على البيتين مستعملاً أكثر ألفاظه ، ومازاده عليه هو تعليقه الثقل والخفة الذي أرجعه إلى صياغة اللفظة .

ويظهر مما سبق أن سبب استحسان بيت الصمة وبيت البحري ، واستهجان بيت أبي تمام يرجع كما أشار عبد القاهر إلى الذوق الشخصي ، والشعور النفسي .

ويرجع أيضا - كما أشار ابن الأثير - إلى صياغة اللفظ فحيث جاء مفرداً كان مستحسنًا ، وحيث جاء مثنى كان مستهجنًا .

ويبدو لي أنه يرجع أيضاً إلى غرض القصيدة ، وماله من تأثير في اختيار الألفاظ . فحين كان الغرض " الغزل " ، وشاع في جو القصيدة وألفاظها التحسر والألم والحنين رقت الألفاظ ، فكانت موسيقى البيت كلها في رتبة واحدة ، ومن ثم استعذبت لفظة " الأخذع " .

وعندما كان الغرض المدح كما في بيت البحري خفت الألفاظ أيضا ورقست فاستحسن لفظ " الأخذع " .

ولما كان الغرض الزجر والذم ثقلت ألفاظ البيت وموسيقاه على النفس ، فكأنك تسمع لها جلبة ورنيناً شاع في ألفاظ البيت كله حيث استعمل أبو تمام ألفاظاً غليظة مثل :

" اخذعك - أضججت - خرقك "

وهناك وجه آخر للحسن والقبح يظهر في أثر الحقيقة في البيتين الأول والثاني وأثر الاستعارة في بيت أبي تمام فلا شك أن لكل من الحقيقة والاستعارة أثره في نفس السامع ولكن بشرط أن تكون حسنة لطيفة ، وأن يكون هناك ارتباط وثيق وواضح بين المستعار منه والمستعار له ، فإذا تم لها ذلك كانت أوكد للنفس وأطرب ، وإن كان وجه الشبه بعيداً بحيث يكد العقل في إدراكه ، كانت الحقيقة آنسى للنفس ، وأقرب للعقل ، وأوكد فبيت أبي تمام أفقد القاري لذة الاستعارة ، لأنه أغرب فيها فليس هناك وجه شبه ظاهر بين الدهر والأخذع .

ومن هنا كان استعمال اللفظة على حقيقتها في بيت الصمة والبحري ألطف وأعذب . ثم إن في بيت أبي تمام قضية عقائدية ينبغي الإشارة إليها ، وهي أنه لا يجوز لوم الدهر ، ولا زجره ولا سبه ، لأن الله هو الدهر .

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

" لَا يَسُبُّ أَحَدُكُمْ الدَّهْرَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ ، وَلَا يَقُولُ أَحَدُكُمْ لِلْعَيْنِ

الكَرَمَ، فَإِنَّ الْكَرَمَ هُوَ الرَّجُلُ السَّالِمُ^(١).

.....

الشاهد الرابع : (*) (الطويل)

قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي^(٢) :

^(٣) وَبَيْنَ مَالِي وَعَيْنِيهِ مِنْ شَيْءٍ غَيْرِهِ . . . إِذَا رَاحَ تَحَوَّ الْجَمْرَةَ الْبَيْضُ كَالدَّمِ^(٥)

(١) انظر الحديث في :

مسند الإمام أحمد بن حنبل : ٢ / ٢٣٨ ، ٢٧٢ ، صحيح مسلم "كتساب الألفاظ" باب النهي عن سب الدهر " : ٤ / ١٧٦٣ .

(*) الدلائل : رضا ، ٣٩ ، خفاجي : ٩٦ ، شاكر : ٤٧ .
(٢) هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة ، واسم أبي ربيعة حذيفة بن المغيرة بن

عبد الله بن عمر بن مخزوم (٢٣ هـ - ٩٣ هـ) ويكنى عمر بن أبي ربيعة ، "أبا الخطاب" ، أرق شعراء عصره من طبقة جرير والفرزدق ، ولم يكن في قريش أشعر منه ، كان كثير التشبيب بالنساء ، وقد بلغ ذلك عمر بن عبد العزيز فنفاه ، ثم غزا في البحر ، فاحترقت السفينة به وبمن معه فمات فيها غرقاً / انظر ترجمته :

الشعر والشعراء : ٢ / ٥٥٧ - ٥٦٢ ، الأغاني : ١ / ٦١ - ٦٤٨ ، ١١ / ١٦٩ - ١٧٥ ، الموشح : ١٨٢ - ١٨٧ ، زهر الآداب : ١ / ١٠٢ - ١٢١ ، وفيات الأعيان : ٣ / ٤٣٦ - ٤٣٩ ، شرح شواهد المغني : ١ / ٣٩ - ٤٢ ، شذرات الذهب : ١ / ١٠١ ، خزانة البغدادي - دار صادر - : ١ / ٢٤٠ ، الأعلام : ٥٢ / ٥ .

(٣) وفي رواية الكامل والموشح للمريزاني ، والجل للزجاجي :

" وكم مالى وعينيه من شيء غيره "

(٤) وذكر محقق الأغاني أنه ورد في إحدى المخطوطات " من شيء عجرة " يريد : من فيض عجرة : ١ / ١٤٥ ، ويبدو لي أنه تصحيف .

(٥) ذكر الدكتور عبد السلام هارون في معجم شواهد العربية : ص ٣٣٠ أن البيت غير موجود في ديوان عمر بن أبي ربيعة - طبعة دار صادر - ، وقد وجدت القصيدة فيه . / انظر البيت في :

ديوانه - دار صادر - : ١٨ ، الكتاب : ١ / ١٦٥ ، شرح أبيات سيويه للنحاس : ١٠٠ ، رقم الشاهد (٢٠٩) ، الكامل - دار الفكر - : ٢ / ١٦٧ ، الجمل للزجاجي : ٨٧ ، الأغاني : ١ / ١٤٥ ، الموشح : ١٨٤ .

ومطلع القصيدة التي منها البيت :

وَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ لَا يَبَاءُ^(١) بِهِ دَمٌ . . . وَمِنْ غَلِيٍّ^(٢) رَهْنًا إِذَا ضَعَّ^(٣) مِثْنِي^(٤)

وبعده بيت الشاهد وبعده :

يَسْحَبْنَ أَذْيَالَ المَرْوُطِ^(٥) بِالسُّوقِ^(٦) . . . خِدَالِ^(٧) وَأَعْجَازِ مَا كُنْهَتَا^(٨) رَوَى^(٩)
أَوَانِسُ يَسْلُبْنَ الخَلِيمَ فَوَادُهُ . . . فَيَا طُولَ مَاشِقٍ وَيَا حُسْنَ مُجْتَطَى^(١٠)
مَعَ اللَّيْلِ قَصْرًا^(١١) رَمِيهَا بِأَكْفَمَهَا . . . ثَلَاثَ أَسَابِيحٍ تُعَدُّ مِنَ الحَصَا^(١٢)
فَلَمْ أَرَ كَالْتَّجْمِيرِ مَنْظَرَ نَاطِرٍ . . . وَلَا كَلَيَْالِي الْحَجِّ أَقْطَنَ^(١٣) ذَا هَوَى

- (١) رواية الأغاني : " فكم من قتيل ما يباء به دم " .
- (٢) باء فلان بفلان بواء ، وأبأه ، وبأواه : إذا قُتل به ، وصار دمه بدمه ، وبأه : قتله به . والمراد هنا : فكم من قتيل ذهب دمه ، ولم يؤخذ له بثأر / اللسان : " باء " : ١ / ٣٨ .
- (٣) غلق الرهن في يد المرتهن يغلِق غلقا : لم يقدر الراهن على افتكاكه في الوقت المشروط ، والمعنى هنا : وكم من قلوب أسيرة مرهونة لم يقدر أصحابها على افتكاكها . / اللسان " غلق " : ١٠ / ٢٩٢ - ٢٩٣ .
- (٤) رواية الأغاني : " إذا لفه " .
- (٥) المَرْوُط : جمع مرط وهو كساء من خز أو صوف أو كتان ، وقيل هو الثوب الأخضر / اللسان " مرط " : ٧ / ٤٠١ .
- (٦) الأسوق : جمع ساق . / اللسان " سوق " : ١٠ / ١٦٨ .
- (٧) الخَدَل : العظيم الممتلي ، والخدلة من النساء الغليظة الساق ، وخدلاء منثلة الساقين والذراعين / اللسان " خدل " : ١١ / ٢٠١ .
- (٨) المأكم جمع مأكمة ، والمأكتان هما لحمتان وصلتا مابين العجز ، والمتين ، وقيل هما اللحمتان على رؤوس الوركين . / اللسان " أم " ، ١٢ / ٢٠ - ٢١ .
- (٩) روى : أي فيها ري كثير . / اللسان : " روى " : ١٤ / ٣٤٦ .
- (١٠) قصرا : حبسا / اللسان (قصر) : ٥ / ٩٩ .
- (١١) رواية الموشح : " أقطن " .

عُرف الشاعر عمر بن أبي ربيعة بتعرضه للنساء في الحج ، فكان يقدم فيعتمر في
ذي القعدة ، ويحل ويلبس الخلل والوشي ، ويركب النجائب المخضوة بالحناء ،
عليها القطوع والديباج ويسبل لمتته ، ويلقى العراقيات فيما بينه وبين ذات عرق
محرمات ، ويتلقى المدنيات إلى هناء ويتلقى الشاميات إلى الكديد (١) .

وهذه الأبيات التي منها بيت الشاهد قالها - فيما يبدو - في عائشة بنت طلحة (٢)
حين رآها وهي ترمي الجمار حاسرة الوجه ، وقد كانت تحرص كل الحرص على أن لا يراها

(١) الأغاني : ١ / ٢٢١ .

(٢) ذكر الدكتور جبرائيل جبور في كتابه " عمر بن أبي ربيعة " رواية فهم منها

أن الأبيات قيلت في " فاطمة بنت مروان بن عبد الملك " ، فذكر أنه لما حجج

سليمان بن عبد الملك أرسل وراء عمر وقال له : ألسن القائل :

وَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ لَا يَبْصُرُ دَمَهُ . . . وَمِنْ غُلَقٍ رَهْنًا إِذَا ضَمَّهُ مِنْى

والله لا تحج مع الناس هذا العام ، وأخرجه إلى الطائف حتى قضى الناس

حجتهم . / الموشح : ١٨٤ .

ثم ذكر في الهامش أن هناك رواية أخرى في الأغاني تذهب إلى أن عمر بن

عبد العزيز هو الذي أنبّه على قوله هذا ، وأن الشعر في امرأة هي فاطمة

بنت مروان .

ولقد بحثت طويلاً في الأغاني عن هذه الرواية الأخيرة ، فلم أعر عليها ،

ولعله يقصد بالرواية الأخيرة ما جاء في الأغاني أنه " لما قدمت فاطمة

بنت عبد الملك بن مروان مكة جعل عمر بن أبي ربيعة يدور حولها ، ويقول

فيها الشعر ، ولا يذكرها باسمها فرقاً من عبد الملك بن مروان ، ومن الحجاج ،

لأنه كان كتب إليه يتوعده إن ذكرها أو عرّض باسمها .

ويبدو لي أن الأبيات قد قيلت في عائشة بنت طلحة ، لأن هناك رواية

في الأغاني توافق وتسائر معاني الأبيات ، فما جاء فيها :

" ولم يزل عمر ينسب بعائشة أيام الحج ، ويطوف حولها ويتعرض لها ، وهي

تكره أن يرى وجهها حتى وافقها وهي ترمي الجمار سافرة ، فنظر إليها

فقال :

أما والله لقد كنت لهذا منك كارهة يا فاسق " / انظر الأغاني : ١ / ١٩٥ ، ٢٠٠ .

عمر بن أبي ربيعة فيشيب بها ، فلما صدف وآها ، وفاز بمبتغاه انتشت نفسه سروراً
 وغبطة ، فأخذ يصور ذلك الموقف وروعته ، وأثره في نفسه ، فهو كثيراً ما يتمتع برؤية
 الأوانس البيض اللواتي هن مثل الدمي في بياضهن وجمالهن إذا وقف عند الجمار ،
 هذا على رواية " من مالى " أما على رواية " كم مالى " فإن الشاعر شعر بحُرمته
 هذا الموقف ، فأراد أن يعتذر لنفسه ، بأنه ليس وحده الذي يتخذ من موسم
 الحج مرتعاً للهوى وتغزله وتعرضه للحرائر ، فالكثرة الكاثرة من الحجيج يلدثون عيونهم
 من نساء غيرهم ، وهذه مسألة معروفة في علم النفس ، فكل من كان على خلق يحسب
 أو يحاول أن يثبت أن كل الناس على هذا الخلق .

ولم يشر الشيخ عبد القاهر إلى سرائر تحسان لفظة " شيء " في بيت عمر بن أبي
 ربيعة ، ويدولي أنها جاءت هنا حسنة مقبولة ؛ لأنه كنى ورمز بها إلى " المرأة " .
 وأضافها إلى لفظ " غيره " ؛ ليدل على أن المتحدث عنه من " الحُرَمَات " ، وأن المتحدث
 عنه صراحة فيه تعدٍ على هذه الحُرمة .

أو أنها حَسُنَتْ هنا ؛ لأن المقام الذي جاء فيه الحديث عن المرأة مقام عبادة
 - وهو الحج - وهو مقام لا يجوز فيه التشبيب بالنساء والتغزل بهن ، فكان لابد من
 التحفظ في الألفاظ تأدياً مع الموقف . وهذا له تأثيره في نفس السامع .
 وربما حَسُنَ هذا اللفظ ؛ لأن الشعر شعر غزل فأراد الشاعر أن يلف المتغزل به
 في ثوب من الغموض ليحرك في النفوس الشوق إليه .

==== وانظر كذلك : عمر بن أبي ربيعة جبرائيل جبور : ٣ / ١٤١ .
 وذكر المبرد في الكامل أن الأبيات قيلت في أم عمر بنت مروان بن الحكم قال :
 " وقال عمر بن أبي ربيعة ونظر إلى أم عمر بنت مروان بن الحكم وكانت صارت
 إليه متكرة فرأته وقضت من محادثته وطراً ثم انصرفت فلما رجعت من منى
 عرفها ، فعلمت ذلك ، فبعثت إليه لا ترفع بي صوتاً ، وأهدت له ألف دينار
 فاشترى بها عطراً وزراً وأهداه لها فأبت أن تقبله فقال : إذا والله أنه به
 فيكون أن يبع له فقبلته وفي ذلك يقول :

وَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ لَا يَسَاءُ بِهِ دَمٌ . . . وَمِنْ غَلَقِي رَهْنًا إِذَا ضَمَّهُ مَنِي

(الطويل)

الشاهد الخامس : (*)

قول أبي حية :^(١)إِذَا مَا تَقَاضَى الْمَرْءُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ . . . تَقَاضَاهُ شَيْءٌ لَا يَمَلُّ التَّقَاضِيَا^(٢)

ومطلع القصيدة :

أَلَا حَيٍّ مِنْ أَجْلِ الْحَبِيبِ الْمُقَارِنِيَا^(٤) . . . لَيْسَنْ الْبَلَى مِثْلًا لَيْسَنْ اللَّيَالِيَا^(٥)

وَكَمْ مَالِي عَيْنِيهِ مِنْ شَيْءٍ غَيْرِهِ . . . إِذَا رَاحَ نَحْوَ الْجَمْرَةِ الْبَيْضِ كَالدَّمَسِ ===

* الكامل - دار الفكر - : ١٦٦ / ٢ - ١٦٧ .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٩ ، خفاجي : ٩٧ ، شاكر : ٤٨ .
(١) هو أبو حية النعمري ، واسمه الهيثم بن الربيع بن زرارة بن كبير بن

جناب بن مالك بن عامر بن نعيم ، ويقال : هو أحد بني عبد الله بن الحارث

ابن نعيم ، جاء في المبهج في تفسير كنيته :

أنه يجوز أن يكون كُنِّيَ بواحدة الحيات ، ويجوز أن يكون كُنِّيَ بحية

تأنث حي من قولهم رجل وامرأة حية في هذا كعائشة ، وحي منه

كمعمر ويحيى اسمي رجلين ، وجاء في العقد الفريد أنه كان من الشعراء

المجانين ، وكان من أشعر الناس / انظر ترجمته في :

المبهج في تفسير أسماء شعراء ديوان الحماسة : ٥٧ ، العقد الفريد

- دار الفكر - : ١٥٧ / ٧ ، المؤتلف والمختلف : ١٠٣ .

(٢) وفي رواية العقد الفريد : " تقاضاه أمر "

(٣) انظر البيت في :

البيان والتبيين : ٢٢٩ / ٢ ، الكامل - دار الفكر - : ١٤٨ / ١ ، العقد الفريد

- دار الفكر - : ١٥٧ / ٧ ، أمالي القالي : ١٨٥ / ٢ ، المؤتلف والمختلف :

١٠٣ ، زهر الآداب : ١ / ٢٦٧ ، الحماسة البصرية : ٢ / ٤٢٤ .

(٤) هذه رواية الحماسة والكامل ، أما رواية البيان والتبيين ، والعقد الفريد :

" الا حَيٍّ أَطْلَالَ الرَّسْمِ الْبَوَالِيَا " .

والمفاني جمع مغنى ، وهو المنزل الذي غني به أهله ثم ظعنوا عنه ، أو هو

المنزل عامة / اللسان " غنا " : ١٥ / ١٣٩ .

(٥) رواية الأمالي :

" لَيْسَنْ الْبَلَى لَمَّا لَيْسَنْ اللَّيَالِيَا " .

وبعده أبيات قبل الشاهد :

فَإِنْ أَكُّ وَدَعْتُ الشَّعَابَ فَلَمْ أَكُنْ .: عَلَيْهِ مَعَاذَ اللَّهِ ذَلِكَ زَارِيَا
حَنْتَنِي اللَّيَالِي بَعْدَ مَا كُنْتُ مَرَّةً .: قَوْمِ الْعَصَا لَوْ كُنَّ يُقِيمْنَ بَاقِيَا^(١)

وبعدهما الشاهد وبعده :

وَإِنِّي لَيَنْهَانِي عَنِ الْجَهْلِ أَنَّنِي .: أَرَى وَضَحًا مِنْ لَمْتِي قَدْ بَدَا لِيَا
وَطُولُ تَجَارِيِبِ الْأُمُورِ وَلَا أَرَى .: لِذِي نَهْيَةٍ مِثْلَ التَّجَارِيِبِ نَاهِيَا^(٢)

لم تشر المراجع التي رجعت إليها في تخريج البيت إلى استهجان البيت
أو استحسانه ؛ إلا ما يفهم من قول ابن عبد ربه - " وهو القائل " - قبل ذكره بيت
الشاهد ، والذي صاغه بأسلوب القصر عن طريق تعريف الطرفين فدلّت العبارة بهذا
الأسلوب على نوع من الاستحسان .

جاء في العقد الفريد : تحت عنوان " شعراء المجانين " :

" منهم أبو ياسين الحاسب ، وجعيفران ، وجرنفش ، وأبو حية النميري ...

وكان أبو حية أجن الناس وأشعر الناس ، وهو القائل :

أَلَا حَيَّ أَطْلَالَ الرَّسُومِ الْبَوَالِيَا .: لَيْسَنَّ الْبَلَى مِمَّا لَيْسَنَّ اللَّيَالِيَا
إِذَا مَا تَقَاضَى الْمَرْءُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ .. تَقَاضَاهُ أَمْرٌ لَا يَمَلُّ التَّقَاضِيَا^(٣)

الشاعر في هذا البيت يتألم ، ويتحسر على عمر الإنسان الذي يفنى ويلى من
شدة ما يلقاه من عنت الأيام ، وعسف الليالي ، فإذا كانت الأيام والليالي هي التي

(١) رواية الأمالي وزهر الآداب :

حَنْتَنِي اللَّيَالِي بَعْدَ مَا كُنْتُ مَرَّةً .: سَوِيَّ الْعَصَا لَوْ كُنَّ يُقِيمْنَ بَاقِيَا .

(٢) هذه الأبيات بهذا الترتيب انفرد بها صاحب الحماسة البصرية : ٢ / ٤٢٤ ،

وبقية المراجع التي أشرت إليها في تخريج البيت لم تذكر سوى بيتين وهما
مطلع القصيدة وبيت الشاهد ، مع اختلاف في رواية صدر البيت الأول - كما
أشرت - وفي التمثيل والمحاضرة لم يذكر سوى بيت الشاهد .

(٣) العقد الفريد - دار الفكر - : ٧ / ١٥٧ ، كذلك انظر الخبر في البيان

والتبين : ٢ / ٢٢٩ .

تقاضيه ، فلن تمل حتى تغنيه ، ولن يعيقها شيء حتى تفتك به ، والشاعر قد قال قصيدته هذه ، وقد ودّع الشباب وحنّته الليلي ، وظهر الشيب في لحيته ، وقد كان شبابه محموداً لديه ، وهذا هو مصدر الحسرة في البيت .
وبين الشاهد ، ومطلع القصيدة مناسبة قوية حيث جعل فناء الأطلال رمزاً لفناء الإنسان .

وقوله : " لبسن البلى ما لبسن الليالي " استعارتان رائعتان تصوران سرعة فناء الإنسان ، فقوله " لبسن البلى " يدل على أن الفناء قريب من الإنسان لاصق به ، وكأنه إزار يلاصق جسده ، وجعل الليالي كاللباس دليل على سرعة انصرام تلك الليالي ، فهي دائماً ما تغطي تلك المغاني ، وكأنها لباس لها دائم .

ويبدو أنه خص الليالي بالذكر لأنها سبب الفناء ؛ لأن لليالي معنى خاصاً فهي نفس الشاعر ، فهي تثير فيه ذكريات الشباب كيف لا وهي مرتع لهوّه وتصابيه .
ثم انظر إلى قيمة التذكير في قوله : " يوم وليلة " حيث أراد به " الشدة " أي يوم شديد ، وليلة قاسية ، ثم إنه لم يقل " الزمن " بل قال يوم وليلة ؛ ليدل على التتابع ، وعلى أن الإنسان يقاسي في كليهما من الشدائد ما يجعل بفناءه .

وقد روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال في هذا المعنى :

" كَفَى بِالسَّلَامَةِ دَاءً (١) !

وقال عمرو بن قتيبة (٢) في هذا المعنى :

(١) لم أقف عليه ، وأعتقد أنه مثل وليس بحدِيث .

(٢) هو شاعر جاهلي ، نشأ يتيماً ، وأقام في الحيرة مدة ، ثم خرج مـسعـ امرئ القيس حين توجه إلى قيصر ، فمات في الطريق ؛ ولذا سمّته العرب " عمراً الضائع " / انظر ترجمته :

الشعر والشعراء : ١ / ٣٨٣ - ٣٨٥ ، المؤلف والمختلف : ١٦٨ ، معجم الشعراء : ٢٠٠ ، الأعلام : ٥ / ٨٣ ، ونُسب البيتان في مجموعة المعاني لعبد الرحمن بن سويد المزي .

كَانَتْ قَنَاتِي ^(١) لَا تَلِمُنُ لِغَايِزٍ ^(٢) . . . فَلَا نَهَا إِلَّا صَبَاحُ وَإِلْمُسَاءُ
وَدَعَوْتُ رَبِّي فِي السَّلَامَةِ جَاهِدًا . . . لِیُصَحِّحَنِي فَإِذَا السَّلَامَةُ دَاءُ
وَقَالَ الثَّعْرُبِيُّ تَوَلَّبَ ^(٣) :

يَسْرُ ^(٤) الْفَتَى طُولَ السَّلَامَةِ وَالْبَقَا . . . فَكَيْفَ يَرَى طُولَ السَّلَامَةِ يَفْعَلُ
يُورِدُ ^(٥) الْفَتَى بَعْدَ اعْتِدَالِ ^(٦) وَصَحَّةٍ . . . يَنْوُو إِذَا رَامَ الْقِيَامَ وَيُحْمَلُ ^(٧)
قَالَ حَمِيدُ بْنُ ثَوْرٍ ^(٨) :

أَرَى بَصْرِي قَدْ رَأَيْتَنِي بَعْدَ صِحَّةٍ . . . وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَصِحَّ وَتَسَلَّمَ
وَلَنْ يَلْبَثَ الْعَصْرَانِ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ . . . إِذَا طَلَبَا أَنْ يَدْرِكََا مَا تَيْمَسَكَا ^(٩)

الشاهد السادس : *
(الطويل)
بيت المتنبي : ^(١٠)

- (١) يريد جميع جسمه .
(٢) الغمز : العصر والكبس باليد . / غمز * : ٣٨٩ / ٥ .
(٣) شاعر مخضرم من شعراء الطبقة الثانية في الجاهلية . أدرك الإسلام وهو كبير السن ، كان جواداً واسع القربى . / انظر ترجمته :
الشعر والشعراء : ١ / ٣١٥ - ٣١٧ ، خزنة البغدادية - دار صادر : ١ / ١٥٦ .
(٤) رواية زهر الآداب : " يود الفتى " .
(٥) رواية زهر الآداب : " يعود الفتى " .
(٦) رواية زهر الآداب : " بعد حسن " .
(٧) انظر : الكامل - دار الفكر : ١ / ١٤٨ ، زهر الآداب : ١ / ٢٦٨ ، مجموعة المعاني : ٧ .
(٨) هو شاعر مخضرم أدرك عربن الخطاب ، وقال الشعر في أيامه / ستأتي ترجمته فيما بعد : ص ٤٥٧ .
(٩) الكامل - دار الفكر : ١ / ١٤٨ ، زهر الآداب : ١ / ٢٦٨ - ٢٦٩ .
(*) الدلائل ، رضا : ٣٩ ، خفاجي : ٩٧ ، شاکر : ٤٨ .
(١٠) هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي
(٣٠٣ هـ - ٣٥٤ هـ) الشاعر الحكيم المعروف وهو أحد مفاخر الأدب العربي
قال الشعر صبياً ، وتنبأ وتبعه خلق كثيرون حتى خرج إليه أمير حمص فأسره =====

(١) لَوِ الْفَلَكَ الدَّوَّارَ أَبْغَضْتَ سَعْيَهُ . : لَعَوَّهْ شَيْءٌ عَنِ السَّدَّوَرَانِ (٢)

والشاهد من قصيدة قالها يذكر فيها خروج شبيب العقيلي (٣) على كافور

الأخشيدي (٤) ومطلع القصيدة :

عَدُوَّكَ مَذْمُومٌ بِكُلِّ لِسَانٍ . : وَلَوْ كَانَ مِنْ أَعْدَائِكَ الْقَمَرَانِ (٥)

=== وسجنه حتى تاب ، مدح سيف الدولة الحمداني ، وكذلك مدح "كافورا

الإخشيدي / انظر ترجمته :

تاريخ بغداد : ٤ / ١٠٢ - ١٠٥ ، وفيات الأعيان : ١ / ١٢٠ - ١٢٥ ،

لسان الميزان : ١ / ١٥٩ ، معاهد التنصيص : ١ / ٢٧ - ٣٣ ، الأعلام

١ / ١١٥ .

(١) يروي الفلك " بالرفع والنصب " ، والنصب أجود / شرح العكبري : ٤ / ٢٤٢ .

(٢) انظر البيت في :-

ديوانه بشرح العكبري : ٤ / ٢٤٧ ، العرف الطيب في شرح ديوان أبي

الطيب : ٤ / ٦٠٣ ، الوساطة : ١٨١ ، يتيمة الدهر : ١ / ١٧٤ .

(٣) هو شبيب بن جرير العقيلي من قوم كانوا من القرامطة ، وكانوا مع

سيف الدولة ، ولي شبيب معرفة النعمان دهرًا طويلًا ، واجتمع إليه جماعة

من العرب ، فوق عشرة آلاف ، فأراد أن يخرج على كافور ، فقصد دمشق

فحاصرها ، ويقال أن امرأة أُلقت عليه رجا فصرعه ، فانهزم من كان

معه لما مات ، ويقال أنه حدث به صرع من شرب الخمر ، فحدث

به تلك الساعة مصرع ، فتركه أصحابه ومضوا ، فأخذه أهل دمشق

فقتلوه / انظر : شرح ديوان أبي الطيب للعكبري : ٤ / ٢٤٣ .

(٤) كنيته أبو المسك وهو صاحب مصر ، تقدم عند مولاه الأخشيدي ، وساد

لرأيه وحزمه وشجاعته ، فصيرته من كبار قواده ، كان مهيبًا ، سائسًا ،

جوادًا ، وقورًا ، توفي سنة ست وخمسين وثلاث مائة / انظر ترجمته :

الكامل لابن الأثير : ٧ / ٢٥ ، العبر : ٢ / ٩٨ - ٩٩ ، وفيات الأعيان :

٤ / ٩٩ - ١٠٥ ، النجوم الزاهرة : ٤ / ١ - ٢٠ ، شذرات الذهب :

٣ / ٢١ - ٢٢ ، سير أعلام النبلاء : ١٦ / ١٩٠ - ١٩٣ .

(٥) القمران المقصود بهما الشمس والقمر ، تغليبا لأحدهما على الآخر

كقولهم : العمران أبو بكر وعمر بن الخطاب / شرح العكبري : ٤ / ٢٤٢ .

والشاهد آخر بيت في القصيدة وقبله :

قَضَى اللَّهُ يَا كَافُورُ أَنَّكَ أَوَّلُ . . . وَلَيْسَ بِقَاضٍ أَنْ يُرَى لَكَ ثَانِي
فَمَا لَكَ تَخْتَارُ الْعُسَى وَإِنَّمَا . . . عَنْ السَّعْدِ يُرْمَى دُونَكَ الثَّقَلَانِ
وَمَا لَكَ تُعْنَى بِالْأَيْسَةِ وَالْقَنَا . . . وَجَدُّكَ طَعَانٌ بِفَسِيرِ سَيَّانِ
وَلَمْ تَحْمِلِ السَّيْفَ الطَّوِيلَ نِجَادُهُ . . . وَأَنْتَ غَنِيٌّ عَنْهُ بِالْحَدَثَانِ (١)
أَرَدْتُ لِي جَمِيلًا جَدَّتْ أَوَّلَمْ تَجِدْ بِهِ . . . فَإِنَّكَ مَا أَحْبَبْتَ فِيَّ أَتَانِي (٢)

ومعنى الشاهد : لو أنك كرهت دوران الفلك لحدث له شيء ينعه عن الدوران ،
وهذه مبالغة في قوة سعده وطالعه ، ومؤاتاة الأقدار لمراده ورغباته ، وهذا المعنى هو
الذي بنى عليه أكثر أبيات قصيدته (٣) .
والشواهد الثلاثة " الرابع - الخامس - السادس " استشهد بها الإمام عبد القاهر
- أيضاً - على أن الكلم لا تتفاضل من حيث هي كلم مفردة ، فقد نرى الكلمة حسنة في
موضع مستكرهة في موضع آخر ، قال :

ومن أعجب ذلك لفظة " الشيء " فإنك تراها مقبولة حسنة في موضع ، وضعيفة مستكرهة
في موضع ، وإن أردت أن تعرف ذلك ، فأنظر إلى قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي :

وَمِنْ مَالِي عَيْنِي مِنْ شَيْءٍ غَيْرِهِ . . . إِذَا رَاحَ نَحْوَ الْجَمْرَةِ الْبَيْضُ كَالدَّمْسِ
وقول أبي حية :

إِذَا مَا تَقَاضَى الْمَرْءُ يَتَمُّ وَلَيْسَ . . . تَقَاضَاهُ شَيْءٌ لَا يَمَلُّ التَّقَاضِيَا

فإنك تعرف حسنها ومكانها من القبول ، ثم انظر إليها في بيت المتنبسي :

لَوْ الْفَلَكَ الدَّوَارُ أَبْقَضَتْ سَعْيَهُ . . . لَعَوَّقَهُ شَيْءٌ عَنِ الدَّوَارِ

فإنك تراها ثقل وتضؤل ، بحسب نبلها وحسنها فيما تقدم (٤) .

(١) الحدثنان : حدثان الدهر وحوادثه : نوبته ، وما يحدث منه ، واحد هـا :

حادث ، وكذلك أحداه واحدا حدث .

(٢) انظر الأبيات في : ديوانه بشرح العكبري : ٤ / ٢٤٦-٢٤٧ ، المعروف

الطيب : ٤ / ٦٠٢-٦٠٣ .

(٣) شرح العكبري : ٤ / ٢٤٧ ، المعروف الطيب : ٤ / ٦٠٣ .

(٤) الدلائل ، رضا : ٤٧-٤٨ ، خفاجي : ٩٧ ، شاكر : ٤٧-٤٨ .

وفي هذه الأبيات - أيضا - لم يعلل الإمام عبد القاهر سبب استحسانه لكلمة " شيء " في بيت عمر بن أبي ربيعة ، وبيت أبي حية ، وسبب استنكاره لها في بيت المتنبي ، وكأنه اعتمد أيضا على الذوق والأريحية .

ولم يتكلم النقاد قبل عبد القاهر أو بعده - فيما رجعت إليه من مصادر - عن سبب استحسان هذه اللفظة أو استهجانها سوى ما ذكره القاضي الجرجاني في الوساطة من أن هذا البيت من عيون الشعر وقلائده لولا ضعف لفظة " شيء " ومافيه من المبالغة ، ولأجل ذلك ذكر أنه من المعنى العامي .
قال :

" وهذا البيت من قلائده ، إلا أنك تعلم مافي قوله " شيء " من الضعف الذي يجتنبه الفحول ، ولا يرضاه النقاد ، وهو وأشباه هذا مما لم نرد استقصاءه ، وإنما دللتك على منهاجه ، وأريناك بابه ، وقد قدّمنا ما استرذلناه من شعره ^(١) ورأى الاستاذ محمود شاكر في تحقيقه لدلائل الإعجاز غير ما رآه الإمام عبد القاهر ، والقاضي الجرجاني ، إذ أنها مستحسنة عنده ؛ لأنها تكشف عن دخيلة نفس المتنبي ، وأنه ما ذكرها هنا إلا قاصداً متعنياً ، فهو يريد بها التنفيس عما في صدره — من الغيظ على كافور واستهانت به . قال :

" . . . وهو من القصيدة التي قالها في سنة ٣٤٨ هـ ، والتي قال فيها أيضا قصيدته الميمية حين ركبته الحمى ، والتي عرّض فيها بالرحيل عن كافور ، وهي قصيدة مدح ، ولكنني أرى أنه كان ينفث في بعضها عما في صدره من الغيظ على كافور ، واستهانت به ، ولذلك فأنا أعدُّ لفظ " شيء " هنا ما يكشف عن هذه الاستهانة بكافور ، ولو لاحظ الشيخ عبد القاهر هذا الملحظ ، لما عدّها قليلة ضيئلة ، بل كبيرة موحية بما في نفسه ^(٢) .

(١) الوساطة : ١٨١ .

(٢) الدلائل ، شاكر : ٤٨ .

وهذا من الأستاذ شاكر مجرد افتراض ، والمبالغة واضحة ظاهرة ، فلا يترك
الظاهر لمجرد الافتراض ، فقد تجاوز المتنبى بهذه المبالغة حد الاعتدال حيث
نكر لفظ شيء ؛ ليظهر أن الذي يوقف دوران الفلك لوكره المدوح ذلك ليس بالشيء
العظيم ، إنما هو شيء حقير بجانب رغبة المدوح ، فجعل إدارة الفلك رهس
رغبة المدوح .

إضافة إلى ذلك فقد كان المتنبى شديد الرغبة في أن يوليه كافور ولاية ، فهو
حين يمدحه لا يعرض به خشية أن يفتن كافور لذلك ، والمتنبى لم يبغض كافورا
ألا بعد أن يئس .

ثم إن ثقل هذه اللفظة ليس فقط لمجرد المبالغة ، وإنما هو لقطع الكلمة وعدم
وصلها بشيء ، وعدم دلالتها على معنى يلتفت إليه الذهن كما هي في بيت عمر ،
فإن المراد بها " المرأة " وفي بيت النميري فإن المراد بها " اليوم واللييلة " ،
ولدلالة الكلمة على معنى معين وقع في النفس لا يكون لها إذا لم يرجع الذهن إلى
معنى محدد . وهذا في الإثبات لأن المراد بها شيء أي شيء ، أما في النفي فإنها
تكون حسنة كما في قوله تعالى :

﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ (١)

لأن المراد عموم النفي ، على أن سبق " مِنْ " لها حماها من الانفراد ، ووحشة
الوحدة .

وفي نهاية هذه الشواهد الستة ذكر الإمام عبد القاهر بأن باب المفاضلة بسين
اللفظ الواحد بحسب موضعه في التأليف باب واسع قد يرفع أشخاصاً إلى السماك ،
ويلصق آخرين بالحضيض قال :

" وهذا باب واسع ، فإنك تجد متى شئت الرجلين قد استعملاً كلما بأعيانها

ثم ترى هذا قد قرع السماك ، وترى ذاك قد لصق بالحضيض ، فلو كانت الكلمة

إذا حسنت حسنت من حيث هي لفظ ، وإذا استحققت المزية والشرف

استحققت ذلك في ذاتها وعلى انفرادها ، دون أن يكون السبب في ذلك

حال لها مع أخواتها المجاورة لها في النظم ، لما اختلفت بها الحال ،
ولكانت إِمَّا أَنْ تَحْسَنَ أَوَّلًا ، أو لا تحسن أَوَّلًا ، ولم تر قولاً يضطرب على
قائله حتى لا يدري كيف يُعَبَّرُ ، وكيف يورد وَيُصَوِّرُ ، كهذا القول . بل
إن أردت الحق ، فإنه من جنس الشيء يُجْرِي به الرجل لسانه وَيُطْلِقُه ،
فإذا فَتَشَ نفسه ، وجدها تعلم بِطُلانِه ، وتنطوي على خلافه ؛ ذلك
لأنه ما لا يقيم بالحقيقة في اعتقاد ، ولا يكون له صورة في فِئْوَاد (١)

الشاهد السابع : (*) (رجز)

وَقَبْرُ حَرْبٍ يَمَكَّانٍ قَقْرٍ . وَلَيْسَ قُرْبُ حَرْبٍ قَبْرٌ (٢) (٣) قَبْرٌ حَرْبٍ قَبْرٌ (٤)

- (١) الدلائل ، رضا : ٤٨ ، خفاجي : ٩٧ ، شاكر : ٤٨ .
(*) الدلائل ، رضا : ٤٦ ، خفاجي : ١٠٣ ، شاكر : ٥٧ .
(٢) رواية العمدة " وقبر حرب في مكان ققر " ، ويروى أيضا " يَمَكَّانٍ قَقْرٌ " بالضم كما في شرح البرقوقي للتخخيص .
(٣) وذكر في معاهد التنصيص أن العجز روي :
" وَمَا يَقْرُبُ قَبْرٍ حَرْبٍ قَبْرٌ " وكذلك أشار محقق البيان والتبيين " عبد السلام هارون " إلى رواية معاهد التنصيص هذه .
وذكر عجز البيت في الدلائل تحقيق شاكر ناقصا :
" وَلَيْسَ قُرْبُ حَرْبٍ قَبْرٌ " ، واعتقد أنه خطأ مطبعي .
(٤) انظر البيت في :-

الحيوان : ٦ / ٢٠٨ ، البيان والتبيين : ١ / ٦٥ ، ثلاث رسائل
في إعجاز القرآن " رسالة الرماني " : ٩٥ ، إعجاز القرآن للباقلائي : ٢٦٩ ،
العمدة : ١ / ٢٦١ ، سر الفصاحة : ٨٨ ، نهاية الإيجاز : ٢٦ ، المثل
السائر : - مكتبة نهضة مصر - : ١ / ٤٠١ ، الفلك الدائر : - مكتبة
نهضة مصر - : ٤ / ١٧٧ ، شرح شافية ابن الحاجب : ٤ / ٤٨٧ ،
التخخيص في علوم البلاغة - شرح البرقوقي - : ٢٦ ، الإيضاح : ١ / ٧٥ ،
شروح التخخيص : ١ / ٩٩ ، شرح أبيات الإيضاح : ١ / ٦ ، البداية والنهاية :
٢ / ٢٢٧ ، معاهد التنصيص : ١ / ٣٤ ، شاهد رقم (٥) ، الطراز : ١ / ١٠٤ .

البيت كما هو مشهور - مجهول القائل - ولصعوبة التلطف به نسبوه إلى الجن .
وقد ذكر الرواة أنه قيل في حرب بن أمية بن عبد شمس^(١)، ولذلك قصة طويلة
ذكرها الجاحظ في الحيوان^(٢)، وابن كثير في البداية والنهاية^(٣) وغيرها من كتب
الأدب^(٤).

وملخص القصة : أن الجن قتلوا حرب بن أمية بثار حية منهم ، ثم دفنه أصحابه
ببادية بعيدة حيث لا أهل ولا دار .

وقد أجمع النقاد على قبح هذا البيت وردائه ، فذكر الجاحظ أن سبب
استكراه هذا البيت هو تنافر ألفاظه فقال :

" . . . ومن ألفاظ العرب ألفاظٌ تتنافر ، وإن كانت مجموعة في بيت شعر

لم يستطع المنشد إنشادها إلا ببعض الاستكرام فمن ذلك قول الشاعر :

وَقَبْرٌ حَرْبٍ يَتَكَايَ قَقْرٍ . . وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرٌ

ولما رأى من لا علم له أن أحداً لا يستطيع أن يُنشد هذا البيت ثلاث مرات

في نسق واحد فلا يتتبع ولا يتلجلج ، وقيل لهم إن ذلك إنما آتراه إذ كان
من أشعار الجن . صدقوا بذلك^(٥).

وذكر الرماني أن التأليف على ثلاثة أضرب :-

(١) هو حرب بن أمية بن عبد شمس - والد أبي سفيان - من قريش كنيته أبو عمرو
من قضاة العرب في الجاهلية ، ومن سادات قومه ، وهو جد معاوية بن أبي
سفيان بن حرب كان معاصراً لعبد المطلب بن هاشم ، شهد حرب الفجار
وتوفي (٣٦ - ٣٧ ق هـ) / انظر : الأعلام : ٢ / ١٧٢ .

(٢) ٢٠٦ / ٦ - ٢٠٧ .

(٣) ٢٢٧ / ٢ .

(٤) انظر أيضاً معاهد التنصيص : ١ / ٣٤ - ٣٥ رقم الشاهد (٥) ، شرح

التلخيص " مختصر السعد " : ١ / ١٠٠ ، حاشية الدسوقي : ١٠٠ / ١ .

(٥) في البيان والتبيين " وإن كان مجموعة في بيت شعر ، واعتقد أنه خطأ مطبعي .

(٦) البيان والتبيين ، وكذلك انظر : الحيوان : ٦ / ٢٠٦ ، ٢٠٨ .

— متنافر .

— متلائم في الطبقة الوسطى .

— متلائم في الطبقة العليا .

وجعل من المتنافر البيت الذي نحن بصدده . قال :

” التلاؤم نقيض التنافر ، والتلاؤم تعديل الحروف في التأليف ، والتأليف على ثلاثة أوجه : -

متنافر ، ومتلائم في الطبقة الوسطى ، ومتلائم في الطبقة العليا ، فالتأليف المتنافر كقول الشاعر :

وَقَبْرٌ حَرْبٍ يَمَكَّانٍ قَفْرٌ . . وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَسْبٌ

وذكروا أن هذا من أشعار الجن ، لأنه لا يتهياً لأحد أن ينشده ثلاث مرات فلا يتتبع ، وإنما السبب في ذلك ما ذكرنا من تنافر الحروف (١) .

وهو بذلك يذهب إلى ما ذهب إليه الجاحظ

وكرر الباقلاني ما قاله الرماني ، فقال :

” وأما التلاؤم ، فهو تعديل الحروف في التأليف ، وهو نقيض التنافر السذي هو كقول الشاعر :

وَقَبْرٌ حَرْبٍ يَمَكَّانٍ قَفْرٌ . . وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَسْبٌ

قالوا : وهو من شعر الجن ، وحروفه متنافرة ، لا يمكن إنشاده إلا بتتبع فيه ، والتلاؤم على ضربين . . . (٢) .

وإلى مثل هذا ذهب ابن رشيقي (٣) وابن سنان (٤) ، وابن الأثير (٥) والإمام العليوي

إلا أن هذا الأخير أضاف :

(١) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ” الرماني ” : ٩٤ ، ٩٥ .

(٢) إعجاز القرآن للباقلاني : ٢٦٩ .

(٣) العمدة : ١ / ٢٦١ .

(٤) سر الفصاحة : ٨٦ - ٨٧ .

(٥) المثل السائر : ١ / ٤٠١ .

"... إن الألفاظ في سهولة تركيبها، وعثورت وسلاسته ووعورته بمنزلة الأصوات في طنينها، ولذّة سماعها، ولهذا فإنه يستلذ بصوت "القُمري" ويكره صوت "الغراب" ويستظرف صهيل "الفرس"، ويستنكر نهيق "الحمار" فإذا تمهدت هذه القاعدة، فاعلم - أن مقصودنا من الفصاحة يحصل بالبحث عن أسرارها^(١).

وكذلك ذكره الخطيب القزويني مثلاً على تنافر الكلمات^(٢).

ومعنى الشاهد : أن قبر هذا الرجل "حرب" بمكان موحش لم يدفن فيه أحد غيره، وظاهر البيت إخبار، ولكن المعنى تأسف وتحسر وتوجع على كون قبر حرب في ذلك المكان البعيد النائي حيث لا أهل ولا ديار، والذي يدل على لزوم التوجسع، وضع الظاهر موضع المضر، فقله "قرب قبر حرب" وقع خبراً لقوله "ليس فكان من حقه أن يقول قرب قبره"^(٣).

.....

(الحفيف)

الشاهد الثامن : (×)

(٤)
قول ابن يسير:

- (١) الطراز: ١ / ١٠٤ - ١٠٥ (٢) الإيضاح: ١ / ٧٢ - ٧٥.
(٣) شرح أبيات الإيضاح :- فيض الله - : ورقة (٣ ب) .
(×) الدلائل، رضا: ٣٦، خفاجي: ١٠٣، شاكر: ٥٧.
(٤) هو محمد بن يسير الرّياشي مولى بني أسد، كان شاعراً مقلداً من الشعراء المحدثين، لم يفارق البصرة، ولم يفد إلى خليفة ولا شريف منتجعاً، ولا جاوز بلده، وكان ماجناً هجاء خبيثاً، وكان من بخلاء الناس، عاصر أبا نواس، وعمر بعده حيناً، وقد اختلفت المصادر في نسبته، فذكر بعضها أن اسمه محمد بن بشير الرّياشي، وقيل إن اسمه محمد بن يسير الحميري، وقيل محمد بن بشير الخارجي، وقيل محمد بن بشير العدواني / انظر ترجمته :
الشعر والشعراء: ٢ / ٨٨٣ - ٨٨٤، طبقات الشعراء لابن المعتز: ٢٧٩ - ٢٨٢، الورقة: ١١٢، الأغاني: ١٤ / ١٧ - ٥٠، معجم الشعراء للمرزباني: ٤٥٨، المحدثون من الشعراء: ٢٢٨ - ٢٤١، القاموس المحيط: .

"يسر": ٢ / ١٦٩.

لَا أُنِيلُ (١) الْآمَالَ بَعْدَكَ إِنِّي . . . بَعْدَهَا بِالْآمَالِ جِدًّا (٢) بِخَيْلٍ
 كَمْ لَهَا مَوْقِفًا بِيَابِ صَدِيقِي (٣) . . . رَجَعْتُ مِنْ نَدَاهُ بِالتَّعْطِيلِ
 لَمْ يَضُرَّهَا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ شَيْءٌ . . . وَانْثَنَتْ نَحْوَ عِزِّي نَفْسٌ دَهْلُ (٤) (٥)

وموضع الشاهد عجز البيت الثالث .

وهذه الأبيات من قصيدة قالها ابن يسير في أحد بن يوسف (٦) حين استبطأه

وهي :

هَلْ مُعِينٌ عَلَى الْبُكَاءِ وَالْعَوِيلِ . . . أَمْ مَعَزَّ عَلَى الْمَصَابِ الْجَلِيلِ
 مَيِّتٌ مَاتَ وَهُوَ فِي وَرَقِ الْعَيْشِ (٧) مَقِيمٌ بِهِ وَطْلٌ ظَلِيلِ
 فِي عِدَائِ الْمَوْتَى وَفِي عَامِرِي الدُّنْ . . . يَا أَبُو جَعْفَرٍ أَخِي وَخَلِيلِي
 لَمْ يَمُتْ مَيِّتَةَ الْوَفَاءِ وَلَكِنْ . . . مَاتَ عَنْ كُلِّ صَالِحٍ وَجَمِيلِ (٨)

(١) لَا أُنِيلُ : لَا أَسْهَلُ ، طريق مذلل إذا كان موطوءاً سهلاً . / اللسان " ذلل " : ١١ / ٢٥٨ .

(٢) رواية البيان والتبيين : " حقٌ بخيل " .

(٣) رواية البيان والتبيين :

" كَمْ لَهَا وَقْفَةٌ بِيَابِ كَرِيمٍ "

(٤) الذَّهْلُ ترك الشيء تناساه على عهد أو يشغلك عنه شغل ، ذَهَلَ الشيء ، وَذَهَلَ

عنه وَذَهَلَ هَلْ هَلْ - بالكسر - عنه يَذْهَلُ هَلْ فَيُهْمَا ذَهْلًا وَذَهْلًا تركه على عَمْدٍ

أو غفل عنه أو نسيه . / اللسان : " ذَهَلَ " : ١١ / ٢٥٩ .

(٥) انظر الأبيات في : -

البيان والتبيين : ١ / ٦٥ ، ٦٦ ، المصون : ٧ ، العمدة : ١ / ٢٦١ ، سـ

الفصاحة : ٨٨ .

(٦) هو أبو جعفر أحمد بن يوسف بن صبيح الكاتب (ت : ٢١٣ هـ) ، كان في زمن

المأمون كاتباً لديوان الرسائل ، وكان فصيح اللسان ، قال الشعر في الغزل

والمديح والهجاء . / انظر أخباره في :

العقد الفريد : - دار الفكر - : ١ / ١٤٥ ، ٢ / ١٧ ، ٣ / ١٢٩ ، ٤ / ١١٦ ،

١١٨ ، ٢٢٤ ، ٢٤٨ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٩ ، ٣٤٣ / ٥ ، ٧ / ٢٧٥ ،

الوزراء والكتاب : ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، نصوص ضائعة من كتاب الوزراء والكتاب : ٤٨ .

(٧) هذه الأبيات من رواية البيان والتبيين : ١ / ٦٥ ، ٦٦ .

وبعدها الأبيات الثلاثة التي ذكرها الشيخ .

ولقد علق الجاحظ على بيت الشاهد بقوله :

” فتفقد النصف الأخير من هذا البيت ، فإنك ستجد بعض ألفاظه يتسبباً من بعض ” (١).

ونذكر أن جودة الشعر تكون بتلاحم أجزائه ، وسهولة مخارجه ، فقال :

” أجود الشعر ما رأيت من تلاحم الأجزاء ، سهل المخارج ، كأنه قد سبك سبكاً واحداً ، وأفرغ إفرغاً واحداً ، فهو يجري على اللسان كما يجري فرس الرهان ، وحتى تراها متفقة ملساً ، ولينة المعاطف سهلة ، فإذا رأيتها متخلعة متباينة ، ومتنافرة مستكرهة تشقُّ على اللسان ، وتكدُّه ، ورأيت غيرها سهلة لينة رطبة متواتية ، سلسلة في النظام ، حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة ، وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد ” (٢).

ونذكر ابن رشيق أن العيب في البيت مرده إلى الثقل الناتج عن قرب الحاء من

العين ، وقرب الزاي من السين . قال :

” ومن الشعر ما تتقارب حروفه أو تتكرر ، فتثقل على اللسان ، نحو قول ابن بشير :

لَمْ يَضُرَّهَا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ شَيْءٌ . . . وَأَنْشَنَتْ نَحْوَ عَزَفٍ نَفْسٍ ذَهُولِ

فإن القسم الآخر من هذا البيت ثقل ؛ لقرب الحاء من العين ، وقرب الزاي من السين ” (٣).

والإسـمـل هـذا ذهـب ابن سنان الخفاجي فقال :

” فإن المصراع الثاني من هذا البيت يثقل التلغظ به ، وسماعه ؛ لما فيه مسن تكرر حروف الحلق ” (٤).

(١) البيان والتبيين : ١ / ٦٦ .

(٢) المصدر السابق : ١ / ٦٧ .

(٣) العمدة : ١ / ٢٦١ .

(٤) سر الفصاحة : ٨٦ - ٨٧ .

(الطويل)

الشاهد التاسع : *

بيت أبي تمام :

(١)
كَرِيمٌ مَتَى أَمَدَحَهُ أَمَدَحَهُ وَالْوَرَى . مَعِيَ وَإِنَّا مَالَمْتُ لَمَتَّهُ وَحَدِي (٢)
والبيت من قصيدة يمدح بها أبا المغيث موسى بن إبراهيم البرافقي (٣) ويعتذر
له عما نسب إليه من هجائه له ، وأولها :

شَهِدْتُ لَقَدْ أَقَوْتُ مَغَانِيكُمْ بِفَدِي . وَمَحَتُّ كَمَا مَحَتُّ وَشَائِعٌ مِنْ بُرْدِ
وَأَنْجَدْتُمْ مِنْ بَعْدِ إِتْهَامِ دَارِكُكُمْ . قِيَادَمُ أَنْجَدْنِي عَلَى سَاكِنِي نَجْدِ

(*) الدلائل ، رضا : ٤٦ ، خفاجي : ١٠٣ ، شاکر : ٥٨ .

(١) رواية الديوان والوساطة ، وإعجاز القرآن للباقلاني ، والمثل السائر :

" مَتَى مَالَمْتُ لَمَتَّهُ وَحَدِي "

(٢) رواية الدلائل تحقيق شاکر لعجز البيت :

" جَمِيعاً وَمَهْمَا لَمَتَّهُ لَمَتَّهُ وَحَدِي "

وذكر الخطيب أن هناك من يروى العجز :

" وَمَتَى مَا زِمْتُهُ زِمْتُهُ وَحَدِي "

وهي رواية غير صحيحة ، لأن أبا تمام لم يقصد أن يكون بازاء المدح ضده ،
قال :

" من روى " ومتى ما زِمْتُهُ زِمْتُهُ وَحَدِي " ؛ ليكون بازاء المدح الذم ،

الذي هو بمعنى الذم ، فقد هَذَى ؛ لأن أبا تمام لم يقصد أن يكون

بازاء المدح ضده ، وإنما أراد أني إن لَمَتُّهُ لم يساعدني عليه أحد " /

الديوان بشرح الخطيب : ١١٦ / ٢ . انظر البيت في :

ديوانه بشرح الخطيب : ١١٦ / ٢ ، شرح ديوانه لمحمد محيي الدين عبد الحميد

٣٨٦ ، ديوانه - دار صعب - : ١١٤ ، الوساطة : ٦٥ ، إعجاز القرآن للباقلاني :

٢٢٦ ، سر الفصاحة : ٩١ ، الإيضاح : ٧٥ / ١ ، التلخيص : ١٠٠ / ١ ، شرح

أبيات الإيضاح : ٣ ب ، شرح التلخيص : ١٠٠ / ١ ، معاهد

التنصيص : ١ / ٣٧ ، رقم الشاهد (٦) .

(٣) ستأتي ترجمته : ص ١٠٧٩ .

(٤) رواية المعاهد : " معالمكم " .

وقبل الشاهد :

أَلَيْسَ (١) هَجَرَ (٢) الْقَوْلِ مَنْ لَوْ هَجَوْتَهُ . : إِذَا لَهَجَانِي عَنْهُ مَعْرُوفُهُ عِنْدِي (٣)

وبعد الشاهد :

وَلَوْ لَمْ يَزَعْنِي عَنْكَ غَيْرَكَ وَازِعٌ . : لَأَعْدَيْتَنِي بِالْحِلْمِ إِنَّ الْعُلَى تَعْدِي (٤)

ذكر القاضي الجرجاني في الوساطة عند حديثه عن تفاوت شعر أبي تمام أن هذا البيت من ردي، شعره ، وأنه ارتفع ببعض شعره إلى درجات العلى ، وانحط ببعضها - ومنها هذا البيت - إلى الحضيض . ولكنه لم يبين سبب الانحطاط والرداءة في هذا البيت .

قال :

" . . . فيترقى في هذه الدرجات العالية ، ويتصرف هذا التصرف المعجز ،

ثم ينحط إلى الحضيض ويلصق بالتراب (٥) .

وعند حديثه عن السرقة ذكر أن ابن أبي طاهر سرق هذا البيت سرقة لطيفة جاءت على وجه القلب ، وقصد به النقض .

قال :

" ومن لطيف السرقة ما جاء به على وجه القلب ، وقصد به النقض . . .

(١) رواية شرح الديوان لمحمد محيي الدين ، وسأهد التنصيص :

" أَسَرَّ بِلْ هَجَرَ الْقَوْلِ "

ورواية الوساطة : " أَلَمْ تَحْ "

(٢) رواية شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - :

" أَلَيْسَ فَحَسَّ الْقَوْلِ " .

(٣) ذكر في شروح التلخيص - حاشية الدسوقي - أن قبل بيت الشاهد :

أَتَانِي مَعَ الرُّكْبَانِ ظَنٌّ ظَنَنْتَهُ . : تَكَسَّتْ لَهُ رَأْسِي حَيَاءً مِنَ الْمَجْدِ
وَهَتَكَتْ بِالْقَوْلِ الْخَنَا حُرْمَةَ الْعَلَا . : وَأَسْلَكْتُ حُرَّ الشَّعْرِ فِي مَسْلَكِ الْعَبْدِ

وذكر في الوساطة أن بعد الشاهد :

أَرَدْتُ يَدِي عَنْ عَرْشٍ حُرٍّ وَمَنْطِقِي . : وَأَمَلْتُهَا مِنْ لِبْدَةِ الْأَسَدِ السَّوَرِ

(٥) الوساطة : ٦٧ .

وقول ابن أبي طاهر:

يَشْتَرِكُ الْعَالَمُ فِي ذَمِّهِ . . . لِكُنِّي أَمْدَحُهُ وَحَسْبِي

إنما هو عكس قول أبي تمام:

كَرِيمٌ مَتَى أَمْدَحُهُ أَمْدَحُهُ وَالْوَرَى . . . مَعِي وَإِذَا مَالُمْتُ لَمْتُهُ وَحْدِي

وهذا باب يحتاج إلى إنعام الفكر وشدة البحث . . . (١)

ونذكر الباقلاني أن صاحب بن عبّاد قد جارى أبا الفضل بن العميد في محاسن

هذه القصيدة ، حتى انتهى إلى هذا البيت ، فذكر له أن قوله : " أَمْدَحُهُ أَمْدَحُهُ "

معيب ؛ لثقله من جهة تدارك حروف الحلق .

ورأى أن المتقدمين قد تكلموا في هذه النكته ، فعلم أن ذلك شيء عند أهل

الصنعة معروف (٢) .

ورأى ابن سنان الخفاجي أن بعض العلماء بالشعر يعيب في قول أبي تمام

تكرار حروف الحلق على سلامة المعنى واختيار الألفاظ (٣) .

وقسم الخطيب القزويني تنافر الكلمات إلى أعلى وأدنى ، فالتنافر المتناهي في

الثقل كالبيت الذي أنشده الجاحظ :

وَقَبْرٌ حَرْبٍ يَمْكُنُ قَفْرٌ

والأدنى من ذلك في الثقل قول أبي تمام = بيت الشاهد = وعلق عليه بقوله :

" فَإِنْ فِي قَوْلِهِ " أَمْدَحُهُ " ثَقْلًا مَا ، لِمَا بَيْنَ الْحَاءِ وَالْهَاءِ مِنْ تَنَافُرٍ " (٤) .

وعلق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي على تعليقه هذا رافضاً إياه ؛ بأن مشـ

هذا التعليل يُقبل لو كان يتحدث عن تنافر الحروف ، ولكنه بصدور الحديث عن

تنافر الكلمات .

(١) الوساطة : ٢٠٦ - ٢٠٨ .

(٢) إعجاز القرآن للباقلاني : ٢٢٦ .

(٣) سر الفصاحة : ٩١ .

(٤) الإيضاح : ١ / ٧٥ .

ويبدو لي أن تعليقه هذا منقول عن ابن السبكي في عروس الأفراس حيث قال :
 " واعترض عليه أيضا بأن الكلام إنما هو في تنافر الكلمات وهذا من تنافر
 الحروف (١) .

ورأى ابن يعقوب أن تكرار الحاء والهاء ، وحده ليس بسبب يوجب الثقل ،
 وإنما الثقل والتنافر ناتج من تكرار " أَمْدَحُهُ " مع اجتماع الحاء والهاء ، أما اجتماع
 الحاء والهاء بدون تكرار ، فلا يوجب ثقلًا يخل بالفصاحة ، فإنه قد جاء في التنزيل
 المنزه قوله تعالى : * وَفِي اللَّيْلِ فَسَبَّحَهُ (٢) .

وأوضح الدسوقي أن مراد الشيخ القزويني أن في " أَمْدَحُهُ " شيء من الثقل والتنافر ،
 فإذا انضم إليه " أَمْدَحُهُ " الثاني تضاعف ذلك الثقل ، وحصل التنافر المخل بالفصاحة ،
 وليس مراده أن الجمع بين الحاء والهاء موجب وحده للتنافر المخل بالفصاحة ،
 وذلك لوروده في القرآن الكريم . قال :

" فقول المصنف في الإيضاح موجهًا لما في البيت من تنافر الكلمات ، فإن
 في " أَمْدَحُهُ " ثقلًا لما بين الحاء والهاء من القرب . مراده أن فيه شيئًا
 من الثقل والتنافر ، فإذا انضم إليه " أَمْدَحُهُ " الثاني تضاعف ذلك الثقل ،
 وحصل التنافر المخل بالفصاحة ، وليس مراده أن مجرد الجمع بين الحاء
 والهاء موجب للتنافر المخل بالفصاحة لوروده في القرآن (٣) .

ولقد استحسن ابن يعقوب البيت من وجه آخر ، ورأى أنه عبر باللوم في مقابلة
 المدح - الذي هو في الأصل يقابل الذم - تأديبًا مع المدوح ، وأنه استعمل " إذا "
 التي تستعمل في التحقيق إيهامًا لوجود تحقق الدعوى ، وهو وجود اللوم مع عدم
 مساعد . قال :

(١) شرح الطخيس : ١ / ١٠٦ .

(٢) الطور : ٤٩ .

(٣) شروح الطخيس - مواهب الفتاح - : ١ / ١٠٠ .

(٤) المصدر السابق - حاشية الدسوقي - : ١ / ١٠١ .

" وعبر باللوم في مقابلة المدح مع أنه إنما يقابل بالذم تأدياً مع المدح ،
ولإيحاء إلى أن ذمه إنما هو لوم وعتاب على نحو تفضيل الغير على اللائم
وإلا فلا ذم . . . وعبر بإذا التي تستعمل في التحقيق إليها ما لوجود
تحقق الدعوى ، وهو وجود اللوم مع عدم مساعد (١)

ولم يستحسن الصاحب بن عباد هذه المقابلة ، ورأى أن من الهجنة مقابلة
المدح باللوم ، وذكر له هذا الرأي السعد في مختصره ، فقال :

" ذكر الصاحب اسماعيل بن عباد أنه أشد هذه القصيدة بحضرة
الأستاذ ابن العميد ، فلما بلغ هذا البيت قال له الأستاذ هل تعرف
فيه شيئاً من الهجنة قال نعم مقابلة المدح باللوم ، وإنما يقابل بالذم
أو الهجاء . . . (٢)

وكذلك اعترض الدسوقي في حاشيته على كلام ابن يعقوب ، ورأى أن الأولى
لشاعر أن يأتي " بأن ، والمضارع " الدالين على عدم تحقق الحصول ؛ لأن " إن "
لشك دون " إذا " والماضي الدالين على تحقق الوقوع ، وفيه شائبة تقصير في
مقام المدح (٣) .

ومعنى الشاهد : أراد أبو تمام وصف كرم أخلاق مدحه ، فذكر أن الخلق
جميعاً يشهدون له بكرم هذه الأخلاق ، فإذا ممدحه هب الناس لمدحه ، ووافقوه ،
وناصروه ، وإذا أراد لومه أنثنى عنه الناس ، ولم يوافقوه على فعله ، فتركه منفرداً في
حالة اللوم كأنه تقرير له وذم ، للومه شخصاً يتصف بكرم الأخلاق - إذا هم بذلك -
وهذا يدل على سعة كرم المدح ، وأنه شمل الناس جميعاً ، فحفظوا له معروفه .
جاء في شرح أبيات الإيضاح :

" . . . قوله والورى معي جملة في محل النصب على الحال ، وقوله " وحدي "

-
- (١) شرح التلخيص - مواهب الفتاح - : ١ / ١٠٠ .
(٢) المصدر السابق - مواهب الفتاح - : ١ / ١٠٠ .
(٣) المصدر السابق - حاشية الدسوقي : ١ / ١٠٢ .

حال أي منفرداً ، والمعنى هو كرم إذا مدحته وافقني الناس على مدحه ،
 فيمدحونه كما أمدحه ؛ لأنه كما يحسن إليّ يحسن إليهم بمثله ، وقيل لا أمدحه
 بشي ، إلا صدقني الناس فيه ، أو أن الناس اتفقوا معي على أن ما يوجب المدح
 للإنسان من معاني الكمال موجود فيه ، فيمدحونه كما أمدحه ، وإذا لمتهم
 لمتهم منفرداً لا يوافقني في لومه أحد ، ولا يصدقني فيما ألومهم عليه ؛ لأنه
 ليس فيه ما يقتضي لومه ، والقصد في هذا أن يروي براءة ساحة المدح
 عما يلام به الناس لا أن يثبت لنفسه أن يلومهم وحده ، أو لأنه يؤثرني
 عليهم بمزيد الإحسان إليّ ، وزيادة الإنعام عليّ فاللوم وحدي ، وليس في
 هذا كثير مدح أو يظن في دون الناس مالم يخطر ببالي ، ويصدق الساعي
 بي إليه فيما يتهمني به عنده من الهجاء ، فاللوم على ذلك وحدي ، والذي
 ذكره في قوله " وإذا مالم لمتهم وحدي محتملاً نظراً إلى اللفظ والمقام (١) (٢) .

استشهد الإمام عبد القاهر بهذه الشواهد الثلاثة (السابع - الثامن - التاسع)

للرد على من يقول بأن الفصاحة للفظ ، وتلاؤم الحروف . قال :

" وهذه شبهة أخرى ضعيفة ، عسى أن يتعلق بها متعلق ممن يُقدِّم على
 القول من غير روية : وهي أن يدَّعي أن لا معنى للفصاحة سوى التلاؤم اللفظي
 وتعديل مزاج الحروف حتى لا يتلاقى في النطق حروف ثقل على اللسان
 كالذي أنشده الجاحظ من قول الشاعر :

وَقَبْرٌ حَرْبٍ يَمَكَانِ قَقْسِرٍ . . وَلَيْسَ قُرْبٌ قَبْرِ حَرْبٍ قَسْبِرُ

وقول ابن يسير :

لَا أَنْزِلُ الْأَمَالَ بَعْدَكَ إِنِّي . . بَعْدَهَا بِالْأَمَالِ جَدُّ بِخَيْسِلِ
 كَمْ لَهَا مَوْقِعًا بَبَابِ صَدِيقٍ . . رَجَعْتُ مِنْ نَدَاهُ بِالتَّعْطِيلِ

(١) في النسخة الأزهرية :

"والذي ذكر في قوله وإذا مالم لمتهم وحدي محتملاً نظراً إلى اللفظ والمعنى " .

(٢) شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٣ ب .

قال الجاحظ : " فتفقد النصف الأخير من هذا البيت ، فإنك ستجد بعض الفاظه يتبرأ من بعض ^(١) ، ويزعم أن الكلام في ذلك على طبقات فمنه المتناهي في الثقل المفرط فيه ، كالذي مضى ، ومنه ما هو أخف منه كقول أبي تمام :
 كَرِيمٌ مَتَى أَمَدَ حَهْ أَمَدَ حَهْ وَالْوَرَى . . . مَعِيَ وَإِذَا مَالُمْتُ لُمْتُهُ وَحَسْبِي
 ومنه ما يكون فيه بعض الكلفة على اللسان إلا أنه لا يبلغ أن يعاب به صاحبه ،
 وَيَشْهَرُ أَمْرُهُ فِي ذَلِكَ وَيَحْفَظُ عَلَيْهِ ، ويزعم أن الكلام إذا سلم من ذلك وَصَفًا
 من شوبه ، كان الفصح المَشَاد به والمَشَار إليه ، وأن الصفاء أيضاً يكون
 على مراتب ، يعلو بعضها بعضاً ، وأن له غاية إذا انتهى إليها كان الإعجاز ^(٢) .
 ورد عليهم بأنه لو قُصِرَت الفصاحة على تلازم الحروف لزم إخراج الفصاحة من حيز
 البلاغة ، ومن أن تكون نظيرة لها ، وإذا فُعِلَ ذلك كنا أمام أحد أمرين :
 إما أن يُجعل " تلازم الحروف " العمدة في المفاضلة بين العبارتين ، ولا يعرج على
 غيره ، وإما أن يجعل أحد ما يفاضل به ، ووجهاً من الوجوه التي تقتضى تقديم كلام
 على كلام ، فإذا أخذ بالأمر الأول لزم أن تُقصر الفضيلة عليه حتى لا يكون الإعجاز
 إلا به ومنه ، وفي ذلك ما لا يخفى من الشناعة .
 وإن أخذ بالأمر الثاني ، وهو أن يكون تلازم الحروف وجهاً من وجوه الفضيلة ،
 ودخلاً في عداد ما يفاضل به بين كلام وكلام على الجملة ، فلا خلاف ولا ضرر في ذلك ^(٣) .
 ولقد أسهبت في عرض آراء النقاد الذين سبقوا عبد القاهر ، لأبين أن علمباء
 البلاغة لم يدرفي خلد هم - فيما يبدولي - أن يجعلوا كل البلاغة في تلازم الحروف ،
 وإنما جعلوها شرطاً ومزية فيها ، ومنشأ الخلاف بينهم وبين الشيخ ناتج عن أن الشيخ
 يجعل البلاغة والفصاحة بمعنى واحد ، وهم قد فصلوا بين الفصاحة والبلاغة .

(١) البيان والتبيين : ١ / ٦٦ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٥٢ - ٥٣ ، خفاجي : ١٠٣ - ١٠٤ ، شاكر : ٥٧ - ٥٨ .

(٣) انظر :

الدلائل ، رضا : ٥٣ - ٥٤ ، خفاجي : ١٠٤ - ١٠٥ ، شاكر : ٥٨ - ٥٩ .

تعليق :-

وفي آخر هذا الفصل أود أن أشير إلى أن الشيخ عبد القاهر قد اعتمد على الذوق والأريحية ، فلم يعمل نقده للأبيات ، بل كان يعتمد على ماتوحي به الألفاظ من إحساس ، على الرغم من أنه يطالب مراراً وتكراراً ببيان وجه العلة ، فهو القائل :

" وجملة ما أردت أن أبينه لك أنه لا بد لكل كلام تستحسنه ، ولفظ تستجيده ، من أن يكون لاستحسانك ذلك جهة معلومة ، وعلة معقولة ، وأن يكون لنسأ إلى العبارة عن ذاك سبيل ، وعلى صحة ما دعيناه من ذلك دليل ، وهو باب من العلم ، إذا أنت فتحتَه اطلعت منه على فوائد جليلة ، ومعان شريفة ، ورأيت له أثراً في الدين عظيماً ، وفائدة جسيمة ، ووجدته سبباً إلى حسم كثير من الفساد ، فيما يعود إلى التنزيل ، وإصلاح أنواع من الخلل فيما يتعلق بالتأويل (١) .

ومن اعتماده على الذوق استخدامه في تعليقاته ألفاظاً تصور الإحساس والشعور النفسي من انبساط أو انقباض من ذلك قوله :

" . . . أن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها (٢) ، أو ما أشبه ذلك ما لا تعلق له بصريح اللفظ ، ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروك وتؤنسك في موضع ، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر (٣) .

(١) الدلائل ، رضا : ٣٣ ، خفاجي : ٩١ ، شاكر : ٤١ .

(٢) ذكر الأستاذ شاكر أن الأجود في هذه العبارة ما أثبتته في نسخة : " أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ، ولا من حيث هي كلم مفردة ، وأن الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها " .

(٣) الدلائل ، رضا : ٣٨ ، خفاجي : ٩٥ ، شاكر : ٤٦ .

وقوله في التعليق على بَيَّي الصمة القشيري والبحثري :

" فَإِنَّ لَهَا فِي هَذَيْنِ الْمَكَانَيْنِ مَا لَا يَخْفَى مِنَ الْحَسَنِ . (١) "

وقوله في التعليق على بيت أبي تمام : " يَا هَرَقَوْمٌ مِمَّنْ أَخَذَ عَلَيْكَ . . . "

" فتجد لها من الثقل على النفس ومن التفتيص والتكدير أضعاف ما وجدت

هناك من الروح والخفة ، ومن الإيناس والبهجة . (٢) "

إِنَّ هَذِهِ الْمَافَاضَةَ بَيْنَ الْأَلْفَافِ ، وَالْمَعْتَمِدَةِ عَلَى الذَّوْقِ تَظْهَرُ لَنَا قُدْرَةُ الشَّيْخِ

عبد القاهر الذوقية على الاستجابة لما توحى به الألفاظ من إحساس ، وما يضيفه عليها

السياق من معانٍ .

وإذا تأملنا هذه الألفاظ التي استخدمها في التعليق تنبهنا إلى قضايا نقدية

ذات بال . منها :

أن الإمام عبد القاهر لم يُعْنِ بِأَمْرِ التَّرَادُفَاتِ فِي الْأَلْفَافِ ، فَلَا تَرَادُفٌ فِي الْأَلْفَافِ

التي تشملها اللوحة التصويرية اللغوية ، وبذلك يربط الإمام عبد القاهر بين الصياغة

من حيث هي صورة وبين معناها . (٣)

• وتعليقاته تلك تشير إلى حقيقة نقدية هامة ، وهي :

أن لكل لغة معانيها الثانوية ، فليس هناك معنى ثابت للكلمة ، وأن ما نجد

في المعاجم من معنى ليس هو كل شيء ، بل هو مجرد أساس ثابت ، ويتفرع من معنى

المعجم عديد من المعاني الثانوية بحسب السياق الذي توضع فيه ، فلو كان للفظ

معنى واحد ثابت لم يكن هناك وجه للمقارنة بين الكلمة الواحدة فيما استشهد به

عبد القاهر من أمثلة ، ولتساوى الشعراء في قدرتهم على استغلال الكلمة . (٤)

(١) الدلائل : رضا : ٣٩ ، خفاجي : ٩٦ ، شاکر : ٤٧ .

(٢) الدلائل : رضا : ٣٩ ، خفاجي : ٩٦ ، شاکر : ٤٧ .

(٣) النقد التحليلي : ١٤٦ .

(٤) المرجع السابق : ١٤٧ .

إن الواحد لا يستطيع أن يفضل لفظة بحجة أنها شاعرية، أو يرفضها بحجة أنها غير شاعرية، فكل ما في العمل الفني يخضع لقوانينه الفنية الخاصة.^(١)

حدد لنا الشيخ عبد القاهر وظيفة الشاعر ماذا يفعل حتى يحيل عناصر اللغة ومفرداتها إلى عناصر فن، فالشاعر يشكل، ويصوغ، ويختار، ويجمع، وينتقي، ويربط ذلك كله بالإلهام وحسه، وهذه العمليات كلها عمليات دقيقة تخلق من الأشياء العادية، ومن المعاني المجردة شيئاً خاصاً مستقلاً، ومعاني ذات طاقات خاصة تبعث فينا أحاسيس تختلف اختلافاً جذرياً عن أحاسيسنا في الحياة؛ لأن الشاعر استطاع أن يكسب لغته شكلاً فنياً، ويستثمر طاقات عناصرها في مواقف مناسبة.^(٢)

(١) النقد التحليلي : ١٤٧.

(٢) المرجع السابق : ١٥٤.

الفصل الثاني :

أ - شواهد الاستعارة

ب - القول في نظم الكلام ومكان الخومنه .

أ. شواهد الاستعمار

(الكامل)

الشاهد العاشر: (*)

قوله: ۞ إِذَا أَصْبَحَتْ بَيْدُ الشَّتَالِ زِمَامَهَا * (١)

(الطويل)

الشاهد الحادي عشر: (*)

قوله (٢)

* وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبْطَاحِ *
ذكر الشيخ عجز البيت فقط وصدره :
* أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا *

(*) الدلائل ، رضا : ٥٣ ، خفاجي : ١١١ ، شاكر : ٦٧ .

(١) سيأتي الحديث عن هذا الشاهد بالتفصيل في الفصل الذي عقده للاستعارة

في آخر الكتاب : ص ٨٧٤ . من البحث

(*) الدلائل ، رضا : ٥٩ ، خفاجي : ١١٧ ، شاكر : ٧٤ .

(٢) ذكر الشيخ عجز البيت الثالث ، ولم ينسبه ، وكذلك في الإيضاح والتلخيص وريحانة الألبا .

وذكرت الأبيات الثلاثة الأولى (البيتان اللذان سبقا الشاهد مع بيت الشاهد) في أسرار البلاغة ، والشعر والشعراء ، وإعجاز القرآن للباقلاني ، وشرح أبيات الإيضاح ، ومصارع العشاق .

وذكر البيت الأول والثالث فقط في الخصائص ، واللسان ، وذكر البيت الأول فقط في أمالي المرتضى .

وهذه المصادر قد ذكرت تلك الأبيات من غير نسبة .

وذكر الشيخ محمد عبد المنعم خفاجي في تحقيقه لأسرار البلاغة أن ابن جني نسبها في الخصائص لكثير عزة ، والصواب أن ابن جني أوردها من غير نسبة . وروي عن المرزباني بسنده - في أمالي المرتضى - أنه نسبها للمضرب عقبة ابن كعب .

وذكر البصري في حماسه الأبيات الثلاثة الأولى منسوبة أيضا للمضرب . وذكر

القاضي الجرجاني أنها لابن الطثرية .

وفي هامش شرح الحماسة للمرزوقي ذكر المحقق أنها تنسب لكثير عزة أو يزيد بن

الطثرية ، أو عقبة بن كعب بن زهير ، وكذلك في معجم شواهد العربية

" عبد السلام هارون " ، ومعاهد التنصيص إلا أنه أثار كونها لكثير ، وكذلك

أكد محقق كتاب " شعر يزيد بن الطثرية " ناصر بن سعد الرشيد أن

الأبيات لكثير .

وهو من قصيدة مطلعها :

لِعَزَّةَ هَاجَ الشَّوْقُ فَالْدَّمْعُ سَافِحٌ . مَفَانٍ وَرَسْمٌ قَدْ تَقَادَمَ مَا صَحُ

وقبل الشاهد :

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مِثْنِي كُلِّ حَاجَةٍ . وَنَسَحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَا صَحُ

==== وكذلك وردت له في " زهر الآداب " ، ونُسبت في ذيل اللآلي لكثير

أو للمضرب عقبة بن كعب ونُسبت لكعب بن زهير وهي موجودة في ديوانه .

وكثير هو : كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعي (١٠٥-١٠٠ هـ)

شاعر متيم مشهور من أهل المدينة أكثر إقامته بمصر وهو من شعراء الدولة

الأموية يكنى بأبي صخر . ويقال له أيضا " ابن أبي جمعة " ، و" الطلحي "

نسبة إلى بني مليح وهم قبيلته / انظر ترجمته :

طبقات فحول الشعراء : ٥٤٠-٥٤٨ ، الشعر والشعراء : ١ / ٥١٠-٥٢٤ ،

عيون الأخبار : ٢ / ١٤٤ ، الأغاني - دار إحياء التراث - : ٣٩ / ٩ ، المؤتلف

والمختلف : ١٦٩ ، معجم الشعراء للمرزباني : ٣٥٠ ، السمط : ١ / ٦١-٦٢ ،

وفيات الأعيان : ١٠٦-١١٣ ، المعاهد : ٢ / ١٣٦-١٤٧ ، شذرات الذهب

١ / ١٣١ ، خزائن البغداد : ٢ / ٣٨١-٣٨٣ ، الأعلام : ٥ / ٢١٩ ، سير

أعلام النبلاء : ٥ / ١٥٢ ، ويزيد بن الطثري سوف تأتي ترجمته .

والمضرب هو عقبة بن كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني ، ضبطه صاحب

التاج في مستدرِك (ضرب) بوزن " محدث " و " معظَّم " وضبطه في اللسان

بالكسر فقط ، والأولى الفتح اعتماداً على ما رواه ابن قتيبة في الشعر والشعراء

من أنه كان لكعب ابن يقال له عقبة شبيب بامرأة من بني أسد ، فضربه أخوها

مائة ضربة بالسيف فلم يمت وأخذ الدية فسمي المضرب / انظر ترجمته :

الشعر والشعراء : ١ / ١٤٨-١٤٩ ، المؤتلف والمختلف : ١٨٢ ، أمالي

المرتضى : ١ / ٤٥٧ ، ذيل السمط : ٧٧ ، اللسان : (ضرب) التاج :

مستدرِك (ضرب) : ١ / ٣٥٠ .

(١) رواية مصارع العشاق والمعاهد :

" قَلَمًا قَضَيْنَا " .

وَسُدَّتْ عَلَى حَدَبِ الْمَهَارِيِّ رِحَالُنَا ^(١) ^(٢) ^(٣) ^(٤) . وَلَا تَعْلَمُ الْقَادِي الَّذِي هُوَ رَائِحُ

وبعدهما الشاهد وبعده :

نَقَعْنَا قُلُوبًا بِالْأَحَادِيثِ وَأَشْشَقَّتْ . . . بِذَلِكَ صُدُّورُ مَنْضَجَاتِ قَرَائِحِ
وَلَمْ نَخْشَ رَبَّ الدَّهْرِ فِي كُلِّ حَالَةٍ . . . وَلَا زَاغْنَا فِيهِ سَنِيحٌ وَبَارِحٌ (٥)

(١) رواية نقد الشعر وأسرار البلاغة ، وشرح أبيات الإيضاح ، والكشكول ، ومواهب
الفتاح ، وحاشية الدسوقي : " عَلَى دَهْمٍ " .

والحدب : الحذبة التي في الظهر والحدب : خروج الظهر ودخول
البطن والصدر . / اللسان : " حدب " : ١ / ٣٠٠ .

(٢) رواية الحماسة البصرية : " عَلَى حَدَبِ الْمَطَايَا " .

(٣) رواية نقد الشعر : " رِحَالُهَا " .

(٤) رواية نقد الشعر ، وأسرار البلاغة ، ومواهب الفتح ، وحاشية الدسوقي ،
والمعاهد : " وَلَمْ يَنْظُرْ " .

ورواية سائر المراجع المذكورة في تحقيق البيت :
" وَلَا يَنْظُرْ " .

(٥) شرح ديوان كعب بن زهير : ٢٤٢ ، ديوان كثير عزة : تحقيق إحسان
عباس - : ٥٢٥ ، شعر يزيد بن الطثيرة - نصر بن سعد الرشيد - : ٤٠-٤١ ،
الوحشيات : ١٨٧ ، الشعر والشعراء : ١ / ٧٢ ، الخصائص : ١ / ٢٨-٢١٨ -
٢١٩-٢٢٠ ، المحتسب : ١ / ٣٣٤ ، عيار الشعر : ٨٨ ، نقد الشعر :
٣٥ ، ذيل الأمالي : ١١٦ ، الوساطة : ٣٤ ، الصناعتين : ٤٢ ، إعجاز
القرآن للباقلاني : ٢٢١ ، ٢٢٢ ، شرح الحماسة للمرزوقي : ٥٨٤ / ٢ ، أمالي
المرتضى : ١ / ٤٥٨ ، ٢ / ٣٥٩ ، زهر الآداب : ٤٠٤ / ٢ - ٤٠٥ . ،
ذيل اللآلي : ٧٧ ، أسرار البلاغة - خفاجي - : ١١٤ / ١ - ١١٥ ، أسرار
البلاغة - هـ ريتز - : ٢١ - ٢٢ ، مصارع العشاق - دار صادر - : ١٣٥ / ٢ ،
محاضرات الأدباء : ١ / ٩٤ ، اللسان : مادة (طرف) : ٢١٨ / ٩ ، المثل
السائر : ٢ / ٦٦ ، الحماسة البصرية : ١٠٣ / ٢ ، شرح أبيات الإيضاح -
فيض الله - : ٤٩ ، معاهد التنصيص : ١٣٥ / ٢ ، ريحانة الألبا :

استشهد الشيخ بالبيت على أن الاستعارة هنا غريبة، وأن الغرابة ليست في الشبه نفسه، لأنه معروف ظاهر، وإنما الغرابة ناتجة عن حسن النظم والتركيب . فالشيخ يرى أن الاستعارة تتفاوت، فمنها العامي المبذل كقولنا : رأيت أسداً ، ووردت بحراً ، ومنها الخاصي النادر الذي لا يوجد إلا في كلام الفحول ، ولا يقوى عليه إلا أفراد الرجال ، ورأى أن هذا الشاهد قد وصل إلى درجة الحسن واللفظ ، وطو الطبقة ، وأن الغرابة فيه ليست في الشبه نفسه .

قال :

” أعلم أن من شأن هذه الأجناس أن تجري فيها الفضيحة، وأن تتفاوت التفاوت الشديد ، أفلا ترى في الاستعارة العامي المبذل كقولنا : رأيت أسداً ، ووردت بحراً ، ولقيت بداراً ، والخاصي النادر الذي لا تجده إلا في كلام الفحول ، ولا يقوى عليه إلا أفراد الرجال كقوله :

” وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبْطَاحُ ” أراد أنها سارت سيراً حثيثاً في غاية السرعة ، وكانت سرعة في لين وسلاسة كأنها كانت سيولاً وقعت في تلك الأباطح فجرت بها . . . وليست الغرابة في قوله : ” وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبْطَاحُ ” على هذه الجملة ؛ وذلك أنه لم يغرب لأن جعل المَطيَّ في سرعة سيرها وسهولته كالماء يجري في الأبطح ، فإن هذا شبه معروف ظاهر، ولكن الدقة واللفظ في خصوصية أفادها بأن جعل ” سَالَتْ ” فعلاً للأباطح ، ثم عداه بالباء ، ثم بأن أدخل الأعناق في البيت ، فقال : ” بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ ” ولم يقل بِالْمَطِيِّ ، ولو قال : سَالَتْ الْمَطِيُّ فِي الْأَبْطَاحِ ، لم يكن شيئاً . (١)

فالشاهد يشمل ثلاثة مجازات :

(١) الدلائل : رضا : ٥٨ - ٦٠ ، خفاجي : ١١٢ - ١١٩ ، شاكر :

أحد ها : مجاز بالاستعارة، وهو استعارة سيلان السيول الواقعة في الأباطح —
لسير الإبل سيراً سريعاً فيه لين وسلاسة، وهذه الاستعارة مبتدلة
مطروقة .

المجاز الثاني : مجاز عقلي وهو إسناد السيل إلى الأباطح إسناد ما للحال إلى
المحل ، وذلك للإعلام بالكثرة الواقعة في المحل ، فإن الواقع في المحل
إِنْ كَثُرَ أُسْنِدَ إِلَى ذَلِكَ الْحَلِّ لَكثرةِ تلبسه به حتى صار كأنه موصوفه .
والمجاز الثالث : عقلي تقديره ، وهو إسناد السير للأعناق وأُسْنِدَ السير لها
تقديره ؛ لأن سرعة السير وبطئه يظهران غالباً فيها ، فهي سبب في فهم
سرعة السير وبطئه ، فلما كانت سبباً في فهم ذلك وإدراكه صارت كأنها
سبب في وجود السير فهي إسناد الشيء إلى ما هو كالسبب فيه .^(١)

وفيما يلي سأذكر آراء النقاد في بيت الشاهد وما يتعلق به من أبيات قبله وبعده ؛
لا ارتباطها به ، ثم أختتمها برأي الشيخ الذي ذكره في الأسرار .

يرى ابن قتيبة (٢٧٦ هـ) أن أقسام الشعر أربعة :

- ضرب منه حسن لفظه ، وجاد معناه .
- وضرب منه حسن لفظه وحلا ، فإذا فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى .
- وضرب منه جاد معناه وقصرت ألفاظه عنه .
- وضرب منه تأخر معناه ، وتأخر لفظه .^(٢)

ورأى أن أبيات " كثير " من الضرب الثاني وهو ما حسن لفظه ، وقل معناه .
وعلق عليه بقوله :

" هذه الألفاظ كما ترى ، أحسن شيء مخرج ، ومطالع ، ومقاطع ، وإن نظرت إلى
ما تحتها من المعنى وجدته : وَلَمَّا قَطَعْنَا أَيَّامَ مَبْنَى وَاسْتَلَمْنَا الْأَرْكَانَ ،

(١) انظر : شروح التلخيص - مواهب الفتاح : ٤ / ٨٩ - ٩٠ ، المصدر السابق -

حاشية الدسوقي : ٤ / ٩٠ - ٩١ .

(٢) الشعر والشعراء : ١ / ٧٠ - ٧٥ .

وعالينا إبلنا الأنضاء ، ومضى الناس لا ينتظر الغادي الرائح ، ابتدأنا
في الحديث ، وسارت المِطَيَّ في الأبطح (١)

ومال قدامة بن جعفر إلى رأي ابن قتيبة ، فذكر الأبيات في نعت اللفظ ، وهو
أن يكون سمحاً سهل مخارج الحروف من مواضعها ، عليه رونق الفصاحة مع الخلو
من البشاعة (٢).

وإلى مثل هذا ذهب الباقلاني ، وهو فيما يبدو ناقل عن ابن قتيبة حيث قال
قبل عرض الأبيات :

” وهذا من الشعر الحسن الذي يحلو لفظه ، وتقل فوائده (٣).

وقال بعد عرضها :

” هذه ألفاظ بدیعة المطالع والمقاطع ، حلوة المجاني والمواقع قليلة المعاني
والفوائد (٤).

والذي يبدو من التأمل الدقيق لهذه الأبيات أنها تحتوي على ألفاظ لها رونق
وحلاوة ، وعذوبة وطلاوة ، وأن معانيها مشرقة موحية ، وقد نظر ابن جني في هذه
الأبيات نظرية المتأمل البصير ، والمتذوق الخبير ، وردَّ بها على من قال بأن
العرب تهتم بألفاظها دون معانيها واستدلوا بهسده
الأبيات ، ورأوا أنها شريفة الألفاظ رفيعة المعاني ، مشروفة المعاني خفيضة المعاني . فقال
في ” باب الرد على من ادعى على العرب عنايتها بالألفاظ وإغفالها المعاني ” :
” . . . فإن قلت : فإننا نجد من ألفاظهم ما قد نَمَّوه ، وزخرفوه ، ووشَّوه ،
ودبَّجوه ، ولسنا نجد مع ذلك تحته معنى شريفاً ، بل لانجده قصداً ولا مقارناً ،
ألا ترى إلى قوله :

(١) الشعر والشعراء : ١ / ٧٢ .

(٢) نقد الشعر : ٢٨ .

(٣) إعجاز القرآن : ٢٢١ .

(٤) المصدر السابق : ٢٢٢ .

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مِثْنَى كُلِّ حَاجَةٍ . . . وَمَسَّحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحٌ
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا . . . وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحُ
فقد ترى إلى علو هذا اللفظ ومائه ، وصقاله وتلاحم أنحائه ، ومعناه مع هذا
ما يحسسه وتراه إنما هو : لَمَّا فرغنا من الحج ركبنا الطريق راجعين ، وتحدثنا
على ظهور الإبل ، ولهذا نظائر كثيرة شريفة الألفاظ رفيعتها ، مشروفة المعاني
خفيضتها (١)

ورأى ابن جني أن قولهم هذا مرجعه إلى جفاء الطبع ، وخفاء غرض الناطق عنهم ،
ثم أخذ ينقب ويفتش عن لطائف وأسرار تختبئ في هذه الأبيات ، مستعيناً بسلامة
ذوقه ، وحسن طبعه ، وسرعة إدراكه . قال :

" . . . ولا أرى مارأه القوم منه ، وإنما ذلك لجفاء طبع الناظر ، وخفاء غرض
الناطق ؛ وذلك أن في قوله : " كل حاجة " ما يفيد منه أهل النسيب والرقصة ،
وذوو الأهواء واليقظة ما لا يفيد غيرهم ، ولا يشاركهم فيه من ليس منهم ، ألا ترى
أن من حوائج (مِثْنَى) أشياء كثيرة غير ما الظاهر عليه ، والمعتاد فيه سواها ؛
لأن منها التلاقي ، ومنها التشاكي ، ومنها التخلي ، إلى غير ذلك مما هو
تالٍ له ، ومعقود الكون به ، وكأنه صانع عن هذا الموضوع الذي أومأ إليه ،
وعقد غرضه عليه ، بقوله في آخر البيت :

" وَمَسَّحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحٌ "

أي إنما كانت حوائجنا التي قضيناها ، وآرابنا التي أنضيناها من هذا النحو
الذي هو مسح الأركان ، وما هو لاحق به ، وجارٍ في القرية من الله مجراه ،
أي لم يتعد هذا القدر المذكور إلى ما يحتله أول البيت من التعريض
الجاري مجرى التصريح .

وأما البيت الثاني فإن فيه :

" أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْحَدِيثِ بَيْنَنَا "

وفي هذا ما أذكره ؛ لتراه فتعجب ممن عجب منه ووضع من معناه ؛ وذلك
أنه لو قال : أخذنا في أحاديثنا ، ونحو ذلك ؛ لكان فيه معنى 'يكبره' أهل
النسب وتعنوله ميعة الماضي الصليب . وذلك أنهم قد شاع عنهم واتسع
في محاوراتهم علو قدر الحديث بين الإلغيين ، والفكاهة بجمع شمل المتواصلين
ألا ترى إلى قول الهذلي :^(١)

وإنَّ حَدِيثًا مِنْكَ - لَوْ تَعْلَمِينَهِ - . جَنَى النَّحْلُ فِي الْبَنَانِ عُونََ مَطَايِلِ
... فإذا كان قدر الحديث - مرسلًا - عندهم هذا ، على ما ترى فكيف به
إذا قيده بقوله :

مِائَاتُ رَافِ الْأَحَادِيثِ .

وذلك أن في قوله (أَطْرَافُ الْأَحَادِيثِ) وحياً خفياً ، ورمزاً حلواً ، ألا ترى
أنه يريد بأطرافها ما يتعاطاه المحبُّون ، ويتفاوضه ذوو الصباية المتيمِّون ،
من التعريض ، والتطويح ، والإيماء دون التصريح ؛ وذلك أحلى وأدمس ،
وأغزل وأنسب ، من أن يكون مشافهةً وكشفاً ، ومصارحةً وجهراً ، وإذا كان
كذلك فمعنى هذين البيتين أعلى عندهم ، وأشدَّ تقدماً في نفوسهم ، من
لفظهما وإن عذَّب موقعه ، وأثَقَّ له مستيعه .

نعم ، وفي قوله :

" وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ التَّطِيَّيِّ الْأَبَاطِحُ "

من الفصاحة ما لا خفاء به . والأمر في هذا أسير وأعزف وأشهر^(٣) .

وعنه نقل ابن الأثير من غير أن يشير إلى هذا النقل^(٤)

(١) هو أبو ذؤيب ، انظر ديوان الهذليين : ١٤٠ .

(٢) المطافل : صغار الأولاد والواحدة مَطْفُل ، يريد أن لبن الأبقار أطيب /

ديوان الهذليين : ١٤٠ ، اللسان " طفل " : ٤٠٢ / ١١ .

(٣) الخصائص : ٢١٨ / ١ - ٢٢٠ .

(٤) انظر: المثل السائر : ٢ / ٦٢ - ٦٩ .

ورأى ابن طباطبا أن هذا الشعر قد استوفى معناه ، وجاء على قدر مراد الشاعر .
قال :

* هذا الشعر هو استشعار قائله لفرحة قفوله إلى بلده وسروره بالحاجة
التي وصفها ، من قضاء حجه وأنسه برفقائه ، ومحادثتهم ووصفه سيل الأباطح
بأعناق المِطِيِّ كما تسيل بالمياه ، فهو معنى مستوفى على قدر مراد الشاعر (١) .
وكذلك استحسن القاضي الجرجاني في وساطته هذه الأبيات ، ورأى أنها من
الأبيات المحكمة الصنعة العذبة الألفاظ ، وقد ذكرها في الاستعارات الحسنة .
قال :

* فإذا جاءتك الاستعارة كقول زهير :
* وَغَرَّيْ أَفْرَاسَ الصَّبَا وَرَوَّاحِلَهُ (٢)
وقول لبيد :

* إِذَا أَصْبَحْتَ بِيَدِ الشَّمَالِ زِمَامَهَا (٣)
وقول ابن الطثرية :

أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا . . . وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمِطِيِّ الْأَبَاطِحُ

(١) عيار الشعر : ٨٨ .

(٢) صدره : * صَحَا الْقَلْبُ عَنْ سَلَمَى وَأَقْصَرَ بَاطِلُهُ * / انظر البيت فسي :
شعر زهير - صنعة الأظم - : ٤٥ .

قال الأظم : * هذا مثل ضربة ، أي ترك الصبا ، وركوب الباطل ، وتقدير لفظه :
وَعَرَّيْ أَفْرَاسَ وَرَوَّاحِلَ كُنْتُ أُرْكِبُهَا فِي الصَّبَا ، وطلب اللهو * / شعر زهير
- صنعة الأظم - : ٤٦ .

(٣) صدره : * وَغَدَاةٍ رِيحٍ قَدْ وَزَعَتْ وَقَرَّةً * .
والضمير في * أصبحت * يعود على الغداة ، أي أصبحت الغداة يغلب
عليها الشمال ، وهي أبرد الرياح .

فقد جاءك الحسن والإحسان ، وقد أصبت ما أردت من إحكام الصنعة
وعذوبة اللفظ (١) .

ثم جاء الإمام عبد القاهر ، وفصل القول في هذه الأبيات ، ودلل على أسرار
معانيها ، ودقيق ألفاظها وجودة سبكها ، فعاب من يرد الاستحسان إلى اللفظ
فقط فيصفه بالسلامة ، وينسبه إلى الدماثة ، ويقول إنه كالماء جرياناً ، والهواء لطفاً ،
والرياض حسناً ، وكأنه النسيم مزاجه التسليم ، وكأنه الديباج الخسرواني في مرامي
الأبصار ، وشي اليمين منشوراً على أذرع التجار (٢) .

ثم ذكر مثلاً لذلك أبيات " كثير عزة " وطالب القاري ، بأن لا يقف عند حدود
الفاظها ، بل عليه أن يسير أغوارها ، ويتعدى حدودها إلى جاراتها ، ويبحث عن
العلاقات والروابط بينها ، وأن يحسن التأمل ، ويدع التجوز في الرأي ، وأن لا يكتفي
بإطلاق المصطلحات من غير تحليل .

جاء في أسرار البلاغة بعد ذكر أبيات كثير عزة :

" ثم راجع فكرتك ، واشحذ بصيرتك ، وأحسن التأمل ، ودع عنك التجوز في
الرأي ، ثم انظر هل تجد لاستحسانهم ، وحمدهم ، وثنائهم ، ومدحهم منصرفاً
إلا إلى استعارة وقعت موقعها ، وأصابت غرضها ، أو حسن ترتيب تكامل
معه البيان حتى وصل المعنى إلى القلب مع وصول اللفظ إلى السمع ، واستقر
في الفهم مع وقوع العبارة في الأذن ، وإلا إلى سلامة الكلام من الحشو وغير
المفيد ، والفضل الذي هو كالزيادة في التحديد . . . (٣) "

ثم شرع يحلل أبيات - كثير - ليبين للقاري ، الطريقة التي يدرك بها جمال
العبارة ويتذوق بها محاسن القول .
قال :

(١) الوساطة : ٣٤ .

(٢) أسرار البلاغة - ريتز - : ٢١ .

(٣) المصدر السابق : ٢٢ .

* أول ما يتلّقاك من محاسن هذا الشعر أنه قال :

" وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مِثْنَى كُلِّ حَاجَةٍ " ، فعبر عن قضاء المناسك بأجمعها والخروج من فروضها وسننها من طريق أمكنه أن يقصّر معه اللفظ ، وهو طريقة العموم ، ثم نيه بقوله :

" وَمَسَّحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَسِيحٌ " على طواف الوداع الذي هو آخر الأمر ، ودليل السير الذي هو مقصوده من الشعر ، ثم قال :

" أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا " ، فوصل بذكر مسح الأركان ما يليه من زم الركاب ، وركوب الركبان ، ثم دلّ بلفظة " الأطراف " على الصفة التي يختص بها الرفاق في السفر من التصرف في فنون القول ، وشجون الحديث ، أو ما هو عادة المتطوّفين من الإشارة والتطويح والرمز والإيماء ، وأنبا بذلك عن طيب النفوس ، وقوة النشاط ، وفضل الاغتباط كما توجهه ألفاظهم وأنسة الأحباب ، وكما يليق بحال من وفقّ لقضاء العبادات الشريفة ، ورجا حسن الإياب ، وتتسم روائح الأحيّة والأوطان ، واستماع التهناني والتحايا من الخلّان والأخوان ، ثم زان ذلك كله باستعارة لطيفة طبّق فيها مفصل التشبيه ، وأفاد كثيراً من الفوائد بلطف الوحي والتنبيه ، فصّرّح أولاً بما أوماً إليه في الأخذ بأطراف الأحاديث من أنهم تنازعوا أحاديثهم على ظهور الرواحل ، وفي حال التوجه إلى المنازل ، وأخبر بعد بسرعة السير ووطأة الظهر ، إن جعل سلاسة سيرها بهم كالماء تسيل به الأباطح ، وكان في ذلك ما يؤكد ما قبله لأن الظهور إذا كانت وطيفة ، وكان سيرها السهل السريع زاد ذلك في نشاط الركبان ومع ازدياد النشاط يزداد الحديث طيباً . ثم قال : " بأعناق القطيّ " ولم يقل " بالمطيّ " ، لأن السرعة والبطء يظهران غالباً في أعناقها ، ويبين أمرهما من هوائيهما وصدورها ، وسائر أجزائها تستند إليهما في الحركة ، وتتبعها في الثقل والخفة ، ويعبر عن المرح والنشاط إذا كانا في أنفسهما بأفاعيل لها خاصّة في العنق والرأس ويدل عليهما بشمائل

(١) وفي السور تحميمه غنائي « المتطوّفين » . ويدري أنظر المتطوّفين « أي الذين يأخذون بأطراف الأحاديث » .

مخصوصة في المقادير (١)

ويبدو أن الشيخ قد تأثر في تحليله هذا بما كتبه ابن جني في هذه الأبيات ،
إلا أن الشيخ كان أكثر تفصيلاً وتحليلاً خاصة عند تحليل قول الشاعر :

" وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ التَّطِيِّ الْأَبَاطِحُ " .

الشاهد الثاني عشر : * (البسيط)

قول الآخر :

سَالَتْ عَلَيْهِ شِعَابُ الْحَيِّ (٢) حِينَ دَعَا . : أَنْصَارُهُ (٤) يُوْجُوهُ (٥) كَالِدَنَّا نِيْسِر (٦)
ذكر الشيخ البيت من غير نسبة (٧)

(١) أسرار البلاغة : هـ - ريت : ٢١ - ٢٣ .

(*) الدلائل ، رضا : ٥٩ ، خفاجي : ١١٨ ، شاكر : ٧٤ .

(٢) رواية الوحشيات : " براق الحى " .

ورواية الاقتضاب : " سالت عليه شِعَاب " .

(٣) رواية الوحشيات " العِزُّ " .

ورواية الاقتضاب " المجد " .

(٤) رواية الوحشيات : " أصحابه " .

(٥) رواية الاقتضاب : " ووجوه " .

(٦) انظر البيت في :

الوحشيات : ٢٦٩ ، رقم (٤٥١) ، المؤلف والمختلف : ١١٢ ، والاقتضاب

في شرح أدب الكتاب : ٣٧٢ ، الإيضاح - خفاجي - : ٤٢٤ / ٢ ، شرح

أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - : رقم الشاهد : ٣٧٠ ، معاهد

التنصيص : ٢ / ١٣٥ ، رقم الشاهد : ١٠٣ .

(٧) ذكر الشيخ البيت أيضا في فصل " النظم يتحد في الوضع ويدق فيه الصنع "

- الدلائل رضا : ٧٨ ، خفاجي : ١٣٦ ، شاكر : ٩٩ - ويوهم كلامه هناك

بأن البيت لابن المعتز ، فبعد أن ذكر أبياتاً لابن المعتز قال :

" وإن أردت أعجب من ذلك فيما ذكرت لك فانظر إلى قوله - وقد تقدم

إنشاده قبل - " سالت عليه شعاب الحى حين دعا . . . "

ونسبه كذلك صاحب الإيضاح لابن المعتز وتابعه صاحب شرح أبيات

وهو لسبيع بن الخطيم^(١) من قصيدة^(٢) قالها لزيد الفوارس^(٣) الضبي ، وقد كانت

بنوضبة أخذت إبله فاستقذها زيد وردها عليه^(٤) .

وأول الأبيات - وهو البيت الذي قبل الشاهد - :

إِنَّ أَبْنَ آلِ ضِرَارَ حِينَ انْدُبُهُ^(٥) . . زَيْدًا سَقَى لِي سَقِيًّا غَيْرَ مَكْفُورٍ^(٦)

=== الإيضاح ، ومعاهد التنصيص ، ولعلمهم توهموا ذلك من كلام الشيخ السابق ذكره .

وذكر البيت من غير نسبة في الوحشيات ، والاقتضاب وعزاها الخالديان :

١٣ - لمحرز بن المكعب ، ونسب الآمدي أحد أبيات القصيدة - غير بيت الشاهد - لدجاجة بن عبد قيس ، وتلا ذلك حاشية تذكر أن البيت مع أبيات آخر لسبيع بن الخطيم .

ونسبها أيضاً الآمدي : ١١٢ ، والخالديين (الاختيارين) برقم ٦٩ لسبيع بن الخطيم . .

(١) هو سبيع بن الخطيم التميمي تيم عبد مائة بن أد بن طابخة من بطن منهم يقال له بنو رفاعه ، وهو شاعر محسن ، فارس ، جاهلي ، عاصر بعض الإسماعيليين . / انظر ترجمته :

المؤلف والمختلف : ١١٢ ، الأعلام : ٣ / ٧٧ .

(٢) ذكر الآمدي ستة أبيات ، والبطلاني " الاقتضاب " خمسة أبيات - مع اختلاف في ترتيب الأبيات وبعض الألفاظ .

(٣) هو زيد بن حصين بن ضرار الضبي ، فارس - شاعر ، جاهلي ، أورد البغدادي قليلاً من أخباره ، وأبياتاً له ، وأورد له أبو تمام أبياتاً في حماسته /

انظر أخباره : شرح الحماسة للمرزوقي : ٥٥٧ ، ١٦٧٨ ، خزانة البغدادي

- دار صادر - : ١ / ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٤ / ٢١٨ ، ٢١٩ ، الأعلام : ٣ / ٥٨ .

(٤) المؤلف والمختلف : ١١٢ - ١١٥ .

(٥) رواية الاقتضاب " حين أدركها " .

(٦) ذكر أبو تمام " الوحشيات " ، والبطلاني قبل بيت الشاهد :

نَبِهْتُ زَيْدًا فَلَمْ أَفْزَعْ إِلَى وَكَلٍ . . رَثَّ السَّلَاحَ وَلَا فِي الْحَيِّ مَكْفُورٌ

وبعد الشاهد وبعده :

لَيْسَ الْهَيْجَانُ إِذَا مَا كُنْتُ مُفْتَحِلًا .: كَالْوَرَقِ تَنْظُرُ فِي أَلْوَانِهَا الْخُورِ (١)

لَوْلَا إِلَهُهُ وَلَوْلَا مَجْدُ طَائِلِيهَا (٢) .: لِلْمَهْدِ مَوْهَا (٣) كَمَا نَالُوا مِنَ الْعِيرِ (٤)

استشهد الإمام عبد القاهر بهذا البيت في موضعين من كتابه " الدلائل :

الموضع الأول : عند حديثه عن تفاوت الاستعارة ، ورأى أن هذا البيت من

الاستعارة الحسنة اللطيفة العالية الطبقة ، فقال :

" . . . ومثل هذه الاستعارة (٥) في الحسن واللفظ ، وطو الطبقة في هذه

اللفظة بعينها قول الآخر :

سَأَلَتْ عَلَيْهِ شِعَابُ الْحَيِّ حِينَ دَعَا .: أَنْصَارُهُ بِوُجُوهِ كَالِدَنَانِ سِيرِ

أراد أنه مطاع في الحي ، وأنهم يسرعون إلى نصرته ، وأنه لا يدعوهم لحرب ،

أو نازل خطب ، إلا أتوه وكثروا عليه ، وازدحموا حواليه ، حتى تجدهم

كالسيول تجري من ههنا وههنا ، وتنصب من هذا المسيل وذلك ، وحتى

يَقْصُ بِهَا الْوَادِي وَيُطْفَحُ مِنْهَا (٦) .

وقد زاد المسألة تفصيلاً في الموضع الثاني ، وهو :

" فصل النظم يتحد في الوضع ويدق فيه الصنع " ، فبين أن هذه اللفظة لبست

ثوب الجمال ، والحسن لمشاركة جاراتها لها في صياغة البيت وتركيبه ، فالجمال في

البيت ليس في الاستعارة ، وإنما في طريقة تركيبها ، وصياغتها . قال :

(١) لم يذكر البطليوسي هذا البيت ، وإنما ذكر قوله " إن ابن آل ضرار حين .. (

بعد بيت الشاهد .

(٢) رواية الاقتضاب : " وَلَوْلَا سَعْيِي صَاحِبِهَا " .

(٣) رواية الاقتضاب : " تلهو جوها " ، واللهذم : القطع والأكل بسرعة .

(٤) وهذه الأبيات نقلًا عن الآمدي .

(٥) يقصد قول كثير السابق " وَسَأَلْتُ بِأَعْنَاقِ الْمِطِيِّ الْأَبَاطِحُ " .

(٦) الدلائل ، رضا : ٦٢ ، خفاجي : ١١٨ ، شاكر : ٧٥ .

" فإنك ترى هذه الاستعارة على لطفها، وغرابتها، إنما تم لها الحسن وانتهى إلى حيث انتهى بما توخى في وضع الكلام من التقديم والتأخير، وتجدها قد ملحت ولطفت بمعاونة ذلك، وموازرت لها، وإن شككت فأغنت إلى الجارين، والظرف، فأزل كلاً منها عن مكانه الذي وضعه الشاعر فيه فقل: " سالت شعاب الحي بوجوه كالدنانير عليه حين دعا أنصاره " ثم انظر كيف يكون الحال، وكيف يذهب الحسن والحلاوة؟ وكيف تُعَدَّم أَرْجِيَّتُكَ التي كانت؟ وكيف تذهب النشوة التي كنت تجدها (١)؟

وإذا تأملنا بيت الشاهد، وجدناه يحوي معاني شريفة، وينطوي على أسرار لطيفة، منها استعارة السيل لشعاب الحي، وهذه الاستعارة في ذاتها ليست بالأمر الخطير، ولا الشيء البديع، ولكن جمال الاستعارة في الصياغة، وحسن التركيب، وأنها وقعت موقعها وأصابت غرضها، حيث اختار الشاعر حرف الجر " على " مع الفعل " سأل " بدلاً من " إليه " ثم عدَّى الفعل " بالباء " فصور بهذين الحرفين سرعة وشدة توجيههم إليه، وأنهم يتدفقون عليه دفعة واحدة، وكأنهم سيل ينصب من أعلى جبل، فلو أنه قال " سالت إليه " لم يتمكن الفعل " سأل " من إعطائنا صورة التدفق الشديد، لأن السيلان حين يكون من أعلى تكون صورته أشد، ثم إن الحرف (إلى) يدل على التباطؤ والتسلسل في هدوء.

ثم إن تقديم الجار والمجرور " عليه " على الظرف " حين دعا " يظهر لنا علو مكانة المدح عند قومه، وأن أمره مطاع بينهم، فإن صيحة واحدة منه قد فجرت عليه شعاب الحي، فأقبلت جموعهم تتري من كل صوب، فهو مطاع يسرعون لنصرتهم لا يدعونهم لحرب، أو نازل خطب إلا أتوه وكثروا عليه، وازدحموا حواليه، حستى تجدهم كالسيول من هنا وهناك، وتتصب من هذا وذاك حتى يغص بها الوادي ويطفح منها.

ثم إنَّ قوله : " بوجوه كالدنانير " أضفى على الاستعارة حسناً ومزية ، حيث
 وضع لنا أن طبية الناس لدعوة ذلك المخرج ليست عن قهر وجبر مصحوبة بالتخاضل
 والفتور ، وإنما كانت طبية تابعة من القلب وكان الإقبال نحوه نتيجة لاستجابة طبيعية
 لمشاعر التقدير ، والحب المكنون في قلوبهم لهذا الزعيم ، وانعكس هذا الحب القلبي
 على وجوههم ، فظهرت عليها علامات الفرح والسرور ، فأشرقت ، وأنارت ، وكأنها
 الدنانير في لمعانها .^(١)

الشاهد الثالث عشر : (*) (الكامل)

قول يزيد بن مسلمة بن عبد الملك :^(٢)

عَوْنَتَهُ فِيمَا أُرْوَرُ حَبَائِي . . إِهْمَالُهُ وَكَذَلِكَ كُلُّ مَخَاطِرِ
 وَإِذَا آخَتْنِي قُرْبُوسُهُ^(٤) بِعَيْنَانِهِ . . عَطَا^(٧) الشَّكِيمَ^(٨) إِلَى أَنْصَرَفِ الرَّائِرِ^(٩)

(١) انظر : الدلائل ، رضا : ٦٢ ، خفاجي : ١١٨ ، شاكر : ٧٥ ، النقد التحليلي
 عند عبد القاهر الجرجاني : ٢٥١-٢٥٢ .

(*) الدلائل ، رضا : ٥٩ ، خفاجي : ١١٨ ، شاكر : ٧٥ .
 (٢) نسيه صاحب بهجة المجالس إلى محمد بن يزيد بن مسلمة . قال : " ما وُصف

بِرَّزْنٍ وَنَّ بِأَحْسَنٍ مِنْ قَوْلِ الْمُسْلِمِيِّ مِنْ وَلَدِ مُسْلِمَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَاسْمُهُ مُحَمَّدُ
 ابْنُ يَزِيدٍ " . / لم أجد ترجمته فيما رجعت إليه من مصادر ، وإنما انظر :
 جمهرة أنساب العرب : ١٠٣ فيها ذكر أن يزيد من ولد مسلمة بن عبد الملك .
 (٣) رواية بهجة المجالس : " فَإِذَا آخَتْنِي " .

(٤) ومعنى الاحتباء : احتبى الرجل جمع ظهره ، وساقيه بثوب أو غيره ، وقد
 يحتبى بيديه . / المصباح المنير (كتاب الحاء) : ١ / ١٣٠ .

(٥) الْقُرْبُوسُ : جِنُّو السَّرْجِ ، وَالْقُرْبُوسُ لُغَةٌ فِيهِ حَكَاهَا أَبُو زَيْدٍ وَجَمَعَهُ قَرَابِيسُ ،
 وَلِلسَّرْجِ قَرْبُوسَانِ ، فَأَمَّا الْقُرْبُوسُ الْمُقَدَّمُ فِيهِ الْعُضْدَانِ ، وَهِيَ رَجُلَا السَّرْجِ ،
 وَيُقَالُ لِهَمَا جِنَوَاهُ / اللِّسَانُ : " فرس " / ٦ / ١٧٢ .

(٦) الْعِنَانُ : وَعِنَانُ اللَّجَامِ : السَّيْرُ الَّذِي تُسَكُّ بِهِ الدَّابَّةُ ، وَالْجَمْعُ أَعْنَسَةٌ ،
 وَعُنُنٌ ، وَسُمِّيَ عِنَانُ اللَّجَامِ عِنَانًا ، لِاعْتِرَاضِ سَيْرِيهِ عَلَى صَفْحَتِي عُنُقِ الدَّابَّةِ
 مِنْ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ / اللِّسَانُ : " عنن " : ١٣ / ٢٩٢ .

.....

(٧) علك الفرس اللجام : لأكه ، وعلكته علكا من باب قتل " مضغتمه " /

المصباح المنير " العين مع اللام وما يثلاثهما " : ٢ / ٧٧٠ .

(٨) الشكيم والشكيمة في اللجام الحديدية المعترضة في فم الفرس التي

فيها الفأس والجمع شكائم / الصحاح " شكم " فصل الشين ، بساب

الكاف : ٥ / ١٩٦٠ .

ورواية الكامل : " علك اللجام " .

(٩) انظر البيت في :

الكامل : ٢ / ١٤٠ ، بهجة المجالس : ٢ / ٧١ ، الإيضاح : ٢ / ٤٢٤ ،

التلخيص شرح البرقوقي : ٣١١ ، شرح أبيات الإيضاح - النسخة

الأزهرية - الشاهد رقم : (٣٦٨) ، معاهد التنصيص : ٢ / ١٢٩ ،

حلية اللب المصون - أحمد الدمنهوري : ١٤١ ، حاشية العلامة

مخلوف المنياوي على شرح اللب المصون : ١٤١ .

استشهد به الشيخ على الاستعارة الغريبة النادرة ، وأن الغرابية فيها في الشبه نفسه ، وليست الغرابية في التركيب والصياغة كالبيتين السابقين . قال :
 " ومن بديع الاستعارة ونادرها - إلا أن جهة الغرابية فيه غير جهتها في هذا - قول يزيد بن مسلمة بن عبد الملك يصف فرساً له ، وأنه مؤدب ، وأنه إذا نزل عنه ، وألقى عنانه في قريوس سرجه ، وقف مكانه إلى أن يعود إليه " فالغرابية ههنا في الشبه نفسه ، وفي أن استدرجك أن هيئة العنان في موقعه من قريوس السرج كالهئية في موقع الثوب من ركبة المحتبي ، وليست الغرابية في قوله :

" وَسَالَتْ يَأْغَنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحُ " على هذه الجملة (١)

فالغرابية في بيت يزيد بن مسلمة في استعارة الاحتباء لهئية الفرس . ويحتمل أن يكون قريوسه فاعل آحتبي ؛ وذلك بتنزيل القريوس منزلة الرجل المحتبي ، فكأن القريوس ضم فم الفرس إليه بالعنان كما يضم الرجل ركبتيه إلى ظهره بشوب ، فينزل القريوس في هيئة التشبيه منزلة الظهر من المحتبي ، وفم الفرس منزلة الركبتين . ويحتمل أن يكون قريوسه مفعول آحتبي مضمناً معنى " جَمَعَ " فينزل القريوس في الهئية منزلة الركبتين ، وفم الفرس منزلة الظهر .

والوجه الأول ، وهو كون القريوس فاعلاً ، وإن كان فيه مناسبة ما من جهة أن الركبتين فيهما شيطان كفكي الفرس مع التفاوت في المقدار والنسبة ، والقريوس متحدب كوسط الإنسان وخلفه كظهره إلا أن فيه بعداً وغموضاً من جهة أن القريوس في الهئية أعلى وكذا الركبتان والفم أسفل ، وكذا الظهر ، وحينئذٍ ، فالوجه الثاني بهذا الاعتبار أولى ؛ لأنه أدل ؛ ولأنه أشد في تحقيق التشابه فشبهت الهئية الحاصلة من وقوع العنان في موضعه من قريوس السرج بالهئية الحاصلة

من وقوع الثوب في موضعه من ركبتى المحتبى ، ووجه الشبه هو هيئة إحاطة شبي ،
لشيئين ضاماً أحدهما إلى الآخر على أن أحدهما أعلى والآخر أسفل ، واستعير
الاحتباء ، وهو ضم الرجل ظهره وساقيه بثوب وشبهه لوقوع العنان في قريوس
الشرح لأجل ضم رأس الفرس إلى جهته واشتق من الاحتباء احتبى بمعنى وقّع
على طريق الاستعارة التصريحية التبعية (١) .

الشاعر هنا يريد أن يصف فرسه بأنه مؤدب ، وأنه قد روض على موافقته وطاعته ،
فاختار لفظ " إهماله " بدلاً من " تركه " مثلاً ؛ ليؤكد أن فرسه بلغ من الطاعة ما يجعله
يثق فيه فهو لا يحتاج أبداً إلى مراقبته ، ولا يعاني مشقة المحافظة عليه .
وقوله : " وكذا كل مخاطر " افتخار من الشاعر بقدرته على ذلك الترويض ؛
وأنه لا يستطيعه إلا كل مخاطر يلقي بنفسه في الصعاب .
فيقول :

" جعلت إهمال الفرس وعدم محافظته في وقت زيارتي لحبائبي عادةً له ،
وكذاك أي مثل ذاك الإهمال يفعل كل من يلقي نفسه في الأمور الصعبة (٢) .
ثم يجسد لنا الشاعر صورة هذه الطاعة في صورة غرابية ، فصور لنا أنه بمجرد
أن ينزل عن صهوة جواده يقوم الفرس بشد نفسه وتقييدها من غير أن يكلف صاحبه
عناء تقييده .

(البسيط)

الشاهد الرابع عشر : (*)

(٣)
قول الشاعر :

اليوم يتوان مذ غيبت عن بصري . . نفسي فداؤك ما نبي فأعتذر

(١) شروح التلخيص : مواهب الفتح : ٤ / ٨٧-٨٨ ، حاشية الدسوقي :

٤ / ٨٦-٨٨ ، حلية اللب المصون : ١٤١ ، حاشية العلامة مخلوف المنياوي

على اللب المصون : ١٤١ .

(٢) شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - : شاهد رقم ٣٦٨ .

(*) البدل ، رصنا : ٦٠ ، خناني : ١١٩ ، شاعر : ٧٦ .

(٣)

لم أقف عليه ولا على قائله .

أُسْبِي وَأَصِيحْ لَا أَلْقَاكَ وَاحْزَنَا .: لَقَدْ تَأَنَّقَ (١) فِي مَكْرُوهِ الْقَدَرِ
ذكره الشيخ من غير نسبة .

والشاهد هنا في كون جهة الغرابة في الاستعارة في الكلمة نفسها " تَأَنَّقَ " حيث استعار التأنق للقدر، وهذا من بديع الاستعارة ونادرها .
ورأى الدكتور محمد زكي العشماوي أنَّ الشاهد عند الشيخ هو أنَّ الاستعارة هنا ليست غريبة في ذاتها بأن استعار التأنق للقدر بل إن روعتها ترجع لمافي السياق كله من خصائص .

ويبدو لي أن الشيخ لم يذهب إلى هذا بل قصد كون الغرابة في استعارة التأنق للقدر . ويمكن أن نضيف بعد ذلك أنه إلى جانب كون الغرابة فسي اللفظة ذاتها فإن الصياغة أضافت لها أبعاداً جديدة ، وكستها لطائف وروائع أخر .

قال :

" وقد استشهد عبد القاهر بهذين البيتين في الفصل الذي عقده عن بديع الاستعارة ونادرها ، وهو كذلك من الأمثلة التي أرجع فيها عبد القاهر روعة الاستعارة لما في السياق كله من خصائصه ، ففي استعارة التأنق للقدر هنا غرابة وطرافة حقيقية ، ولكن الأمر ليس أمر الغرابة التي تد هشك من استعارة التأنق للقدر ، ولكن الأمر هو في أنَّ الاستعارة هنا صادفت مكانها اللائق بها ، وأنها جاءت لتمثل قمة التطور العاطفي عند الشاعر ، فعندها يتجمع ويتركز الانفعال حتى يبلغ أقصاه . والذي مهد لهذا التطور ماعرضه علينا الشاعر في البيتين من موقفه عقب هجر صاحبه له ، فهو منذ أن غابت في حال من القلق والاضطراب والأرق ، فلم تعد الحياة

(١) تأنق في الأمر إذا عمل به بنقطة مثل تنوق ، وله إناقة ، وأناقة ولباقة ، وتأنق في أمور : تجود ، وجاء فيها بالعجب / اللسان : " أنق " : ١٠ / ١٠ .

تجري كما كانت ، بل أبطأت أيامها ، وطالت لياليها ، والشاعر لا يسدري سبباً لهذا كله ، ولا يعلم ماذا جنت يداه ، ويتمنى لو يبذل حياته كلها ثمناً لمعرفة السبب الذي من أجله هجرته صاحبتة ، وانظر إلى اللفظة المشوبة بالحسرة في قوله : " نَفْسِي فِدَاؤُكَ " وفي الاستفهام الذي ختم به البيت الأول عندما قال : " مَاذَا نَبِي فَأَعْتَدُ " ثم مواجهة الحقيقة المرة التي تشيع في قوله : " أَمْسِي وَأَصْبَحُ لَا أَلْقَاكَ " ثم صيحة الألم العميقة في قوله : " واحزنا " ثم هذه السكته القصيرة التي آمن بعدها بأن النحس لا بد أن يكون قد تحالف عليه ، وأن القدر لا بد أن يكون قد فكر كثيراً قبل أن يحبك له خيوط هذا الحظ التعيس ، فليس موقفاً عادياً هذا الذي يقفه ، بل لا بد أن يكون القدر قد جلس من أجله جلسة خاصة أحكم له فيها خيوط هذه المؤامرة ^(١) .

ولعله من الممكن أن نضيف أنه من أسرار الروعة في البيتين بناء الفعل للمجهول " غَيَّبَتْ " ولم يقل مثلاً " كَذَّ أَنْ غَيَّبَتْ " بالبناء للمعلوم ، ليدل على أنها لم تغيب عنه برغبتها ، وإنما منعها أهلها أو مانع ما .

وخص الغياب عن البصر " عن بصري " ليشبث أن محبتها قائمة في القلب ، وأنها لم تغيب عن فؤاده ، فمحبتها لم تزل ولم تتغير ، ولم تنقص لمجرد الغياب عن البصر ، ثم أعقب ذلك بدعائه لتلك المحبوبة " نَفْسِي فِدَاؤُكَ " فإنه يفديها ممن حيث هي ، وكأنه يشعر أن هناك خطراً عليها هو الذي حال بينه وبينها على أن حالة القلق هذه جعلته غير مستقر الرأي ، فهو مع ما يشعر به من أن مانعاً منعها يتوقع أنها غابت عنه لذنوب جناه .

وجاء " بالفاء " ليظهر رغبته السريعة في إنها هذا القلق ، وأنه لن يتوانى لحظة واحدة عن تقديم الاعتذار .

وقد يكون الاستفهام " ما ذُنِّيبي " للاستبعاد، فهو يستبعد أن يكون وقع منه ذنب، فساق الاستفهام ساق الاستبعاد والتعجب .

ويبدو لي أن في تصوير طول أيامه وثقلها بقوله : " اليَوْمُ يَوْمَانِ " بأن جعل اليوم الواحد في الطول كالأيومين - قصوراً في تصوير ذلك الثقل ، فكان الأجدر به أن يجعل اليوم دهرًا مملًا .

الشاهد الخامس عشر : * (الوافر)

سوار بن المضرب :

(٢) يَغْزِي تَنْوْفَةَ لِلرَّيْحِ فِيهَا . . نَسِيمٌ (٣) لَا يَزُوعُ التُّرْبَ وَانِ (٤)

* الدلائل ، رصنا : ٦ . ، خفاجي : ١١٩ ، شاکر : ٧٦

(١) هو سوار بن المضرب السعدي ، أحد بني ربيعة بن كلب بن زيد مائة بسن تميم ، وقيل من سعد بني كلاب ، وهو فعال من سائر يسور صفة ، أي لا يسر في قدحه فضلة من شرابه ، وهو قليل النظير ؛ لأنه ليس في الكلام أفعل فهو فعال إلا أحرف يسيرة هذا أحد ها ، ومثله أدرك فهو دراك ، وأجبر فهو جبار ، وقصر فهو قصار .

والمضرب بفتح الراء أي ضرب مرة بعد مرة وسمي مضرباً لأنه شيب بأسرأة ، فحلف أخوها ليضربه بالسيف مائة ضربة ، فضربه ففشى عليه ثم أفاق . / انظر ترجمته :

المبهج : ١٨ ، الكامل : - مكتبة المعارف - : ٣٠٠ / ١ ، المؤلف والمختلف : ١٨٣ ، زهر الآداب : ٣ / ٧٣٩ ، شرح الحماسة للمرزوقي : ١٣٠ ، نوادر أبي زيد : ٤٥ - ٤٦ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ١١٢ / ١ - ١٦٩ . ونسب في زهر الآداب لسوار بن الصير ، وذكر أنها تروى أيضاً لمالك بن الربيب .

(٢) ذكر الشيخ محمد رشيد رضا في تحقيقه للكتاب أنه ورد في نسخة أخرى " وظهر تنوفة " .

ورواية الأصمعيات : " بكل تنوفة " ، ورواية زهر الآداب :
وَجَسَواً زَاهِراً لِلرَّيْحِ فِيهِ . . نَسِيمٌ لَا يَزُوعُ التُّرْبَ وَانِ .

(٣) رواية الأصمعيات : " حفيف " .

(٤) انظر البيت في : الأصمعيات : ٢٣٩ ، رقم (٩١) ، زهر الآداب : ٣ / ٧٤٠ ، الإيضاح : ٢ / ٤٢٣ .

والبيت من قصيدة للشاعر يصف اليمامة وطيب هوائها ، ومطلعها :

أَلَمْ تَرَنِي وَلَوْ أَنْبَأْتُ أَنْسِي . . . طَوَيْتُ الْكَشْحَ عَنْ طَلَبِ الْغَوَائِسِ ^(١)

وقبل الشاهد :

دَعَانِي مِنْ أَدَايَكُمَا وَلَكِنْ . . . بِذِكْرِ التَّذْخِيَةِ عَلَّلَانِي
فَإِنَّ هَوَايَ مَا عَلِمْتُ سُلْمِي . . . يَتَانِ إِنَّ مَنَزِلَهَا يَمَانِ ^(٢)
تَكَلُّ الرِّيحِ نُونٌ بِلَاذٍ سَلَمِي . . . وَسِرَاتُ الْمُنَوَّقَةِ ^(٣) الْهَجَانِ

وبعدها الشاهد وبعده :

إِذَا مَا الْمُسْنِفَاتُ عَطَوْنَ مِنْهَا . . . رَقَاقًا أَوْ سَاوَةً صَحَصَحَانِ ^(٥)
يَخْدَنُ ^(٦) كَأَنَّهُنَّ يَكْلُ خَرْقِر . . . وَأَغْسَاءُ ^(٧) الظَّلَامِ عَلَى رِهَانِ ^(٨)

(١) الأصمعيات : ٢٤٠ .

(٢) المصدر السابق : ٢٤٢ .

(٣) جمل منوق : دليل قد أحسنت رياضته ، وقيل هو الذي دُلل حتى صَيَّر كالناقة ، وناقة مُنَوَّقَةٌ عُلِّمَت المشي /

اللسان : " نوق " : ١٠ / ٣٦٢ : ١٠ / ٣٦٢ .

(٤) المسنفات : ناقة مُسْنَفَةٌ وَمُسْنِفَةٌ : متقدمة في السير. الْمُسْنِفَاتُ بكسر

النون المتقدّمات في سيرها / اللسان : " سنف " : ٩ / ١٦٢ .

(٥) الصححان : الأرض المستوية الواسعة / اللسان " صحح " :

٥٠٨ / ٢ .

(٦) يخدن : التخويد سرعة السير ، وقيل : سرعة سير البعير ، وخود البعير

أسرع ورج بقوائمه ، وقيل هو أن يهتز كأنه يضطرب ، وقد يستعمل فسي

الانسان / اللسان " خود " : ٣ / ١٦٦ .

(٧) غسا الليل يغسو غسوا وغسى يغسى وأغسى يغسى أظلم /

اللسان : " غسا " : ١٥ / ١٢٥ .

(٨) الأصمعيات : ٢٤٢ .

الشاهد في البيت هو استعارة لفظة الروح ، لإثارة الترب ، وهي استعارة غريبة نادرة .

فهذه الأبيات تمثل القمة في الشعور ، وشغافية الإحساس ، فالشاعر على الرغم من أنه طريد - لأن قصيدته هذه قالها فيما بيد وبعد هربه من الحجاج ، فإنه يذكر في البيت التاسع أنه طريد - فذكرى أيام الصبا ، والأيام الخوالي ، وذكرى سلمى قد بعثتا في نفسه روح الأمل ، وبعثتا في روحه الهدوء والطمأنينة ، فاستلأ خياله بالصور الهادئة الحساسة ، فنراه عندما يفيض به الهوى يذكرها بلفظ التصغير فيقول : "سليمي" بياناً لعظم مكانتها في نفسه .

وحين تتشرب نفسه الراحة لذكرها يرى كل شيء يحيط به هادئاً مطمئناً ، فالريح عندما تقترب من بلاد سلمى تكل وتتعب ، وتأبى إلا أن تمر بهدوء ، وكأن الريح تستحي أن تمر بسرعة بها حتى لا تزعجها ، ثم جاء بلفظة "الروح" واستعارها لإثارة الترب ، فأحدثت في البيت خيلاً حركياً ، فالنسيم نراه يطوف بديارها في هدوء ، وكأنه عندما رأى "سليمي" وشعر بوجودها أحس بالرجبة في مجاورتها ، والسكنى بقربها ، فأصابه التعب والإعياء حتى أنه لم يقو على تحريك الترب وإثارتها .

الشاهد السادس عشر : (*) (الكامل)

بعض الأعراب : (١)

(*) الدلائل ، رضا : ٦١ ، فخاخي : ١١٩ ، شاكر : ٧٦ - ٧٧ .

(١) هو ثعلبة بن صعيير بن خزاعي بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان من شعراء الجاهلية .

وذكر الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي في تحقيقه أنه ثعلبة بن صعيير المازني من أصحاب رسول الله ، إلا أن الأستاذ عبد السلام هارون ، والأستاذ أحمد محمد شاكر ذكرا في تحقيق الفضليات أن ثعلبة بن صعيير صاحب هذه القصيدة ليس بصحابي ، ويشتبه ثعلبة هذا بثعلبة بن صعيير ابن عمرو بن زيد بن سنان بن سلامان القضاعي العدري ، وهذا متأخر ، واختلف في هذا الأخير في كونه صحابياً .

(١)

وَلَمْ يَبْ خَصَمَ جَاهِدِينَ نَوِي شَدَّ . . . تَقْدِي عِيُونُهُمْ^(٣) يَهْتَرِ هَاتِرِ^(٤)
لَدِي ظَارَتْهُمْ^(٦) عَلَى مَاسَاءَ هُمْ . . . وَخَسَاتُ بَاطِلُهُمْ بِحَقِّ ظَاهِرِ^(٧)

(١) الشَّدَا مقصور: الأذى والشر، وأَشَدَّى الرجل: آذى، ومنه قيل آذيت وأَشَدَّيتُ / اللسان " شَدَا " : ١٤ / ٤٢٦ .

(٢) القَدَى : مَا يَسْقُطُ فِي الْعَيْنِ وَالشَّرَابُ ، وَ " قَدَّيْتُ " عَيْنَهُ مِنْ بَابِ صَدَى سَقَطَتْ فِيهَا " قَدَاةٌ " فَهُوَ " قَدِي " الْعَيْنِ . عَلَى فَعِلْ ، وَ (قَدَّتْ) عَيْنُهُ رَقَّتْ بِالْقَدَى وَبَابِهِ رَمَى وَ " قَدَّاهَا " غَيْرُهُ جَعَلَ فِيهَا الْقَدَى . وَ " قَدَّاهَا " تَقْدِيَةٌ " أَخْرَجَ مِنْهَا الْقَدَى / مختار الصحاح باب القاف : ٥٢٦ ، اللسان " قَدَى " : ١٤ / ١٧٢-١٧٣ .

(٣) رواية المفضليات ومنتهى الطلب : " صُدُّوهُمْ " .
وفي دلائل الإعجاز تحقيق شاكر ذكر أن هناك مخطوطتين للكتاب فيهما
" تَقْدَى عِيُونُهُمْ " وهو سهو يفسد الشعر .
وذكر البيت في تحقيقه على رواية المفضليات .

(٤) هاتر : قولٌ هَتَرَ كَذِبٌ ، وَالهِتْرُ بالكسر السَّقَطُ مِنَ الْكَلَامِ وَالْخَطَأُ فِيهِ ،
جاء في الصحاح : يقال هَتَرَ هاتر وهو توكيد له .
والهِتْرُ أيضًا الْعَجَبُ وَالدَاهِيَةُ . يُقَالُ لِلرَّجُلِ إِذَا كَانَ دَاهِيًا : إِنَّهُ لَهْتَرُ أَهْتَارٍ /
الصحاح : باب الراء فصل الهاء : ٢ / ٨٥٠ ، اللسان " هَتَرَ " : ٥ / ٢٤٩ .

(٥) رجل آلَدَ : أي شديد الخصومة ، والآلِدُ : الْخَصِمُ الْجَدِلُ الشَّحِيحُ الَّذِي لَا يَزِيغُ إِلَى الْحَقِّ ، وَجَمْعُهُ لُدٌّ وَلِدَادٌ / الصحاح مادة " لَدَدَ " : ٢ / ٥٣٥ ، اللسان مادة " لَدَدَ " : ٣ / ٣٩٠-٣٩١ .

(٦) الْيَطَّرُ بالكسر العاطفة على ولد غيرها الْمَرْضعة له في الناس وغيرهم
لِلذَكَرِ وَالْأُنْثَى وَجَمْعُهُ أَطْوَرٌ ، وَأَطَارٌ ، وَطَوَّرٌ وَطَوْرَةٌ ، وَطَارَنِي عَلَى
الْأَمْرِ رَاوَدَنِي وَأَكْرَهَنِي / انظر :

القاموس المحيط ، باب الراء فصل الظاء : ٢ / ٨٣ .

(٧) انظر البيت في :

منتهى الطلب : ورقة (٨٠) ، المفضليات : ١٣١ رقم (٢٤) .

والبيت من قصيدة مطلعها :

هَلْ عِنْدَ عُمَرَةَ مِنْ بَنَاتٍ ^(١) مُسَافِرٍ . : نِي حَاجَةً مُتَرَوِّحٍ أَوْ بَاكِـرٍ
سَيِّمٍ الْإِقَامَةَ بَعْدَ طَوْلِ ثَوَائِـهِ . : وَقَضَى لِبَانَتِهِ فَلَيْسَ بِنَاطِرٍ
وقبل الشاهد :

وَلَرُبَّ وَاضِحَةٍ الْجَبِينِ غَرِيـرَةٍ . : مِثْلَ التَّهَامَةِ تَرُوقُ عَيْنُ النَّاطِرِ
قَدْ يَتَّ أَلْعِبُهَا وَأَقْصُرُ هَمَّهَا . : حَتَّى بَدَا وَضَحُ الصَّبَاحِ الْجَاشِرِ
وبعدهما الشاهد وعده :

يَمْقَالَةً مِنْ حَازِمٍ نِي ^(٢) مِسْرَةٍ ^(٣) . : يَدَا الْعَدُوِّ زَعِيرُهُ لِلزَّائِرِ
إذا تأملنا الشاهد، وجدناه يحوي ثلاث استعارات رائعة :

الأولى : في قوله : " تَقْذِي صدورهم " ولفظة تقذي هنا يختلف معناها باختلاف ضبط حركاتها ، فإذا كان المقصود " تَقْذِي " بمعنى سقطت فيها قنذاة ، فهو " قذي " فقد يت عينه من باب صَدِي يكون المعنى أن صدورهم مليئة بالشر .

وإن كانت مأخوذة من " قَنَذَت عينه " رَمَتْ بِالْقَذَى ، وبابه رَمِي . يكون المعنى : أن صدورهم رمت بالشر والأذى .

والمناسب للمقام فيما يبدو الوجه الثاني .

والاستعارة هنا جاءت من تشبيه صدورهم بالعيون التي تحمل الأذى أو ترمي بالقذى ، ثم حذف المشبه به ، وأتى بشيء من لوازمه ، وهو القذى على سبيل الاستعارة الممكنة .

(١) البنات : الزاد، والجهاز، والمتاع / اللسان : مادة (بَنَت) : ٢ / ٨ .

(٢) المرة : بكسر الميم الشدة ، ورجل ذو مرة : أي قوي / انظر :

أساس البلاغة : (مرر) : ٤٢٥ .

(٣) يَدَا الودأ الهلاك / اللسان : " ودأ " : ١ / ١٩٢ .

والاستعارة الثانية : في قوله : " لدُّ ظأرتهم " استعار الظأر - الذي هو في الأصل للناقة التي تحنو على ولد غيرها ، فترضعه - لإلحاق الهزيمة بهم ، فكأنه أرضعهم المهزيمة وقهرهم عليها ، وفيها من التهكم والسخرية ما فيها ، وجاءت الاستعارة هنا على سبيل الاستعارة التصريحية .

والاستعارة الثالثة : في قوله : " خسأت " حيث استعار " خسأ " التي هي بمعنى " زجر " للدفع على سبيل الاستعارة التصريحية .
فهذه الاستعارات الثلاث ممكنة في البيت .

وفي الدلائل تحقيق " رضا " وتحقيق " خفاجي " لم يحدد الشيخ عبد القاهر موقع الاستعارة الرائعة ، فكأنه اعتبر الروعة والغرابة في الثلاث الاستعارات .
وفي الدلائل تحقيق " شاكر " زيادة " : " المقصود لفظ " خسأت " (١) .
فإذا كانت الزيادة من كلام الشيخ عبد القاهر يكون لفظ " خسأت " هو المخصوص بالروعة والجمال ، وإذا كانت الزيادة من الناسخ يكون الشيخ قد اعتبر الاستعارات الثلاث .

ويبدو أن الشيخ قصد الاستعارات الثلاث بدون تخصيص ، لأن لفظ " خسأت " ليس أروع استعارة فيها بل إن استعارة الظأر آنق وأجمل .
بدأ الشاعر قصيدته هذه راجياً عمرة أن تنوله قبل سفره ، وذكر أنها أخلفت الوعد ، وعزا ذلك إلى طبع النساء ، ثم أعلن عزمه على قطعها بالرحلة على ناقصة ، وصفها ، وشبهها بالنعامة ، فاستطرد في نعتها ، ثم فخر بسبائه الخمر ، ونحصره الجزر لأصحابه ويشدة بأسه في لقاء العدو وبفرسه وسلاحه ، ثم تحدث عن استلابه قلوب الغواني (٢) ، ثم بعد ذلك جاء ببيتتي الشاهد يفاخر فيهما بقدرته على مقارعة خصمه بالحجة الساطعة والقول الفصل ، ولكي يصور لنا قوته وبراعته أعلى من شأن خصمه ، فذكر أنهم قوم جاهدون لا يستهان بهم معروفون بالحدة والشدة والشر ،

(١) الدلائل : شاكر : ٧٧ .

(٢) المفضليات : ١٢٨ .

وأن صدورهم مليئة بالشر والكلام الباطل القبيح ، وصورهم بهذه الصورة التي توحى بأنه لا يستطيع منازلتهم أحد ، ولا يقدر على مقارعتهم كل إنسان ، حتى إذا ما ارتسمت هذه الصورة في الأذهان ، وانبهرت بها النفوس ، يفاجئ الشاعر خيالنا بصورة أخرى يكون هو بطلها ، ويرسمها بلون بلاغي يضائل من الصورة الأولى ، ويجعل الثانية هي الأمكن ، فيتخذ من الاستعارة مادة يلون بها صورته ، ويلبس الاستعارة نوعاً من التهكم والسخرية بهم ، ليتم له بذلك محو صورتهم والتقليل من شأنهم ، فشبه توجيه الإساءة إليهم بالظأر ، فكأنه أرضعهم الإساءة وأرغمهم على قبولها ، فظأرتهم معناها أرضعتهم الإساءة وتمكنت منهم وقبلوها ، وفي هذا استهانة بهم وتهكم وسخرية بشجاعتهم ؛ ولكي يبين أن حجمه من القوة بمكان ، وأن ما أتوا به ما هو إلا باطل مستهان استعار لفظ " خساء " وهو بمعنى زجر مع الذل والاستهانة - للدفع والإزالة وفي هذا تأكيد لضعف أمرهم وتحقير لما أتوا به من الحجج وتصغير لشأنهم .

الشاهد السابع عشر : (*) (الرجز)

ابن المعتز : (١)

(*) الدلائل ، رضا : ٦١ ، خفاجي : ١٢٠ ، شاکر : ٧٧ .

(١) هو عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسي (٢٤٧ هـ - ٢٩٦ هـ) أبو العباس : الشاعر المبدع ، خليفة يوم وليلة ، فبعد أن آلت الخلافة إلى المقتدر العباسي استصغره الناس ، فخلعوه وبايعوا ابن المعتز فأقام يوماً وليلة ، ثم وشب عليه غلمان المقتدر ، فخلعوه ، وقتله خنقاً واحد منهم يدعى مؤنس ، ولا بن المعتز مؤلفات كثيرة منها : " الزهر والرياض " و " البديع " و " الأدب " و " الجامع فسي الغناء " و " الجوارح والصيد " و " طبقات الشعراء " ، وله ديوان شعر في جزأين / انظر ترجمته :

الأغاني : ٢٨٦-٣٧٤ / ١ ، أشعار أولاد الخلفاء :

١٠٧-٢٩٦ ، ثمار القلوب : ١٥٠ ، تاريخ بغداد : ١٠ / ٩٥-١٠١ ، المعبر :

١ / ٤٣٠ ، وفيات الأعيان : ٧٦ / ٣-٨٠ ، فوات الوفيات : ٢٣٩-٢٤٦ ،

حَتَّى إِذَا مَا عَرَفَ الصَّيْدَ انْصَارَ (١) . . وَأَذِنَ الصُّبْحُ لَنَا فِي الْإِبْصَارِ (٢)

وهو من أبياته في الطرديات ، ومطلع القصيدة :

قَدْ أَغْتَدِي أَوْ بَاكِراً بِأَسْحَارِ . . وَنَحْنُ فِي جَلَبَابٍ لَيْلٍ كَالْقَارِ

وبعده بيت هو قبل الشاهد :

شَدَّ عَلَيْنَا بِعُرَى وَأَزْزَارِ . . كَأَنَّهُ جِلْدَةُ نُبِيِّ عَارِ

وبعده الشاهد وبعده :

جَلَا لِكُلِّ شَبَحٍ نَائِي الدَّارِ . . فَارِسُ كَفِّ مَائِلٍ كَالْأَسْوَارِ

دَو (٣) جُؤْجُؤٍ مِثْلَ الرُّخَامِ الْمِرْمَارِ . . أَوْ مُصْحَفٍ مُنْتَمِ زِي أَسْطَارِ

الشاهد فيه كسابقه ، فجبهة الغرابة في الاستعارة هنا في كلمة " أَذِنَ "

نفسها .

=== معاهد التنصيص : ٢ / ٣٨ - ٤٧ ، الشذرات : ٢ / ٢٢١ - ٢٢٤ ،

الأعلام : ٤ / ١١٨ - ١١٩ .

(١) انصار : من صار الأمر إلى كذا يصير صيراً ومصيراً وصيرورة ، وصيره

إليه ، وأصاره ، والصيرورة مصدر صار يصير - أي تهيأ وتجمع للوشب - /

انظر : اللسان : مادة " صير " : ٤ / ٤٧٧ . هذا على رواية الدلائل

تحقيق رضا : ٦٤ ، خفاجي : ١٢٠ .

أما رواية الديوان - دار المعارف - ، والدلائل ، شاعر ، والإيضاح ،
وشرح أبيات الإيضاح : " الضار " .

(٢) لم أجده في ديوانه - دار صادر - وهو موجود في ديوانه - دار المعارف -

٢ / ١٢٥ .

وذكر الأستاذ شاكراً أنه موجود في ديوانه - طبعة استانبول ولم أقف عليها بعد .

الإيضاح : ٢ / ٤٢٣ . شرح أبيات الإيضاح : - النسخة الأزهرية -

رقم الشاهد : ٣٦٥ .

(٣) الجُؤْجُؤُ : عظام صدر الطائر والجمع : الجآجيء . اللسان : مادة

" جأجأ " : ١ / ٤٢ .

ويبدو أن وجه الحسن في الاستعارة في كون الشاعر ملء طول الليل، وإطباق الظلام؛ لأن الصيد في الظلام متعذر، فكان الشاعر ظل واقفاً طوال الليل ينتظر طلوع النهار، فعندما بدأ النور بالظهور رأى كل شيء، وقد بدأ يتحرك، فديست الحركة في الحياة، وتحفز البازي للصيد وتجمع له، ومن هذه الحركة التي تبدأ عند ظهور النور استمد الشاعر صورته، فجعل الصبح وكأنه كائن يتحرك يأمر وينهى ويأذن.

فشبه ظهور النور بالإذن بجامع السماح، وتمكن الرؤية في كل على سبيل الاستعارة التصريحية.

وفي شرح أبيات الإيضاح معنى غير الذي ذهبت إليه. جاء فيه:

" البيت لابن المعتز، عرف مبنى للفاعل، الصيد بمعنى الصائد الضاري المتعود للصيد من ضري الكلب بالصيد، وأراد بالصيد الضاري الجوارح المعلمة التي كانت معهم^(١)، كانت الجوارح بسبب الظلام لا تعرف ما كانت تصيده وكانوا لا يبصرون به ما أراد وإبصاره فكان الظلام منعهم عنه، يقول سرنا طول الليل حتى إذا عرفت الجوارح الصائدة الضارية بإسفار الصبح ما كانت تصيده، وأذن لنا وأجازنا ضوء الصبح في إبصار ما نريده، ونطلبه، ففعلنا ما فعلنا^(٢)."

الشاهد الثامن عشر: * (الوافر)

ابن المعتز:

بَخِيلٌ قَدْ بَلَّيْتُ^(٣) بِهِ . . . يَكُودُ الْوَعْدَ بِالْحَجَجِ^(٤) (٥)

- (١) انظر معنى الضاري في اللسان مادة "ضرا" : ٤٨٢/١٤ .
- (٢) شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - : رقم الشاهد : ٣٦٥ .
- (*) الدلائل، رضا : ٦١، خفاجي : ١٢٠، شاكر : ٧٧ .
- (٣) رواية الديوان : " شقيقت " .
- (٤) رواية الديوان : " باللجج "، واللجاج هو التماذي في الشيء، ولج في الشيء تماذي عليه وأبى أن ينصرف عنه - فالمعنى هنا أنها تكذ الوعد بالعناد وعدم الوفاء . / انظر: اللسان "لجج" : ٣٥٣/٢ .

وبعد :

عَلَى بُسْتَانٍ خَدَّيْهِ . . . زَرَّافِينَ (١) مِنَ السَّيِّجِ (٢)

وهما بيتان لاثالث لهما .

والشاهد فيه كسابقه ، فالغرابية في الاستعارة هنا في نفس كلمة "يُكَدُّ" حيث استعار الكَدَّ لِإِخْلَافِ الوعد .

فالشاعر هنا يصف بخيلاً يَعِدُّه بالعطاء ، ولكنه يُخْلِفُ ، ويَطِيلُ الإِخْلَافَ وينتحل شتى المعانير ، ويتذرع بألوان كثيرة من الحجج يعتذر بها عن الوفاء ، ولكثرة هذه الحجج عبر عنها بأنها تكذب الوعد أي تتعبه ، فجعل من المادة المعنوية "يُكَدُّ الوعد" مادة متحركة ، فساطلة ذلك البخيل ، وكثرة إخلافه الوعد أنطقت وحركت الشعور فيما لا يحس ، فليس هو وحده الشقي فحسب بل حتى الوعود قد أصابها الملل والإعياء .

ولعمق إحساسه وتأثره بموقف هذا البخيل نراه قد ابتدأ البيت بقوله :
"بخيل" حيث حذف المبتدأ - فلم يقل "هو بخيل" - وجاء بالخير نكرة ليسرر
لنا حقارة ذلك الخلق وشناعته ، ثم جاء بحرف التحقيق "قد" ليؤكد تحقق وقوع البلاء به .

الشاهد التاسع عشر : (*) (الطويل)

ابن المعتز :

مَيَّنَا جِنِينَ (٣) إِخْلَافٍ مِنْ تَحْتِ مَطْلَمٍ . . . فَتَخْتَصِمُ الْآثَامُ وَالْيَأْسُ فِي صَدْرِي (٤)

== وقد وجدته في ديوانه - دار صادر - : ١٩ .

(١) زرافين : جماعات / اللسان : " زرف " : ١٣٤ / ٩ .

(٢) السياج : الحظيرة من الشجر تجعل حول الكرم والبستان ، وقد سيج على

الكرم ويقال : حَظَرَ كَرْمَهُ بِالسَّيَّاجِ ، وهو أن يُسَيِّجَ حائطه بالشوك لئلا يُتَسَوَّرَ اللسان "سيج" : ٣٠٣ / ٢ .

(*) الدلائل ، رضا : ٦١ ، خفاجي : ١٢٠ ، شاکر : ٧٧ .

(٣) نَجَاةٌ نَجَوًا وَنَجَوَى : سَارَهُ ، وَالنَّجْوُ السَّرُّبَيْنِ اثْنَيْنِ ، يقال : نَجَوْتَهُ نَجَوًا

أي سارزته ، وفي أساس البلاغة : " ومن المجاز والكناية . . . المهموم تنتجي في

صدره وتنتاجي ، ويات المهم ينجيه " / انظر

وقبل الشاهد :

وَمُسْتَبْصِرٍ فِي الْعُذْرِ مُسْتَعِجِلِ الْقَلْبِ . . . بَعِيدٍ مِنَ الْعُتْبَى قَرِيبٍ مِنَ الْهَجْرِ

وبعده الشاهد وبعده :

قَدِيرٍ عَلَى مَاسَاءِنِي مُتَسَلِّطٍ . . . جَرِيٍّ عَلَى ظُلْمِي أَمِيرٍ عَلَى أَمْرِي
يَنْفَسِي سِقَامَ مَا يَدَاوِي مَرِيضُوه . . . خَفِيٌّ عَلَى الْعَوَادِ بَاقٍ عَلَى الدَّهْرِ
أَلِفْتُ الْهَوَى حَتَّى قَلَّتْ نَفْسِي الْغَلَا . . . وَطَالَ الضَّنَى حَتَّى صَبَرْتُ عَلَى الصَّبْرِ

الشاهد في البيت كسابقه في أن غرابة الاستعارة في الكلمة ذاتها ، ولم يعين

الشيخ موضع الشاهد هنا ، ففي البيت استعارتان رائعتان ، الأولى في قوله :

"يُنَاجِينِي" حيث استعار المناجاة للخطور بالقلب ، على سبيل الاستعارة التصريحية
التبعية .

والثانية في قوله " فتختصم " حيث استعار الاختصام للآزد حام والتجاذب على

سبيل الاستعارة التصريحية التبعية والآمال واليأس قرينة .

فالشاهد هنا يصور تصويراً دقيقاً نفسية الشاعر القلقة التي يتجاذبها اليأس
والأمل ، فتارة يشيع فيها الاطمئنان وتارة يسيطر عليها الخوف والاضطراب ،
فهو أشد ما يخاف ويخشى الإخلاف والماطلة .

وما أروع تصويره لخوفه هذا بقوله : "يُنَاجِينِي الإخلاف" أي يُسَارِنِي ، فالإخلاف
لم يقع بعد إنما هو مجرد خطور بالقلب ، ومحادثة جرت في النفس ، ثم إن اللفظة
" تحت " إحياءها إن يتقلت الإخلاف من هذا المطل تغلث آثار النفس وجعلها
في قمة اضطرابها حيث تدافعت وتزاحمت الآمال واليأس في صدره ، وما أروع لفظته

== اللسان " نجا " : ٣٠٨ / ١٥ ، أساس البلاغة : " نجو " : ٤٤٨ .

(٤) لم أجده في ديوانه - دار صادر - وكذلك الأستاذ شاكر ذكرني تحقيق

الدلائل أنه لم يجده في شعره المطبوع . / انظر البيت في :

أشعار أولاد الخلفاء : ١٩١ ، الإيضاح : ٢ / ٤٢٣ ، شرح أبيات

الإيضاح - النسخة الأزهرية - شاهد رقم : ٣٦٧ .

" تختصم " التي صورت هذا النزاع القائم بين رجائه وخوفه ، وما فيها من حيوية ، وحركة ، وصخب ، وضجيج ناسب شدة القلق وقوة الأمل .

ثم أنظر إليه كيف جمع " الآمال " و " ووجد " اليأس " وجعلهما قوتين غير متكافئتين ؛ ليصور شدة تعلقه بمحبوبه وتمنيه ورجاءه الوصال .

وقيد كون الاختصام في الصدر ؛ ليدل على شدة تألمه وتوجعه ، وما ألطف وأدق مجيء الغاء في قوله : " فتختصم " فمعنى التعقيب الذي يشيع فيها ناسب معنى الازدحام والاضطراب ، إضافة إلى أنها ضبطت تسلسل الموقف ، والمعاني والأحداث ، وجعلت المعنى كلاً متداخلاً .

ثم تأمل جمال الطباق بين " يَنَاجِينِي وَتَخْتَصِمُ " - باعتبار لازميتهما - وبين الآمال واليأس ، وما بحث في البيت من حركة .

.....

الشاهد العشرون : (*) (الطويل)

قول الشاعر أنشده الجاحظ :

لَقَدْ كُنْتُ فِي قَوْمٍ عَلَيْكَ أَشْحَى (٣) . يَنْفُسُكَ (٤) إِلَّا أَنْ مَاطَاحَ طَائِحُ
يَوَدُّونَ لَوْ خَاطَبُوا عَلَيْكَ جُلُودَهُمْ . وَلَا تَدْفَعُ التَّوْتُ النُّفُوسَ الشَّحَائِحَ (٥)

(*) الدلائل ، رضا : ٦١ ، خفاجي : ١٢٠ ، شاعر : ٧٧ .

(١) رواية الروض الأنف : " لَو كُنْتُ " ، ويبدو أن رواية " لقد " أنسب وأجمل

لمعنى البيت .

(٢) رواية العقد الفريد : " بِحَبِّكَ " .

ورواية الروض الأنف : " أَشْحَى عَلَيْكَ " .

(٣) رواية البيان والتبيين : " لَوْ لَا أَنْ مَاطَاحَ طَائِحُ " .

(٤) رواية البيان والتبيين والروض الأنف : " وَهَلْ يَدْفَعُ " .

ورواية العقد الفريد والأشياء والنظائر : " وَلَا يَدْفَعُ " بالياء بدلاً من التاء .

(٥) انظر البيتين في : البيان والتبيين : ١ / ٥٠ ، الشعر والشعراء : ٢ / ٧٦٢ ،

العقد الفريد : ٣ / ٢٨٠ ، الأشياء والنظائر : ٢ / ٢٠٤ ، زهر الآداب :

٢ / ٤٧٥ ، الروض الأنف : ٢ / ٢٤٠ .

ذكرهما الشيخ من غير نسبة، وهما للأغر الإشكري^(١).

بيد وأن الشيخ جعل هذا الشاهد من قبيل قول الشاعر :

" وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحُ "

بدليل ذكره هذا الشاهد في فقرة جديدة ابتدأها بقوله : " وما هو في غاية الحسن ، وهو من الفن الأول " ، وأول فن ذكره في هذا الباب هو ما ترجع فيه غرابة الاستعارة إلى الصياغة والتركيب ولعل غرابة الاستعارة هنا في أنه استعار " خاطوا " للحفاظ ، وأن قدم الجار والمجرور " عليك " ، وقيد كون الخياطة في الجلود .

فالبيتان فيما بيد وفي رثاء شخص عزيز أثار فقداه الحزن والألم في نفس الشاعر فنراه يصوغ البيتين بأسلوب يكشف رقة عاطفته وصدق إحساسه ، فابتدأ كلامه بلام التوكيد مع حرف التحقيق " لقد " وقدم الجار والمجرور " عليك " على قوله أشحة ليبين مكانة ذلك الشخص في نفوس قبيلته ، فصور خوفها ، وحرصها عليه ، وأنها بخيلة شحيحة بتلك النفس الطيبة .

ثم يستسلم الشاعر للقضاء والقدر ، ويقرر أن ما قدر له الهلاك فهو هالك ، ويؤكد هذه الحقيقة بحرف التوكيد " أن " ، وجاء بالاسم الموصول " ما " لأن في ذكر الاسم صريحاً ما يسبب الآلام ويثير الأوجاع ، أو أن " ما " هنا تدل على مطلق الحقيقة أي أن كل شيء زائل وهالك ،

(١) ذكرت هذه النسبة في البيان والتبيين ، وفي المؤتلف والمختلف : ٤ ، شاعران

من بني يشكر يقال لهما : " الأغر " . أحد هما : الأغر بن عبيد الله ابن جمال بن ذريح بن عدي بن مطمع بن عبد جشم بن عامر بن ذبيان ابن كنانة بن يشكر بن بكر وائل ، شاعر فارس .

والثاني : هو الأغر بن مانوس أحد بني يشكر بن بكر أيضاً ، شاعر له في بني يشكر قصيدة طويلة جيدة .

ونسب البيت الأول في الأشباه والنظائر لمطرف بن جعفونة الضبي . وذكر البيت الثاني على أنه نظير للبيت الأول ونسب للمشارك الموصلي .

وذكر البيتان في الشعر والشعراء والعقد ، وزهر الآداب والروض الأنف من غير نسبة .

ويلجأ الشاعر إلى تكرار المعنى ليقرر في النفوس عظم مكانة ذلك الشخص في قومه، فجاء بالاستعارة الرائعة " خاطوا " ف شبه الحرص، وشدته بالخياطة بجامع الضم والتماسك في كل على سبيل الاستعارة التصريحية، وقدم الجار والمجرور " عليك " وقيد كونها في جلودهم، فدل بمجموع ذلك كله على شدة الحرص والحياطة والحفاظ عليه .

وتصرخ الحقيقة مرة أخرى، وتقرر بأداة النفي " لا " لا يدفع الموت النفوس الشحائح " أنه مهما حرصت النفس وحاولت دفع المكروه لا تستطيع أن تحول من نفاذ القدر، وعلى رواية " هل يدفع الموت النفوس الشحائح " تكون الحقيقة قد أعلنت بوجه آخر حيث جاء الشاعر بأسلوب الاستفهام " هل " ليقرر تلك الحقيقة، ويزجر تلك العواطف التي تشرب بين حين وآخر، ويوقظها على الحقيقة التي لا مفر منها لكي تخف وتهدأ، " فهل " هنا بمعنى النفي أيضا أي " لا يدفع الموت النفوس الشحائح " .

الشاهد الحادي والعشرون : (*) (الرجز)

قول بشار : (١)

(*) الدلائل، رضا : ٦٢، خفاجي : ١٢٠، شاكر : ٧٨ .
(١) هويشار بن برد العقيلي بالولاء (٩٦-١٦٧ أو ١٦٨) أصله من طخارستان (غربي نهر جيحون) ونسبته إلى امرأة عقيلية اعتقته من الرق . كنيته أبو معاذ، ويلقب بالمرعث، ومحلّه في الشعر، وتقدمه طبقات المحدثين فيه، بإجماع الرواة، ورياسته عليهم من غير اختلاف في ذلك، وهو من مخضرمي شعراء الدولتين العباسية والأموية . ولد بشار مكفوفاً وكان أبوه طياناً، وقد هجاه بذلك حماد عجرد، كان كثير التلون فسي ولائه للعرب مرة وللعجم أخرى / انظر ترجمته :

الشعر والشعراء : ٢ / ٧٦١-٧٦٤، طبقات ابن المعتز : ٢١ - ٣١ ،

الأغاني : ٣ / ١٣٥-٢٥٠، الموشح : ٢٢٣-٢٢٧ ،

أماشي المرتضى : ١ / ١٢٨-١٣١-١٣٣-١٣٤، ١٦٣، ٥٠٩-٥١٠-٥٥٤ ،

٦٠٧ / ٢ / ٣٥-٦٣-٦٤-١٢٦، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٧، ١٣٩-١٤٢ ،

وَصَاحِبٍ كَالدَّمَلِ (١) السَّيِّدِ (٢)
 حَمَلَتْهُ فِي رُقْعَةٍ مِنْ جِلْدِي (٤) (٣)

والبيت من أرجوزة قالها في مدح عقبه (٦)

=== تاريخ بغداد : ٧ / ١١٢ - ١١٨ ، سطر الالكي : ١٩٦ / ١ - ١٩٨ ،
 وفيات الأعيان : ١ / ٢٧١ - ٢٧٤ ، نكت الهميان : ١٢٥ - ١٣٢ ، لسان
 الميزان : ٢ / ١٥ - ١٦ ، شذرات الذهب : ١ / ٢٦٤ ، معاهد التنصيص :
 ١ / ٢٨٩ - ٣٠٤ ، الأعلام : ٢ / ٥٢ .

- (١) رواية تاريخ بغداد : " كالرسل " .
 (٢) رواية الإعجاز والإيجاز : " المجد " أي الجديد .
 ومعنى السد : اليد بالكسر : ما يجتمع في الجرح من القيح /
 اللسان : " مدد " : ٣ / ٣٩٩ .
 (٣) رواية العقد الفريد : " وجعلته " .
 (٤) رواية الديوان للشاهد :

وَصَاحِبٍ كَالدَّمَلِ السَّيِّدِ
 أَرْقُبُ يَنْهُ يَمْلُ يَوْمِ السُّورِدِ
 حَمَلَتْهُ فِي رُقْعَةٍ مِنْ جِلْدِي
 صَبْرًا وَتَنْزِيهًا لِمَا يُؤَدِّي

ويوم الورد : يوم نوبة الحمى شبه يوم زيارته بيوم مجي الحمى .

- (٥) انظر البيت في :
 ديوانه : - تحقيق الطاهر بن عاشور - : ٢ / ١٥٩ ، البيان والتبيين :
 ١ / ٥٠ ، الشعر والشعراء : ٢ / ٧٦٢ ، طبقات الشعراء لابن المعتز :
 ٢٦ ، العقد الفريد : ٣ / ٢٨٠ ، الأغاني : ٣ / ١٧٦ ، الأشباه
 والنظائر للخالدين : ٢ / ٢٠٤ ، المنصف في نقد الشعر : ٥٨٠ ، الإعجاز
 والإيجاز : ١٥٧ ، ١٥٨ ، زهر الأدب : ٢ / ٤٧٤ ، تاريخ بغداد :
 ٧ / ١١٦ .

- (٦) هو عقبة بن سلم " بفتح السين وسكون اللام " الهنأفي " بضم الهاء " منسوباً إلى هناءة بن مالك بن فهم من بني دوس ، وكناه بشار في بعض قصائده بأبي الملد ، ظهر عقبة في خلافة أبي جعفر المنصور ، ذلك أن المنصور أولى على البصرة ابن أخيه محمد بن أبي العباس السفاح ، فاستغفاه من ذلك فأغفاه ، واستخلف بالبصرة عقبة بن سلم ، فأقره المنصور عليها ، وفي سنة ١٥١ هـ

(١) ابن سلم ومطلعها :

يَا طَلَّلَ الْحَيَّ بِذَاتِ الضُّحَى
بِاللَّهِ حَدَّثَ كَيْفَ كُنْتُ تَعْدِي

وقبل الشاهد :

الْحُرُّ يُوَصِّى (٣) وَالْعَصَا لِلْعَبْدِ
وَلَيْسَ لِلْمُلْحِفِ مِثْلُ السَّرْدِ
فَارْضَ يَنْصِفِ وَأَرْجُ فِي الْقَصْدِ
النَّصْفَ يَكْفِيكَ مِنَ التَّعَدِّي

وبعد هذا الشاهد بعده :

حَتَّى انْطَوَى غَيْرَ فَقِيدِ الْفَنِّ (٤)
وَمَا دَرَى مَا رَغَّبْتَنِي مِنْ زُهْدِي

== سار عقبة من البصرة إلى البحرين، واستخلف عليها ابنه، فقتل عقبة سليمان بن الحكيم وسبى أهل البحرين، ثم عزله المنصور عن البصرة، وبقي بلا عمل حتى توفي سنة ١٦٧ هـ / انظر ترجمته :

المعارف : ١٠٨، الاشتقاق : ٤٩٨، تاريخ الطبري : ٤٠ / ٨، جمهرة أنساب العرب - ابن حزم - : ٣٨٠، الكامل لابن الأثير : ٥ / ٣٤ .
(١) ذكر في البيان والتبيين، وشرح ديوانه أن هذه الأبيات أنشدتها بشار بحضرة عقبة بن سلم، وقصتها أن عقبة بن ربيعة أنشد عقبة بن سليم رجلاً يمتدحه به، وبشار حاضر، فأظهر بشار استحسان الأرجوزة، فقال له عقبة بن ربيعة : هذا طراز يا أبا معاذ لا تحسنه فقال بشار : أَيْمُنِي يَقَالُ هَذَا الْكَلَامُ ؟ أَنَا وَاللَّهِ أَرْجُ مِنْكَ وَمِنْ أَبِيكَ وَمِنْ جَدِّكَ، ثُمَّ غَسَا عَقْبَةَ بْنَ سَلَمٍ بِأَرْجُوزَتِهِ هَذِهِ .

(٢) رواية الأغاني "الصد" بصاد مهمل : والصد بفتح أوله وإسكان ثانيه وبعده ذال مهمل : موضع في ديار بني يربوع / معجم ما استعجم : ٨٤١ / ٢، وفي معجم البلدان ماء للضباب .

(٣) رواية الأغاني : "الْحُرُّ يُلْحَى" .

(٤) رواية الأغاني : "حتى مضى فقيد الغد" أي ليس له آثار الغد من الوحشة والأنس أي أن فقهه ليس بفقد .

شرح ديوانه : ١٦٠ / ٢ .

بيد وأن الشيخ أراد أن يذكر نظيراً لمعنى " خاطوا " فجاء بهذا البيت ،
وفيه " حملته في رقعة من جلدي " فهذا وجه المشابهة بين هذا الشاهد وما قبله .
ويجوز أن يكون الشاهد فيه كالبيت السابق حيث استعار " الحمل " للاحتفاظ
مع ملاحظة التشبيه وما يعانيه من الألم .

فالشاعر هنا يصف صاحباً له ثقيلاً على نفسه ، وصور هذا الثقل بعدة طرق :
حيث شبه هذا صاحب بالدُّمْل المليء بالقح والصدید ، وفي هذا الوصف
ما يبعث الاشتزاز والنفور في النفس ، ثم استعار لفظ " الحمل " للاحتفاظ به ، وقيد
كون هذا الحمل في رقعة ، وقيد كونها " من الجلد " وأضاف لفظ الجلد لـ
المتكلم كل ذلك بليين شدة لصوقه به ، وكثرة تألمه منه ، فهو مع كونه ثقيلاً وكريهاً
لا مفر من حمله .

وكان المتنبي أشار إلى هذا المعنى عندما قال :

وَمِنْ نَكَدِ الدُّنْيَا عَلَى الْحُرِّ أَنْ يَرَى . . . عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدَّ (١)

وذكر ابن وكيع (٢) أن المتنبي نظر إلى قول بشار فقال :

وَإِنَّمَا نَحْنُ فِي جِيلٍ سَنَوَاسِيَةٍ . . . شَرُّ عَلَى الْحُرِّ مِنْ سُقْمٍ عَلَى بَدَنِ (٣)

ونظير قول بشار في الصورة ، وضده في المعنى قول العلوي الكوفي :

أَيَّامَ كُنْتُ مِنَ الْفَسَاوَا . . . رَنِي كَالسَّوَادِ مِنَ الْقُلُوبِ

لَوْ يَسْتَطِيعَنَّ خَبَائِنِي . . . بَيْنَ الْمَخَانِقِ وَالْجُيُوبِ (٤)

ولقد استحسّن الثعالبي بيت بشار " الشاهد " مع أبيات أخرى أطلق

لأجلها على بشار لقب أستاذ المحدثين ويدرهم ، وجعله أعجوبة الدنيا ،

قال :-

(١) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ٣٧٥ / ١ .

(٢) المنصف في فقد الشعر : ٥٨٠ .

(٣) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ٢٠٩ / ٤ .

(٤) الأشباه والنظائر للخالدين : ٥٦ / ٢ .

"بشار بن برد ويقال ابن برد أستاذ المحدثين وصدرهم ويديرهم ،
وأعجوبة الدنيا ؛ لأنه كان أعشى أكمه ، ولد كذلك ، وقال مثل قوله :
كَأَنَّ مَنَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ . . . وَأَسْيَافَنَا لَيْلَتَهَا وَى كَوَاكِبُهُ
..... وقوله :

وَصَاحِبٍ كَالدَّمَلِ الْمُجِسِّدِ . . . حَمَلَتْهُ فِي رُقْعَةٍ مِنْ جِلْدِي^(١)
ويبدو لي أن الشاهد السابق - الذي نسب للأغر* - أُلح وجهاً وأظرف
معنى ، وأدق وأبلغ صورة من قول بشار هذا ، فهو دونه في الطبقة ، فأبين معنى
الخيطة من الحمل ، وأين تخصيص الاحتفاظ برقعة من الجلد ، من جعل الاحتفاظ
في جميع الجلد ؟ .

الشاهد الثاني والعشرون : (*) (البسيط)

قول أبي تمام^(٢) :

لَا يَطْمَعُ التَّمْرُ أَنْ يَجْتَابَ لُجَّتَهُ^(٣) . . . يَالْقَوْلِ مَا لَمْ يَكُنْ جِسْرًا لَهُ الْعَقْلُ^(٥)
وهو من قصيدة يمدح بها المعتصم بالله ، ومطلعها :
^(٤)

- (١) الإعجاز والإيجاز : ١٥٧-١٥٨ .
(*) الدلائل ، رضا : ٦٢ ، خفاجي : ١٢١ ، شاكر : ٧٨ .
(٢) مضت ترجمته عند البيت الثالث من أبيات المدخل : ص ٥٥ .
(٣) جاء في تحقيق ديوانه بشرح التبريزي - أنه يروى : " يجتاز " .
(٤) رواية الديوان بشرح التبريزي ، والديوان " دار صادر " : " غمرته " لُجَّةُ
الماء " بالضم " معظمه ، وكذلك غمرته أكثره ومعظمه / مختار الصحاح :
" لج " ٥٩٢ ، " غمر " : ٤٨٠ .
(٥) انظر البيت في : ديوانه بشرح الخطيب التبريزي : ٣ / ١٦ ، ديوانه
دار صعب : ٢٠٢ .

- (٦) هو محمد بن هارون الرشيد بن المهدي بن منصور (١٧٩ هـ وقيل ١٨٠ هـ
- ٢٢٧ هـ) أبو إسحاق ، من أعظم خلفاء الدولة العباسية كبويع بالخلافة
سنة (٢١٨ هـ) يوم وفاة أخيه المأمون وبعهد منه ، وهو فاتح عسويه من بلاد
الروم الشرقية ، وهو باني مدينة سامراء ، وهو أول من أضاف إلى أسمه
=====

(١) فَحَوَاكَ عَيْنٌ عَلَى نَجْوَاكَ يَا مَذِلُّ .: حَتَّامٌ لَا يَتَقَضَى قَوْلُكَ الْخَطِيلُ (٢)

وقبل الشاهد :

وَمَشْهَدٍ بَيْنَ حُكْمِ الذَّلِّ مُنْقَطِعٌ .: صَالِيَهُ أَوْ بِجِبَالِ الْمَوْتِ مُتَّصِلٌ
ضَنْكُ إِذَا خَرَسَتْ أَبْطَالُهُ نَطَقَتْ .: فِيهِ الصَّوَارِمُ وَالْخَطَّيَةُ الذُّبُلُ

وبعدهما الشاهد وي بعده :

جَلَّتِ وَالْمَوْتُ مُبْدٍ حَرَّ صَفْحَتَيْهِ .: وَقَدْ تَفَرَّعَ فِي أَهْـلِ الْأَجَلِ (٣)

ومعنى الشاهد : لا يخدع المرء نفسه بكثرة القول والكلام ، فإنه لا يستطيع
أن يحقق آماله ، ولا أن يخوض غمار الحروب ، ويحرز البطولات والإنتصارات إن لم
يجعل العمل سبيله ، كما أن الماء لا يجتاز معظمه إلا عن طريق الجسر .

الشاهد الثالث والعشرون :- (*) (البسيط)

قول أبي تمام - أيضا : (٤)

=== اسم الله تعالى من الخلفاء ، فقيل المعتصم بالله ، كانت خلافتـه

ثلاثين سنين وثمانية أشهر وخلف ثمانية بنين وثمان بنات مات وعمره

(٤٨) سنة / انظر ترجمته :

تاريخ الطبري : ٦٦٢ / ٨ ، ٧ / ٩ ، ١١١ - الفخري في الآداب السلطانية :

٢٢٩ - ٢٣٥ ، مروج الذهب : ٤ / ٤٦ - ٦٤ ، التنبية والإشراف : ٣٢١ - ٣٢٨ ، ٦

تاريخ بغداد : ٣ / ٣٤٢ - ٣٤٧ ، الكامل لابن الأثير : ٥ / ٢٣١ - ٢٦٦ ،

فوات الوفيات : ٤ / ٤٨ - ٥٠ ، الأعلام : ٧ / ١٢٧ - ١٢٨ .

(١) التذلل : البازل لما عنده من مال أو سر وما المعنى هنا الذي يغشي السر /

اللسان " مذل " : ١١ / ٦٢١ .

(٢) الديوان - شرح التبريزي : ٣ / ٥٠ - دار صعب - : ٢٠٠ .

(٣) الديوان - شرح التبريزي : ٣ / ١٦ - دار صعب - : ٢٠٢ .

(*) الدلائل ، رضا : ٦٢ ، خفاجي : ١٢١ ، شاكر : ٧٨ ، محمد مخي الدين عبد الحميد - ٦

(٤) رواية الديوان - دار صعب - وشرح الديوان - محمد مخي الدين عبد الحميد - ٦

وأخبار أبي تمام للصولي : " الكبرى " .

(١) بَصُرْتُ بِالرَّاحَةِ الْعُظْمَى فَلَمْ تَرَهَا . . . تُتَنَالُ إِلَّا عَلَى جِسْرٍ مِنَ التَّقَبْرِ

وهو من قصيدته المشهورة التي مدح بها المعتصم بالله ، وذكر فتح عمورية ،

ومطلعها :

(٢) السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ . . . فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ (٣)

وقبل الشاهد :

(٤) خَلِيفَةُ اللَّهِ جَازَى اللَّهُ سَعْيَكَ عَنْ . . . جَرثُومَةِ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ وَالْحَسْبِ (٥)

وبعده الشاهد وبعده :

إِنْ كَانَ بَيْنَ صُرُوفِ الدَّهْرِ مِنْ رَجْمٍ . . . مَوْصُولَةٍ أَوْ نِزَامٍ غَيْرِ مُنْقَضٍ

فَبَيْنَ أَيَّامِكَ اللَّاتِي تُصِرْتَ بِهَا . . . وَبَيْنَ أَيَّامٍ بَدُرَ أَقْرَبُ النَّسَبِ (٦)

ومعنى الشاهد : أنك ذو بصيرة وحكمة إن أدركت أن الراحة الكبرى ، والنصر

لا يمكن الحصول عليهما إلا بالتغلب على المصاعب والتعاب .

الشاهد الرابع والعشرون : (*) (البسيط)

(٧)

قول ربيعة الرقي :

(١) انظر البيت في :

ديوانه : - دار صادر - : ١٧ ، شرح ديوانه - محمد محيي الدين - : ٢٨ ،

أخبار أبي تمام للصولي : ١١٣ .

(٢) تُقْرَأُ بِالْكَسْرِ ، فتكون مصدر " أنبأ " أي أخبر ، وتقرأ بالفتح فتكون جمع " نبأ " .

وهو الخبر العظيم / تحقيق الديوان لمحمد محيي الدين : ١٥ .

(٣) ديوانه - دار صعب - : ١٤ ، شرح الديوان لمحمد محيي الدين : ١٥ .

(٤) جرثومة كل شيء أصله ومجتمعه . / اللسان " جرثم " : ٩٥ / ١٢ .

(٥) ديوانه - دار صعب - : ١٧ ، شرح ديوانه - محمد محيي الدين - : ٢٨ .

(٦) انظر : المصدرين السابقين نفس الصفحة .

(*) الدلائل ، رضا : ٦٢ ، خفاجي : ١٢١ ، شاکر : ٧٩ .

(٧) هو ربيعة بن ثابت الأنصاري ، كنيته أبو شبابه ، وقيل إنه يكنى أبا ثابت ،

ولقبه أبو ثابت ، وكان ينزل الرقة ، وبها مولده ومنشؤه ، مدح المهدي فأثابه ،

وهو من المكثرين المجدين ، وكان ضريرا ، وإنما أخل ذكره وأسقطه عن

طبقة بعده عن العراق ، وتركه خدمة الخلفاء ، ومخالطة الشعراء ، وذكر

(١) (٢)

قُولِي نَعَمْ وَنَعَمْ إِنَّ قُلْتِ وَاجِبَةً . : قَالَتْ عَسَى وَعَسَى جِسْرٌ إِلَى نَعَمْ

وهو من قصيدة غزلية أولها :

دَسْتُ سَعَادَ رَسُولًا غَيْرَ مَثْهَمٍ . : وَصِيفَةً فَأَتَتْ إِثْيَانَ مُنْكَبِتٍ

وقبل الشاهد :

أَهْلًا بِطَيْفِكَ يَا سَعْدَى الْمُلَمِّ بِنَا . : طَيْفٌ يَسِيرُ بِلَا نَجْمٍ وَلَا عَـلَمٍ
أَنْتِ الضَّجِيعُ إِذَا مَا نِمْتُ فِي حُلْمِي . : وَالنَّجْمُ أَنْتِ إِذَا مَا الْقَيْنُ لَمْ تَنَمْ
مَا أَكْذَبَ الْقَيْنَ وَالْأَحْلَامَ قَاطِبَةً . : أَصَابِقُ مَرَّةً فِي وَصْلِهَا حُلْمِي

وبعد ها الشاهد وبعده :

أَنْعَقَتْ نَعْمَى عَلَيْنَا لَسْتُ أَنْكَرَهَا . : حَتَّى أُغَيَّبَ فِي مَلْحُودَةِ الرَّجَمِ (٣) (٤)

ومعنى الشاهد : طلب الشاعر من محبوبته أن تحبيه إلى مطلبه بنعم ، فأجابته

بعسى ، ورضي هو بهذا الجواب ؛ لما فيه من الأمل والرجاء الذي قد يوصله إلى
منشوده .

ولقد استشهد الشيخ بهذه الأبيات الثلاثة ؛ ليثبت أن اللفظ المستعار إنما
يحسن بحسب موضعه ، وموقعه في الجملة ، فكلمة " جسر " لها مذاقها وطعمها

== ابن المعتز أنه أغزل من أبي نواس ، توفي ربيعة الرقي : (١٩٨ هـ) / :

انظر ترجمته :

طبقات ابن المعتز : ١٥٢ - ١٧٠ ، الأغاني : ١٦ / ٢٥٤ -

٢٦٥ ، نكت الهميان : ١٥١ - ١٥٢ ، خزانة البغدادى - دار صادر -

٣ / ٥٥ - ٥٦ ، الأعلام : ٣ / ١٦٠ .

(١) رواية طبقات ابن المعتز للبيت :

قُولِي نَعَمْ إِنَّهَا إِنْ قُلْتِ نَافِعَةٌ . : لَيْسَتْ عَسَى وَعَسَى صَبْرٌ إِلَى نَعَمْ

وعليها فلا شاهد .

(٢) انظر البيت في :

ديوانه : ٩٢ ، طبقات ابن المعتز : ١٦٧ .

(٣) الرَّجْمُ : القبر . / المصباح المنير : ١ / ٢٣٧ .

(٤) الأبيات نقلًا عن : ديوانه ، طبقات ابن المعتز : ١٦٧ .

الخاص في كل بيت من هذه الأبيات الثلاثة . قال الشيخ :

" ومن سر هذا الباب ، أنك ترى اللفظة المستعارة قد استعيرت فسي
عدة مواضع ، ثم ترى لها في بعض ذلك ملاحظة لا تجدها في الباقي ،
مثال ذلك أنك تنظر إلى لفظة " الجسر " في قول أبي تمام :

لَا يَطْمَعُ الْمَرْءُ أَنْ يَجْتَازَ لُجَّتَهُ . . . بِالْقَوْلِ مَا لَمْ يَكُنْ جِسْرًا لَهُ الْعَمَلُ

وقوله :

بَصُرْتُ بِالرَّاحَةِ الْعُظْمَى فَلَمْ تَرَهَا . . . تُنَالُ إِلَّا عَلَى جِسْرٍ مِنَ التَّعَبِ

فترى لها في الثاني حسنا لا تراه في الأول ، ثم تنظر إليها في قول ربيعة
الرقبي :

قُولِي نَعَمْ ، وَنَعَمْ إِنْ قُلْتَ وَاجِبَةً . . . قَالَتْ عَسَى وَعَسَى جِسْرٌ إِلَى نَعَمْ

فترى لها لطفًا ، وطلاقة ، وحسنًا ليس الفضل فيه بقليل (١)

فالشيخ عبد القاهر فضل كلمة " جسر " في بيت ربيعة الرقبي " وَعَسَى جِسْرٌ
إِلَى نَعَمْ " وأثنى عليها ، واستطفاها ، واستحسنها ، ورأى أن لفظة " جسر " في بيت
أبي تمام الثاني " فَلَمْ تَرَهَا تُنَالُ إِلَّا عَلَى جِسْرٍ مِنَ التَّعَبِ " في الدرجة الثانية من
الحسن ، وبعبارة الأولى " مَا لَمْ يَكُنْ جِسْرًا لَهُ الْعَمَلُ " في الدرجة الثالثة .

ولكن الشيخ لم يعلل سبب هذا التفضيل ووجهه ، وكأنه ترك للقارئ حريصة
التدقيق ، وذلك لما تحمله هذه الكلمة - بحسب موقعها - من معاني تتوقف على
الإحساس الشخصي لكل متذوق .

واللغة لا تكاد تسعف لوضع الفروق الدقيقة ، ولكن يمكن أن أقول : أن الصورة
التي جاءت فيها كلمة " جسر " في بيت أبي تمام الأولى قريبة من صورة الجسر
الحقيقية حيث جاء بصورة الاجتياح واللجة فأصبحت بذلك قريبة متناولة لا جيدة
فيها ولا غريبة .

ولعلمها حَسُنَتْ في بيته الثاني؛ لأنه أبعد الصورة قليلا عن صورتها الحقيقية ،
فجعل التعب جسرا إلى الراحة ، ولم يأت بقرائن تفضح الصورة مباشرة أمام العقل
وتكشفها ، فتذهب حلاوتها ورونقها .

ولعلمها ازدادت دقة ولطافة في بيت ربيعة الرقي ؛ لأنه أغرب فيها وأبعدها
عن صورتها الحقيقية فجعل الجسر هنا يربط بين معاني نفسية عاطفية ، فالشاعر
ابتدأ البيت بفعل أمر - " قلبي نعم " - يحمل معنى الرجاء والاستعطاف أن تجيبه
محبوبته " بنعم " لما يطلبه منها ، ويعد هذا الاستعطاف توقع الشاعر أن يجد
ما طلب إلا أن صاحبه استطاعت أن تعبث بعواطفه تنشد من ذلك تشويقه وتحريك
مشاعره ، فجاء جوابها يلغه نوع من الغموض ، فهي لم تجب بنعم ، ولم تجب " بلا " .
ولكنها أجابته « بعسى » ، وعسى هذه بعثت في نفسه الأمل ، فهي لا تعني الرفض
التام ، وإنما هي طريق إلى الرضى ، وإلى نعم ، فكأنما أرادت بهذا الأسلوب
أن تُلَمِّح له بكل عواطفها ومشاعرها قبل أن تنطق بالرضى ، فحملت كلمة جسر كثيرا
من المعاني النفسية ، والعاطفية ، وحاطتها بسياج من الغموض والتلميح ؛ لأن التلميح
في هذا الموقف أشد وقعا في النفس من التصريح .

وكثيرا ما كان الشعراء المتيقنون يجدون في هذا العطاء القليل السلوى والراحة .
انظر إلى قول جميل بن معمر الذي يفسر لنا معنى الجسر في قول ربيعة الرقي :
وَأَيْتِي لَرَأْسٍ مِنْ بُشَيْنَةَ يَالْهَدْيِ . . . لَوْ أَبْصَرَهُ الْوَاشِي لَقَرَّتْ بِلَا بِلْسِهِ
بِلَا وَآلَا أَسْتَطِيعَ وَبِالْمُسْنَى . . . وَبِالْوَعْدِ حَتَّى يَسْأَمَ الْوَعْدَ أَمْلُهُ
وَبِالنَّظَرَةِ الْعَجَلَى وَبِالْحَوْلِ تَنْقِضِي . . . أَوَاخِرُهُ لَا تَلْتَقِي وَأَوَائِلُهُ (١)
ومن أسرار لطف كلمة جسر في بيت ربيعة الرقي أن كلمة " جسر " فيه قد
وصلت بين المعنيين " عسى ونعم " مباشرة فأوحت للخيال بمعنى سرعة الوصول ،

(١) شرح ديوان جميل بثينة : ٥٨ ، ويروى الشطر الثاني من البيت الثاني :
" وَبِالْأَمَلِ الْمَرْجُو قَدْ خَابَ أَمْلُهُ " .

أما في البيتين السابقين فقد فصل بين لفظة " جسر " وبين المعنيين اللذين تربطهما
بعدة ألفاظ ، فأفقدنا هذا الفصل ذلك الإيحاء الخيالي اللطيف .

ومن الملاحظ في تعليق الشيخ أنه جعل كلمة " جسر " في الأبيات الثلاثة
استعارة ، وهي عند المتأخرين تشبيه ، فقد اختلفت الآراء في موضوع التشبيه
المضمر الأداة ، فذهب أكثر علماء البيان المتأخرين إلى أنه تشبيه ، وذهب
قريق آخر إلى القول بأنه استعارة ، وينو رأيه على أن الاستعارة ليست لها آلة ،
والتشبيه له آلة ، فما كانت فيه آلة ظاهرة ، فهو تشبيه ، وما لم تكن فيه ظاهرة فهو
استعارة (١) .

وقد حدد الشيخ عبد القاهر الفرق بين هذين الضربين ، فذكر أنه إن كان
المشبه مذكوراً ، أو مقدراً ، وكان المشبه به خبراً ، أو في حكم الخبر ، كخبر " كان " ،
و " إن " ، والمفعول الثاني لباب " علمت " ، فالوجه أن يسمى تشبيهاً ، ولا يسمى
استعارة ، لأن الاسم إذا وقع هذه المواقع كان الكلام موضوعاً لإثبات معناه لما يعتمد
عليه ، أو نفيه عنه .

ثم زاد الشيخ في تحديد الفرق ، فذهب إلى أن ما كان التركيب فيه يقبل دخول
كل أدوات التشبيه كأن يكون المشبه به معرفة ، كان الأسلوب أقرب إلى التشبيه ،
وأبعد عن الاستعارة .

وإن حسن دخول بعضها دون بعض كأن يكون نكرة غير موصوفة ، فإنه لا يحسن
دخول كل الأدوات عليها كان أقرب للاستعارة ، وإن لم يحسن دخول شيء منها
إلا بتفسير صورة الكلام كان إطلاق الاستعارة أقرب لغموض تقدير أداة التشبيه فيه .
وإن أبى المعنى دخول أدوات التشبيه امتنع أن يطلق على الأسلوب لفظ
التشبيه . كقول البحراني :

(٢)
يَتَذَرُّ أَضَاءَ الْأَرْضِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا . . . وَمَوْضِعَ رَحْلي مِنْهُ أَسْوَدُ مُظْلِمٌ

(١) الطراز : ١ / ٢٠٥ - ٢٠٧ .

(٢) ديوانه : ١ / ٨٠ .

فإن رُجِعَ إلى التشبيه ، وجعل المعنى ، هو كالبدر لزِم وصف البدر المعروف
بصفات ليست فيه ، ومن هنا ظهر أنه أراد أن يثبت للممدوح صفة مبنية على
التخييل ، فزاد في جنس البدر واحداً له تلك الصفة ، فالكلام موضوع ليس لإثبات
الشبه بينهما ، ولكن لإثبات تلك الصفة .^(١)

الشاهد الخامس والعشرون : (*) (الطويل)

قول امرئ القيس :^(٢)

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَطَّي بِصُلْبِهِ . . وَأَرَدَفَ أَعْجَازاً وَنَاءً يَكْلُكُلُ^(٣) (٤) (٥) (٦) (٧) (٨)

- (١) الأسرار : - هـ ، ريت - : ٣٠٢/٢ - ٣٠٨ ، الإيضاح : ٤٠٩/٢ - ٤١٢ .
(*) الدلائل ، رضا : ٦٢ ، خفاجي : ١٢١ ، شاکر : ٧٩ .
(٢) هو حندج (وقيل مليكة وقيل عدي) بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر أكل
المُرَارَ ، وامرؤ القيس لقبه وبه شهر ، ولقب بالملك الفلّيل ، وذئ القروح ، وكنيته
أبو زيد ، وأبو وهب ، وأبو الحارث ، وذئ القروح ، يمانى الأصل ، مولده بنجد
أ وبخلاف السكاسك باليمن ، كان أبوه ملك أسد وخطفان ، وأمه أخت
المهلهل الشاعر ، فلقنه المهلهل الشعر فقال له وهو غلام ، وكان يعاشر صعاليك
العرب ، وظل يشيب ويلهو حتى بلغه نبأ مقتل والده ، فثار على بني أسد طالباً
ثأر أبيه ، مات في أنقره بقروح ظهرت في جسمه . / انظر ترجمته : الشعر والشعراء :
١ / ١١١ - ١٤٢ ، الأغاني : ٧٧/٩ - ١٠٧ ، جمهرة أنساب العرب :

١٩١-١٩٣-١٩٦-٤٠٣-٤٢٧ ، تهذيب ابن عساكر : ١٠٧/٣ - ١١٠ ، شرح شواهد

المفني : ٩٢-٩٣ ، خزائن البغدادى : ١٦٠ / ١ ، ٦٠٩-٦١٢ ، الأعلام :

١١/٢ - ٢٠ ، مطّ الشيء ، يَمْطُه مطاً : مسده ، ويجوز أن يكون التمطي مأخوذاً من المطأ ، وهو
الظهر ، فيكون التمطي مدّ الظهر / شرح الزوزني : ٥٨ ، اللسان : " مطّ " :

رواية الديوان وشرح الجمل للزجاجي ، والعمدة : " لما تمطي بجوزه " .^(٤)

عَجَزُ الشيء وعَجَزُهُ ، وعَجَزُهُ وعَجَزُهُ : آخره ، يذكر ويؤنث ، والعَجَزُ : ما بعد
الظهر منه / اللسان " عجز " : ٣٧٠ / ٥ .^(٥)

نَاءٌ في " نياً " بمعنى بَعْدَ ، نَاءُ الرجل مثل نَاعَ ، كناية مقبولة منه : إذا بَعْدَ
ونَاءٌ من " نَواً " بمعنى ثَقُلَ / اللسان : " نياً " " نَواً " : ١٧٤-١٧٨ .^(٦)

الكلكل : الصدر ، والجمع كلاكل / شرح الزوزني : ٥٩ .^(٧)

ديوانه شرح حسن السند وبني : ١٥١-١٥٢ ، البديع لابن المعتز : ٧ ، =====^(٨)

والبيت من قصيدته المشهورة التي مطلعها :

قَفَانُكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٌ . . . يَسْقُطُ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْلِ
فَتَوْضَحَ فَالْمِقْرَةَ لَمْ يَعْفُ رَسْمَهَا . . . لَمَّا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالِ (١)

وقبل الشاهد :

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدَّ وَلَهُ . . . عَلَى بِأَنْوَاعِ الْهَمُومِ لِيَنْتَلِي

وبعد الشاهد وبعده :

أَلَا أَيَّتُهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا انْجَلِي . . . يَصْبُحُ وَمَا الْإِصْبَاحُ فِيكَ بِأَمْثَلِ (٢)
فِيَالِكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نَجُومَهُ . . . يَكُلُّ مَقَارِ الْفَتْلِ شُدَّتْ يَتَذَبُلُ
كَأَنَّ الثَّرِيَّا عَلَّقَتْ فِي مَصَابِيهَا . . . بِأَمْزَاسٍ كِتَانٍ إِلَى صَمٍّ جَنْدَلِ (٣)

استشهد الإمام بهذا البيت على أن ما يزيد الاستعارة حسنا وشرفاً أن يجمع الشاعر بين عدة استعارات قصداً إلى أن يلحق الشكل بالشكل ليمتد المعنى والشبه . قال :

" وما هو أصل في شرف الاستعارة أن ترى الشاعر قد جمع بين عدة استعارات ، قصداً إلى أن يلحق الشكل بالشكل ، وأن يمتد المعنى والشبه "

== رسائل ابن المعتز : ٤٠ ، نقد الشعر : ١٧٧ ، الموازنة : ٢٣٤ ، الموشح :
٢٩-٣١ ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن " بيان إعجاز القرآن " للخطابي :
٦٢ ، المنصف في نقد الشعر : ٥٣ ، الصناعتين : ٣١١ ، إعجاز القرآن
للباقلاني : ٧١ ، العمدة : ١ / ٢٧٦ ، سر الفصاحة : ١١٢ ، حماسة
ابن الشجري : ٢١٦ ، الإفصاح : ٢٣٤ ، نثار الأزهار : ١٥ ، المثل
السائر : ٢ / ١٠٩ ، شرح جمل الزجاجي : ١ / ٢٢٨ ، الإيضاح : ٢٧٢ / ٤
شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - : شاهد رقم ١٤٦ ، شرح
شواهد المغني : ٢ / ٥٧٤ .

(١) سيأتي شرح هذه المواضع في موضعها : ص

(٢) رواية شرح المعلقات للزوزني : " منك " .

(٣) ويروى " مصابها " وكلاهما بمعنى موضعها /

ديوانه شرح السندوبي : ١٥٢ .

فيما يريد ، مثاله قول آمري ، القيس :

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ . : وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءً يَكْلُكُلُ
لما جعل لليل صلباً قد تمطى به ، شئى ذلك فجعل له أعجازاً قد
أردف بها الصلب ، وثث فجعل له كلكلاً قد ناء به ، فاستوفى له جملة
أركان الشخص ، وراعى ما يراه الناظر من سواده ، إذا نظر قدأه ، وإذا
نظر إلى خلفه ، وإذا رفع البصر ومدّه في عرض الجوّ (١) .

هذه الأبيات تكشف عن نفسية آمري ، القيس المليئة بالهموم العظيمة ، والآلام
الجسيمة ، حتى أصبح يرى كل شيء حوله ثقيلًا طويلًا بطيئًا ، ومن ثم سقى خياله
بهذه النفسية المتناقضة ، فولدت لنا صوراً تعكس هذا الثقل ، حيث نكر لفظ
" ليل " للتعظيم من شأنه ، لأن الليل هو السبب في زيادة همومه وتضاعفها ،
ثم شبهه بالموج في تلاطمه وكثافته ، وهذا التشبيه يكشف عن دخيلته المضطربة
التي تتلاطم في جوانبها الهموم تلاطم أمواج البحر ، وأن روحه مظلمة كظلمة هذا
الليل .

ولما طال الليل ، وأسرف في الامتداد ، وناءت أواظده ، وازدادت أواخره
طولاً ، تصوّر الشاعر أن له صلباً وأعجازاً وكلكلاً ، فجمع له بذلك جميع الأوصاف
الدالة على طوله وامتداده .

وعند ما رأى أن طوله قد ازداد ، وثقله قد تحكّم في النفس لم يرمّلاً من ضيقه ،
وتبدد بعض كآبته إلا أن يتجرأ على مخاطبة الليل ، ويتخطى حواجز الرهبة
والخوف ، فبدأ مخاطبته بأداة التثنية " ألا " لتثنيه الليل ولغته إلى أنه سيعلم
له عن حقيقة طالما خفيت عليه ، وهي تبرمه الشديد وضيقه العظيم به على عكس
ما يراه الناس في الليل من الراحة والطمأنينة .

ثم جاء بياء النداء لجزره عن هذا الامتداد ، ثم وصفه بأنه طويل لتأكيد هذه الصفة فيه ، وأنها متمكنة منه لازمة له .

ويبلغ به التبرم والضيق كل مبلغ ، فيصرخ آمراً الليل أمر تمن ، بالانجسلا والانكشاف " ألا انجل بصبح " حيث توهم أن في إشراقة الصباح تبديد همه وزوال كربه ، ولكن لشدة حزنه وألمه يضرب عن قوله وطلبه بالانكشاف ، ويعود إلى التحسر والتألم ، لأنه اكتشف أن نهاره كليله في اجتماع الهموم وتراكم الأحزان ، فليس أحدهما بخير من الآخر .

وهذا البيت مشهور في كتب الأدب والبلاغة ، فقد أورده ابن المعتز في " باب الاستعارة " فقال :

" ومن الاستعارة قول امرئ القيس (من الطويل) :

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ مَرَّخٍ سَدَّ وَلَهُ . . . عَلَى بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيَتَلَيَّسَ
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ . . . وَأَرَدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءً يَكَلْكُلُ

هذا كله من الاستعارة ، لأن الليل لا صلب له ولا عجز (١) .

وابن المعتز ألف كتابه في البديع ، وجعل منه الاستعارة ، وبهذا حكم أنها من البديع وهو وصف جودة .

ولكنه أورد البيت في رسائله على أنه مما عيب على امرئ القيس . قال :

" وعيب على امرئ القيس قوله : . . . البيت

فانسلخ البيت الأول بوصف الليل من غير أن يذكر ما قال وجعله متعلقاً

بما بعده ، وذلك معيب عندهم (٢) .

كما أورده الآمدي في موازنته ، واستحسن هذه الاستعارة ، ورأى أنها في غاية الحسن والجودة والصحة ، ووجه حسنها أنه وصف أحوال الليل الطويل . قال :

(١) البديع : ٧ .

(٢) رسائل ابن المعتز : ٤٠ .

” وإنما استعارت العرب المعنى لما ليس له إذا كان يقاربه ويدانيه ،
أو يشبهه في بعض أحواله ، أو كان سبباً من أسبابه ، فتكون اللفظة
المستعارة حينئذ لا ثقة بالشيء الذي استعيرت له ، وملائمة لمعناها ،
نحو قول امرئ القيس . . . البيت .

وقد غاب امرئ القيس بهذا المعنى من لم يعرف موضوعات المعاني ،
ولا المجازات ، وهو في غاية الحسن والجودة والصحة ، وهو إنما قصد
وصف أجزاء الليل الطويل ، فذكر امتداد وسطه ، وتناقل صدره للذهاب
والانبعاث ، وترادف أعجازه ، وأواخره شيئاً فشيئاً ، وهذا عندي
منتظم لجميع نعوت الليل الطويل على هيئته ، وذلك أشد ما يكون على
من يراعيه ويتقرب تصرُّمه ، فلما جعل له وسطاً يمتد وأعجازاً رادفة
للوصل وصدرًا متناقلًا في نهوضه حسن أن يستعير للوسط اسم الصلب ،
وجعله متطياً من أجل امتداده ، لأن تطى وتعد بمنزلة واحدة ،
وصلح أن يستعير للصدر اسم الكلكل من أجل نهوضه ، وهذه أقرب
الاستعارات من الحقيقة ، وأشد ملائمة لمعناها لما استعيرت له (١) .

وقد أورد المرزباني البيت وذكر أمر المفاضلة التي أجريت بين أبيات امرئ القيس ،
وبيت النابغة في وصف الليل ، وذكر أن الصولي قد استحسنت أبيات امرئ القيس ،
فالشعراء قبله قد اتفقوا على أن الهم في الحب يخف عنهم في النهار ، ويزيد
في الليل ، ولم يشذ عنهم ، ويخالفهم إلا أخذ قههم بالشعر ، والمبتدي ، بالإحسان
فيه ، أمرؤ القيس ، فإنه بحذقه وحسن طبعه قد جعل الليل والنهار سواء عليه
في قلقه وهمه وجزعه وغمه فقال :

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَنْجَلُ . . . بِصُبْحٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ فَيْكَ بِأَمْثَلِ

وعلى الرغم من استحسانه لهذه بين البيتين ذكر أنهما يعابان من وجه آخر، حيث جعل امرؤ القيس البيت الأول متعلقا بالبيت الثاني ، وهذا عيب عند الحذاق بنقد الشعر ؛ لأن خير الشعر مالم يحتج بيت منه إلى بيت آخر قال :

” وأبيات آمري، القيس في وصف الليل أبيات اشتمل الإحسان عليها ، ولا ح الحذق فيها ، وإن الطبع بها ، فما فيها معاب إلا من جهة واحدة عند امراء الكلام والحذاق بنقد الشعر وتمييزه ، ولولا خوفا من ظن بعضهم أنني أغفلت ذلك ما ذكرته ، والعيب قوله بعد البيت الذي ذكرته :^(١)

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَطَّي بِصُلْبِهِ . : وَأَرَدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءً يَكَلْكَلُ
فلم يشرح قوله ” فقلت له ” ما أراد إلا في البيت الثاني ، فصار مضافاً إليه متعلقاً به ، وهذا عيب عندهم ؛ لأن خير الشعر مالم يحتج بيت منه إلى بيت آخر ، وخير الأبيات ما استغنى بعض أجزائه ببعض إلى وصوله إلى القافية^(٢) .

ورأى ابن الأثير أن هذا ليس بعيب ، وهذا ما سندكره عند عرض رأيه .
وأورد الخطابي هذا البيت في رسالته ” بيان إعجاز القرآن ” عند حديثه عن المعارضة ، وذكر كذلك قصة المفاضلة بين أبيات آمري، القيس التي أورد فيها هذا البيت وبين بيت النابغة :

كَلْبَنِي لِهَمٍّ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ . : وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ
وكانت نتيجة المفاضلة أن الحكم بالحسن كان لبيت آمري، القيس لما فيه من ثقافة الصنعة وحسن التشبيه ، وإبداع المعاني . قال :

” وقد روي لنا أن الوليد بن عبد الملك ، وأخاه مسلمة تنازعا ذكر الليل وطوله ، ففضل الوليد أبيات النابغة في وصف الليل ، وفضل مسلمة أبيات آمري، القيس ، فحكما الشعبي بينهما ، فقال الشعبي : تنشد الأبيات وأسرع ، فأنشد للنابغة :

(١) يقصد قوله : ” وليل كموج البحر أرخى سدوله . . . ” .

(٢) الموشح : ٣١ .

كَلْبِنِي لِهَمِّ يَا أُمَيَّةَ نَاصِبٍ . . وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ بَطِيٍّ الْكَوَاكِبِ
تَطَاوَلَ حَتَّى قَلْتُ لَيْسَ يَمْنَقُضِي . . وَلَيْسَ الَّذِي يَرَعَى النُّجُومَ يَأْيِبُ
وَصَدْرٍ أَرَا حَ اللَّيْلِ عَازِبٍ هَمِّهِ . . تَضَاعَفَ فِيهِ الْحُزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
ثم أنشد لامريء القيس :

وَلَيْلٍ كَتَمَتْ الْبَحْرَ أَرْخَى سُدُولَهُ . . عَلَى بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيَتَنَظَّرِي
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى يَصُصِّلُهُ . . وَأَزْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءً يَكَلْكُلُ
أَلَا آيَهَا اللَّيْلِ الطَّوِيلُ أَلَا انْجَلِ . . بِصُبْحٍ وَمَا إِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ
فِيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نَجُومَهُ . . بِكُلِّ مَغَارِ الْفَتْلِ شُدَّتْ بَيْذُبُلِ

قال فركض الوليد برجله ، فقال الشعبي : بانث القضية

قلت : افتتاح النابغة قصيدته بقوله :

كَلْبِنِي لِهَمِّ يَا أُمَيَّةَ نَاصِبٍ

متناه في الحسن ، بليغ في وصف ما شكاه من همه وطول ليله ، ويقال إنه لم
يبتدئ شاعر قصيدة بأحسن من هذا الكلام . وقوله :

وَصَدْرٍ أَرَا حَ اللَّيْلِ عَازِبٍ هَمِّهِ

مستعار من إراحة الراعي الإبل إلى مباتها ، وهو كلام مطبوع سهل يجمع
البلاغة والعدوة ، إلا أن في أبيات امرئ القيس من ثقافة الصنعة وحسن
التشبيه ، وإبداع المعاني ما ليس في أبيات النابغة ، إذ جعل الليل
صلباً وأعجازاً وكلكلاً ، وشبه تراكم ظلمة الليل بموج البحر في تلاطمه
عند ركوب بعضه بعضاً حالاً على حال ، وجعل النجوم كأنها مشدودة
بحبال وثيقة فهي راكدة لا تزول ولا ترح ، ثم لم يقتصر على ما وصف من
هذه الأمور حتى عللها بالبلوى ، ونبه فيها على المعنى ، وجعل يتمنى
تصرم الليل بعود الصبح لما يرجو فيه من الروح ، ثم ارتجع ما أعطى
واستدرك ما كان قدسه وأمضاه ، فزعم أن البلوى أعظم من أن يكون لها
في شيء من الأوقات كشف وانجلاء ، والمحنة فيها أغلظ من أن يوجسد
لدائها في حال من الأحوال واءوشفاء ، وهذه الأمور لا يتفق مجموعها

في اليسير من الكلام إلا لمثله من المبرزين في الشعر الحائزين فيه
 قصب السبق ، ولأجل ذلك كان يركض الوليد برجله إذ لم يتمالك أن
 يعترف له بفضله (١) .

وذكر أبو هلال العسكري قول أمريء القيس :

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ مَرْخٍ سُدَّ وَلَهُ . : عَلَى بَأْنَوَاعِ الْهُمُومِ لِيَنْتَظِرِي

في باب التشبيه في فصل " حد التشبيه وما يستحسن من منثور الكلام
 ومنظومه ، وذكر أنه من التشبيه الذي يتضمن معنى اللون وحده (٢) ، وعلق عليه
 تعليقا بسيطا قال فيه :

" وفي هذا معنى - الهول - أيضا (٣) "

أما بيت الشاهد فقد ذكره في " الاستعارة والمجاز " ولم يعلق عليه ، واكتفى
 بقوله :

" فأما الاستعارة من أشعار المتقدمين ، فمثل قول أمريء القيس :

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ مَرْخٍ سُدَّ وَلَهُ . : عَلَى بَأْنَوَاعِ الْهُمُومِ لِيَنْتَظِرِي
 فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ . : وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءً يَكْكَسِلُ (٤)

ولقد استلح الباقلاني هذه الاستعارة ، وذكرها في فصل " ذكر البديع
 من الكلام " وفي هذا الموضع لم يبين وجه الملاحظة فيها قال :

" . . . ومن ذلك قول أمريء القيس :

" وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدَّ وَلَهُ "

وذلك من الاستعارة المليحة (٥)

(١) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، رسالة الخطابي : ٦٢-٦٣ .

(٢) الصناعتين : ٢٦٩ .

(٣) المصدر السابق : ٢٧٠ .

(٤) المصدر السابق : ٣١١ .

(٥) إعجاز القرآن : ٧١ .

وقال أيضا :

" ومن البديع في " الاستعارة قول أمريء القيس :

وَلَيْلِ كَمَوْجِ الْبَحْرِ ...
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى ...

هذه كلها استعارات أتت بها في ذكر طول الليل (١)

وفي موضع آخر من كتابه ذكر أمر المفاضلة التي أجريت بين أبيات أمريء القيس وأبيات النابغة - وقد سبق ذكرها - ويبدو أنه استحسّن الحكم الذي انتهت به المفاضلة ، قال :

" ... وقد جرى ذلك بين يدي بعض الخلفاء ، فقدّمت أبيات أمريء القيس ، واستحسنّت استعاراتها ، وقد جعل لليل صدراً يثقل تنحيه ، ويبطّئ تقضّيه ، وجعل له أروافاً كثيرة ، وجعل له صلباً يمتد ويتطاوّل ، ورأوا هذا بخلاف ما يستعيره أبو تمام من الاستعارات الوحشية البعيدة المستتكرة ، ورأوا الألفاظ جميلة ، وأعلم أن هذا صالح جميل ، وليس من الباب الذي يقال : إنه متناه عجيب وفيه إلمام بالتكلف ودخول في العمل (٢) .

ويلاحظ من عبارة الباقلاني الأخيرة أنه على الرغم من استحسانه لأبيات أمريء القيس لا يراها متناهية في الحسن ، فهو يحاول التهوين والتقليل من شأن معلقة أمريء القيس ، وما استحسّن من أبياتها قصداً إلى بيان أنها وإن كانت مسن مختار الشعر إلا أنه يعتورها من الفتور والخلل ما يعتور الكلام كله ، والمستجساد منها ليس ما يقطع الأطماع وإنما هو شبي قريب يتزاحمون عليه ، ويدرك اللاحق فيه شأ والسابق ، والقرآن الكريم لا تجد فيه شيئاً من الفتور ، ولا تجد فيه شيئاً مطعماً ، وبذلك تكون قد بانّت القضية .

(١) إعجاز القرآن : ٧٤ .

(٢) المصدر السابق : ١٨١ .

وهذا تفكير مستقيم واستدلال جيد ، وكان تحقيقه ممكناً دون حاجة إلى الميل على الشعر ، ولكن الباقلاني جنف ومال ، وألح على تكدير صفو الشعر ، وتكلف ، وتعمل ، وتحايل ، وكان ذوقه يغلبه أحياناً فيوقفه قسراً عند المستجاد البارع ^(١) .
 وذكر ابن رشيق بيت الشاهد في كتابه " العمدة " في " باب التمثيل " ، ورأى أنه من أناشيد هذا الباب ، ولم يذكر وجه استحسانه لهذه الاستعارة ، وإنما أشار إلى أن ابن وكيع زعم أنها أول استعارة وقعت ^(٢) .

أما ابن سنان الخفاجي ، فقد عارض القائلين باستحسان هذه الاستعارة ، ورأى غير رأيهم ، فهي عنده ليست من جيد الاستعارة ولا رديتها ، بل هي في الوسط بينهما ، لأن الاستعارة هنا مبنية على غيرها ، فإنه لما جعل الليل وسطاً وعجزاً استعار له اسم الصليب ، وجعله متمطياً من أجل امتداده ، وذكر الكلكل من أجل نهوضه ، وقد قدّم عليها في الحسن قول طفيل الغنوي :

(٣) (٤) (٥)
 وَجَعَلْتُ كُورِي قَوْقَ نَاجِيَةٍ . . . يَفْتَاتُ شَحْمَ سَنَامِيهَا الرَّحْلُ ^(٦)

وبيت ذي الرمة :

(٧) (٨) (٩)
 أَقَامَتْ يَوْمَ حَتَّى ذَوَى الْعَوْدِ وَالْثَرَى . . . وَلَفَّ الثَّرِيَّ فِي مِلَاءَةِ الْفَجْرِ ^(١٠)

قال ابن سنان في فصل " الكلام في الألفاظ المؤلفة " بعد أن ذكر كلام

الأمدي - وقد سبق ذكره ص : -

- (١) الإعجاز البلاغي - محمد أبو موسى - : ٢٨٤ .
- (٢) ١ / ٢٧٦ . (٣) رواية الديوان : " وَحَمَلَتْ " .
- (٤) " الكور " : بالضم الرَّحْلُ بأداته . / مختار الصحاح : ٥٨٢ .
- (٥) رواية الديوان : " حَمَلَتْ " .
- (٦) ديوانه : ١٠٨ رقم " ٣٢ " .
- (٧) رواية الديوان : " بها " .
- (٨) رواية الديوان : " والتوى " .
- (٩) رواية الديوان : " وساق " .
- (١٠) الديوان : ١ / ٥٦١ .

... وهذا الذي قاله أبو القاسم لا أرضى به غاية الرضى ، ولو كنت
أسكن إلى تقليد أحد من العلماء بهذه الصناعة ، أو أجنح إلى اتباع
مذهبه من غير نظر وتأمل لم أعدل عما يقوله أبو القاسم ، لصحة فكره ،
وسلامة نظره ، وصفاء ذهنه ، وسعة علمه ، لكنني أغلب الحق عليه ، ولا أتبع
الهموى فيما يذهب إليه ، وبیت آمري ، والقيس عندي ليس من جيد الاستعارة
ولا ردئها ، بل هو من الوسط بينهما ، وبیت الغنوي وندي الرمة أحمد في
الاستعارة ، وأشبه بالمذهب الصحيح منها ، وإنما قلت ذلك لأن أبا القاسم
قد أفصح بأن آمراً القيس لما جعل لليل وسطاً وعجزاً استعار له آسم
الصلب ، وجعله متمطياً من أجل امتداده ، وذكر الكلل من أجل نهوضه ،
فكل هذا إنما يحسن بعضه لأجل بعض ، فذكر الصلب إنما حسن لأجل
العجز ، والوسط والتمطي لأجل الصلب ، والكلل لمجموع ذلك ، وهذه
الاستعارة المبنية على غيرها ، فلذلك لم أر أن أجعلها من أبلغ
الاستعارات ، وأجدرها بالحمد والوصف ، وكانت استعارة طفيل وندي الرمة
عندي أوفق وأصح ، لأنها غنية بنفسها ، غير مفتقرة إلى مقدمة جلبتها (١) .

ورأى آبن الأثير أن البيت ليس من قبيل الاستعارة كما رأى السابقون ، بل هو
من قبيل التشبيه المضر "المقدر" الأداة ، لأن المستعار له مذكور . قال :

" وهذا البيت من التشبيه المضر الأداة ، لأن المستعار له مذكور ،
وهو الليل ، وعلی الخطأ في خطه بالاستعارة ، فإن آبن سنان أخطأ
في الرد على الآمدي ، ولم يوفق للصواب (٢) .

وخطأ آبن الأثير آبن سنان في موافقته السابقين وتأسيه بهم في الخط

بين الاستعارة والتشبيه المقدر الأداة قال :

(١) سر الفصاحة : ١١٢ ، ١١٣ .

(٢) المثل السائر : " مكتبة نهضة مصر " : ١١٠ / ٢ .

" ورأيت أبا محمد عبد الله بن سنان الخفاجي - رحمه الله تعالى - قد خلط الاستعارة بالتشبيه المضر الأداة ، ولم يفرّق بينهما وتأسّى في ذلك بغيره من علماء البيان ، كأبي هلال العسكري والغانمي ، وأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي .

على أن أبا القاسم بن بشر الآمدي كان أثبت القوم قدماً في فن الفصاحة والبلاغة ، وكتابه المسمى بـ " الموازنة بين شعر الطائيين " يشهد له بذلك ، وما أعلم كيف خفى عليه الفرق بين الاستعارة والتشبيه المضر الأداة (١) . وكذلك لم يؤيد ابن الأثير ابن سنان في قوله بأن الاستعارة هنا ليست بالجيدة ولا الرديئة بل هي في الوسط بينهما . قال :

" وأنا أتكلم على ما ذكره ، ولا أضايقه في الاستعارة والتشبيه ، بل أنزل معه على ما رآه من أنه استعارة ، ثم أبيّن فساد ما ذهب إليه (٢) .

ثم رد عليه من وجهين :-

الأول : أن في رأيه تناقضاً ، لأنه قسم الاستعارة قسمين : قريباً مختاراً ، وبعيداً مطروحاً ، فالقريب المختار ما كان بينه وبين ما استعير له تناسب قوى ، وشبه واضح .

والبعيد المطروح إما أن يكون بعيداً عما استعير له ، أو لأن الاستعارة مبنية على استعارة أخرى ، فإذا كانت الاستعارة المبنية على استعارة أخرى من البعيد المطروح فكيف جعلها هنا وسطاً ؟

والوجه الثاني : أن كلا من الآمدي وابن سنان اتفقا على أن حد الاستعارة هو نقل المعنى من لفظ إلى لفظ بسبب مشاركة بينهما ، فالاستعارة المرضية على هذا الحد هي ما كان فيها مناسبة بين المنقول عنه ،

(١) المثل السائر - مكتبة نهضة مصر - : ١٠٩ / ٢ - ١١٠ .

(٢) المصدر السابق : ١١١ / ٢ .

والمنقول إليه ، والاستعارة الرديئة هي مالم نجد فيها تلك المناسبة ،
وعلى ذلك يكون بيت امرئ القيس من الاستعارات المرضية ^(١) ، لأنه لو لم
يكن لليل صدر أولاً ، ولم يكن له وسط ، وآخر لما حسنت هذه الاستعارة ،
ولما كان الأمر كذلك استعار لوسطه صلباً ، وجعله متمطياً ، واستعار
لصدره المتناقل - أى أوله - كلكلاً ، وجعله ثانياً ، واستعار لآخره عجزاً ،
وجعله رادفاً لوسطه ، وكل ذلك من الاستعارات المناسبة .

ورأى ابن الأثير أن الاستعارة المبنية على استعارة أخرى ليست بالأمر القبيح

لورودها في القرآن الكريم في قوله تعالى :

• وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ،
فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ ^(٢) .

ففي هذه الآية ثلاث استعارات يبنى بعضها على بعض :

الأولى : استعارة القرية للأهل .

الثانية : استعارة الذوق للباس .

الثالثة : استعارة اللباس للجوع والخوف ^(٣) .

(١) يبدو أنه عدها استعارة تشبيهاً مع مذهب ابن سنان ، لأنه في صدر الرد
عليه .

(٢) النحل : آية ١١٢ .

(٣) يبدو أن الأمر الأول مجاز بالحذف ، والثاني : هو عند الزمخشري

تجريد للاستعارة ، لأن الإذاقة جرت عند العرب مجرى الحقيقة لشيوعها
في البلايا والشدائد ، وما يمس الناس منها ، فيقولون : ذاق فلان البؤس
والضر ، وأذاقه العذاب ، شبه ما يدرك من أثر الضر والألم بما يدرك
من طعم المر ، والأمر الثالث : هو عند الزمخشري استعارة عقليّة ؛
لأنه شبه باللباس - لاشتغاله على اللباس - ما غشى الإنسان والتبس به
من بعض الحوادث ، وهي عند السكاكي ، استعارة حسية ؛ لأنه جعل
اللباس استعارة لما يلبسه الإنسان عند جوعه وخوفه من امتناع اللون ، ووراثته
الهيئة . / الكشف : ٤٣١ / ٢ ؛ المفتاح : ١٦٠ ، الإيضاح : ٤٠٨ / ٢ - ٤٣٢ .

ورأى ابن الأثير أن هذه الاستعارات متناسبة تناسباً لا خفاء فيه ، فكيف

يذم ابن سنان الاستعارة المبنية على استعارة أخرى ؟

وعلل ابن الأثير ذمه هذا بأنه لم ينظر إلى الأصل المقيس عليه ، وهو التناسب بين المنقول عنه ، والمنقول إليه بل نظر فقط إلى التقسيم الذي قسمه في القرب أو البعد (١) .

وأورد ابن الأثير البيت - أيضاً - في فصل " التضمين " ، وذكر أن قوماً ذكروا أن التضمين المعيب هو تضمين الإسناد ، وذلك يقع في بيتين من الشعر ، أو فصلين من الكلام المنشور ، على أن يكون الأول مسنداً إلى الثاني ، فلا يقسم الأول بنفسه ، ولا يتم معناه إلا بالثاني ، وهذا ماعده القوم من عيوب الشعر ، فرد على ذلك بقوله :

" وهو عندي غير معيب ، لأنه إن كان سببه أن يعلق البيت الأول على الثاني ، فليس ذلك بسبب يوجب عيباً ، إذ لا فرق بين البيتين من الشعر في تعلق أحدهما بالآخر ، والفقرتين من الكلام المنشور في تعلق إحدهما بالأخرى ، لأن الشعر هو كل لفظ موزون مقفى دل على معنى ، والكلام المسجوع هو كل لفظ مقفى دل على معنى ، فالفرق بينهما يقع في الوزن لا غير (٢) .

يبدو لي أن اعتراض ابن الأثير على ابن سنان في خلطه بين التشبيه والاستعارة لا وجه له ؛ لأنه لا تشبيه في البيت ، فوجود المشبه في " له " ليس على صورة من صور التشبيه الاصطلاحي .

ففي البيت ثلاث استعارات مكنية :

- ١- استعارة الجمل لليل .
- ٢- استعارة الكلل لأواثل الليل .
- ٣- استعارة الأعجاز لأواخره .

(١) المثل السائر - مكتبة نهضة مصر - : ١١٢ / ٢ - ١١٥ .

(٢) المصدر السابق : ٣ / ٢٠٢ .

واستشهد القزويني^(١) وابن السبكي^(٢) ببيت الشاهد على نفس الموضع الذي
استشهد به الشيخ .

واستشهد به ابن عصفور في شرح جبل الزجاجي على أن " الواو " العاطفة
في البيت جاءت للجمع بين شيئين من غير ترتيب ، ولا مهلة ، ولو كانت للترتيب
لقدم الكلكل ، وهو الصدر ، ثم الجوز وهو الوسط ، ثم الأعجاز وهي المؤخرة^(٣) .

(١) الإيضاح : ٢ / ٤٢٦ .

(٢) شرح التلخيص : ٤ / ٩١ .

(٣) شرح جبل الزجاجي : ١ / ٢٢٨ .

يرى الإمام عبد القاهر أن للنظم شأنًا عظيمًا ، فلا فضل ولا قدر للكلام إلا بمعرفة طريقة نظمه ، وأسباب هذا النظم وعلته . قال :

" واعلم أن ههنا أسراراً ودقائق ، لا يمكن بيانها إلا بعد أن تُقدّم جملة من القول في " النظم " وفي تفسيره والمراد منه ، وأي شيء هو ؟ وما محصوله ، ومحصل الغضيلة فيه ؟ فينبغي لنا أن نأخذ في ذكره وبيان أمره وبيان المزية التي تدعى له من أين تأتيه ؟ وكيف تعرض فيه ؟ وما أسباب ذلك وعلله ؟ وما الموجب له ؟ (١) .

ثم ذكر الشيخ بأن هناك علماء ممن سبقوه أو عاصروه ، قد أجمعوا على شرف النظم وعلو شأنه . قال :

" وقد علمت إطباق العلماء على تعظيم شأن " النظم " وتغخيم قدره ، والتنويه بذكره ، وإجماعهم أن لا فضل مع عدمه ، ولا قدر للكلام إذا هولم يستقيم له ، ولو بلغ في غرابة معناه ما بلغ ، ويتهم الحكم بأنه الذي لا تمام دونه ، ولا قوام إلا به ، وأنه القطب الذي عليه المدار ، والعمود الذي به الاستقلال (٢) .

فعبارة هذه تصرّح بأن واضع نظرية النظم ليس هو وحده ، لأن أمر النظم وأهميته مسألة معروفة في عصره وقبل عصره ، وإنما اعتبر واضعاً لها ، لأنه فصل أبوابها ومسائلها ، وبين أسرارها ومدخلها .

وبعد هذا التصريح بأن النظم أمر مطروق ، شرع الشيخ في تعريف معني النظم وتحديد هذه فقال :

(١) الدلائل ، رضا : ٦٣ ، خفاجي : ١٢١ - ١٢٢ ، شاکر : ٨٠ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٦٣ ، خفاجي : ١٢٢ ، شاکر : ٨٠ .

" وأعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو،
وتعمل على قوانينه وأصوله ، وتعرف مناهجه التي نهجت ، فلا تريغ
عنها ، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك ، فلا تخل بشيء منها وذلك أنسا
لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه^(١)
ولكي يبرز الشيخ قيمة علم النحو وأثره في النظم شرع في ذكر أبيات قد ساء
نظمها وفسد تأليفها .

الشاهد السادس والعشرون : (*) (الطويل)

(٢) قول الفرزدق :

وَمَا يَمِثُّهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مَمْلَكًا^(٣) . : أَبُو أُمِّ حَيٍّ أَبُوهُ يُقَارِسُهُ^(٤)

- (١) الدلائل ، رضا : ٦٤ ، خفاجي : ١٢٢ ، شاکر : ٨٠ .
(*) الدلائل ، رضا : ٦٥ ، خفاجي : ١٢٤ ، شاکر : ٨٣ .
(٢) هو هُثَام بن غالب بن صعصعة بن ناجية التميمي الدارمي (. . . - ١١٠ هـ) ،
أبو فراس ، الشهير بالفرزدق ، من نبلاء البصرة ، له أثر عظيم في اللغة
حتى أنه كان يقال : لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب ، ولولا
شعره لذهب نصف أخبار الناس ، ويشبهه بزهير بن أبي سلمى ، فكلاهما من
شعراء الطبقة الأولى ، زهير من الجاهليين ، والفرزدق من الإسلاميين ،
وهو من أصحاب النقائص . / انظر ترجمته :
الشعر والشعراء : ٤٧٨-٤٨٩ ، طبقات فحول الشعراء : ٢٩٨-٢٩٩ ،
الأغاني - التراث - : ٣٢٤-٣٤٥ ، ٢١/٢٧٦-٤٠٣ ، معجم الشعراء :
٤٨٦-٤٨٧ ، الموشح : ٩٢-١٠٧ ، وفيات الأعيان : ٦/٨٦-١٠٠ ، الأعلام :
٩٣/٨ .

(٣) رواية طبقات فحول الشعراء والأغاني : " وَأَصْبَحَ مَا فِي النَّاسِ إِلَّا مَمْلَكًا " .
ورواية تحرير التحبير بالرفع " إِلَّا مَمْلَكًا " .

(٤) لم أجده في ديوانه - طبعة دار صادر -
وذكر الأستاذ عبد السلام هارون في " معجم شواهد العربية " أن البيت
موجود في ديوانه - تحقيق الصاوي - ص : ١٨٠ ، وأشار إلى أن جامع الديوان
قد نص على أنه لم يرد في أصول ديوانه .

هذا البيت من الشواهد المشهورة في كتب البلاغة ، ويورده النقاد شاهداً على التعقيد اللفظي ، وسوء التأليف ، وفساد النظم .

إلا أن ابن سلام ذكر أن الفرزدق كان يداخل في الكلام ، وكان هذا يعجب أصحاب النحو . قال :

" وكان يداخل الكلام ، وكان ذلك يعجب أصحاب النحو من ذلك قوله

يمدح " إبراهيم بن هشام بن اسماعيل المخزومي خال هشام بن عبد الملك :
وَأَصْبَحَ مَا فِي النَّاسِ إِلَّا مَلَكًا . . . أَبَوُ أُمِّمٍ حَتَّى أَبَوَهُ يَقَارِيهِ (١)

ولم أجد هذا الرأي عند أحد - فيما رجعت إليه من مصادر - إلا عند ابن سلام ، ولا أدري ماذا يقصد بقوله يعجب أصحاب النحو ، ومن أي وجه جاء الإعجاب ؟ .

وكذلك ذكر العزباني أن بعض المجانين كان يتعصب للفرزدق فسُئل عن أحسن ما قال الفرزدق ، فأشدد البيت وفضله على بيت جرير في الغزل :

====
وجاء في الخصائص أنه من أبيات الكتاب ، وبحثت في الكتاب ، ولم أجده إلا في إضافات المحقق في الهامش : ١ / ٣٢ .
انظر البيت في :

طبقات فحول الشعراء : ١ / ٣٦٥ ، المعاني الكبير : ١ / ٥٠٦ ، الكامل للمبرد : ١ / ٢٤ ، الخصائص : ١ / ١٤٦ - ٣٢٩ - ٢ / ٣٩٣ ، عيار الشعر : ٢٧ - ٤٤ ، العقد الفريد : ٦ / ٢٠٦ ، شرح جبل الزجاني : ٢ / ٦٠٧ ، الأغاني : ٢١ / ٣٠٧ ، الوساطة : ٤١٢ - ٤١٦ ، الموشح : ٨٨ - ٩٣ ، الصناعتين : ١٨٠ ، العمدة : ٢ / ٩٦ ، سر الفصاحة : ١٠١ ، الإيضاح : ٨٤ ، المفتاح : ١٧٦ ، المثل السائر : ١ / ٣٩٧ ، ٢ / ٢٢٩ ، تحرير التحرير : ٣ / ٤١٩ ، الإيضاح : شرح أبيات الإيضاح : - فيض الله - : ورقة ٤ أ ، معاهد التنصيص : ١ / ٤٣ ، شاهد رقم (٧) ، شروح التلخيص : ١ / ١٠٤ - ١٠٥ .

(١) طبقات فحول الشعراء : ١ / ٣٦٤ - ٣٦٥ .

لَوْ أَنَّ عَصْمَ عَمَّا يَتَّبِعِينَ وَيَذْبُلُ . . . سَيَقَا حَدِيثُكَ أَنْزَلَ الْأَعْمَالَا (١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦)

ونذكر ابن جني أن قوماً أجازوا هذا الفصل لضرورة الشعر، فرد على ذلك بأن علينا اتباع ما أثر عن العرب في الضرورات، فما أجازته الضرورة لهم جاز لنا، وما حظرت عليهم حظرت علينا، قال في باب :

" هل يجوز لنا في الشعر من الضرورات ما جاز للعرب أولاً " :

" سألت أبا علي رحمه الله عن هذا، فقال : كما جاز أن نقيس منشورنا على منشورهم، فكذلك يجوز لنا أن نقيس شعرنا على شعرهم، فما أجازته الضرورة لهم أجازته لنا، وما حظرت عليهم حظرت علينا، وإذا كان كذلك، فما كان من أحسن ضروراتهم، فليكن من أحسن ضروراتنا، وما كان من أقبحها عندهم، فليكن من أقبحها عندنا، وما بين ذلك بين ذلك . . . فأما ما يأتي عن العرب لحناً فلا نعتذر في مثله مولداً، فمن ذلك بيت الكتاب :

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مَمْلُكًا . . . أَبَوُ أُمِّ حَيٍّ أَبُوهُ يَقَارِبُهُ

ومراد فيه معروف، وهو فيه غير معذور (٧)

ونذكر المبرد أن هذا البيت من أقبح الضرورات، وأهجن الألفاظ، وأبعد

المعاني، وتعجب كيف يجتمع هذا البيت في صدر رجل هو القائل :

تَصَرَّمَ مِثِّي وَدُّ بَكْرِبِينَ وَائِثِلَ . . . وَمَا كَانَ مِثِّي وَدُّهُمْ يَتَصَصَّرَمُ (٨) (٩)

(١) العَصْم : الوعل لبياض في أيديها . / اللسان " عصم " : ٤٠٥ / ١٢ - ٤٠٦ .

(٢) عمارة : جبل بالبحرين ضخم وأراد بعماريتين جبل عمارة وصاحبة / معجم ما استعجم : ٩٦٦ / ٣ / ٢ .

(٣) يذبل : جبل طرف منه لبني عمرو بن كلاب وبقيته لباهله ويقال له يذبل الجوع لأنه أبدأ مجذب / معجم ما استعجم : ١٣٩٢ / ٤ / ٢ .

(٤) رواية الديوان : " سمعت " . (٥) رواية الديوان : " أنزل " .

(٦) ديوانه : ٤٥٠ . (٧) الخصائص : ٣٢٣ / ١ ، ٣٢٤ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ .

(٨) رواية الديوان : " عني " .

(٩) رواية الديوان : " عني " .

قَوَارِصُ تَأْتِيَنِي وَيَحْتَقِرُونَهَا . . . وَقَدْ تَمَلَّأَ الْقَطْرُ إِيَّانَا فَيَفْعَمُ (١) (٢)

وهو القائل أيضا :

وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي السَّوَادِ كَأَنَّهُ . . . لَيْلٌ يَصِيحُ بِجَانِبَيْنِهِ نَهَارُ (٣) (٤)

وذكر ابن طباطبا بيت الشاهد في " الأبيات المتفاوتة النسيج " ونص على

أنها أبيات مستكرهة الألفاظ، متفاوتة النسيج، قبيحة العبارة. قال :

" فأما هذه الأبيات المستكرهة الألفاظ المتفاوتة النسيج القبيحة العبارة،

التي يجب الاحتراز من مثلها . . . وكقول الفرزدق :

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ . . . البيت

فهذا هو الكلام الغث المستكره الغلق . . . فلا تجعلن هذا حجة

ولتجتنب ما أشبهه (٥)

وذكره ابن عيد ربه في " باب مقاطع الشعر ومخارجه " وأشار إلى أنه أساء

النظم ، ولم يحسن التأليف ، وعلق على البيت بقوله :

" فبعد المعنى القريب ، ووعر الطريق السهل ، ولبس المعنى بتوعر اللفظ،

وقبح البنية حتى ما يكاد يفهم (٦)

وأورده القاضي الجرجاني تحت عنوان " دفاع المؤلف عن أبي الطيب "

وذكر أن من يحتل قول الفرزدق - بيت الشاهد - ولم يعمه على هذا المنهج

فهو متعصب ماثل ومتحامل جائر (٧)

(١) رواية الديوان : " الآتي " .

(٢) ديوانه - تحقيق الصاوي - : ٢/٧٥٦ .

(٣) ديوانه - تحقيق الصاوي - : ٢/٤٦٧ .

(٤) الكامل للمبرد : ٢٣-٢٤ ، وقد نقل المرزباني كلام المبرد ولم يشر إلى

ذلك : الموشح : ٩٣ .

(٥) عيار الشعر : ٤٤-٤٧ .

(٦) العقد الفريد : - دار الفكر - : ٦/٢٠٥ .

(٧) الوساطة : ٤١٦ .

وأورده ابن رشيق في " باب الاشتراك " ، ورأى أن البيت معيب من وجهين : الأول : من جهة سوء النظم ، والوجه الثاني : من جهة الاشتراك ، والاشتراك عنده نوعان :

محمود ، وهو التجنيس ، والنوع الثاني : مذموم وهو أن يكون اللفظ محتلاً تأويلين :

أحد هما : يلائم المعنى الذي قيل فيه .

والآخر : لا يلائمه ولا دليل فيه على المراد .

وجعل مثاله بيت الفرزدق - " الشاهد " - فلفظ " حي " يحتل القبيلة ، ويحتل الواحد الحي من سائر الحيوان (١) .

وكذلك جمع له ابن رشيق ثلاثة عيوب ذكرها في باب : " الوحشي المتكلف والركيك المستضعف " .

الأول : التفسير عن الأغلب كالقديم والتأخير ، وأصل العبارة : " وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ حَتَّى يَقَارِبَهُ إِلَّا مَلَكاً أَبَواً أُمَّهُ أَبَوْهُ " .

الثاني : سلوك الطريق الأبعد في قوله : " أَبَواً أُمَّهُ أَبَوْهُ " . وكان يجزيه أن يقول : " خاله " .

الثالث : الاشتراك في قوله : " حَتَّى يَقَارِبَهُ " (٢) .

وذكر ابن ناقياً في الإفصاح أن في البيت أربع ضرورات أفست البيت وجعلته متعسفاً :

أولها : أنه قدم المستثنى على المستثنى منه .

ثانيها : أنه فصل بين الصفة والموصوف بما ليس منهما ، ففصل بلفظ " أبوه " - الذي هو خبر لأبي أمه - بين الموصوف " حَتَّى " والصفة " يَقَارِبُهُ " .

(١) العمدة : ٢ / ٩٦ .

(٢) المصدر السابق : ٢ / ٢٦٧ .

وزاد شراح التلخيص أنه فصل أيضاً فصلاً كبيراً بين البدل "حي" والمبدل منه "مثله" (١).

وثالثها : أنه فصل بين المبتدأ والخبر بما ليس منهما ، فالمبتدأ "أبو أمّ" والخبر "أبوه" كما تقول : "أبو أم زيد جده" والفاصل "حي" الذي هو خبر الابتداء ، وهو "مثله" أو هو المبتدأ و "مثله" الخبر .

رابعها : أنه تعسف ، فجاء بمثل هذه الألفاظ المتعسفة ليدل على أن هذا المدوح هو خال الخليفة ، ثم ذكر أنه لم يورد أحد قبله تفسير البيت على هذا الوجه (٢) .

وذكر السكاكي هذا البيت في باب "الفصاحة" وأشار إلى أن الفصاحة قسمان : ما يرجع إلى المعنى ، وهو خلوص الكلام من التعقيد ، وراجع إلى اللفظ ، وهو أن تكون الكلمة عربية أصلية دائرة على ألسن فصحاء العرب ، وجارية على قوانين اللغة ، سليمة من التناثر ، والمراد بتعقيد الكلام هو أن يعثر الفكر ، ويتوعر المذهب ، فلا يعلم من أي طريق يتوصل إلى المعنى ، وضرب لذلك مثلاً قول الفرزدق - الشاهد (٣) - وذكره ابن الأثير في المعازلة المعنوية : وهو أن يقدم ما الأولى به التأخير ؛ لأن المعنى يختل بذلك ويضطرب .

فالبيت إن شاء الله على التعقيد اللفظي ، وهو أن يختل نظم الكلام حتى لا يدري السامع كيف يتوصل منه إلى معناه ، وشاهد أيضاً على التعقيد المعنوي ، وهو أن لا يكون انتقال الذهن من المعنى الأول إلى المعنى الثاني ظاهراً .

فالشاعر هنا أراد أن يبين ويوضح أن مدوحه وصل درجة من الفضائل لا يدانيه فيها أحد من الأحياء إلا شخص واحد له صلة وعلاقة بهذا المدوح ، وهو ابن أخته ،

(١) شروح التلخيص : ١ / ١٠٥ .

(٢) الإفصاح : ٨٤ .

(٣) المفتاح : ١٢٦ .

ولكن الفرزدق سلك في صياغة هذا البيت مسلكاً وِعراً ، وأتى به من طريق ملتو غامض لا يمكن إدراك معناه إلا بعد جهد ، فهو يكد القريحة ، ويجهد الذهن ، فأصل العبارة " وَمَا بَمِثْلُهُ فِي النَّاسِ حَيٌّ يَقَارِيهِ إِلَّا مَمْلَكًا أَبُو أُمِّهِ أَبُوهُ أَيُّ أَبَوَامِ الْمَلِكِ " وهو هشام أبو هذا المدوح ، فهو خال هشام .

ورأى الدكتور محمد أبو موسى أن الفرزدق شاعر فحل يعرف طبائع اللغسة ، وعوائد التراكيب ، والذي ألجأه إلى هذا الأسلوب رغبته في التهكم بالمدوح ودل على رأيه هذا بأن الفرزدق كان موالياً للعلويين وبيطن العداء لبني أمية ، والمدوح من بني أمية .^(١)

ومن أمثلة قول الفرزدق في التعقيد قول القائل :
 شَرَّ يَوْمِيهَا وَأَغْوَاهُ لَهَا . . . رَكِبَتْ هِنْدٌ يَحْدَجُ جَمَلًا^(٢)
 شر يومئذها نصب على الحال ، وإرنا معناه : ركب هند جملاً بحدج في شر يومئذها .^(٣)
 شر يومئذها .^(٤)

الشاهد السابع والعشرون : (*) (النكاح)

قول المتنبي :

وَلِذَا اسْمُ أُعْطِيَةِ الْعَيْنِ جُفُونُهَا^(٥) . . . مِنْ أَنَّهَا عَمَلُ السَّيْفِ عَوَامِلُ^(٦)

- (١) خصائص التراكيب : ٢٦ - ٢٧ .
- (٢) رواية اللسان : " عَنَزَّ " .
- (٣) الحدج : مركب ليس برحل ولا هو دج تركبه النساء / اللسان " حدج " :
- (٤) العقد الفريد - دار الفكر - ٢٠٥ / ٦ ، وانظر البيت في اللسان " حدج " : ٢٣٠ / ٢ .
- (*) الدلائل ، رضا : ٦٦ ، خفاجي : ١٢٤ ، شاكر : ٨٣ .
- (٥) الجفن : جفن العين ، والجفن أيضاً : غمد السيف /
- اللسان : " جفن " : ٨٩ / ١٣ ، ويرى جفونها بالنصب على أنها مفعول ثانٍ .
- (٦) انظر البيت في : ديوانه بشرح العكبري : ٢٥٢ / ٣ ، العرف الطيب : ٢٣٢ / ٤ ، الوساطة : ٨٢ - ٨٩ ، يتيمة الدهر : ١٣٥ / ١ - ١٥٠ ، أنوار الربيع : ١١ / ٦ .

والبيت من قصيدة يمدح بها القاضي أبا الفضل أحمد بن عبد الله الأنطاكي
ومطلع القصيدة :

لَكَ يَا مَنَازِلَ فِي الْقُلُوبِ مَنَازِلُ .: أَقْفَرْتَ أَنْتِ وَهَنْ يَنْكُ أَوَاهِلُ

وقيل الشاهد :

الرَّامِيَاتُ لَنَا وَهْنٌ نَوَافِرُ^(١) .: وَالْخَاتِلَاتُ لَنَا وَهْنٌ غَوَافِلُ^(٢)

كَافَأْتَنَا عَنْ شِبْهِهِنَّ مِنَ الْمَهَا .: فَلَمْ يَنْ فِي غَيْرِ التَّرَابِ حَبَائِلُ

مِنْ طَائِعِي تُغْفِرُ الرِّجَالِ جَانِرُ^(٣) .: وَمِنْ الرِّمَاحِ دَمَالِجُ^(٤) وَخَلَاخِلُ^(٥)

وبعدها الشاهد وبعبده :

كَمْ وَقْفَةٍ سَجَرَتْكَ شَوْقًا بَعْدَمَا .: غَرَى الرَّقِيبُ بِنَا وَلَجَّ الْعَانِلُ

الشاهد فيه كسابقه ، وهو فساد النظم ، فقد أراد الشاعر هنا أن يبين تحكم
النظرات في نفسه ، وأنها بحدتها استطاعت اختراق حواجز قلبه ، فلما لاحظ فيها
هذه الحدة والقوة علل تسمية جفن العين هنا ، بأنه أخذ له من جفن السيف ، وذلك
لأنهم لاحظوا أن العيون تعمل عمل السيوف في التأثير والقتل .
قال العكبري :

" إِنَّمَا سُمِّيَتْ أَغْطِيَةُ الْعَيُونِ جَفُونَهَا ؛ لِأَنَّهَا ضَمِنَتْ أَحْدَاقًا تَعْمَلُ عَمَلُ

السيف (٧) .

(١) نوافر: الثغر التفرق ونفرت الناقة نفوراً جزعت وتباعدت / القاموس

المحيط : (نفر) : ٢ / ١٥١ .

(٢) الخاتلات : الخادعات ، خَتَلَهُ يَخْتَلُهُ خَتْلًا وَخَتَلَانًا خَدَعَهُ / القاموس

المحيط : " ختل " : ٣ / ٣٧٧ .

(٣) ثغر : جمع ثغرة وهي نقرة النحر التي بين الترقوتين / القاموس المحيط ،

" ثغر " : ١ / ٣٩٧ .

(٤) الجَانِرُ : جمع جَوْدَر وهو ولد البقر الوحشية / اللسان " جذر " : ٤ / ٢٤٠ .

(٥) الدَّمَلُجُ والدَّمَلُوجُ : المعضد وهو حلية تجعله المرأة في عضدها وجمعها

دماليج / اللسان : " دملج " : ٢ / ٢٧٦ .

(٦) الديوان بشرح العكبري : ٣ / ٢٥١-٢٥٢ .

(٧) المصدر السابق : ٣ / ٢٥٢ .

ولكن هذا المعنى الذي أراد الشاعر أن يوصله إلى النفوس ويقرره في القلوب جاء عن طريق ملتوي يصعب على الذهن اكتشافه بسرعة ، وذلك لأنه قدم معمول خبره إن عليه ، فأصل العبارة " من أنها عوامل عمل السيوف " ولكنه قدم فقال : " من أنها عمل السيوف عوامل " وهذا التقديم ألبس المعنى غموضاً وتعقيداً .

وذكر الأستاذ عبد الهادي العدل أنه ما زاد البيت تعقيداً أن المشار إليه بقوله : " لذا " فيه خفاء ، لأنه ليس في البيت السابق تصريح بعمل العيون بسل إن التصريح بعمله كان قبل بيت الشاهد بثلاثة أبيات وهو قوله :

الرَّامِيَّاتُ لَنَا وَهُنَّ نَوَافِرُ . . . وَالْخَاتِلَاتُ لَنَا وَهُنَّ غَوَافِلُ

ولهذا اضطر إلى بيان المشار إليه بقوله :

" من أنها عمل السيوف عوامل " ، فـ " من " الخ .. بدل من " لذا " ومبين له ، وهنا أقف وأتساءل ما المانع من أن يكون المشار إليه ما في البيت السابق من أنهم ينطقن شجر الرجال ، ومن أن دمالجهن ، وخلا خلهن بعض الرماح .

وأضاف الشيخ عبد الهادي العدل أن من التعقيد في البيت استعمال الشاعر كلمة " اسم " بمعنى التسمية ، وإضافتها إلى المفعول الأول ، ونصب المفعول الثاني - وهو جفونها - وهذا الاستعمال غير معروف ، ولذلك كان الأولى رفع " جفونها " خبراً لـ " اسم " .

ومن التعقيد أيضاً إضافة جفون إلى الضمير مع أنه لا حاجة إلى هذه الإضافة (١) .

وذكر القاضي الجرجاني أن المعنى الذي قصده المتنبي معنى لطيف حسن

الاستخراج لو ساعده اللفظ ، قال :

" وإن كان قد تغفل إلى معنى لطيف أحسن استخراج له لو ساعده

اللفظ (٢) .

(١) دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القاهر في التشبيه والتشثيل والتقديم

والتأخير : ١٢٨ - ١٢٩ .

(٢) الوساطة : ٨٩ .

وقد ذم ابن معصوم بيت المتنبي هذا، وشبهه بقطعة الخشب وقارن بينهما وبين بيت لسبط ابن التعاويذي^(١) أخذ معناه من بيت المتنبي - بيت الشاهد - وشبه بيت ابن التعاويذي في حسن سبكه بسبيكة الذهب ، قال في " حسن الاتباع " :

" هذا النوع عبارة عن أن يأتي المتكلم إلى معنى لغيره فيحسن اتباعه فيه ، بحيث يستحقه بوجه من الوجوه التي توجب استحقاقه له ، إما بحسن سبك ، أو قصر وزن ، أو تمكن قافية ، أو زيادة وصف ، أو تنعيم نقص ، أو تحلية بحلية من البديع يحسن بمثلها النظم ، وتوجب الاستحقاق ... وقال أبو الطيب :-

وَلَدَا اسْمُ أَغْطِيَةِ الْعُيُونِ جُفُونَهَا . : مِنْ أَتَّهَا عَمَلُ السُّيُوفِ عَوَامِلُ

وأحسن سبط ابن التعاويذي اتباعه فقال :

بَيْنَ السُّيُوفِ وَغَيْنِيهِ مَشَارَكَةٌ . : مِنْ أَجَلِّهَا قِيلَ لِلْأَعْيَادِ أَجْقَانُ^(٢)

فانه أخذ المعنى من قطعة خشب، وأودعه في سبيكة ذهب^(٣).

(١) ابن التعاويذي هو أبو محمد المبارك بن المبارك بن علي بن نصر السراج الجوهري الزاهد المشهور ، والتعاويذي نسبة إلى صنع التعاويذ والرقي ، وهو عمل أبيه ، وسبطه هو أبو الفتح محمد بن عبيد الله - أبو عبد الله - بن عبد الله ، وقد رياه جده ابن التعاويذي ، وكفله صغيراً فنسب إليه ، وكان أبو الفتح كاتباً وشاعراً مجيداً ، قدمه ابن خلكان ، على مائتي شاعر قبله . (٥١٩ هـ - ٥٨٣ هـ أو ٥٨٤ هـ) / انظر ترجمته :

معجم الأدباء : ١٨ / ٢٣٥ - ٢٥٠ ، عبر الذهبي : ٨٨ / ٢ - ٨٩ ، وفيات الأعيان : ٤ / ٤٦٦ - ٤٧٣ ، نكت الهميان : ٢٥٩ - ٢٦٣ ، النجوم الزاهرة : ٦ / ١٠٥ - ١٠٦ ، الشذرات : ٤ / ٢٨١ .

(٢) ديوانه : ٤١٣ ، وهو من قصيدة من " البسيط " يمدح بها الناصر لدين الله .

(٣) أنوار الربيع : ٦ / ١١ .

ولقد حَسُنَ بيت سبط ابن التعاويذي، لأنه عكس وادَّعى أن اسم " الجفون " خاص بأغطية العيون، وأن أغطية السيوف سميت جفونا لأنها شاركت العيون في قتل الرجال .

الشاهد الثامن والعشرون : (*) (الكامل)

قول المتنبي :
الطَّيِّبُ أَنْتَ إِذَا أَصَابَكَ طَيْبُهُ . . . وَالْمَاءُ أَنْتَ إِذَا اغْتَسَلْتَ الْغَاسِلُ (١)
والبيت من قصيدة المتنبي التي منها الشاهد السابق .

وقبل الشاهد :
وَأَنَا وَحَقِّكَ وَهُوَ غَايَةُ مَقْسِيَمٍ . . . لِلْحَقِّ أَنْتَ وَمَا سِوَاكَ الْبَاطِلُ
وبعد الشاهد وبعده : -

مَا دَا رَفِي الْحَنَكِ اللِّسَانُ وَقَلَّبَتْ . . . قَلَمًا بِأَحْسَنَ مِنْ نَثَاكَ (٢)
على الرغم من عظمة المتنبي الشعرية ، وتفوقه في رسم الصور الخيالية يجنح أحيانا بهذا الخيال ، فيلجأ إلى المبالغة بدون اعتدال ، فيصل إلى حد التلاعب بالمعنى ، فهو في هذا البيت أراد أن يمدح القاضي أبا الفضل أحمد الأنطاكي ،

(*) الدلائل ، رضا : ٦٦ ، خفاجي : ١٢٤ ، شاكر : ٨٣ .
(١) يروى الماء بالنصب تارة وبالرفع تارة أخرى ، فرواية النصب على تقدير : " أنت إذا اغتسلت الغاسل الماء " ، وانتصابه هنا ليس على الغاسل ؛ لأن الصلة لا تعمل فيما قبل الموصول ، ولكنه منصوب بفعل دل عليه الغاسل أي وتغسل الماء إذا اغتسلت ، وصار قوله : أنت إذا اغتسلت بدلا منه ، ودالا عليه .

ورواية الرفع عطفاً على الطيب . / شرح العكبري : ٢٦١ / ٣ .
(٢) ديوانه بشرح العكبري : ٢٦١ / ٣ ، الوساطة : ٨٩ - ٣٩٠ ، يتيمة الدهر : ١٥٢ / ١ ، تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي : ٢١٦ - ٢١٧ .
(٣) النثا ، مقصور ، مثل النثا إلا أنه في الخير والشر ، والثنّا في الخير خاصة ، وثنّا الحديث والخبر تنوّا : حَدَّثَ بِهِ وَأَشَاعَهُ وَأَظْهَرَهُ ، والثنّا : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيئ / اللسان : " نثا " :

فبالغ في مدحه بأن تعسف في ألفاظه ، فجعله هو الطيب بعينه ، ونفى عمن
الطيب كل خصائصه إذ عكس الصورة المرسومة في الأذهان ، فادّعى بأن الذي
يُطَيَّب الطيب هو المدوح ، فهو الذي يمد الطيب بالرائحة .

وكذلك المعروف أن الماء هو الذي يغسل ، ولكن المتنبي نزع هذه الصفة
منه ، وجعلها للمدوح فقال :

أنت الذي يغسل ، ويظهر الماء ، وليس الماء الذي يغسلك .

وبالإضافة إلى هذه المبالغة نرى الشاعر قد فصل بين المبتدأ والخبر ما زاد
المعنى تعقيداً ، فالطيب مبتدأ ، و " أنت " مبتدأ ثان ، وطيبه خبر " أنت " ،
وهو على تقدير «الهاء» كأنه قال : الطيب أنت طيبه إذا أصابك ، والماء أنت
الفاصله إذا اغتسلت (١) .

ونذكر العكبري أن بيت المتنبي هذا من قول ابن الجوّيرية :

تَزِينُ الْحَلَى إِنْ لَبَسَتْ سَلِيمَى . . وَتَحَسِّنُ حِينَ تَلْبَسُهَا الثِّيَابُ

وقول الآخر :

وَإِذَا الدُّرُّ زَانَ حَسَنَ وَجْوهٍ . . كَانَ لِلدُّرِّ حَسَنٌ وَجْهَكَ زَيْنَا

وَتَزِيدِينَ أَطْيَبَ الطَّيِّبِ طَيْباً . . أَنْ تَسْتَبِيهَ أَيْنَ مِثْلِكَ أَيْنَا (٢)

الشاهد التاسع والعشرون : * (الطويل)

قول المتنبي :

وَقَاوُكُنَا كَالرَّبْعِ أَشْجَاهُ طَاسِمُهُ . . بِأَنْ تُسْعِدَا وَالِدَمْعِ أَشْقَاهُ سَاجِمُهُ (٣)

(١) شرح العكبري : ٣ / ٢٦١ . (٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(*) الدلائل ، رضا : ٦٦ ، خفاجي : ١٢٤ ، شاكر ، ٨٣ .

(٣) ديوانه بشرح العكبري : ٣ / ٣٢٥ ، الخصائص : ٢ / ٤٠٣ ، يتيمة الدهر :

١ / ١٤٦ ، شرح مشكل شعر المتنبي لابن سيده : ١٦٧-١٦٨ ، سمر

الفصاحة : ١٠١ ، الفلك الدائر : ٤ / ١٠١ ، ١٢١-١٢٥ ، مغني اللبيب :

٢ / ٥٤١ ، أنوار الربيع : ١ / ٧١ .

والشاهد مطلع قصيدة قالها في مدح سيف الدولة أبي الحسن علي بن عبد الله الحمداني^(١)، وهي أول ما أنشده سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة عند نزوله أنطاكية، ومنصرفه ظافراً بحصن برزويه^(٢)، وكان جالساً تحت شراع من الديباخ عليها صورة ملك الروم، وصور وحش وحيوان.

ومن الأبيات التي نلت بيت الشاهد :

وَمَا أَنَا إِلَّا عَاشِقٌ كُلُّ عَاشِقٍ . . . أَعَقَّ خَلِيلِيهِ الصَّفِيِّينَ لَائِمَّةً
وَقَدْ يَتَزَيَّأُ بِالْهَوَى غَيْرُ أَهْلِهِ . . . وَيَسْتَصْحِبُ الْإِنْسَانُ مَنْ لَا يَلَائِمُهُ

والتعقيد في البيت ناتج عن التقديم والتأخير والفصل فـ " وفاؤكما " مبتدأ، وـ " كالربع " جار ومجرور خبر، والمبتدأ والخبر يؤذنان بتمام الكلام، ولا يجوز أن يتعلق بالمبتدأ بعد الإخبار عنه شيء، فلا يجوز أن تتعلق " الباء " بالوفاء بل تتعلق بفعل يدل عليه الكلام، وكأنه لما ذكر المصدر، وقال :

" وفاؤكما " قال : ووفيتما بأن تسعدا .

وتقدير الكلام : " وفاؤكما بأن تسعدا كالربع أشجاه طاسمه^(٣) "

قال ابن سنان :

" فَمِنْ وَضَعَ الْأَلْفَاظَ مَوْضِعَهَا أَلَّا يَكُونَ فِي الْكَلَامِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ حَتَّى يُوْدِيَ
ذَلِكَ إِلَى فُسَادٍ مَعْنَاهُ وَإِعْرَابِهِ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ ، أَوْ سُلُوكِ الضَّرُورَاتِ

(١) هو علي بن عبد الله بن حمدان التغلبي ، أبو الحسن ، سيف الدولة

(٢) (٣٠٣ هـ - ٣٥٦ هـ) ، صاحب المتنبي ومدد وجهه ، نشأ شجاعاً مهذباً عالي

الهمة ، ملك واسطاً وماجاورها ، ومال إلى الشام فامتلك دمشق ، وعاد إلى حلب فملكها سنة ٣٣٣ هـ ، وله أخبار ووقائع مع الروم كثيرة كان كثير العطايا ، مقرباً لأهل الأدب ، وله أخبار كثيرة مع الشعراء من أمثال المتنبي والسرري الرفاء والنامي والبيغاء والوأواء الدمشقي . / انظر ترجمته :

بيتيمة الدهر : ١ / ١٥ - ٣٤ ، وفيات الأعيان : ٣ / ٤٠١ - ٤٠٦ .

(٢) برزويه : بالفتح وضم الزاي وسكون الواو وفتح الياء ، حصن قرب السواحل الشامية على سن جبل شاهق يضرب به المثل في جميع بلاد الأفرنج بالحصانة . /

معجم ما استعجم : ١ / ٣٨٣ .

(٣) شرح العكبري : ٣ / ٣٢٥ .

حتى يفصل فيه بين ما يقيح فصله في لغة العرب كالصلة والموصول ،
وما أشبهها . ومن التقديم والتأخير أيضا قول الشاعر :

وفاؤكما كالربيع . . .

لأن تقديره : وفاؤكما بأن تسعدا كالربيع أشباه طاسمه ففصل وقدم
وأخر . (١)

وعاب ابن معصوم على المتنبي مطلععه هذا ، ورأى أنه تكلف له اللفظ المعقد ،
ورتيبه ترتيباً متعسفاً ، وليس وراءه كبير معنى ، إنما هو يكد الذهن ويتعبه من غير
فائدة ، قال في : " حسن الابتداء " وبراعة الاستهلال (٢) :

" ومن مطالعه (٣) التي تكلف لها اللفظ المعقد ، والترتيب المتعسف لغير
معنى بديع يفي ترفه وغرابته بالتعب في استخراجهم ، وتقوم فائدة الانتفاع
به بأزاء التأذي بسماعه ، قوله :

وفاؤكما كالربيع . . . البيت (٤)

(١) سر الفصاحة : ١٠١ .

(٢) عرف ابن معصوم المدني حسن الابتداء ، وبراعة الاستهلال بقوله : قال :

أهل البيان : من البلاغة حسن الابتداء ، ويسمى براعة المطلع ، وهو
أن يتأنق المتكلم في أول كلامه ، ويأتي بأعذب الألفاظ ، وأجزلها
وأرقها وأسلسها وأحسنها نظماً وسبكاً ، وأصحها مبنى ، وأوضحها معنى
وأخلاها من الحشو ، والركة والتعقيد ، والتقديم والتأخير الملبس والذي
لا يناسب " / أنوار الربيع : ١ / ٣٤ ، خزنة الحموي : - دار القاموس : ٣
وذكر صفي الدين الحلبي أن براعة المطلع " يسمى أيضا " حسن الابتداء " .
وقد فرغ العلماء منه " براعة الاستهلال " في النظم والنثر وشروطه

في النظم أن يكون المطلع دالاً على ما بنيت القصيدة عليه من غرض الشاعر / انظر :
شرح الكافية البديعية : ٥٧ .

(٣) يقصد المتنبي .

(٤) أنوار الربيع : ١ / ٧٠-٧١ .

ومن دلائل التعقيدات كثرة التفسيرات التي تعتمد أكثر ما تعتمد على
الحدس والتخمين لأن ألفاظ البيت لا تنفي بأكثرها .

ومن هذه التفسيرات ما ذكره العكبري في شرحه قال :

* المعنى : يريد أنه يخاطب اللذين عاهداه على أن يسعداه عند ربيع
الأحبة بالبكاء ، فقال لهما : وفاءكما لي بإسعادني على البكاء كهذا الربيع ،
ثم بين وجه الشبه ، فقال : أشجى الربيع دارسه ، كلما تقادم عهده كان
أحزن لآثره ، وأشد لحزنه ، وأشفى الدمع للحزن سائله المنهل الجاري ،
يريد : ابكيا معي بدمع ساجم ، فانه أشقى للغليل ، كما أن الربيع
أشجى للمحب إذا درس .

قال الواحدي : طلب وفاءهما بالإسعاد ، وهو الإعانة على البكاء ، والموافقة فيه ،
ولذلك قال : * والدمع أشفاه ساجمه * . والمعنى : ابكيا معي بدمع في غايصة
السجوم ، فهو أشقى للوجد ، فإن الربيع في غاية الطَّسُّوم ، وهو أشجى للمحب ، وأراد
* بالوفاء * هاهنا : الإسعاد لأنهما عاهداه على الإسعاد . قال : وقال ابن جني
في معنى هذا البيت : كنت أبكي الربيع وحده ، فصرت أبكي وفاءكما معه ، ولذلك
قال : * وفاءكما كالربيع * ، أي كما ازدادت بالربيع ووفاءكما وجداً زدت بكاء . قال :
ويروى والدمع * بالجر * عطفاً على * الربيع * يريد : وفاءكما كالربيع الدارس في الأواء
إذا لم تحزنا عليه ، وكالدمع الساجم في الشفاء إذا حزنتما عليه .

وقال ابن القطاع : وفاءكما لي بالإسعاد عفا ودرس ، كالربيع الذي أشجاه
للعين دارسه ، فكنت أبكي الربيع وحده فصرت أبكي معه وفاءكما ، وأشتفي بالدمع
الذي هو راحة الإنسان وأشفاه للنفس ساجمه .^(١)

الشاهد الثلاثون : (*) (الكامل)

قول أبي تمام :

(١)
ثَانِيهِ فِي كَيْدِ السَّمَاءِ وَلَمْ يَكُنْ . . كَاثِنِينَ ثَانٍ (٢) إِنْ هُمَا فِي الْفَارِ (٣)
والبيت من قصيدته التي قالها في مدح المعتصم (٤) وهجاء الأفشين (٥) وبابك
الخرمي (٦) .

(*) الدلائل ، رضا ٦٦ ، خفاجي : ١٢٥ ، شاكر : ٨٤ .
(١) رواية معاهد التنصيص : " كاثنين في كيد السماء " .

(٢) رواية الديوان بشرح الخطيب : " لاثنين ثانياً " وعلى هذه الرواية لاشاهد
في البيت . ورواية عبث الوليد والموازنة ، وأسرار البلاغة " لاثنين ثانٍ " .
وقوله : " لاثنين ثانٍ " : رديء عند البصريين ؛ لأنه جاء بالمنصوب في لفظ
المخفوض ، ذلك عند الفراء لغة للعرب . ولأن رويت " ثاني " بفتح الياء
من غير تنوين فهو ضرورة أيضاً ، ولأن أثبت التنوين وألقت عليه حركة الهمزة
في " إن " وهو مذهب ورش في القراءة فلا ضرورة فيه . / شرح الخطيب :
٢٠٧ / ٢

(٣) انظر البيت في :

ديوانه بشرح الخطيب التبريزي : ٢٠٧ / ٢ ، ديوانه - دار صعب - : ١٣٤ ،
عبث الوليد : ١٤٣ ، الموازنة - محمد محيي الدين - : ٢٩ ، أسرار البلاغة :
١٣٠ ، المفتاح : ١٧٦ .

وذكر الصولي في أخبار أبي تمام بعض أبيات القصيدة ، ولم يذكر ضمنها بيت
الشاهد : ٩٣-٩٥ ، معاهد التنصيص : ٤٥ / ١ .

(٤) انظر ترجمته : ص : ١٦٩ .

(٥) هو حيدر بن كاس ، كان من أكابر قواد المعتصم فقطعه وصلبه ، ثم عظم
المعتصم خيانة من الأفشين ، فأمر بالقبض عليه ، فحمل إلى دار إيتاخ ، فمات
بها فأخرجوه وصلبوه على باب العامة ليراه الناس ، ثم أُلقي ، وأُحرق بالنار ،
وكان موته في شعبان سنة ست وعشرين ومائتين / انظر خبره :

تاريخ الطبري : ١١٤ / ٩ ، وانظر أيضاً من ص : ٨٠-١١٠ ، الكامل لابن الأثير
٢٦٢ / ٥ ، وانظر أيضاً ص ٢٥٣-٢٦١ .

(٦) بابك الخرمي : اسمه الحسين والخرمي نسبة إلى قرية خرمة ، وهو مسن

أتباع مزدك الذي يوجب الشيوعية في المال والنساء ، ذكر أن ظهوره كان ===

ومطلع القصيدة :

(١) الْحَقُّ أَجْلَجُ وَالسَّيْفُ عَوَارٍ .: فحذارِ مِنْ أَسَدِ الْعَرِينِ حَذَارِ

وقبل الشاهد :

يَا قَايِضًا يَدَ آلِ كَاوَسَ عَادِلًا .: أَتُبِعُ يَمِينًا مِنْهُمْ بَيْسَارِ
الْحَقُّ جَبِينًا دَامِيًا رَمَلْتَهُ .: بِقَعًا وَصَدْرًا خَائِنًا بِصِدَارِ
وَأَعْلَمُ بِأَنَّكَ إِنَّنَا تُطْقِيهِمْ .: فِي بَعْضِ مَا حَفَرُوا مِنَ الْآبَارِ
لَوْلَمْ يَكِدْ لِلشَّامِرِ قَبِيلُهُ .: مَا خَارَ عَجْلُهُمْ بِفَسْرِ خَوَارِ
وَشَوَدَّ لَوْلَمْ يَدْ هِنُوا فِي رَبِّهِمْ .: لَمْ تُرَمْ نَاقَتُهُ بِسَهْمِ قَدَارِ
وَلَقَدْ شَفَى الْأَحْشَاءَ مِنْ بَرَحَائِهَا .: أَنْ صَارَ بَابُكَ جَارَ مَازِيَارِ

وبعدها الشاهد وبعده :

(٦) وَكَأَنَّنَا أَتَّبَذَا لِكَيْمَا يَطْوِيَا .: عَنْ نَاطِسٍ خَبَرًا مِنَ الْأَخْبَارِ

===== في سنة احدى ومائتين ، وامتنع على الدولة عشرين عاما من سنة ٢٠١-٢٢١ هـ

وقتل سنة ٢٢٣ هـ ثم صلب / انظر:

تاريخ الطبري : ٩ / ١١-٥٥ ، الكامل لابن الأثير : ٥ / ٢٣٤-٢٤٦ .

(١) ديوانه بشرح التبريزي : ٢ / ١٩٨ .

(٢) يد هنوا : من الدهن وهو النفاق والخداع / اللسان " دهن " : ١٣ / ١٦٢ .

(٣) رواية الديوان تحقيق التبريزي :

" لَمْ تَدَمْ نَاقَتُهُ بِسَيْفِ قَدَارِ "

(٤) البرحاء : شدة الأذى . / اللسان " برج " : ٢ / ٤١٠ .

(٥) مازيار : هو مازيار بن قارن بن ونداد هرمز أظهر الخلاف على المعتصم

بطبرستان ، حيث اتفق مع الإفشين - أحد قواد المعتصم - على إظهار

بعض مذهب الثنوية الذين يعتقدون بالهبي الخير والشر ، ولكن المعتصم

ظفر به وقتله ثم صلبه إلى جانب بابك / انظر:

الكامل لابن الأثير : ٥ / ٢٥٣-٢٥٩ .

(٦) ذكر الخطيب أنه جاء في نسخة " ياطس " بالياء ملك ، وناطس : حادق

عالم وأصله العالم بالطب ، وقيل بطريق ملطية كان قد صلب /

ديوانه بشرح الخطيب : ٢ / ٢٠٧ .

استشهد الإمام عبد القاهر بالبيت على فساد النظم - أيضا - ولم يشر إلى موضع الفساد فيه .

وذكر الآمدي أن وجه الفساد في أنه جاء بثان في صورة المرفوع ، وهذا يوهم بأنه فاعل يكن أي لم يوجد « ثان لاثنين » وهذا محال لأن كل اثنين أحدهما ثان للآخر . قال :

” ونحن لو رُمنا أن نخرج ما في شعر أبي تمام من اللحن لكثير ذلك واتسع ، ولو وجدنا منه ما يضيق العذر فيه ، ولا يجد المتأول له مخرجاً إلا بالطلب والحيلة والتحمل الشديد ، وذلك مثل قوله :

ثَانِيهِ فِي كَيْدِ السَّمَاءِ وَلَمْ يَكُنْ . : لاثْنَيْنِ ثَانٍ إِذَا هُمَا فِي الْغَارِ
معنى هذا البيت أن بابك صار جاراً في الصلب لما زيار ، وهو ثانيه في كيد السماء ، ولم يكن ثانيا لاثنين إذ هما في الغار ، لأن هذه فضيلة ، فكان يجب أن يقول في البيت ” ولم يكن لاثنين ثانيا ” ، لأنه خبر يكن ، واسمها هو اسم بابك مضمرفيها ، فليس إلى غير النصب سبيل في البيت ، وإلا بطل المعنى وفسد ، وفساده أنك إذا أخليت ” يكن ” من ضمير بابك ، وجعلت قوله ” ثاني ” اسمها كان ذلك خطأ ظاهراً قبيحاً ، لأنك إذا قلت : كان زيد وعمرو اثنين ، ولم يكن لهما ثان ، كنت مخطئاً ، لأن كل اثنين أحدهما ثان للآخر ، وكذلك إذا قلت : كانوا ثلاثة ، ولم يكن لهم ثالث ، كنت مخطئاً ، لأن أحد الثلاثة هو ثالثهم ، وإنما تكون مصيئاً إذا قلت :

كانا اثنين ، ولم يكن لهما ثالث ، وثلاثة ، ولم يكن لهم رابع ، وأيضاً فإنه لو أراد هذا المعنى لم يكن في البيت فائدة البتة ؛ لأنه كان يكون المعنى حينئذ أن بابك ثاني ما زيار ، فأى فائدة في هذا مع ما فيه من الخطأ الفاحش ؟ وأي تعلق لهذا المعنى بما قبله في البيت ؟ (١)

رأى الشيخ عبد الهادي العدل أن في تعليل الآمدي تحاملاً على أبي تمام ؛
لأنه لا يمكن أن يتوهم أحد هذا " فـ " ثان " خبر " يكن " الناقصة ولاثنين متعلق به
واسمها ضمير يعود على بابك .

والعيب فقط في أنه أتى بالمنصوب في صورة المرفوع . (١)

فقارن صورتها وهما مصلوبان في الجوب بصورة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأبي بكر
الصديق حين كانا في غار ثور ، واستشهد الشاعر صورته هذه من قوله تعالى :
* إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا
فِي الْغَارِ * (٢)

إِلَّا أَنْ هَذَا التَّشْبِيهِ بَعِيدٌ إِذْ لَيْسَ هُنَاكَ وَجْهٌ لِهَذَا الشَّبْهِ فِي هَذَا
المقام .

قال الشيخ عبد الهادي العدل :

" قالوا إن ذكر أبي بكر مع رسول الله في هذا المقام ما يأباه السند وق
السليم ، ولو أنه جاء على سبيل نفي المشابهة ، فما كان هناك توهم مشابهة
حتى تنفي (٣) .

وقد حمل أبو العلاء بيت أبي تمام على غير الضرورة ، وعلى نحو يختلف
عما رآه فيه غيره قال :

" ليس هو على مذ هب من قال « ثان اثنين » فنون ، وهو ثالث ثلاثة ، ولكنه على
قولهم : هذا غلام لزيد ، يجوز إدخال اللام ، وإن كان الغلام غير عامل في زبيد ،
كما يقال : هذا للسلطان خاتم (٤) .

(١) دراسات تفصيلية شاملة : ١٣١ .

(٢) التوبة ، ٤٠ .

(٣) دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القاهر : ١٣٠-١٣١ .

(٤) بحث الوليد : ١٤٣ .

ويبدو لي أن قوله : " في كَيْدِ السَّمَاءِ " تصوير جميل لمشاعر الاستهزاء والتحقير التي تنطوي عليها نفس الشاعر، إذ أنه جعل صورتها في الصلب واضحة بارزة لا تخفى على أحد، فهما في " كَيْدِ السَّمَاءِ " وهذا تصوير لشدة التنكيل بهما، وأيضا نلمح في هذه العبارة شدة فرحه وفخره بالقضاء عليهما، ولكن لجوء الشاعر إلى التشبيه والمقارنة بين صورة مازيار وبابك، وهما مصلوبان، وبين صورة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأبي بكر رضي الله عنه في الغار، وأيضا إتيانه بالمرفوع في صورة المنصوب، طمس هذا الجمال وأذهب رونقه، وأبعد الأذهان عنه.

وقد ورد لبيت أبي تمام نظائر، عدها العلماء من الضرورات الشعرية، من ذلك قول بشر بن أبي خازم : (وافر)

كَفَى بِالنَّائِي مِنْ أَسْمَاءَ كَافِرٌ . . وَلَيْسَ لِحُبِّهَا مَا عِشْتُ شَافِي (١)

فكان من حق الكلام أن يقول :

" كَفَى بِالنَّائِي مِنْ أَسْمَاءَ كَافِيَا "

ومنه قول مجنون ليلى :

قَلَّوْا أَنْ وَاشِرٍ بِالْيَتَامَى دَارُهُ . . وَدَارِي بِأَعْلَى حَضْرَمَوْتَ اهْتَدَى لِنَا (٢)

الشاهد الحادي والثلاثون : (*) (البسيط)

قول أبي تمام :

يَدِي لِمَنْ شَاءَ رَهْنٌ لَمْ يَذُقْ جُرْعًا . . مِنْ رَاحَتَيْكَ نَرَى مَا الصَّابُ وَالْعَسَلُ (٣) (٤) (٥)

(١) رواية شرح المفصل للشطر الثاني : " وليس لحبها إن طال شافي / انظر :

المقتضب : ٢٢ / ٤ ، الخصائص : ٢٦٨ / ٢ ، خزانة البغدادي - دار صادر -

٢ / ٢٦١ .

(٢) ديوانه : ٢٩٤ ، رضا : ٦٦ ، خفاجي : ١٢٥ ، شاكر : ٨٤ .

(*) الدلائل ، رضا : ٦٦ ، خفاجي - " من يذوق " .

(٣) رواية الاسرار تحقيق - خفاجي - " من يذوق " .

(٤) ذكر الجوهري أنه عبارة شجر مر، ورد عليه الفيروزبادي فقال : " وشجر مر

جمع صاب، ووهم الجوهري في قوله : عبارة شجر " / الصحاح " صوب " :

١ / ١٦٦ ، القاموس المحيط : " صوب " : ١ / ٩٧ .

(٥) ديوانه بشرح الخطيب التبريزي : ٣ / ١١ ، ديوانه - دار صعب - : ٢٠١ .

وهو من قصيدة له في مدح المعتصم بالله ومطلعها :
فَحَوَاكَ عَيْنٌ عَلَى نَجْوَاكَ يَا مَذِلُّ ^(١) . . . حَتَّامٌ لَا يَتَقَضَى قَوْلُكَ الْخَطِيطُ

وقبل الشاهد :

كَأَنَّ أَثْوَالَهُ وَالتَّبَذْلُ يَمَحَقَمَهَا . . . نَهَبٌ تَعَسَّفَهُ التَّبَذِيرُ أَوْ نَفْلُ
شَرَسَتْ بَلْ لَئِنْ تَبَلْ قَانَيْتَ ^(٢) ذَاكَ بِذَا . . . فَأَنْتَ لَا شَكَّ فِيكَ السَّهْلُ وَالْجَبَلُ

وبعدهما الشاهد وبعده :

صَلَّى إِلَهُهُ عَلَى الْعَبَّاسِ وَأَنْبَجَسَتْ . . . عَلَى ثَرَى حَلَّهِ الْوَكَّافَةُ الْهَاطِلُ ^(٣)

ذكر الشيخ محمد رشيد رضا في تحقيقه الدلائل : أن هناك رواية أخرى لصدر البيت وهي " مَنْ يَذُقْ جُرْعًا " ورأى أنها أظهر من رواية " لَمْ يَذُقْ " .

ورد الشيخ عبد الهادي العدل على هذه الرواية وعلى من قال أنها رواية
الشيخ عبد القاهر في " الأسرار " ، ورأى أنها ليست روايته بل هي تصحيح من
بعض من لم يفهم البيت ، وإلا فما بال الشيخ يسوقه شاهداً على التعقيد ؟ .
أضف إلى ذلك أن " مَنْ " لا تلائم قوله " يَذُقْ رَهْنٌ " ، كما يشهد بذلك
الذوق السليم ، ثم إن الشاعر يريد حصر الصاب والعسل في بطشه وجوده ،
و " مَنْ " لا تفيد ذلك . ^(٤)

وأيضاً " مَنْ يَذُقْ " يدل على الاستقبال ، و " دَرَى " فعل ماض فيكون
حاصل الكلام ، مَنْ يَذُقْ في المستقبل دَرَى في الماضي !
والبيت شاهد على فساد النظم الذي يخل بالمعنى ، فالشاعر لجأ إلى

=== الوساطة : ٧٩ ، الموازنة - تحقيق محمد محيي الدين - : ١٦٩ ، الأسرار

- تحقيق خفاجي - : ٢٦٩ / ١ ، تحقيق هـ . ريتز : ١٣١ .

(١) المذل : الذي يفشي السر . / اللسان " مذل " : ١١ / ٦٢١ .

(٢) قانيت : خَلَطَتْ . / اللسان " قنا " : ١٥ / ٢٠٥ .

(٣) رواية ديوانه - دار صادر - : " على ثَرَى رحله " .

(٤) دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القاهر : ١٣٢ .

حذف جزء من الجملة كان له دور كبير في إبراز المعنى ، بل هو عمدة الكلام فيها ،
فحذف "إن كان من " وتقدير الكلام : " يَدِي لِمَنْ شَاءَ رَهْنٌ إِنْ كَانَ مَنْ لَمْ
يَذُقْ " ، وذكر القاضي الجرجاني هذا البيت في الردى ، من شعر أبي تمام ،
فقال :

" فحذف عمدة الكلام ، وأخلَّ بالنظم ، وإنما أراد يدي لمن شاء رهن
" إِنْ كَانَ (١) لَمْ يَذُقْ " ، فحذف " إِنْ كَانَ " من الكلام ، فأفسد الترتيب ،
وأحال الكلام عن وجهه (٢) .

وكذلك ذكر الآمدي أن هذا البيت فاسد النظم لكثرة ما فيه من الحذف ،
قال :

" لفظ هذا البيت مبني على فساد ؛ لكثرة ما فيه من الحذف ، فكأنه
أراد بقوله : " يَدِي لِمَنْ شَاءَ رَهْنٌ " أي : أضافه وأبايعه معاقدة ،
أو مراهنة إِنْ كَانَ مَنْ لَمْ يَذُقْ جُرْعاً مِنْ رَاحَتِكَ نَرَى مَا الصَّابُ وَالْعَسَلُ ،
ومثل هذا لا يسوغ ؛ لأنه حذف " إِنْ " التي تدخل للشرط ، ولا يجوز
حذفها ؛ لأنها إذا حذفت سقط معنى الشرط ، وحذف " من " وهي
الاسم الذي صلته " لَمْ يَذُقْ " فاختل البيت ، وأشكل معناه . . . فإن
تأول متأول هذا البيت على ألفاظ آخر محدوفة غير اللفظ الذي ذكرته ،
فالاختلال بعد قائم ؛ لكثرة ما حذف منه ، وسقوط الدليل عليه (٣) .

ورد المرزوقي على من عاب على أبي تمام هذا الحذف ، فقد رأى أن البيت
يحتل تقديرين ، فيتأتى أن نقدر : يَدِي رَهْنٌ لِمَنْ شَاءَ إِنْ نَرَى مَا الصَّابُ
وَالْعَسَلُ غير ذائق جُرْعاً مِنْ رَاحَتِكَ ، فيكون لَمْ يَذُقْ في تقدير الحال ، وساغ
حذف " إِنْ " لدلالة الشرط والجزاء ، ويكون المعنى : إِنْ نَرَى مَنْ لَمْ يَذُقْ جُرْعاً

(١) بيدولي أنه يجب أن تكون هنا " من " حتى يستقيم الكلام .

(٢) الوساطة : ٧٩ .

(٣) الموازنة - تحقيق محمد محيي الدين - : ١٦٩-١٧١ .

من راحتك الفرق بين هذين الشيئين ، فيدي له رهن ، فهذه طريقة .
 والتقدير الثاني : يدي رهن لمن شاء غير ذائقي جرعا من راحتك داريما
 ما الصاب والعسل يريد له رهن ، وهاتان حالتاه .

قال المرزوقي :

* اعلم أن اللفظ قد يكون قاصراً عن المعنى ، وقد يكون زائداً عليه ،
 وهذا البيت يتأتى فيه التقدير على غير ما قدره هذا العائب ، فيتأتى
 أن تقدر : يدي رهن لمن شاء إن ترى ما الصاب والعسل غير ذائقي
 جرعا من راحتك ، فيكون " لم يذق " في تقدير الحال ، وحذف " إن " .
 لما كان في الكلام من دلالة الشرط والجزاء ، ألا ترى أن المعنى : إن
 ترى من لم يذق جرعا من راحتك الفرق بين هذين الشيئين ، فيدي
 له رهن ، فهذه طريقة .

ويتأتى أن تقدر : يدي رهن لمن شاء غير ذائقي جرعا من راحتك داريما
 ما الصاب والعسل ، يريد يدي له رهن ، وهاتان حالتاه ، وهذا كما يقول
 الإنسان : لزيد من مالي ألف زاكياً هذا الفرس وصائداً به ، والمعنى :
 إن ركبته وصان ، والحال قد يتبين منه معنى الشرط ، على هذا قولهم :
 هذا تراً أطيب منه بئسراً ، والمعنى : هذا إذا كان تراً أطيب
 منه إذا كان بئسراً ، وإذا كان الأمر على هذا فقد سلم أبو تمام من
 العيب ولزم الذم عائبه ولقائل أن يقول للمنكر على أبي تمام : زعمت
 أن اللفظ قاصر عن المعنى بما حذف من عمدته مختل ، وإنما هو زائد
 عليه ، لكنك أسأت في التقدير ، وزدت ما لا حاجة إليه ، وذلك أنه أراد :
 يدي رهن لمن لم يذق جرعا من راحتك داريما ما الصاب والعسل ،
 أي إن ترى ذلك فيدي له رهن ، وإذا كان الأمر على هذا ، فقولهم :
 " شاء " فضلة ، و " من " على هذه التقديرات نكرة ، والمعنى : يدي

لإنسان هذه صفته رَهْنٌ ، وهم يقولون مررتُ بِمَنْ ظريفٍ أي بإنسانٍ
ظريف ، ومررتُ بِمَا كَرِيمٍ أي بشيءٍ كَرِيمٍ ، فاعلمه (١) .

والتقدير الأول الذي ذكره المرزوقي للرد على العائب ، وهو قوله " إن دري
ما الصاب والعسل " قد صار فيه إلى ما أنكره العائب من الحذف الذي عابه عليه ،
فلا معنى إذا لرده على العائب مع تقديره من الحذف مثلما قدره العائب ، و"دري"
إذا جعله حالاً فهو فعل ماضٍ ، ولا بد له من تقدير " قد " ، كقوله تعالى :
* أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ * (٢) أي قد حصرت ، وقول المرزوقي " شاء " فضلة ،
فلم يذهب أحد إلى أن فعلاً يؤتى به فيكون فضلة إلا ما ذكره من " كان " وقد
أباه قوم ومنعوه .

وجعله " مَنْ " على ما ذكره في جميع التقديرات جائز لو أوضحه في جميع
التقديرات ، ويمكن أن يجعل " مَنْ " بمعنى " الذي " ، فيكون التقدير : " يدي رهنٌ
الذي شاء لَمْ يَذُقْ جُرْعاً " ولا يمتنع معها التقديرات التي قدرها ، ويجعل " لَمْ يَذُقْ "
بدلاً من قوله " شاء " ، ويكون التقدير " يدي رهن لمن لَمْ يَذُقْ جُرْعاً مِنْ رَاحَتَيْكَ
تَدْرِي مَا الصَّابُ وَالْعَسَلُ ، ويكون " تَدْرِي " ، حالا على ما تقدم (٣) .

ورأى التبريزي أن البيت قد حذف منه حرف النفي " لا " ؛ لأن المعنى معنى
القسم ، والمعروف حذف " لا " في جواب القسم دون " ما " ، ولا يمتنع في القياس
أن يجمع بينهما في الحذف ؛ لأنهما حرفا نفي فتحمل إحداهما على الأخرى ،
قال التبريزي :

" هذا البيت قد حُذِفَ منه حرفُ النَّفْيِ ؛ لأن المعنى معنى القسم ،
كأنه قال : والله لا أدري مَنْ لَمْ يَذُقْ جُرْعاً مِنْ رَاحَتَيْكَ ، فحذف حرف

(١) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي : ١٢ / ٣ - ١٣ .

(٢) النساء : ٩٠ .

(٣) هذا رد ابن المستوفي - نقلاً عن محقق ديوان أبي تمام بشرح الخطيب

التبريزي - : ٣ / ١٣ .

النفي ؛ لأن المعنى دال عليه ، كما تقول : والله أفعل أبداً : أي لا أفعل ،
قال النابغة :

فَقَالَتْ يَبِينُ اللَّهُ أَفْعَلُ إِنَّنِي . . . رَأَيْتُكَ مَسْحُورًا يَمِينُكَ فَاجِسْرَهُ
والمعروف حذف " لا " في جواب القسم د ون " ما " ولا يمتنع في القياس
أن يجمع بينهما في الحذف ؛ لأنهما حرفا نفي فتُحْمَلُ إحداهما على الأخرى ،
أي مَنْ لَمْ يَذُقْ مِنْ بَأْسِكَ وَجُودِكَ جَرَعًا لَمْ يَتَحَقَّقْ عِنْدَهُ مَرَارَةُ الْحَنْظَلِ
ولا حلاوة العسل (١) .

فمعنى البيت : أن بطش الممدوح وسطوته هي الصاب بعينه أما ما يسميه الناس
" صابا " ، فلا يستحق هذا الاسم ، لأن مرارته إذا قيست بمرارة بطش الممدوح
لم تكن شيئاً ، وَأَنَّ نَدَاهُ وَجُودَهُ هُوَ الْعَسَلُ الْحَقِيقِيُّ لَا مَا يَسْمِيهِ النَّاسُ عَسَلًا ؛
لأن حلاوته لا تذكر مع نواله ، إذا لا يعرف حقيقة " الصاب والعسل " إِلَّا مَنْ ذَاقَ
مَرَارَةَ بَطْشِهِ وَحَلَاوَةَ جُودِهِ ، ومن لم يذُقهما ، فلا علم له بهما ، فإن كان هنالك
شخص لم يذُقهما وادّعى أنه عرف حقيقة الصاب والعسل ، فَيَدْرِي رَهْنٌ لِمَنْ شَاءَ
إِذَا دَلَّنِي عَلَيْهِ (٢) .

وهذا المعنى اللطيف بَعْدَ عَنِ الذَّهْنِ ؛ لِفَسَادِ نَظْمِهِ ، وَسُوءِ تَأْلِيفِهِ ، وَاخْتِلَالِ
سَبْكِهِ .

وطبق الإمام عبد القاهر على هذه الأبيات التي أوردها في فساد النظم ؛
بأنه إذا ثبت أن فساد النظم ، وسوء التأليف مرجعه إلى علم النحويث أن الحكم ،
والمزية ، والفضيلة ، ترجع إليه ، فيجب على القارئ المتدقق أن يعلم أسرار هذا العلم ،
ويتعرف على دلالة . قال :

" وفي نظائر ذلك ما وصفوه بفساد النظم ، وعابوه من جهة سوء التأليف ،
أن الفسادة والخلل كانا من أن تعاطى الشاعر ما تعاطاه من هذا الشأن

(١) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب : ٣ / ١١ .

(٢) دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القاهر : ١٣١ .

على غير الصواب ، وصنع في تقديم أو تأخير ، أو حذف وإضمار ،
أو غير ذلك مما ليس له أن يصنعه ، وما لا يسوغ ولا يصح على أصول
هذا العلم . وإذا ثبت أن سبب فساد النظم ، واختلاله ، أن لا يعمل
بقوانين هذا الشأن ، ثبت أن سبب صحته أن يعمل عليها ، ثم
إذا ثبت أن مستتب صحة وفساده من هذا العلم ، ثبت أن
الحكم كذلك في مزيته والفضيلة التي تعرض فيه ، وإذا ثبت جميع
ذلك ، ثبت أن ليس هو شيئاً غير توخّي معاني هذا العلم ،
وأحكامه فيما بين الكلم ، والله الموفق للصواب .^(١)

(١) الدلائل ، رضا : ٦٦ - ٦٧ ، خفاجي : ١٢٥ ، شاكر : ٨٤ .

الفصل الثالث

شواهد النظم

٢- مذبة النظم في مراعاة النحو .

ب- مذبة النظم بحسب المعاني والأغراض .

ج- النظم يتجدد في الوضع ويدور فيه لصنع .

مزية النظم في مراعاة النحو :-

ساق الشيخ بعد هذه الأبيات - الأبيات السابقة في فساد النظم - أبياتاً وُصِفَتْ بالحسن وشُهِدَ لها بالفضل ؛ لأنها إنما حَسُنَتْ من أجل حسن تأليفها ، وجودة صياغتها ، ويدعو القاري ، إلى تأملها ، وأن يحكم ذوقه الواعي عند أي كلمة اهتز ، وعند أي موقع طرب .

قال :

* وإذا عرفت ذلك فاعد إلى ما توصفوه بالحسن وتشاهدوا له بالفضل ، ثم جعلوه كذلك من أجل النظم خصوصاً دون غيره ما يستحسن له الشعر ، أو غير الشعر من معنى لطيف ، أو حكمة ، أو أدب ، أو استعارة ، أو تجنيس ، أو غير ذلك مما لا يدخل في النظم ، وتأمله ، فإذا رأيته قد ارتحت واهتزت واستحسنست ، فانظر إلى حركات الأريحية م كانت ، وعند ماذا ظهرت ؟ فإنك ترى عياناً أَنَّ الذي قلت لك كما قلت^(١) .

(١) الدلائل ، رضا : ٦٧ ، خفاجي : ١٢٥ ، شاكر : ٨٤ - ٨٥ .

الشاهد الثاني والثلاثون :- (*) (المقارب)

قول البحري :

(١) بَلَوْنَا ضَرَائِبَ مَنْ قَدْ نَرَى . . . فَمَا إِنْ رَأَيْنَا لِفَتْحٍ ضَرِيًّا (٢)
هُوَ الْمَرْءُ أَبَدَتْ لَهُ الْحَادِثَا . . . تَعَزَّمَا وَشِيكًا وَرَأْيَا صَـ (٣)
تَنْقَلُ فِي خُلُقِي سُوْدَدٍ (٤) . . . سَمَاحًا مَرَجَّى وَتَأْسًا مَهْمِيًّا (٥)
فَكَالسَّيْفِ إِنْ جِئْتَهُ صَارِخًا . . . وَكَالْبَحْرِ إِنْ جِئْتَهُ مُسْتَشِيًّا (٦)
(٧)

والأبيات من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان، ويعاتبه، وأولها :

(٨) لَوْتُ بِالسَّلَامِ بَنَانًا خَضِيًّا . . . وَلَحْظًا يَشُوقُ الْفُؤَادَ الطُّرُوبَا

وقبل الشاهد :

وَحُمِلْتُ عِنْدَكَ ذَنْبَ الشَّيْبِ . . . بِ حَتَّى كَأَنِّي ابْتَدَعْتُ الْمَشِييَا
وَمَنْ يَطْلُعُ شَرْفَ الْأَرْعِيَةِ . . . نَ يُحْيِي مِنَ الشَّيْبِ زُورًا غَرِييَا (٩)

(*) الدِّلاَئِلُ ، رِضَا : ٦٧ ، خَفَاجِي : ١٢٦ ، شَاكِر : ٨٥ .

(١) الضَّرْبُ : الصِّنْفُ / مختار الصحاح : " ضرب " : ٣٣٨ .

(٢) رواية أمالي المرتضى : " فَمَا إِنْ وَجَدْنَا لِفَتْحٍ ضَرِيًّا " .

(٣) وشيكا : سريعا / مختار الصحاح " وشك " : ٧٢٣ . اللسان : " وشك " :

٠٥١٣-٥١٤/١٠

(٤) هذا البيت لم يورده المرتضى في أماليه .

(٥) رواية المثل السائر : " تَرَدَّدَ فِي خُلُقِي سُودَدٌ " .

(٦) رواية المرتضى : " تَنْقَلُ فِي سَلَفِي سُودَدٌ " .

(٧) انظر الأبيات في :

ديوانه - : دار بيروت - : ١٠٧/١ ، الموازنة - تحقيق أحمد صقر -

٢ / ٢٩٣ ، ولم يذكر الآمدي إلا البيت الأول فقط .

أمالي المرتضى : ١ / ٥٣٥ ، المثل السائر : ٢ / ٣٦٨ ، ولم يذكر

إلا البيت الثالث والرابع فقط .

معاهد التنصيص : ٣ / ٢٧٨ .

(٨) ديوانه : ١٠٦ .

(٩) ديوانه : ١٠٧ .

وبعد الأبيات :

فَتَى كَرَّمَ اللَّهُ أَخْلَاقَهُ . . . وَالْبَسَهُ الْحَمْدَ غَضًّا قَشِيًّا
وَأَعْطَاهُ مِنْ كُلِّ فَضْلٍ يُقَدُّ (م) . . . حَظًّا وَمِنْ كُلِّ تَجْدٍ نَصِيًّا

رأى الإمام عبد القاهر أن جمال هذه الأبيات - الشاهد - يعود إلى أنه قدّم
وأخر ، وعَرَفَ ونَكَّرَ ، وحذف وأضمر . . قال :

" فإذا رأيتها قد راقتك ، وكثرت عندك ، ووجدت لها اهتزازاً في نفسك ،
فعد فانظر في السبب ، واستقص في النظر ، فإنك تعلم ضرورة أن ليس
إلا أنه قدّم وأخر ، وعَرَفَ ونَكَّرَ ، وحذف وأضمر ، وأعاد وكرر ، وتوخى على
الجملة وجهاً من الوجوه التي يقتضيها علم النحو ، فأصاب في ذلك كله ،
ثم لطف موضع صوابه ، وأتى ما تبيّن يوجب الفضيلة .

أفلا ترى أن أول شيء يروك منها قوله : " هُوَ التَّمَرُّ أَبَدَتْ لَهُ الْحَادِثَاتُ " ،
ثم قوله : " تَتَقَلَّبُ فِي خُلُقِي سُؤْدِيرٌ ، بتكثير السُّؤْدِيرِ ، وإضافة الخُلُقَيْنِ
إليه ، ثم قوله " فَكَالسَّيْفِ " ، وعطفه بالفاء مع حذفه المبتدأ ؛ لأن المعنى
لا محالة ، فهو كالسيف ، ثم تكريره والكاف في قوله : " وكالبحر " ثم أن قرّن
إلى كل واحد من التشبيهين شرطاً جوابه فيه ، ثم أن أخرج من كل
واحد من الشرطين حالاً على مثال ما أخرج من الآخر ؛ وذلك قوله
" صارخاً " هناك " ومستثياً " ههنا ؟ لا ترى حسناً تنسبه إلى النظم
ليس سببه ما عُدّت ، أو ما هو في حكم ما عُدّت ، فاعرف ذلك . (١)

في هذه الأبيات اكتفى الشيخ عبد القاهر بالإشارة إلى مواضع الجمال فقط ،
فلم يحلل ، أو يعلل سبب هذا الجمال ، فلعله أراد أن يترك للقاري فرصة التدقيق ،
ليحظى بالمتعة الذهنية ، والنفسية ، والروحية .

(١) الدلائل ، رضا : ٦٢-٦٨ ، خفاجي : ١٢٦ ، شاكر : ٨٥-٨٦ .

فقله " هُوَ الْمَرْءُ " فيه تعريف المسند إليه للكمال ، وهذا التعريف يلفت الأنظار ، ويوجه العقول ، ويشد الانتباه إلى هذا المدوح ، فهو مجرد إحساسنا من كل شيء إلا من الإحساس بصفات مدوحه البالغة في الكمال ، أضف إلى أن التعبير هنا بالضمير يشير إلى فخامة المدوح وكماله ، ويبدو أن البحري يحمل للفتح بن خاقان عاطفة صادقة جياشة جعلته يستعمل هذا الأسلوب الذي يفيض بمعاني عظيمة ، فالمعروف أن نوائب الدهر وحوادثه تفت من عزم الإنسان ، وتهبط قواه إلا أن هناك شخصاً لا مثيل له بلغ درجة من الكمال وخرج عن طبيعة أفراد جنسه ممن تخور قواهم ، فان أردت أن تعرف من هو ، فانظر إلى مدوحه ، فهو المرء الوحيد الذي تغلب على حوادث الدهر ، فأصبحت هي تستمد قواها منه ، وتستخرج منه العزم والشيك ، والرأى الصليب ، وفي تنكير " سُوْدَد " تعظيم وتشريف لهذا المدوح ، فهو سُوْدَدٌ مبهم لا يُدْرِك كنهه ولا مداه وحدوده ، وفي قوله " خُلُقْسِي " إبهام ، ثم بعد ذلك فسر ووضح المقصود بهذين الخلقين ، ففاجأنا في الشطر الثاني بأعظم خلقين إذا وصف بهما إنسان آتبر فرداً من نوعه ، فمدوحه جواد يعطي في سماحة من غير تقييد ، وشجاع ذو بأس شديد في ميادين الحرب ، فجمع له هاتين الصفتين ، وأضافهما إليه ، وفي إضافتهما إليه دليل على أنهما ثابتتان فيه ملازمتان له لا تفارقانه ، فهما جزء لا يتجزأ منه .

ولا يكتفي الشاعر بهذا بل يأتي «بالفاء زيادة في التفصيل والتفريع ؛ لأن الفاء تجعل ما بعدها مفعراً عما قبلها ، فقله : " فكالسيف " يفصل ويؤكد ويوضح قوله ؛ " بأساً مهيباً " ، فهو في بأسه ، ومضائه في الحرب ، كالسيف الحاد القاطع الباتر ، وهو في جوده " كالبحر " الفياض ، وفي مجيئ التشبيه بهذه الطريقة ما يمتنع الخيال ، ويمده بالصور الغنية بالدلالات التي تؤكد هذه الصفات في المدوح .

" فالبيت الثاني يدل على معنى الأول ؛ لأن البحر والسيف للباس المهيب

إلا أن في الثاني زيادة التشبيه التي تغيد تخيلاً وتصويراً " . (١)

ونراه قد حذف المبتدأ في قوله " فكالسيف " والأصل " هو كالسيف " ليدل على أن مدد وجهه غني عن التعريف والذكر ، فهو يُعرف بصفاته هذه ؛ لأنه المتفرد بها ، ولا يمكن لأحد أن يتصف بها ، فلا ضرورة إنذاراً لذكره .

وأتى مع كل تشبيه بأداة شرط، ثم قرن كلاً من الشرطين بحال " صار خساً - مستثيباً " ليدل على قوته المطلقة وسخائه العام ، فقوته وجوده غير مقيد بين بوقت ، فهو قوي قادر ليس في أوقات الرخاء فقط بل هو كالسيف مفضاً في حالة الشدة ، وطلب النجدة ، وكالبحر سخاءً في حالة الحاجة إلى العون والإغاثة .

وبالنظر إلى مواطن الحسنة التي أشار إليها الشيخ نجده قد حصر جودة هذا الشعر على ما ذكره من تقديم وتأخير وتعريف وتكثير . . الخ ، وأهمل دلالة اختيار الكلمات على ما في الشعر من بلاغة .

فهو مثلاً لم يعط أهمية لا اختيار كلمة " بلونا " ، وأنها أبلغ وأفخم للمعنى من كلمة " عرفنا " ذلك أنها تفيد معنى البحث والاستقصاء ، والاختبار ، فالشاعر لم يفضل " الفتح " بن خاقان إلا بعد أن اختبر وفتش واجتهد في الكشف عن ضرائب من رأيهم من الناس .

وكذلك آ اختياره لفظ " تنقل " ومعناه أن الخلقين راسخان فيه ، وأنه تنقل فيهما من طفولته إلى شبابه إلى كهولته . . . فهما ملازمان له ، وهما خلقان ثابتان من أخلاقه .

وأيضاً آ اختيار كلمة " مُرَجَّى " بالتشديد ، والتي دلت على أن كرمه يرجوهم الراجون ، فإن بعض من يتصفون بالكرم لا يرجوهم أحد ، أو لا يكون رجاؤهم بهندة الصورة المبالغ فيها فإن رجى بالتشديد غير " رجا " ، فمرجى غير مرجو .

ودلت أيضاً على أن بأسه ليس مجرد صفة يتصف بها لكنه يُهاب ويخشى . أضف إلى ذلك أن في قوله " فما إن رأينا " اجتمع حرفا نفي ، وهذا له مدلوله في نفي المشيل له .

الشاهد الثالث والثلاثون :- (*) (الطويل)

(١) قول إبراهيم بن العباس :

(٢) (٣)
فَلَوْ إِذْ نَبَا دَهْرٌ وَأَنْكَرَ صَاحِبٌ . : وَسَلَّطَ أَعْدَاءُ وَغَابَ نَصِيرُ
(٤) (٥) (٦)
تَكُونُ عَنِ الْأَهْوَازِ دَارِي بِنَجْوَةٍ . : وَلَكِنْ مَقَادِيرُ جَرَتْ وَأُمُورُ

(*) الدلائل ، رضا : ٦٨ ، خفاجي : ١٠٢٧ ، شاکر : ٨٦ .
(١) هو إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول (١٧٦ هـ وقيل ١٦٧ هـ - ٢٤٣ هـ) ،
وكان صول رجلاً من الأتراك ، وهو من موالى يزيد بن المهلب ، وكان إبراهيم
يختار من الشعر أحسنه ، ويسقط أرنده ، وكان صديقاً لمحمد بن عبد الملك
الزيات ، ثم آذاه الزيات وأغرى به الواثق ، وصارت بينهما شحنة عظيمة ،
لم يمكن تلافئها ، وكان إبراهيم يهجو هجاءً مرّاً ، ولقد تولى إبراهيم الأهواز في
عهد الواثق بالله . / انظر ترجمته :

الأغاني : - دار الكتب - : ١٠ / ٤٣ - ٦٨ ، الوزراء والكتاب : ٨٢ ، معجم
الأدباء : ١ / ١٦٤ - ١٩٧ .

(٢) رواية الديوان : " تَفَيَّرَ لِي دَهْرٌ " .

(٣) نبا : نبا الشيء ، عني ينبو أي تجافى وتبعد ، ونبت بي الأرض أي لم أجد

بها قراراً ، ونبا فلان عن فلان : لم ينقد له / اللسان : " نبا " : ١٥ / ٣٠٢ .
(٤) ذكر محقق الطرائف الأدبية أنه يروى في الأصل :

" تلون على الأهواز " وهو تصحيف .

(٥) الأهواز : آخره زاي ، وهي جمع هوز ، وأصله حوز ، فلما كثر استعمال

الفرس لهذه اللفظة غيرتها حتى أن هبت أصلها ، لأنه ليس في كلام الفرس
حاء مهملة ، وعلى هذا يكون الأهواز اسماً عربياً سمي به في الإسلام ، وكان

اسمها أيام الفرس خوزستان ، وفي خوزستان مواضع يقال لكل واحد منها
خوز كذا ، منها خوز بني أسد وغيرها ، فالأهواز اسم للكورة بأسرها ، وأما

البلد الذي يغلب عليه هذا الاسم عند العامة ، فإنما هو سوق الأهواز ،
والحوز في كلام العرب مصدر حاز يحوز ، وهو الحصول على الشيء ، وقيل :

الأهواز اسمها «هرمز شهر» ، وقيل أنها كانت تسمى «هرمز اردشير» ، وذكر
أن الأهواز سبيع كور بين البصرة وفارس لكل كورة منها اسم ، ويجمعهم

الأهواز . / انظر : معجم البلدان : ١ / ٢٨٤ - ٢٨٥ .

(٦) النجاء : الخلاص من الشيء ، نجا ينجو نجواً ونجاءً ، ممدود ، ونجاة ،

مقصود ، ونجى واستنجا كنجا .

(١)

وَأَيْتِي لَأَرْجُو بَعْدَ هَذَا مُحَمَّدًا . . . لِأَفْضَلِ مَا يُرْجَى أَخ " وَوَزِيرُ

والأبيات قالها إبراهيم بن العباس عندما عُزل عن الأهواز في أيام محمد بن عبد الملك الزيات ، فاعتُقل بها ، وأُودِيَ ، وكان محمد قبل الوزارة صديقه ، وكان إبراهيم بن العباس يأمل أن يطلق سراحه ، فأنشد هذه الأبيات .

وقد وجه الإمام عبد القاهر إحساسنا إلى مواطن الروعة فيها ، وترك لكل متذوق حرية التعليق لذوقه ، فقال :

" فإنك ترى ما ترى من الرونق والطلاوة ، ومن الحسن والحلاوة ، ثم تتفقد السبب في ذلك ، فتجده إنما كان من أجل تقديمه الظرف الذي هو " إِنْ نَبَا " على عامله الذي هو " تكون " ، وإن لم يقل " فلو تكون عن الأهواز داري بنجوة إِنْ نَبَا دهر " ، ثم أن قال " تكون " ولم يقل " كان " ، ثم أن نكر الدهر ، ولم يقل " فلو إِنْ نَبَا الدَّهْر " ، ثم أن ساق هذا التكثير في جميع ما أتى به من بعد ، ثم أن قال : " وَأُنْكَرَ صَاحِبٌ " ولم يقل : " وَأُنْكَرْتُ صَاحِبًا " لا ترى في البيتين الأولين شيئاً غير الذي عدده لك تجعله حسناً في النظم ، وكله من معاني النحو كما ترى ، وهكذا السبيل أبداً في كل حسن ومزية رأيتهما قد نسبنا إلى النظم ، وفضل وشرف حيل فيهما عليه . (٢)

فهذه الأبيات من محاسن الشعر ، وروائع القصيد لما تحملها كلماتها من معان عميقة معبرة عن إحساس الشاعر ، فالشاعر هنا سجين يئن تحت وطأة العذاب ، ودُل الحبس ، وانكسار النفس ، فقد كان والياً على الأهواز ، والسيد المطاع فيها ،

=== والنجوة والنجاة : ما ارتفع من الأرض فلم يعله السَّيل فظننته نجاءك ،

والجمع نجاء . / اللسان : " نجا " : ١٥ / ٣٠٤-٣٠٥ .

(١) انظر البيت في : الطرائف الأدبية - ديوان إبراهيم بن العباس الصولي - : ١٣٢ ، الأغاني - : دار الكتب - : ١٠ / ٥٠ ، والبيت الأخير في معجم الأدباء :

١٦٩/١

(٢) الدلائل - رضا - : ٧٠-٧١ ، خفاجي : ١٢٧ ، شاكر : ٨٦ .

ثم هاهونا ، وقد تنكر له الدهر ، وتسلب عليه الأعداء ، وعظم بذلك الخطيب ،
 فتمنى لو أنه أصيب بما أصيب بعيداً عن الأهواز ؛ لأن الدل في موطن السيادة
 والعز أشد وقعاً ، وألماً على النفس ، فنراه يصور حاله هذه بألفاظ تبعثها المعاني
 النفسية للشاعر ، حيث قدّم الظرف " إِنْ نَبَا " على معموله ؛ لأن الشاعر أحس أول
 ما أحس بوطأة ذلك الزمن ، فأراد أن يجسد أهواله ويصور جسامة الأمور التي ألمت
 به فيه ، فهو زمن ليس كأي زمن مر به ، بل هو زمن يثير في نفسه الألم ، ففيه أنكر هو
 الصاحب إن لم يجد فيه ما كان يعهده ، وتسلب عليه الأعداء ، وانقلبت أحواله
 كلها ، وتغيرت ، فكان لا بد أن يقدمه ؛ لأن فيه ولدت مأساته ، وفيه ترعرعت ،
 فاللفظ يترتب بحسب ترتيب المعاني في النفس .

قال الشيخ عبد القاهر :

" . . . وأما نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك ؛ لأنك تقتفي في نظمها آثار

المعاني ، وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس " (١)

ثم نكر لفظ الدهر ليعين عظم البلوى التي تحيط به ، أو أن تنكير الدهر جاء
 تبعاً لإنكار النفس له ، فقد أصبحت نفسه تنكر هذا الدهر ، فهو زمن منكر
 عجيب ، فليس هو الزمن الذي مر به وعاش فيه أيام كان سيداً مطاعاً على الأهواز .
 جاء في خصائص التراكيب :

" تجد أنه نكر دهرًا ليشير بهذا إلى أنه دهر منكر مجهول ، فليس

هو الدهر الذي عهده الشاعر أيام نعمته وولايته على الأهواز ، وقد كان

الشاعر عاملاً عليها من قبل الواثق بالله ثم عزل في وزارة محمد بن عبد الملك

الزيات ، فهو ضائق ضجربد هر غادر . . . " (٢)

(١) الدلائل - رضا - : ٤٨ ، خفاجي : ٩٨ ، شاکر : ٤٩ .

(٢) خصائص التراكيب : ١٦٥ .

ويرى الدكتور مندور أن الشاعر نكّر لفظ " دهر " ليفرده ويجعله دهرًا خاصًا به ، دهرًا غدارًا ابتلاه به القضاء المحتوم . (١)

وانظر إلى بناء الفعل " أنكر " للمجهول ، وما فيه من إيهام أن الإنكار ليس منه وحده ، وإنما هو عام ؛ لأن القصد إثبات الفعل دون أن يلاحظ تعلقه بفاعل معين ، فمهم الشاعر بيان أن هذا الصاحب أنكر ، ولا يهم أن يكون هو ، أو غيره الذي أنكره ، ويتضح هذا المعنى لو فرضنا أن الشاعر قال : " وأنكرت صاحبًا " إذ يبدو أن المراد هنا أن يذكر إنكارا ، وأن ينسبه إلى نفسه ، وعند بناء الفعل للمجهول يسقط الحديث عن النفس ، ويبقى في الصورة الإنكار وحده .

فالشاعر يريد من الصاحب إنسانًا معينًا هو محمد بن عبد الملك الزيات ، وإنما نكّره لئلا يوقع الإنكار عليه ، فما زال الشاعر يرجو بعد هذا محمداً ، هذا إلى ما في معنى التنكير من التهويل ، ولو قال : " وأنكرت صاحبي " لذهب كل هذا . وفي تنكير لفظ " نصير " تجسيد لألم الشاعر ، وتجسيد لمأساته ، فالذي غاب عنه في محنته هذه ليس فرداً واحداً ، وإنما هم أفرادٌ عديدون خذلوه ، ولم ينصروه . وفي بناء الفعل " سُلط " للمجهول ، وتنكير " أعداء " تصوير لتكالب الأعداء عليه . " وإذا كان تنكير الدهر ، وهو الشيء الواحد المعروف بوحده يفيد الإفراد ، فإن تنكير " صاحب " ، وأعداء " ، ونصير يفيد الإطلاق ، ويشعرنا بضيق الشاعر ، فهو ينكر كل صاحب لما كان من غدر ، وأولئك الصحاب ، وهو يريد أن كل عدو قد سلط ، وأن كل نصير قد غاب ، تنكير المتعدد أفاد الإطلاق ، والأمر في تنكير " مقادير وأموال " يشبه تنكير " دهر " فهو يخصصهما بالشاعر ويجعلها وقفًا عليه . (٢)

(١) في الميزان الجديد : ١٩١ .

(٢) المرجع السابق : ١٩١ - ١٩٢ .

فالشاعر هنا يذكر أربعة أمور: تنكر الدهر له وتحوله عنه ، وتغير صاحبه عليه ، وسلطان الأعداء عليه ، وتخلي الأنصار عنه ، وشر ما في الجميع تسلط الأعداء عليه ، بعد أن كانوا مغلوبين مقهورين .

ورأى الدكتور محمد أبو موسى أن تنكير " صاحب " هنا يدل على أنه صاحب لئيم حقير ، غير معروف بالصحة ، ولا مشهور بخلالها ، وأن تنكير " أعداء " للتحقير والتهوين من أمرهم . قال :

" وقد أراد بقوله " وأنكر صاحب " أنكرت صاحباً ، ولكنه جاء على هذا الأسلوب حتى لا يسند إنكار الصاحب إلى نفسه صريحاً في اللفظ ، وإن كان صاحباً لئيمًا محتقراً غير معروف بالصحة ، ولا مشهور بخلالها . وتنكير الأعداء في قوله : " وسلط أعداء " فيه معنى التحقير ، وقلة الشأن ، وأنهم ليسوا من مشاهير الرجال ، ورمز ببناء الفعل للمجهول في قوله " وسلط " إلى أنهم أداة في أيدي غيرهم لا يملكون من أمرهم شيئاً ، فهم لا يستطيعون عداوتي إلا إذا دفعوا إليها من مجهول ساقط (١) . وفي كلا الرأيين نظر :

أما أولاً : فلأنه يريد بالصاحب هنا " محمد بن عبد الملك الزيات " وهو يقول في البيت الثالث : " وإني لأرجو بعد هذا محمداً " فكيف يرجوه وهو يحقره ؟ !

ولأن تعظيم الصاحب الذي أنكره أدل على عظم المصائب من تحقيره ، وهو إنما أراد بالبيت الأول أن يهول مصابه ؛ ليكون هذا سبباً قوياً في تنمية البعد عن الأهواز .

وأما ثانياً : فلأن الأعداء الذين سلطوا عليه لولم يكونوا ذوي خطر لما هالهم أمرهم ؛ ولأن يكونوا أعداء أقوياء حاقدين أنسب من أن يكونوا حقراء ؛ لأنه حينذاك لا يابيه لعداوتهم ، فهي لا تضره ، وإنما يقلقه أنهم يستطيعون ضره .

وبناء "سلط" للمجهول دعا إليه أن التسليط كان من صاحبه محمد بن عبد الملك، وهو لا يريد أن يذكر أنه أغرى به أعداءه لأسباب واضحة . - هكذا يبدو لي . -
ومن المعاني الثرة في هذه الأبيات اختياره الفعل المضارع " تكون " مع أن الحديث في البيت قبله كان بالماضي ؛ لأن الفعل المضارع يدل على المستقبل فيصور بذلك آمنيات الشاعر وأحلامه في أن يتحول هذا الزمن المليء بالآلام ، وتصبح داره في منجاة ، وكأنه يعرض أمنيته هذه على صديقه القديم ، ويؤكد له رجاءه فسي أن يحقق له هذه الأمنية ، وهذا الحلم الممتع ، فمثله يرجى في الملهمات .
فتصويره أمر نجاته، وكأنه أمر محقق وتوكيد هذا المعنى في البيت الذي يليه بقوله ، وإنِّي لأرجو " باستعمال "إن" المؤكدة ، ولام التوكيد في " لأرجو " ، وتكبير لفظ أخ ، ووزير ؛ لتعظيم شأنه والإعلاء من قدره ، وتوكيد أنه لا منقذ له ما هو فيه إلا محمد هذا ، وأنه لن يقصد أحداً غيره ؛ لقدرته على ذلك دون سواه كل ذلك ليحث صديقه على الشروع والمبادرة في إنقاده ، والإسراع في تلبية رغبته ، وتحقيق حلمه .

ورأى الدكتور مندور أن الشاعر " . . آختر المضارع " تكون " على الماضي " كان " ؛ لأن المضارع هنا نحس في دلالاته معنى الحالة المستمرة المنسحبة من الماضي إلى الحاضر والمستقبل ، والشاعر ودَّ عندما نبأ الدهر لو تكون داره عن الأهواز بنجوة ، تكون حتى قبل نبأ الدهر - تكون وتستمر كذلك ؛ لأن الدهر قد أثبت بنبوه تلك المرة أنه قادر على الغدر في كل حين ، ومن الخير أن نقدر ذلك الغدر في كل حين ، وإنّ المفاضلة بين الماضي والمضارع ليست مفاضلة بين ألفاظ بل بين معانٍ ، وعلى الأصح بين حالات نفسية بأكملها (١) .

ومن الدقائق التي لم يشر إليها الشيخ ابتداء الأبيات بحرف التمني " لو "

(١) قضايا النقد الأدبي : ٣٦٤ ، وانظر كذلك النقد التحليلي : ٢١٠ .

وماله من إحياءات ومعانٍ نفسية ، فـ " لو " هنا للتمنى ، والتمنى تلازمه الحسرة ،
ويكون في الأمور المتعذرة أو المستحيلة ومن هنا عظمت النكبة على الشاعر .

ذكر الدكتور محمد زكي العشماوي أن الشاعر قال أبياته هذه عندما أحس
بالإشاعات المفروضة التي أخذت تتردد بين الناس عن احتمال عزله وتجريد
من منصبه ، ولقد زاد أمر هذه الشائعات ما جعل الشاعر يتبرم ويضيق ، فعبر بهذه
الأبيات عما تكنه نفسه .

ويبدو من أسلوب الشاعر ، والعبارات الموحية في أبياته أنه قالها حين حل به
البلاء ، ونزل به القضاء ، فعاش إحساس الضيق والتبرم ، ولم يكن مجرد شعور ،
ولم تكن مجرد إشاعات ، بل هي تجربة أليمة عاشها فعبر عنها أحسن ما يكون
التعبير ، وصورها أدق ما يكون التصوير .

٢ - مزايا النظم بحسب المعاني والأغراض .

يرى الإمام عبد القاهر أن الفضل والمزية في الكلمة يكون بحسب الموضع ، وبحسب المعنى الذي يُراد ، والغرض الذي قيلت فيه ، فشبه المعاني بالأصباغ التي تُعمل منها الصور والنقوش ، فليس الفضل في ذات اللون بل الفضل والحسن في كيفية مزجه وتوزيعه على أجزاء الصورة .

فالإنسان قبل أن يعتمد إلى صبيغ ثوبه نراه يتخير ، ويتدبر في أنفُس الأصباغ ، وفي مواقعها ، ومقاديرها ، وكيفية مزجها وترتيبها ، فيجيء بذلك نقشه أعجب ، وصورته أغرب ، وكذلك حال الشاعر في اختياره ، وتفكيره ، وتدبيره ، وتوجيهه معاني النحو ، ومعرفة وجوهه . قال الشيخ :

" . . . بل ليس من فضل ومزية إلا بحسب الموضع ، وبحسب المعنى الذي تريد والغرض الذي تؤمُّ ، وإنما سبيل هذه المعاني سبيل الأصباغ التي تعمل منها الصور والنقوش ، فكما أنك ترى الرجل قد تَهْدَى في الأصباغ التي عمل منها الصورة والنقش في ثوبه الذي نسج ، إلى ضرب من التخيّر والتدبّر في أنفُس الأصباغ وفي مواقعها ومقاديرها ، وكيفية مزجه لها ، وترتيبه إيّاها إلى ما لم يكن يتهدّى إليه ^(١) صاحبه ، فجاء نقشه من أجل ذلك أعجب ، وصورته أغرب ، كذلك حال الشاعر ، والشاعر فسي توخيها معاني النحو ، ووجوهه التي علمت أنها محصول النظم ^(٢) .

ثم أشار الشيخ إلى أن الحسن أحيانا لا يتم إلا بمعرفة أجزاء القصيدة وانضمام الأبيات بعضها إلى بعض . قال :

" واعلم أن من الكلام ما أنت ترى المزية في نظمه والحسن كالأجزاء من الصبغ تتلاحق ، وينضم بعضها إلى بعض حتى تكثر في العين ، فأنت لذلك

(١) في نسخة شاكر : " ما لم يتهدّى إليه صاحبه " .

(٢) الدلائل ، رضا : ٧١ ، خفاجي : ١٢٨ ، شاكر : ٨٧-٨٨ .

لا تكبر شأن صاحبه ، ولا تقضي له بالحدق ، والأستاذية ، وسعة الذرع ،
وشدة المنة حتى تستوفي القطعة ، وتأتي على عدة أبيات (١) .

ثم ذكر الشيخ أن الأبيات الحسنة ذات النمط العالي الشريف ، والكلام الفاخر
نادرة ، فالإنسان يحتاج إلى أن يفلي ديواناً بكامله حتى يجمع منه عدة أبيات ،
ثم ذكر من هذا النمط العالي الأبيات الآتية :

الشاهد الرابع والثلاثون : (*) (الوافر)

قول الشاعر (٢) :

تَنَانَا لِيَلْقَانَا بِقَسْمٍ . : تَخَالُ بَيَاضَ لَأْمِهِمُ السَّرَابَا (٣)
فَقَدْ لَاقَيْتَنَا قَرَأَيْتَ حَرْبًا (٤) . : عَوَانًا تَمْنَعُ الشَّيْخَ الشَّرَابَا (٥)

- (١) الدلائل ، رضا ، ٧٠ ، خفاجي : ١٢٩ ، شاكر : ٨٨ .
(*) الدلائل ، رضا : ٧١ ، خفاجي : ١٢٩ ، شاكر : ٨٩ .
(٢) هوزياد بن حنظلة التميمي صحابي ، بعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى قيس بن عاصم ، والزبرقان بن بدر وليتعاونا على مسيلمة وطلحة ، وشهد
مع أبي بكر حرب مانعي الزكاة يوم الأبرق / انظر الخبر في :
تاريخ الطبري : ٢٤٧ / ٣ ، ٢٤٨ ، معجم البلدان : ١ / ٦٨ .
(٣) لَأْمِهِمُ : اللّامُ مُجْمَعٌ لَأْمَةٍ ، وهي الدرع ، ويجمع أيضا على لُؤْمٍ مثل نُفَرٍ ، على غير
قياس كأنه جمع لُؤْمَةٍ ، واللّامة مهموزة : الدرع ، وقيل السلاح ، ولأمة الحرب :
أداتها ، وقد يترك الهمز تخفيفا ، ويقال للسيف لأمة ، وللمرّح لأمة ، وإنما
سُمِّيَتْ لَأْمَةً لأنها ثلاثم الجسد وتلازمه ، وقال بعضهم : اللّامة الدرع الحصينة
سميت لأمة لإحكامها وجودة حلقها / اللسان " لأم " : ١٢ / ٥٣٢ .
(٤) عَوَانَا : الحرب العوان المترددة ، قُوئل فيها مرة بعد مرة / اللسان :
" عون " : ١٣ / ٢٩٩ .

(٥) لم أجد البيتين فيما رجعت إليه من مصادر ، والذي وجدته بيتان هما
فيما بيد وقبل بيتي الشاهد ، وهما :

وَيَوْمَ بِالْأَبَارِقِ قَدْ شَهِدْنَا . : عَلَى ذُبْيَانٍ يَلْتَهَبُ التَّهَابَا
أَتَيْنَاهُمْ بِدَاهِيَةٍ نَسُوفٍ . : مَعَ الصَّدِيقِ إِذْ تَرَكَ الْعِشَابَا

وهما لزياد بن حنظلة أنشدهما في الموقعة التي كانت بين أهل الردة وأبي بكر

ذكرهما الشيخ من غير نسبة ، وأشار إلى أن أبا بكر الصديق رضوان الله عليه ،
قد تمثل بهما حين أتاه كتاب خالد بالفتح في هزيمة الأعاجم ، وهما الزيد بن حنظلة الحميري .
والشاهد فيهما أن جمال البيتين يكمن في أن " الفاء " وقعت موقعهم —
اللائق بها . قال :

" انظر إلى موضع " الفاء في قوله :

(١)
" فَقَدْ لَا قَيْتَنَا فَرَأَيْتَ حَرْبًا "

فـ " الفاء " هنا وقعت موقعاً رائعاً ، حيث ربطت بين معنيين ، وموقعين متغايرين ،
فالشاعر يذكر أن عدوه تمنى وأحب لقاءه ؛ لأنه كان واثقاً من النصر لغروره بكثرة
عدته وعتاده ، ثم جاء بـ " الفاء " ، " فَقَدْ لَا قَيْتَنَا " التي طوت الزمن ، وطوت كثيراً
من الأحداث ، ونقلتنا بسرعة إلى نتيجة اللقاء ، وهذا هو الخبر المهم الذي أراد
أن يطلعنا عليه الشاعر ، ثم جاء بـ " الفاء " في قوله : " فرأيت " ، فدلّت على
أنه على الرغم من كثرتهم الكاثرة تمت هزيمتهم في وقت قصير وبسرعة عجيبة ،
" فالفاء " هنا عملت على إشباع نفوسنا بالسخرية من ذلك العدو ، وازدراء عدته
وعتاده .

وكذلك نجد في قوله : " تمنع الشيخ الشربا " لمحة جمالية ، فقد جسد لنا
صورة الحرب التي دارت ، وأبرز شدتها وضراوتها ، فمن المتعارف عليه في الحروب
قديماً أن الشيوخ والأطفال والنساء يكونون دائماً في مأمن ، أما هذه الحرب
لهولها وفظاعتها نزعَت الأمان من قلوب الشيوخ حتى أنهم لم يجروؤا على الطعام
والشراب .

• ذكر الأستاذ محمد زكي العشماوي أن الشيخ عبد القاهر استطاع أن يكشف

=== الصديق ، ووقعت في موضع يقال له : أَبْرَقُ الرَّيْدَةِ ، وهو من منازل بني

ذبيان ، فغلبهم عليه أبو بكر . / معجم البلدان : ٦٨ / ١ .

(١) الدلائل ، رضا : ٧١ ، خفاجي : ١٢٩ ، شاكر : ٨٩ .

في كتابه " دلائل الاعجاز " ، وهو بصدد الحديث عن فكرة النظم عن كثير من الأسرار الكامنة في عوامل الصياغة ، ويثبت لنا أن حرفاً واحداً يقع موقعه من الكلام يمكنه أن يرفع القيمة الفنية والجمالية إلى مستوى لم يكن الكلام يبلغه لولا مجيء هذا الحرف في مكانه من التعبير ، فحرف " الفاء " في بيتي الشاهد يكشف لنا عن الأثر الذي يتركه هذا الحرف فيهما ، ومبلغ ما يمنحه هذا الحرف الواحد من الفضل ، وما يضيفه على المعنى من ظلال ، فـ " الفاء " ، هنا استطاعت أن تصل بين موقفين متباينين تماماً يتلو الواحد منهما الآخر ، ويناقضه ، وتقف " الفاء " بينهما لتكشف النقاب عن خيبة الأمل التي انتهت إليها هذا الدعي المغرور الذي كان يظن أن لديه القدرة على سحق خصومه ، والذي بلغ به الاعتداد ، والثقة بالنفس أن يتمني اليوم الذي يلتقي فيه مع خصومه في حرب حتى يذيقهم درساً لا ينسونه ، وحتى ينتقم منهم ويتشفى ، فإذا الحرب تقوم ، وإذا الأمل العريض الواسع ينتهي إلى حقيقة مرة ساخرة ، وإذا الأمور تنقلب عن وجهها ، فينهزم أمام خصومه أي هزيمة .

وهكذا ترى أن كثيراً ما يشعر به القاري ، عقب قراءته لهذه البيت من معاني السخرية والتهكم ، بل التشفي فيما انتهى إليه هذا الخصم المغرور ، إنما يكن في الوصل بـ " الفاء " بين البيتين ، وفي براعة الشاعر ، وقد رته على الاستفادة من حرف " الفاء " ، الذي عرف كيف يضعه الموضع اللائق به ، فإذا كان حرف واحد في موضع معين من الكلام قد حمل كل هذه المعاني والمشاعر ، ولون البيت بعاطفة محددة وجعلها قادرة على أن تبلغ تأثيرها المطلوب ، فكيف بعوامل الصياغة الأخرى ؟^(١)

(١) قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث : ٣٩٦ - ٣٩٨ .
وعنه أخذ الدكتور أحمد عبد السيد الصاوي في كتابه النقد التحليلي :

الشاهد الخامس والثلاثون : (*) (البسيط)

قول العباس بن الأحنف (١) :

قَالُوا خُرَاسَانُ أَقْصَى مَا يَزِيدُنَا . . . ثُمَّ الْقُفُولُ فَقَدْ جِئْنَا خُرَاسَانًا (٦) (٥) (٤) (٣) (٢)

- (*) الدلائل ، رضا : ٧١ ، خفاجي : ١٣٠ ، شاكر : ٩٠ .
 (١) هو العباس بن الأحنف بن الأسود الحنفي اليمامي ، أبو الفضل " ١٩٢-... " هـ
 شاعر غزل ، قال عنه البحثري أنه أغزل الناس أصله من اليمامة ، وسكن أهلها
 البصرة وبها مات أبوه ، ونشأ هو ببغداد ، وتوفي بها وقيل بالبصرة ،
 وهو خال إبراهيم بن العباس الصولي ، كان العباس بن الأحنف رقيق
 الحاشية لطيف الطباع ، جميع شعره في الغزل / انظر ترجمته :
 الشعر والشعراء : ٢ / ٨٣١ - ٨٣٥ ، الأغاني :
 ٨ / ٣٥٢ - ٣٧٥ ، تاريخ بغداد : ١٢ / ١٢٧ ، ١٣٣ ، وفيات
 الأعيان : ٣ / ٢٠ - ٢٦ ، البداية والنهاية : ١٠ / ٢٠٩ - ٢١٠ ،
 الأعلام : ٣ / ٢٥٩ .

(٢) خراسان إقليم معروف ، ومعنى خُر : كُلُّ ، وأسان : معناه سهيل أي
 كُلُّ بلا تعب ، وقيل : معنى خراسان بالفارسية : مطلع الشمس
 والعرب إذا ذكرت المشرق كلة قالوا فارس ، فخراسان من
 فارس / انظر :

معجم ما استعجم : ٢ / ٤٨٩ - ٤٩٠ .

(٣) رواية مصارع العشاق : " أقصى مانحاوله " .

(٤) رواية مصارع العشاق : " ودون ذاك " .

(٥) رواية المصارع : " فقد جُزْنَا " .

(٦) انظر البيت في :

ديوانه - دار صادر - : ٣١٢ .

وقد أشار جامع الديوان إلى أن البيت لم يرد في أصول الديوان ،
 وانما أخذه عن رواية الأغاني .

الأغاني : ٨ / ٣٧٢ ، مصارع العشاق : ٢ / ٢٠٠ .

والشاهد مطلع قصيدته التي قالها حين خرج إلى خراسان بصحبة الرشيد
- وكان قد ألفه - وطال مقامه بها ، ثم خرج إلى أرمينية^(١) فعارضه في طريقه ،
فأنشده الأبيات^(٢) :

وبعد الشاهد :

مَتَى يَكُونُ الَّذِي أَرْجُو وَأَمْلُهُ . . . أَنَا الَّذِي كُنْتُ أَخْشَاهُ فَقَدْ كَانَتْ^(٣)
مَا أَقْدَرَ اللَّهَ أَنْ يُدْنِي عَلَيَّ شَحْطِ^(٤) . . . جِيزَانَ بِجَلَّةٍ مِنْ جِيزَانَ جِيحَانَا^(٥)
جِيحَانَا^(٦)

(١) أرمينية : ناحية بين آذربيجان والروم ذات مدن وقلاع وقرى كثيرة ، أكثر
أهلها نصارى ، بها جبلان عظيمان : جبل الحارث والحويرث لا يقدر
أحد على ارتقائهما . / انظر :

أثار البلاد وأخبار العباد : ٤٩٥ - ٤٩٦ .

(٢) الأغاني : ٣٧٢ / ٨ .

وجاء في مصارع العشاق أنه لما خرج المأمون إلى خراسان كان في بعض
الليل جالسا في ليلة مقمرة إذ سمع مغنيا يغني من خيمة له :
قَالُوا خُرَاسَانَ أَقْصَى مَا نَحَا لُحُهُ . . . وَدُونَكَ فَقَدْ جُزْنَا خُرَاسَانَا
فخرج المأمون من موضعه حتى وقف على الخيمة وعلمها ، فلما كان من الغد
وجه ، فأحضر صاحب الخيمة ، وهو شاب ، فسأله عن اسمه ، فقال : العباس
ابن الأحنف ، قال أنت الذي كنت تقول :

مَتَى يَكُونُ الَّذِي أَرْجُو وَأَمْلُهُ . . . أَنَا الَّذِي كُنْتُ أَخْشَاهُ فَقَدْ كَانَتْ
قال : نعم ، قال : ماشأئك ؟ قال : يا أمير المؤمنين تزوجت ابنة عم لبي ،
فنادى مناديك يوم أسبوعي في الرحيل إلى خراسان ، فخرجت ، فأعطاه
رزق سنة ورده إلى بغداد ، وقال : أقم إلى أن تنفقه فإذا نفدت رجعت .

(٣) ذكر في مصارع العشاق بعد الشاهد :

مَا أَقْدَرَ اللَّهَ أَنْ يُدْنِي بِعِزَّتِهِ . . . سُكَّانَ بِجَلَّةٍ مِنْ سُكَّانِ جِيحَانَا / :

٢ / ٢٠١ .

(٤) رواية مصارع العشاق : " بعزته " .

(٥) رواية المصارع : " سكان " .

(٦) رواية المصارع : " سكان " .

(١) عَيْنَ الزَّمَانِ أَصَابَتْهَا فَلَا تَنْظُرُ . . . وَعُدَّتْ يَفْنُونَ الْهَجْرَ الْوَنَانَا
(٢)
(٣) يَأْتِيَتْ مَنْ نَتَمَنَّى عِنْدَ خَلْوَتَيْهَا . . . إِذَا خَلَا خَلْوَةٌ يَوْمًا تَمَنَّا

أشار الشيخ إلى أن سر الجمال يكمن في موضع " الفاء " و " ثم " قبلها .

قال :

" انظر إلى موضع " الفاء " و " ثم " قبلها (٤) .

• يشكو العباس في هذه الأبيات كثرة الترحال ، وعدم الاستقرار ، ويشكو الحنين إلى بلده ، ولكنه لا يستطيع أن يصرح بذلك تصريحاً مكشوفاً ، لأن الرشيد كان يصحبه معه لألفته به ، فكيف يواجه شعور الألفة ، بشعور التبرم صراحة ؛ لذا نرى الشاعر لجأ إلى أسلوب يبرز مشاعره ، وينقل إحساسه من غير تصريح ، فقال :

" قَالُوا خُرَاسَانُ أَقْصَى مَا يَزَاؤُنَا " ، ولم يحدد من القائل بل ترك هذه الكلمة تنبه إحساس القائل بأنه قد أعطى وعداً بأن آخر مطافهم هو بلاد خراسان ، ولكن الشاعر عندما رأى الحقائق تغيرت أصابه الملل والضجر ، وقوله : " ثم القبول " جعل " ثم " تحمل معنى الاستبعاد ، فهي هنا لا تدل على التراخي ، لأن السياق لا يتحمل هذا المعنى ، فالتراخي لا يتلاءم مع إحساس الشاعر بالضجر والتبرم ، فالأحداث والأفعال قبل " ثم " مهيئة لعدم حصول ما بعد ها (٥) .

وحملت " ثم " معنى الحسرة ، لأن أمر القول والرجوع إلى الأوطان أصبح بعيداً في نفس

الشاعر بالنسبة للاقتراب ، والبقاء في خراسان .

ونفسية الشاعر كانت مهيأة للبعد عن الديار لفترة محدودة أقصاها بسلام خراسان ، وعندما زادت المدة فوجي ، الشاعر فأصابه القلق ، والملل ، والضجر ، وأحس بالضيق لإخلاف الوعد ، وغالبه الشوق والحنين إلى الديار فجاء بـ " الفاء " ليحملها

(١) رواية المصارع : " عَيْنًا أَظُنُّ " .

(٢) رواية المصارع : " بصنوف " .

(٣) ديوانه : ٣١٢ .

(٤) الدلائل ، رضا : ٧١ ، خفاجي : ١٣٠ ، شاكر : ٩٠ .

(٥) البلاغة القرآنية عند الزمخشري ، محمد أبو موسى : ٢٣٨-٢٣٩ .

كل هذه المعاني ، فحطت بذلك كثيراً من المعاني النفسية والشعورية التي كانت تثقل نفس الشاعر ، ولا يستطيع أن يجهر بها ، ويصرح ، ونرى الشاعر بعد ذلك يلجأ إلى تسلية نفسه وتصبيرها ، فأخذ يتأمل ويحلم بالرجوع ، فجاء بالاستفهام يحمله أحلامه ورغباته في العودة فقال : " متى يكون " ثم جاء بالاسم الموصول " الذي " فحمله كل رجائه ، فلفظ " الذي " يرمز إلى رغبته في العودة ، ثم بين أن الأمر الذي يخشاه فاجأه بالتحقق والحصول : " فقد كانا " فالفاء هنا جاءت مفاجأة للشاعر ، فصدت أحلامه ، وحطمت آماله " فأحسن مواقع الفاء ما تدل فيه على المفاجأة " وقد لاحظ الزمخشري هذا (١) في قوله تعالى : ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ ﴾ (٢) ، قال : " هذه المفاجأة بالاحتجاج والإلزام حسنة رائعة وخاصة إذا انضم إليها الالتفات ، وحذف القول ، ونحوها قوله تعالى . . . وقول القائل :
قَالُوا خُرَاسَانُ أَقْصَى مَا يَرَادُ بِنَا . . ثُمَّ الْقَوْلُ فَقَدْ جِئْنَا خُرَاسَانًا (٣)
والفاء هنا دللت أيضاً على تحقق الأمر الذي يكره .

الشاهد السادس والثلاثون : (*) (الطويل)
قول ابن الدمينه : (٤)

أَبِينِي أَفِي يُمَتَّى يَدَيْكَ جَعَلْتَنِي . . فَأَفْرَحَ أُمِّ صَيْرَتَنِي فِي شَيْءٍ سَالِكٍ

(١) البلاغة القرآنية عند الزمخشري : ٢٤٠ .

(٢) الفرقان : ١٩ .

(٣) الكشف : ٣ / ٨٦ .

(*) الدلائل ، رضا : ٧١ ، خفاجي : ١٣٠ ، شاکر : ٩٠ .

(٤) ابن الدمينه : الدمينه أمه ، وهي الدمينه بنت حذيفة السلوليه ،

واسمه عبدالله بن عبيد الله ، أحد بني عامر بن تميم بن مُبَشَّر بن

أكلب بن ربيعة بن عفرس بن حلف بن أفتل ، وكان يهوى امرأة من

قومه يقال لها أميمة . /

انظر ترجمته وأخباره في :-

نوادير المخطوطات : " أسماء المغتالين " : ٢ / ٢٦٩ - ٢٧١ ، نوادر

المخطوطات : " كتاب من نسب إلى أمه من الشعراء " : ١ / ٨٨ ،

الشعر والشعراء : ٢ / ٧٣٥ - ٧٣٦ ، الأغاني : ١٧ / ٩٣ - ١٠٦ .

أَبَيْتُ كَأَنِّي بَيْنَ شَقِيمَيْنِ عَصَا (١) . جَذَارَ الرَّدَى أَوْ خِيفَةً مِنْ زِيَالِكَ
تَعَالَلْتُ كَيَ أَشْجَى وَتَايِكَ عِطَّةٌ (٢) . تُرِيدُ بَيْنَ قَتْلِي قَدْ ظَفِرْتُ بِذَلِكَ (٣)

(١) ذكر الدكتور محمد غنيمي هلال في كتابه "قضايا معاصرة" : ٦٦ .

رواية أخرى للبيت لم أقف عليها، وهي :

أَبَيْتُ كَأَنِّي بَيْنَ شَقِيمَيْنِ مِنْ رَحَى .

ويبدو أن هذه الرواية أفضل، لأن الشاعر يشكو شدة حاله ، ووجده ، فشقا

الرحى آنق في التعبير، وأدق في تصوير حاله فهي أشد إيلا ما له .

(٢) رواية العقد الفريد، وأمالى القالي : "تَمَارَضْتُ" .

(٣) وهذه الأبيات بهذا الترتيب تفرد بها الشيخ عبد القاهر، فلم أجد ها كذلك

في ديوانه ، ولا في المشهور من كتب الأدب - على حسب المراجع والمصادر

التي رجعت إليها - ، فذكر في الديوان من هذه الأبيات .

البيت الأول فقط وقبله :

أَرَى النَّاسَ يَرْجُونَ الرَّيِّعَ وَإِنَّمَا . رَجَائِي الَّذِي أَرْجُو جَدَى مِنْ نَوَالِكَ

وبعده :

لَئِنْ سَاءَ نِي أَنْ نَلْتَبِي بِمَسَاءَةٍ . لَقَدْ سَرَّنِي أَنِّي خَطَرْتُ بِبَالِكَ

وكذلك في أمالي الزجاجي لم يذكر إلا البيت الأول فقط، وذكر قبله :

لِيَهْنِكَ إِسْكَارِي بِكَفِّي عَلَى الْحَشَا . وَوَرَقَاتِي عَيْنِي خَشْيَةً مِنْ زِيَالِكَ

وبعده :

أَرَى النَّاسَ يَرْجُونَ الرَّيِّعَ وَإِنَّمَا . رَجَائِي الَّذِي أَرْجُو رَجَاءُ وَصَالِكَ

وفي العقد الفريد ذكر البيت الثالث فقط، وبعده :

وَقَوْلِكَ لِلْعَوَادِ كَيْفَ تَرَوْنَهُ . فَقَالُوا قَتِيلًا قُلْتُ أَهْوَنُ هَالِكَ

لَئِنْ سَاءَ نِي أَنْ نَلْتَبِي . . .

وكذلك في أمالي القالي . ذكر البيت الثالث فقط، وذكر بعده :

لَئِنْ سَاءَ نِي أَنْ نَلْتَبِي . . .

وفي المفتاح لم يذكر إلا البيت الثالث فقط .

وفي الحامسة البصرية ذكر أيضا البيت الثالث فقط وذكر قبله :

أَرَى النَّاسَ يَخْشَوْنَ السَّيِّئِينَ وَإِنَّمَا . سِنِّيَّ الَّتِي أَخْشَى صُرُوفُ احْتِمَالِكَ

وبعده :

والأبيات من قصيدة مطلعها :

(١) قَفِي يَا أُنَيْمَ الْقَلْبِ نَقْضُ لِبَانَةٍ . . . وَتَشْكُ الْهَوَى ثُمَّ أَفْعَلِي مَا بَدَا لَكَ
(٢)

==== وَقَوْلِكَ لِلْعَوَّارِ كَيْفَ تَرَوْنَهُ . . .

وكذلك ذكر في الإيضاح، وشرح أبياته البيت الثالث فقط .

وفي أنوار الربيع ذكر البيت الأول، والثالث إلا أنه ذكر البيت الثالث أولاً، ثم

أعقبه بقوله : تَقُولِينَ لِلْعَوَّارِ كَيْفَ تَرَوْنَهُ . . .

لَيْسَ سَاءَ نِي أَنْ نَلْتَبِئِي . . .

أَبِينِي أَفِي يُعْنَى يَدِيكَ جَعَلْتَنِي

وفي الكشكول للعالملي ذكر عدة أبيات من ضمنها البيت الثالث والأول ،

وذكر البيت الثالث أولاً ويَعْدُهُ : لَيْسَ سَاءَ نِي أَنْ نَلْتَبِئِي . . .

ثم ذكر البيت الأول .

وفي شرح الحماسة للمرزوقي، وأمالى المرتضى، والزهرة ذكرت عدة أبيات من

القصيدة ، ولم يُذكر ضمنها أبيات الشاهد . / انظر :

ديوان ابن الدمينه : ١٧ ، العقد الفريد " دار الفكر " : ٢٠٦ / ٢ ، أمالي

الزجاجي : ١٠٨-١٠٩ ، الأغاني - : ١٧ / ٩٢ ، أمالي القالسي :

٣٠ / ١ ، الأشباه والنظائر للخالد بين : ٢ / ٥٦ ، معاني أبيات الحماسة :

١٨٩ ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٣ / ١٣٠٧-١٣٠٨ رقم (٥١٠) ،

أمالي المرتضى : ١ / ٩٥ ، شرح الحماسة للتبريزي : ٣ / ١٤٨-١٤٩ ، المفتاح :

٨٥ ، الحماسة البصرية : ٢ / ١٠٦-١٠٧ ، الإيضاح : ١ / ١٥٥ ، شرح

أبيات الإيضاح - فيض الله - ورقة : ٢٣ ب ، أنوار الربيع : ٤ / ٥١ ،

٢٢٢٧-٢٢٢٨ ، الكشكول : ٢ / ٣ / ٧٢ .

(١) اللبانة : الحاجة من غير فاقسة ، ولكن من همة / " اللسان مادة " لبس "

٣٧٧ / ١٣ .

(٢) هذا البيت منسوب في الزهرة لخليفة بن روح الأسدي : ١ / ٨٦ ، ذكر محقق

الديوان أنه يروى : " تَشْكُ الَّذِي بَنَّا وَقَرَّطَ الْهَوَى " .

وفي الأمالي للزجاجي، والمرتضى، والزهرة والأشباه، والحماسة البصرية :

" تَقْرَأُ تَحِيَّةً - وَتَشْكُو الْهَوَى "

==== وفي رواية شرح الحماسة للمرزوقي ومعاهد التنصيص ، ورواية معاني

وموضع الشاهد في الأبيات في البيت الثالث وهو قوله :

" تُرِيدِينَ قَتْلِي قَدْ ظَفِرْتَ بِذَلِكَ "

قال الشيخ : " انظر إلى الفصل والاستئناف في قوله :

" تُرِيدِينَ قَتْلِي قَدْ ظَفِرْتَ بِذَلِكَ "

• إن الفصل والاستئناف اللذين أشار إليهما الشيخ ليس في ذاتهما يكن سر الجمال ، ولكنهما استطاعا أن يحددا موقعا من المواقع الفنية العجيبة في الأبيات ؛ لأنهما جاءا عقب هذا التقديم الذي قدم به الشاعر لموقفه من حبيبته ، فهنا في حالة اضطراب نفسي ، فصاحبته تستعمل معه سياسة الكر والفر ، فهي لاتعطي حتى تمنع ، وهي إن لانت وأسمحت يوماً عصت واستعصت أياً ما ؛ لذا وقع الشاعر في حيرة من أمر محبوبته أهى تكن له الود والمحبة ؟ فكنتى عن ذلك بقوله :

" أفنى يمنى يدك جعلتني " ؛ لأن العرب تقول في الشيء إذا كان موضع العناية والاهتمام هو في يمينه ، أو طقاه بيمينه ، أو أخذه بيمينه ، فاليمين بركة وبشارة ، أم أنها لا تقيم لحبه وزنا ؟ وكنتى عن ذلك بقوله : " أم صيرتني في شمالك " ؛ لأن العرب تقول : صيره في شماله إذا لم يحفل به ، فالشمال شرٌّ وشؤم ، وعبر عن حيرته هذه بالاستفهام الذي آنطوى على معاني الضيق والتبرم ، وجسد مشاعر الحيرة الدائرة في نفسه .

واستعمل الفاء في قوله : " فأفرح " ؛ لأنه وجد فيها مخرجاً من يأسه ؛ ولأن هذا هو ما يتمناه ويرجوه من صاحبته ، ونراه أضرب بعد قوله في شمالك فعـلـل " فأحزن " ؛ لأن ذكر الحزن يضاعف من همه .

وصور حيرته ، وألمه ، وشدة وجده ؛ بأن شبه نفسه كالواقع بين شقي رحى ، ففراقها عنده هو الموت بعينه .

==== أبيات الحماسة : " رَقِي يَا أُمَيِّمَ الْقَلْبِ نَقْضِ تَحِيَّةً " .

وذكر ابن معصوم أن مطلع القصيدة :

رَقِي قَبْلَ وَشَكِ الْبَيْنِ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ . . وَلَا تَحْرَمِينَا نَظْرَةَ مِنْ جَمَالِكَ

ثم يذكر تلاعب صاحبه بعواطفه ، وكيف أنها تتعالم وتتعارض لتحزنه وتشجيه ؛
لأنها تعلم مكانتها في نفسه ، وعندما اشتد حزنه وألمه ، وبلغ به الصراع النفسي
كل مبلغ قطع كلامه ، وتوجه بالحديث إلى صاحبه ، وكأنه يلومها ، ويستعطفها في
آن واحد ، فقال :

” تَرِيدِينَ قَتْلِي قَدْ ظَفِرْتُ بِذَلِكَ ”

فأسم الإشارة هنا جاء ليؤدي دوره في تجسيد المعنى حيث جعل قتله أمراً
ظاهراً محسوساً بالبصر يشار إليه كما يشار إلى أي صورة محسوسة .
قال السكاكي :

” وإنما قال قد ظفرت بذلك ، ولم يقل بقتلي لادّعاءه أن قتله ظهر

ظهور المحسوس بالبصر المشار إليه باسم الإشارة (١) .

فهذا التعالم المتعمد ، والضيق الذي يحاصر نفسه ، ويكتم أنفاسه ، وموقفه
الذي لا يعلم مكانه أهو موضع اهتمام من حبيبه أم لا ؟ والاستفهام الذي يمثل
التبرم بالموقف ويمتلي بهذا الضيق ، وتلك الحيرة والثورة النفسية في قمة الأبيات ،
كل هذا يسلم في النهاية إلى استفهام أخير يركز عنده الفصل والاستئناف ،
ويحمل الصوت الحزين والنهاية المؤلمة ، ثم إن صوت الهزمة يتكرر في البيتين الأول
والثاني ؛ لأنه جعلها مثلاً لصرخته التي يعلن من خلالها عن مأساته مع صاحبه ؛
وذلك لما تمتاز به الهزمة من أنها أقوى الحروف الحلقية ، ثم جاء بالتشبيه
ليكمل التعبير عن موقف الضيق والتبرم والخوف من فراقها نهائياً ، وفي ذلك هلاك
له ؛ لأن زوالها عنه وهلاكه سيان ، وقد ربط حرف العطف ” أو ” في قوله :
” حَذَارَ الرَّدَى أَوْ خِيفَةَ مَنْ زِيَالِكِ ” بين الموقنين وسوى بينهما ، وهذه إحدى
وظائفه النحوية .

(١) المفتاح : ٨٥ ، وانظر كذلك : معاهد التصحيح : ١ / ١٥٩ .

وهكذا نحس مع الشاعر قيمة ما يحمله الفصل، ثم الاستئناف من معنى، وما يتضمنه من مشاعر عاونة وساعدت في تكوينها، وتجميعها أجزاء الكلام كلها في وحدة متكاملة (١).

وقد ذكر ابن معصوم هذه الأبيات في موضوع "الانسجام"، فهي عنده مسن الكلام العذب الألفاظ، السهل التراكيب، الحسن السبك، الخالي من التكلف والتعقيد، يكاد يسيل من رفته، وينحدر انحدار الماء في انسجامه (٢).

الشاهد السابع والثلاثون : (*) (البسيط)

قول أبي حفص الشطرنجي (٣)، قاله على لسان عُلَيَّة (٤) أخت الرشيد وقد كان الرشيد عتب عليها :

(١) انظر: قضايا النقد الأدبي : ٣٦٢ ، النقد التحليلي : ٢٠٦ ، خصائص التراكيب : ١٥٦ .

(٢) أنوار الربيع : ٤ / ٥١ ، ضا جى : ١٣٠ ، شاعر : ٩٠ .
(*) الدلائل ، رضا : ٧٢ ، ضا جى : ١٣٠ ، وكان أبوه من موالى المنصور
(٣) هو عمر بن عبد العزيز مولى بني العباس ، وفيما يقال ، وكان اسمه أعجيا ، فلما نشأ أبو حفص وتأدب غيره وسماه عبد العزيز ، نشأ في دار المهدي ، ومع أولاد مواليه ، وكان مشغوقا بالشطرنج فلقب به لغلبته عليه ، فلما مات المهدي انقطع الشاعر إلى عُلَيَّة ، وأصبح شاعرها المفضل (ت . ٢١٠ هـ) . /
انظر ترجمته في : -

الأغاني : ٢٢ / ٤٤ - ٥١ ، سمط الآتي : ٥١٢ / ١

فوات الوفيات : ٣ / ١٣٥ - ١٣٧ ، شخصيات كتاب الأغاني : ٢٥٢ .

(٤) هي عُلَيَّة بنت المهدي " ١٦٠ هـ - ٢١٠ هـ " أمها أم ولد مغنية يقال لها مكنونة كانت من جوارى المروانية ، وليست من آل مروان بن الحكم ، توفيت عُلَيَّة ولها من العمر خمسون سنة . وصلى عليها المأمون . / انظر ترجمتها في :

الأغاني : ١٠ / ١٦٢ - ١٨٦ ، شخصيات الأغاني : ٤١٠ .

(١)
لَوْ كَانَ يَنْتَعِ حُسْنُ الْفِعْلِ صَاحِبَهُ . . مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ ذَنْبٌ إِلَى أَحَدٍ
كَانَتْ عَلَيْهِ أَبْرَى النَّاسِ كُلِّهِمْ . . مِنْ أَنْ تُكَافَأَ بِسُوءٍ آخِرَ الْأَبَدِ
مَا أَعْجَبَ الشَّيْءَ تَرْجُوهُ فَتُحَرِّمَهُ . . قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنِّي قَدْ مَلَأْتُ يَدَيَّ (٢)

وموضع الشاهد في قوله : " قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ "

قال الشيخ :

" أَنْظِرْ إِلَى قَوْلِهِ " قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ " ، وَإِلَى مَكَانِ هَذَا الِاسْتِثْنَاءِ (٣)

صاغ الشاعر هذه الأبيات تعبيراً عن شعورٍ وَلِيَّةٍ نعمته ، وإِفْصَاحاً عن رَغْبَتِهَا
فِي أَنْ تَعَادَ أَيَّامُ الصَّفَاءِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَخِيهَا ، فَأَحْسَنَ الشَّاعِرُ وَأَبْدَعَ فِي نَقْلِ هَذِهِ
الرَّغْبَةِ الصَّادِقَةِ ، حَيْثُ بَدَأَ الْأَبْيَاتُ بِلَفْظِ " لَوْ " الَّذِي حَمَلَ فِي طَيَّاتِهِ مَعْنَى
الِاسْتِعْطَافِ وَالِاعْتِذَارِ وَالرَّجَاءِ ، وَأَسْنَدَ " الْمَنْعَ " لِحَسَنِ الْفِعْلِ إِسْنَاداً حِجَازِيّاً عُلِّقَتْهُ
السَّبَبِيَّةُ لِيُبَيِّنَ أَنَّ وَلِيَّتَهُ لَا يَصْدُرُ عَنْهَا إِلَّا الْفِعْلُ الْحَسَنُ ، فَإِذَا كَانَ هَذَا الْفِعْلُ
الْحَسَنُ هُوَ الَّذِي يَصُونُ الْمَرْءَ مِنْ أَنْ يَذْنُبَ فِي حَقِّ أَحَدٍ ، كَانَتْ عَلَيْهِ هِيَ
الْمُتَفَرِّدَةُ بِالْبِرَاءَةِ ؛ لِأَنَّ صِفَةَ " حُسْنُ الْفِعْلِ " قَدْ لَازَمَتْهَا ، فَلَيْسَ مِنَ الْعَدْلِ أَنْ يَسَاءَ
إِلَيْهَا آخِرُ الْأَمْرِ .

وَقَالَ " تُكَافَأُ " بَدَلِ " تُجَازَى " ؛ لِأَنَّهُ اسْتَعْظَمَ أَنْ يَذْكُرَ كَلِمَةَ " تُجَازَى " الَّتِي تَسْتَعْمَلُ
غَالِباً مَعَ الْأَمْرِ السَّيِّئِ ، وَكَأَنَّهُ يُلَمِّحُ وَيُشِيرُ إِلَى أَنَّ الْأَمْرَ الَّذِي تَسْتَحِقُّهُ عَلَيْهِ هُوَ
الْمُكَافَأَةُ وَالشَّوَابُ ، ثُمَّ يَأْسِفُ الشَّاعِرُ وَيَتَعَجَّبُ مِنْ حَالِ الْإِنْسَانِ الَّذِي يَتَمَنَّى وَيَرْجُو
أَشْيَاءَ ، وَلَكِنْ لَا يَجِدُ أَمَامَهُ إِلَّا الْحَرَمَانَ .

(١) رواية الأغاني : " حُسْنُ الْعَقْلِ " .

(٢) لم أجده فيما اطعته عليه من مصادر إلّا في :

الأغاني ————— ي : ٤٨ / ٢٢ ، فوات الوفيات : ١٣٧ ، وذكر في

الأغاني بيتاً رابعاً قبل البيت الأخير وهو :

مَالِي إِذَا غِبْتُ لَمْ أَذْكُرْ بِوَاحِدَةٍ . . وَلَئِنْ سَقِمْتُ فَطَالَ السُّقْمُ لَمْ أُعْبِدْ

(٣) الدلائل ، رضا : ٧٢ ، خفاجي : ١٣٠ ، شاكر : ٩٠ .

انظر إلى قوله " ما أعجب الشيء " ، وكأنه يرمز بلفظ " الشيء " إلى الصلح والصفاء الذي ترجوه عُلَيَّة ، وتنطوي عليه نفسها وأنظر إلى حسن موقع " الفاء " في قوله " ترجوه فتحرمه " وكيف سارعت برسم خيبة الرجاء ، وتسابق الحرمان . فحين أحس الشاعر بشعور الخيبة هذا ، قطع الكلام واستأنف بقوله : " قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنِّي قَدْ مَلَأْتُ يَدَيَّ " فعبّر عن خيبة الأمل بهذا الأسلوب الكنائي المعبر الجميل فحمل من معاني الحسرة والألم والأسى ما فطرت له نفس الشاعر . وساعدت أدوات التوكيد هذا الأسلوب الكنائي في إبراز صورة الخيبة ، فبدأ البيت بـ " قد " ، ثم جاء بـ " إن " ، ثم كرر " قد " مرة أخرى في قوله " قد ملأت " . ولجأ الشاعر إلى أسلوب التلميح والرمز ليرقق عاطفة الرشيد ويشير في نفسه الحنين ، فالرمز والتلميح في هذه المواقف أشد وقعا على النفس من التصريح ، لأن الرمز هو حديث العواطف والمشاعر .

الشاهد الثامن والثلاثون : (*) (الخفيف)

قول أبي دؤاد (١) :-

(*) الدلائل ، رضا : ٧٢ ، خفاجي : ١٣٠ ، شاكر : ٩١ .

(١) هو أبو دؤاد الإيادي ، وهو جارية ، ويقال جويرة بن الحجاج بن يحر ، وقيل " حمران " بن بحر بن عصام بن مُنْبِه بن حُذَاقمة " حُذَاق " وهي قبيلة من إياد ، ضرب به المثل في الجود ؛ لأنه آثر صديقه النمري بنصيه من الماء ، فمات أبو دؤاد عطشا ، وهو من أشهر نقات الخيل ، وأكثر شعره في وصفها ، وهو من شعراء الجاهلية . / انظر ترجمته في :-

الشعر والشعراء : ١ / ٢٤٣ - ٢٤٦ ، المؤتلف والمختلف : ١١٥ ،
المرزباني : ٦٦ ، الأغاني : ١٦ / ٣٧٣ - ٣٨٢ ، شرح شواهد
المفني : ١ / ٣٥٩ - ٣٦٠ ، خزنة البغدادي : ٤ / ١٩٠ - ١٩١ ، شخصيات
الأغاني : ٢٤ .

وَلَقَدْ أَغْتَدِي بِدَافِعٍ رُكْنِي . : أَحْذِي ذُو مَبْعَةٍ إِضْرِي (٣)
 سَلَهَبٍ شَرْجَبٌ كَأَنَّ رِمَاحاً (٥) (٤) . حَمَلَتْهُ وَفِي السَّرَاةِ دَمُوحٌ (٦) (٧) (٨)

(١) أَحْذِي : أَحْذِي فِي السَّيْرِ سَارٍ سَيْراً شَدِيداً ، وَالْأَحْذِي السَّرِيعُ فِي كُلِّ مَا أَخَذَ فِيهِ ، وَأَصْلُهُ فِي السَّفَرِ . / اللِّسَانُ " حَوْذٌ " : ٤٨٦ / ٣ .

(٢) ذَوْمَبْعَةٍ : الْمَبْعُ مَصْدَرُ مَاعٍ وَمَبْعَةُ الْفَرَسِ أَوَّلُهُ وَأَنْشَطُهُ / اللِّسَانُ " مَبْعٌ " : ٣٤٤ / ٨ .

(٣) إِضْرِيحٌ : الْإِضْرِيحُ الْحَيْدُ مِنَ الْخَيْلِ الْكَثِيرِ الْعَرَقِ الشَّدِيدِ الْعَدْوُ / اللِّسَانُ " ضَرَحٌ " : ٣١٥ / ٢ .

(٤) السَّلَهَبُ : الطَّوِيلُ مِنَ الْخَيْلِ ، وَرَبِمَا جَاءَ بِالصَّادِ ، وَالْجَمْعُ السَّلَاهِبَةُ / اللِّسَانُ " سَلَهَبٌ " : ٤٧٤ / ١ .

(٥) شَرْجَبٌ : الطَّوِيلُ الْقَوَائِمُ الْعَارِي أَعَالِي الْعِظَامِ ، وَهُوَ نَعْتٌ لِلْفَرَسِ الْجَوَادِ ، الْكَرِيمِ / اللِّسَانُ " شَرْجَبٌ " : ٤٩٣ / ١ .

(٦) السَّرَاةُ : الظَّهْرُ . / اللِّسَانُ " سَرَاٌ " : ٣٧٩ / ١٤ .

(٧) دَمَوْحٌ : أَيُّ مُحْكَمِ الْفَتْلِ مَمْلُوسٌ ، وَهُوَ مِنْ قَوْلِكَ أَتَمَّجَ الْحَبْلُ إِذَا أُحْكِمَ فِتْلُهُ ، وَمَتْنٌ مَدْمَجٌ وَكَذَلِكَ الْأَعْضَاءُ مَدْمَجَةٌ كَأَنَّهَا أَتَمَّجَتْ وَمَلِسَتْ . / اللِّسَانُ " دَمَجٌ " : ٣٧٥-٣٧٤ / ٣ .

(٨) أُرِدَ الْجَوَالِيْقِيُّ الْبَيْتَيْنِ مَعَ الْخِلَافِ بَسِيطٍ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي حَيْثُ أُبْدِلَ لَفْظَةُ " أَحْذِي " بِلَفْظَةِ " أَجُولِي " قَالَ :

وَلَقَدْ أَغْتَدِي بِدَافِعٍ رُكْنِي . . . أَجُولِي ذُو مَبْعَةٍ إِضْرِيحُ

وَالْأَجُولِي : هُوَ الْفَرَسُ الَّذِي يَجُولُ بِفَارِسِهِ .

وَفَصَلَ بَيْنَ الْبَيْتِ الثَّانِي وَالثَّالِثِ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ :

مُخَلِّطٌ مَزِيدٌ مَعْنٍ مِفْرٌ . . . مِطْرَحٌ مِضْرَحٌ جَمُوحٌ خَرُوجٌ

وَكَذَلِكَ رَوَايَةُ اللَّسَانِ : " أَجُولِي " .

وَذَكَرَ ابْنُ قَتِيْبَةَ الْبَيْتَ الثَّانِي فَقَطْ مَعَ بَعْضِ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ فِي الشَّطْرِ الْأَوَّلِ

فَقَالَ : " شَرْجَبٌ سَلَهَبٌ كَأَنَّ رِمَاحاً " .

وَذَكَرَ الصَّوْلِي الْبَيْتَ الثَّانِي فَقَطْ ، وَرَوَايَتُهُ مُوَافِقَةٌ لِلدَّلَائِلِ .

وَأُرِدَ الشَّيْخُ عَبْدِ الْقَاهِرِ بَيْتِي الشَّاهِدِي " الرِّسَالَةُ الشَّافِيَّةُ " وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَيْتاً ثَالِثاً

هُوَ قَوْلُ الشَّاعِرِ :
 مُخَلِّطٌ مَزِيدٌ مِكْرٌ مِفْرٌ . . . مِطْرَحٌ مِضْرَحٌ سَبُوحٌ خَرُوجٌ

الصفات العجيبة ، فشبه قوائمه في غرابتها ، وعدم وجود مثيل لها في الدقة بالرياح ، ليس هذا فحسب بل نكر لفظ " رماح " ليدل على أن هذه ليست رماحاً حقيقية معروفة ، بل هي رماحٌ عجيبة غريبة .

ولقد استحسن أبو الأسود الدؤلي هذه الأبيات واعتبر قائلها أشعر الناس .

فقد روى أن أمير المؤمنين علياً رضي الله عنه ، كان يفطر الناس في رمضان ، فإذا فرغ من العشاء تكلم وأوجز ، فأبلغ ، ويروى أن الناس اختصموا عنده ليلة في أشعر الناس ، فطلب علي من أبي الأسود الدؤلي أن يذكر من هو؟ فقال أبو الأسود " أشعرهم الذي يقول :
وَلَقَدْ أَغْتَدِي بِدِفْعِ زُكْنِي . . . الشاهد (١)

الشاهد التاسع والثلاثون : (*) (الوافر)

قول ابن البواب : (٢)

- (١) الرسالة الشافعية : " ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن " : ١٣٠ .
(*) الدلائل ، رضا : ٧٢ ، خفاجي : ١٣١ ، شاكر : ٩١ .
(٢) هو عبد الله بن محمد بن عتاب بن إسحاق من أهل بخارى ، وجهٌ يجتهد جماعة معه رهينة إلى الحجاج بن يوسف ، فنزلوا عنده بواسط ، فأقطعهم سكة بها ، فاقتطعوها ، ونزلوها طول أيام بني أمية ، ثم انقطعوا من الدولة العباسية إلى الربيع ، فخدموه ، وكان عبد الله ابن محمد هذا يخلف الفضل بن الربيع على حجة الخلفاء ، وكان عبد الله ، صالح الشعر ، قليله ، وراوية لأخبار الخلفاء ، عالماً بأمرهم ، وخدم محمداً الأمين ، فأغنائه ، وأعطاه ، ومدحه ، ونال من المأمون وعرض به / انظر : الأغاني : ٢٣ / ٣٧ - ٤٤ .

نسبت الأبيات في الأغاني وبهجة المجالس لمحمد اليزيدي ، وتوهم الأستاذ محمود شاكر في تحقيقه للدلائل أنها نسبت في الأغاني لسليم بن سلام الكوفي المغني ، وعند مراجعتي للأغاني وجدت

أنها منسوبة لمحمد اليزيدي وإنما غنى بها سليم بن سلام صاحب إبراهيم ==

أَتَيْتُكَ عَائِذَا بِكَ مِنْ : . لَمَّا ضَاقَتِ الْحَيَاةُ
وَصَيَّرَنِي هَوَاكَ وَيِي : . لِحِينِي يَضْرِبُ الْمَشْجَلُ
فَإِنْ سَلِمْتَ لَكُمْ نَفْسِي : . فَمَا لَأَقِيتَهُ جَسَلُ^(٢)
وَلِنْ قَتَلَ الْهَوَى رَجُلًا : . فَإِنِّي ذَلِكَ الرَّجُلُ^(٣)

ذكر الشيخ عبد القاهر أن سر الجمل هنا إنما هو في الإشارة والتعريف

قال :

* انظر إلى الإشارة والتعريف في قوله :

(٤)
* فَإِنِّي ذَلِكَ الرَّجُلُ *

يشكو الشاعر في هذه الأبيات من محبوبه شكوى الأمل في الوصال ، فقد ضاقت
به الطرق ، وَسَدَّتْ دُونَهُ أَبْوَابُ الْحِيلِ ، فلم يَرَأْ أَحَدًا يستعِذُّ بِهِ إِلَّا نَفْسَ مُحِبِّهِ ،
فهو المشتكى منه والمشتكى إليه ، وهذا من عظيم وجدّه وشدة تعلقه وهيامه ،
هذا الهيام الذي علم به الجميع ، فلم يعد هَوَى مكتومًا بل خرج عن إرادته ،
فطارت به الركبان وتناقله الناس .

=== الموصلي / انظر ترجمته - في :

الأغاني : ٦ / ١٦٤ - ١٧٠ ، وذكر البيت في الفتح بدون نسبة .
(١) وكأنه أخذ معناه هذا من قوله تعالى : " وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ
إِلَّا إِلَيْهِ " / التوبة : ١١٨ .

(٢) الجَلَلُ : الشيء العظيم والصغير الهين ، فهو من الأضداد في كلام

العرب ، يقال للكبير وللصغير جَلَل . / اللسان " جَلَل " : ١١٢ / ١١ .

(٣) انظر الأبيات في :

الأغاني : ٦ / ١٦٨ - ١٦٩ ، بهجة المجالس

وأنس المجالس : ٢ / ٨٢٠ - ٨٢١ ، الفتح : ١٦٨ ، الإيضاح :

١ / ١٠٧ ، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٨ .

(٤) الدلائل ، رضا : ٧٢ ، خفاجي : ١٣١ ، شاکر : ٩١ .

ففي قوله : " صيرني هواك " مجاز حكمي ، حيث أسند التصيير إلى الهوى الذي هو سبب في التصيير ، فدل هذا الإسناد على تحكم الهوى المطلق في مصير الشاعر ، وتصرفه في شؤونه .

ويعود الشاعر فيؤكد عاطفته ، وأنه لم يعد يستطيع التحكم في فؤاده ، ولشدة ولهم جعل نفسه رخيصة هينة ، فهو لا يملك من أمرها شيئاً ، فقد أسلمها لذلك المحبوب طائعاً مختاراً يتصرف فيها كيف أراد ، وهذا هو همه ، فإذا سلّمت نفسه لذلك المحبوب ، فكل ما يلقاه بعد ذلك شيء لا يؤبه له .

ثم يضع الشاعر لنفسه النهاية ، ويعلن للأسماع أنه إذا علم أن هناك رجلاً قد قتلته الهوى ، فلا يكون إلا هو ، فهو يقرر الحقيقة التي تريد أن تعرفها كل نفس عن ذلك الرجل ، فقوله في صدر البيت الأخير " رجلاً " عن طريق التوكيد جعل النفوس تشاق وتتشفو إلى معرفة هذا الرجل ، ثم أنظر إليه كيف جاء به الغاء " في قوله " فإني " التي سارعت بكشف النقاب عن الحقيقة التي اشتاقت إليها النفوس بأنه هو ذلك الرجل المشار إليه المميز عن غيره من الرجال ، والذي فعل به الهوى ما فعل .

وفي الإشارة وحرف التوكيد " إن " في قوله " فإني ذلك " توكيد وتقرير لتلك الحقيقة .

الشاهد الأربعمون : (×) (السريح)

(١)

قول عبد الصمد :

(×) الدلائل ، رضا : ٧٣ ، خفاجي : ١٣١ ، شاكر : ٩١ .

(١) هو عبد الصمد بن المعذل بن غيلان بن الحكم بن البخثري بن المختار

ابن أسد بن ربيعة بن نزار وكنيته أبو القاسم (٢٤٠ - ٢٤٠ هـ) وهو من

شعراء الدولة العباسية ، وأمّه أم ولد طبّاخة يقال لها : الزرقاء ، وهو

شاعر فصيح هجاء خبيث اللسان شديد العارضة سكير ، بصري المولد

والمنشأ ، وكان أخوه أحمد شاعراً أيضاً إلا أنه كان عفيفاً ذا مروءة ودين ،

=====

مُكْتَبٌ دُو كَبِيدٍ حَرَّى (١) . تَبْكِي عَلَيْهِ مُقَلَّةٌ عَجْرَى
يَرْفَعُ يَمْنَاهُ إِلَى رَبِّهِ . يَدْعُو وَفَوْقَ الْكَبِيدِ الْيُسْرَى (٢)

وبعد الشاهد :

يَبْقَى إِذَا كَلَّمْتَهُ بَاهِشًا . وَنَفْسُهُ مِمَّا بِهِ سَكْرَى
تَحْسَبُهُ مُسْتَمِعًا نَاصِتًا . وَقَلْبُهُ فِي أُمَّةٍ أُخْرَى (٣)

ذكر الشيخ عبد القاهر أن موضع الشاهد جملة " يدعو " ففيها يكمن سر

الجمال والروعة . قال : " أنظر إلى لفظ " يدعو " وإلى موقعها (٤) "

====
وكان له جاة واسعة في بلده وعند سلطانه لا يقاربه عبد الصمد فيه،
يحسده ويهجوّه فيحلم عنه ، وكان أبو عبد الصمد وجده شاعرين ، وقد
روى عنهما شيء من الأخبار واللغة والحديث ليس بكثير / انظر ترجمته :
طبقات ابن المعتز : ٣٦٧ - ٣٦٩ ، الأغاني - دار الحياة - : ٢٢٦ / ١٣ -
٢٥٨ ، الموشح : ٣١٠ ، زهر الآداب : ٣ / ٧٠٦ - ٧١٣ ، سبط
اللالكي : ٣٢٥ - ٣٢٦ ، فوات الوفيات : ٣٣٠ / ٢ ، الأعلام : ١١ / ٤ ،
وذكر البيت في الزهرة منسوبا إلى ماني الموسوس ، وهو محمد بن القاسم
أبو الحسن من أهل مصر ، نزل بغداد ، وهو متوكلي . / انظر ترجمته :
معجم الشعراء : ٤٣٨ ،

(١) حَرَّى : ملتهبة فالحرّ والحراة : الصوت والجلبة ، وصوت التهيب

النار / اللسان : " حري " : ١٤ / ١٧٣ .

(٢) انظر البيتين في :

ديوانه : / الزهرة : ١ / ٦٤ - ٦٥ ، شرح ديوان الحماسة
للمرزوقي : ٣ / ١٣٠٨ ، ذكر البيت الثاني فقط ولم ينسبه ، محاضرات
الأدباء : ٣ / ٨٦ ، شرح الحماسة للتبريزي : ٣ / ١٤٩ ، ذكر
البيت الثاني فقط ولم ينسبه ..

(٣) ديوانه : / ، الزهرة : ١ / ٦٤ - ٦٥ .

(٤) الدلائل ، رضا : ٧٣ ، خفاجي : ١٣١ ، شاكر : ٩١ .

ولعل سر الروعة والجمال في جملة " يدعو " أن الشاعر بلغ من الألم قتله ،
ومن الحزن أقصاه ، فهو مكتئب حزين ، وضجر أليم ؛ ولضيق نفسه وتوجعها
حذف المسند إليه وأبدأ كلامه بالمسند ، فقال : " مكتئب " والأصل " هو
مكتئب " .

ثم انظر إليه كيف قيد المسند بالوصف " ذوكبد حرى " للكشف عن حقيقة حاله .
وما أدق الشاعر حين اختار " الكبد " دون القلب أو أعضاء الجسم الأخرى ؛
لأن الكبد هو عداد الجسم ، وجميع الأعضاء يتعلق عليها بعمله ، فإن مرض الكبد ،
وقل إمداده للقلب بالدم ضعف الإنسان وهلك . قال الرسول صلى الله عليه وسلم
" فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٌ آخِرٌ (١) " فدل على أنه قوام الحياة ، ودل بذلك على أن الشاعر
ليس مكلول الغؤاد فحسب بل إن جسمه كله قد أصابه الوهن ، وفتته الإعياء والتعب .

ومن كانت هذه حاله حق للمقل أن تذرف عليه العبرات ،
وتكرّر الشاعر لفظ " مقلة " ليدل على أن مقلًا كثيرة رثت لحاله .

وفي قصة هذا الحزن وعلية هذا اليأس أحس الشاعر بإحساس عيق ورغبة
أكيده في اللجوء إلى ربه ، فرفع يمينه ، وفي هذا بيان لشروعه في الدعاء ، وجاء
بالفعل مضارعاً " يرفع " ليظهر تضرعه وحدث الرفع منه مرة بعد مرة ، وكأنني بيديه
تهتزان وتتحركان من شدة التضرع ، وخص اليد اليمنى بالرفع تفاؤلاً ورجاءاً
بانقضاء هذه الحال ، ثم جاءت جملة " يدعو " وهي تكرار لمعنى " يرفع يمينه " .
ولعل السرف في هذا الإطناب أن الشاعر حين رفع يده اليمنى أحس بمزيد رغبة في
الدعاء ، فجاء بجملة " يدعو " ليفرغ فيها كل معاني الرجاء وكل معاني الأمل في
الخلاص ما يجد ويحس ، فهي ليست زائدة إذناً لأنها حملت كل إحساس الشاعر
وضراعه ، ورغبته في النجاة من الحال المسيطرة عليه ، ومن الأساء التي تُلَمُّ به

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل : ٣٧٥ / ٢ ، ٥١٢ ، السنن الكبرى للبيهقي : ١٨٦ / ٤ ،
وورد في مسند الإمام أحمد بلفظ آخر : " في كل ذات كبد حراء " : ٢٢٢ / ٢ .

وجاء بها مضارعة " يدعو " ليصور إلحاحه واجتهاده في الدعاء .
 وقوله " وعلى الكبد اليسرى " مناسب المقام ، فالمقام هنا دعاء وتضرع ووضع يده
 على كبده معناه خشيته عليها من التصدع والتمزق ، فهو مع أنه يدعو لا ينسسى
 ما هو فيه من آلام الوجد ، وأيضاً في وضع يده على كبده أثناء الدعاء استجداء
 واستعطاف .

الشاهد الواحد والأربعون : (*) (الكامل)

قول جرير : (١)

لَمَنِ الدِّيَارُ بَبْرِقَةِ الرَّوْحَانِ . : إِنْ لَا نَبِيْعُ زَمَانِنَا يَزِمَانِ
 صَدَعُ الْفَوَانِي إِنْ زَمَيْنَ فُؤَادُهُ . : صَدَعُ الزَّجَاجَةِ مَالِذَاكَ تَذَانِ (٢)
 (٣)

- (*) الدلائل ، رضا : ٧٣ ، خفاجي : ١٣١ ، شاکر : ٩٢ .
 (١) هو جرير بن عطية بن حذيفة بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع ،
 كنيته أبو حذرة (٢٨ هـ - ١١٠ هـ) عُمر نيفاً وثمانين سنة ، ولد ومات
 باليمامة ، أمه أم قيس بنت معبد من بني كليب بن يربوع ، وهو من الطبقة
 الأولى من فحول الإسلام ، كانت بينه وبين الفرزدق مهاجاة ونقائض ،
 كان عفيفاً ، ومن أغزل الناس شعراً . / انظر ترجمته :
 طبقات ابن سلام : ١ / ٣٧٤ ، الشعر والشعراء : ١ / ٤٧١ - ٤٧٧ ،
 الأغاني - دار الأحياء - : ٨ / ٣ - ٨٩ ، الموشح : ١٠٧ - ١٢٠ ،
 وفيات الأعيان : ١ / ٣٢١ ، شرح شواهد المغني : ١ / ٤٥ - ٤٨ ،
 خزنة البغدادي : - دار صادر - : ١ / ٣٦ - ٣٧ ، الأعلام : ١١٩ / ٢ .
 (٢) رواية الديوان والنقائض :

" صَدَعُ الظَّعَائِنِ يَوْمَ بِنِّ فُؤَادُهُ "

- (٣) البيت الأول من بيتي الشاهد هو مطلع قصيدته التي أجاب بها
 الفرزدق ، والبيت الثاني غير تالٍ له بل هو كما في الديوان البيت السابع
 عشر من القصيدة ، وفي النقائض هو البيت الثاني عشر منها .

وفي كتاب المنازل والديار ذكر البيت الأول فقط . / انظر البيتين في :
 ديوان جرير : ٥٦٩ - ٥٧٠ ، النقائض : ١٩٨ - ٢٠٠ ، المنازل والديار :
 ١٦٥ / ١

وبعد البيت الأول :

إِنْ زُرْتُ أَهْلَكَ لَمْ يُبَالُوا حَاجَتِي . . وَإِذَا هَجَرْتُكَ شَفَّنِي هَجْرَانِي

وقبل البيت الثاني :

وَلَقَدْ أَبَيْتُ ضَجِيعَ كُلِّ مَخَضَّبٍ . . رَخَصِ الْأَنْبِيلَ طَيِّبِ الْأَرْضَانِ

عَطِرِ الثِّيَابِ مِنَ الْعَبِيرِ مَذْيَلٍ . . تَمْشِي الْهُيُونَا يَشِيَّةَ السَّكْرَانِ (١)

وبعد :

هَلْ تُؤْنِسَانِ وَدَيْرُ أَرْوَى بَيْنَنَا . . يَا أَعْزَلَيْنِ بَوَاكِرَ الْأَطْعَمَانِ

موضع الشاهد قوله : " مَا لِي ذَاكَ تَدَانِ " ، والشاهد فيه حسن الاستئناف ،

قال الشيخ :

" أَنْظِرْ إِلَى قَوْلِهِ : " مَا لِي ذَاكَ تَدَانِ " ، وتأمل حال هذا الاستئناف .

• وجمال هذا الاستئناف يظهر إذا ما علمنا أن الشاعر قد بدأ قصيدته بهذا

المطلع الغزلي الذي يتحسر فيه على الديار ببرقة الروحان ، وجاء الاستفهام

" لِمَنِ الدِّيارُ " ليظهر مدى التحسر والتأسف .

(١) نَذِرْ فِي النَّقَاطِ قَبْلَ بَيْتِ الشَّاهِدِ :

أَصْحَا فَوَادَكَ أَيُّ حِينٍ أَوْانٍ . . أَمْ لَمْ يَرْغَبْ تَحْمَلُ الْجِيرَانِ

هَلْ تُبْصِرَانِ وَدَيْرُ أَرْوَى دُونَنَا . . يَا أَعْزَلَيْنِ بَوَاكِرَ الْأَطْعَمَانِ

وبعد :

فَرَقَعْتَ مَائِرَةَ الدُّفُوفِ أَمَلَهَا . . طَوَّلَ الْوَجِيفَ عَلَى وَجَى الْأَمْرَانِ

ويبدو أن رواية الديوان للأبيات التي قبل الشاهد وعده أدق وأنسب

لبيت الشاهد من رواية النقائص ؛ وذلك لإتصال معاني الأبيات التي

وردت في الديوان ببית الشاهد .

ويبدو أن رواية الشيخ لشطر البيت الأول من الشاهد " صَدَعَ الْغَوَانِي

إِذْ رَمَيْنَ فَوَادَهُ " أجمل وأدق من رواية الديوان والنقائص ؛ لأن لفظ (الرمي)

" أنسب وأقرب وأدق في رسم الصورة التي أراد الشاعر توضيحها وهي

صورة صدع الزجاجاة فالرمي يناسب الصدع .

ثم يذكر الشاعر ما أصاب فؤاده عندما رأى تلك الديار التي تذكره بآلامه،
وبعاطفته التي أصابها التصدع من هجر الغواني ، واتخذ من تصدع الزجاج
صورة تجسد تصدع نفسه ، فالزجاج المتصدع لا يمكن أن يعود صافياً سليماً كما كان .
ولما بلغ به الألم الغاية توهم أن هناك سائلاً سأل : هل عندك أمل في عودة
تلك الأيام ، أو في قرب الأحباب وفي التئام الصدع ؟ فأجاب : مَالِذَاكَ تَدَانِي .
وطريقة السؤال والجواب تنبئ عما يهتمل في نفس الشاعر من أحاسيس وانفعالات
تتصل بالألم والأمل .

وما أروع تضمن هذا الاستئناف اسم الإشارة " ذاك " الذي حمل كل معاني
الحرمان واليأس ، وأظهر أن المتواني بعيد المنال مستحيل الحصول ؛ ولأن فني
ذكر المشار إليه صراحة ما يشجي النفس ويحزنها .

ونظير قول جرير في المعنى قول الأعشى :

وَبَاتَتْ وَفِي الصَّدْرِ صَدْعٌ لَهَا . . . كَصَدْعِ الزَّجَاجَةِ لَا يَلْتَمُّ (١)

وقول الخضري :

وَإِنَّكَ لَوْ نَظَرْتَ قَدْتُكَ نَفْسِي . . . إِلَى كَيْدِي وَجَدْتَ بِهَا صُدُوعًا (٢)

(١) ديوانه : ٨٥ .

(٢) محاضرات الأدباء : ٣ / ٨٦ .

جـ- النظم يتحدد في الوضع ويدق فيه الصنع .

النظم يتحد في الوضع ويدق فيه الصنع :

يرى الشيخ عبدالقاهر أن النمط العالي من الكلام والباب الأعظم فيه هو ما تحدث أجزاؤه ، وتلاحمت ، ودخل بعضها في بعض ، واشتد ارتباط الثاني منها بالأول ، واحتاجت إلى وضعها في النفس وضعاً واحداً ، وهو باب واسع عظيم لا يحصره حد ، ولا يحيط به قانون ، لأنه يجيء على وجوه شتى وأنحاء مختلفة ، قال الشيخ :-

” وأعلم أن ما هو أصل في أن يدق النظر ، ويغمض المسلك ، في توخي المعاني التي عرفت : أن تتحد أجزاء الكلام ، ويدخل بعضها في بعض ، ويشتد ارتباط ثان منها بأول ، وأن تحتاج في الجلة إلى أن تضعها في النفس وضعاً واحداً ، وأن يكون حالك فيها حال الباني يضع بيمينه ههنا في حال ما يضع بيساره هناك . نعم ، وفي حال ما يبصر مكان ثالث ورابع يضعها بعد الأولين ، وليس لما شأنه أن يجيء على هذا الوصف حد يحصره ، وقانون يحيط به ، فانه يجيء على وجوه شتى وأنحاء مختلفة (١) .

وضرب لذلك أمثلة من البديع منها التزاوج (٢) بين معنيين في الشرط والجزاء معاً .

-
- (١) الدلائل ، رضا : ٧٣-٧٤ ، خفاجي : ١٣٢ ، شاكر : ٩٣ .
 (٢) المزوجة ويقال التزاوج وهو أن يزاوج المتكلم بين معنيين في الشرط والجزاء أي يجعل معنيين واقعين في الشرط والجزاء مزدوجين فسي أن يرتب على كل منهما معنى رتب على الآخر ، وليس معناه أن يجمع بين معنيين في الشرط ، ومعنيين في الجزاء . انظر :
 التلخيص : ٣٥٨ ، الإيضاح : ٢ / ٤٩٧ ، أنوار الربيع : ٦ / ١٠١ .

الشاهد الثاني والأربعون : (*) (الطويل)

قول البحري :

إِذَا مَانَهِيَ النَّاهِي فَلَجَّ بِي الْهَوَى . . أَصَاخَتْ إِلَى الْوَاشِي فَلَجَّ بِهَا الْهَجْرُ (٣)

والبيت من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان ، ومطلعها :

مَتَى لَاحَ بَرَقَ أَوْ بَدَا طَلَلٌ قَفَرُ . . جَرَى مُسْتَهْلٌ لَا بَكِيٌّ وَلَا نَسْرُ

وبعده بيت قبل الشاهد :

وَمَا الشَّوْقُ إِلَّا لَوْعَةٌ بَعْدَ لَوْعَةٍ . . وَغَزْرٌ مِنَ الْأَمَاقِ يَتَّبِعُهَا غُزْرُ

وبعده الشاهد وبعده :

وَيَوْمَ تَنَثَّنَ لِلْوَدَاعِ وَسَلَّمَتْ . . بِعَيْنَيْنِ مَوْصُولٍ بِلَحْظِهِمَا السَّحَرُ

تَوَهَّمَتْهَا أَلْوَى بِأَجْفَانِهَا الْكَسَى . . كَرَى النَّوْمُ أَوْ مَالَتْ بِأَعْطَافِهَا الْخَسِرُ (٤)

ساق الشيخ البيت شاهداً على أن من حسن الصياغة والتركيب " المزوجة " فبيت الشاهد

صَوَّرَ تَعَلُّقَ الشَّاعِرِ بِمَحْبُوبَتِهِ ، وَشِدَّةَ وَلَهْوِهِ بِهَا ، فَهُوَ إِنْ نَهَاهُ عَنْ حُبِّهَا ، وَحَاوَلَ مَنْعَهُ مَانِعٌ

أَزْدَادٌ تَعَلَّقُوا بِهَا ، فَلَا يَفِيدُ مَعَهُ النِّهْيُ .

وجاء " بالفاء " في قوله : " فَلَجَّ " ليؤكد انصرافه السريع عن ذلك الناهي ، وعدم

استجابته له ، وقدم الجار والمجرور " بي " على الفاعل " الهوى " ، ليصور شدة وجده ، وتغلب الهوى عليه .

أما هي ، فقد قابلت هذا الوفاء بالاستماع إلى الواشي ، وتصديقه ، ولزمت الهجر والتباعد .

ومأدق الشاعر حين اختار فعل الإصاخة " أصاغت " بدلاً من " استمعت " أو " أصغت "

وذلك لقوة دلالة هذا الفعل على الرغبة الشديدة في الاستماع .

وجاء بـ " الفاء " في قوله " فلج " ، ليظهر سرعة استجابتها ، وتصديقها لذلك الواشي ،

وقدم الجار والمجرور " بها " ، ليدينها بذلك الفعل .

(*) الدلائل ، رضا : ٧٤ ، خفاجي : ١٣٢ ، شاکر : ٩٣ .

(١) لَجَّ فِي الْأَمْرِ : تَدَاوَى عَلَيْهِ ، وَأَبَى أَنْ يَنْصَرِفَ عَنْهُ . / اللسان " لج " : ٣٥٣ / ٣ .

(٢) أَصَاخَتْ : صَخَّ الصَّوْتُ الْأَثْنُ يَصْخُهَا صَخًا : قَرَعَهَا ، وَالصَّاخَةُ صِيحَةٌ تَصْخُ الْأَثْنُ أَيُّ

تَطْعَنُهَا فَتَصْخُهَا لَشِدَّتِهَا . / اللسان : " صخ " : ٣٣ / ٣ .

(٣) انظر البيت في ديوانه : ١٠١ / ١ ، الموازنة - تحقيق السيد أحمد صقر - : ٣٦ / ٢ ،

التلخيص : ٣٥٨ ، الإيضاح : ٤٩٧ / ٢ ، شرح أبيات الإيضاح : شاهد رقم : (٣٦٠) ،

خزانة الأدب للحموي : ٤٣٥ ، أنوار الريح : ١٠١ / ٦ ، معاهد التنصيص : ٢٥٥ / ٢ ،

(٤) التوى الماء في مجراه وتلوى : انعطف ولم يجز على استقامة ، وتلوت الحية كذلك ،

واللبي الجدول والتنتي ولات الحية الحية لواء التوت عليها / اللسان " لوى " :

فالشاعر هنا زاج بين نهبي الناهي، وإصاقتها إلى الواشي الواقعين فسي
الشرط والجزاء في أن رتب عليهما لجاج شيء، أو هو بمعنى آخر جعل معنى
لازماً للشرط، ثم جعل معنى مقارناً له في الجزاء، فجعل لجاج الهوى به
لازماً للشرط الذي هو نهبي الناهي، ثم جعل لجاج الهجر بها مقارناً في الجزاء
الذي هو الإصاغة إلى الواشي (١).

الشاهد الثالث والأربعون : (*) (الطويل)

قول البحري :

إِذَا أَحْتَرَبْتُ يَوْمًا فَقَاضْتُ بِمَاؤَهَا (٢) (٣) . تَذَكَّرْتُ الْقُرْبَى فَقَاضْتُ دُمُوعَهَا (٤) (٥)

- (١) أنوار الربيع : ٦ / ١٠٢ .
(*) الدلائل ، رضا ، ٧٤ ، خفاجي : ١٣٢ ، شاكر ، ٩٣ .
(٢) فاض الماء والدمع ونحوهما يفيض فيضاً وفيوضاً وفيضاً وفيضاً وفيوضاً
أي كثر حتى سال على ضفة الوادي ، وأفاض فلان دمه ، وفاض الماء ،
والمطر والخير إذا كثر . / اللسان " فيض " : ٧ / ٢١٠ .
ورواية الصناعتين : " فقاظت " .
(٣) رواية الصناعتين : " نفوسها " .
(٤) رواية الصناعتين : " فقاظت دموعها " .
فاض : من غاض الماء يَغِيضُ غِيضًا وَمَغِيضًا وَمَقَاضًا ، وَأَنْغَاضَ : نَقَصَ ،
أَوْ غَارَ فَذَهَبَ ، وفي الصحاح قَلَّ فَنَضَبَ /
الصحاح : " غيض " : ٣ / ١٠٩٦ ، اللسان : " غيض " : ٧ / ٣٠١ .
(٥) انظر البيت في :

ديوانه - تحقيق الصيرفي - : ٢ / ١٢٩٦ رقم (٥١٦) ، ديوانه -
دار بيروت - : ١ / ١١ ، الأشباه والنظائر للخالدين : ١ / ٦ ،
الصناعتين : ٣٢٩ ، زهر الآداب : ١ / ١١٢ ، المثل السائر :
٣ / ٢٥٥ ، الإيضاح : ٢ / ٤٩٧ ، شرح أبيات الأيضاح - النسخة
الأزهرية - شاهد رقم (٣٦١) ، مجموعة المعاني : ٦٢ .

والبيت من قصيدة في مدح أمير المؤمنين المتوكل على الله^(١)، وذكر فيها صلح بني تغلب .

ومطلع القصيدة :

مَنْنَى النَّفْسِ فِي أَسْمَاءَ لَوْ تَسْتَطِيعُهَا . : . يَبْهًا وَجَدَهَا مِنْ غَادَةٍ وَوَلَدُوعَهَا (٢)

وبعده بيتان قبل الشاهد :

وَفَرَسَانِ هَيَّجًا تَجِيْشُ صُدُورَهَا . : . بِأَحْقَابِهَا حَتَّى تَضِيقَ دُرُوعَهَا
تَقْتُلُ مِنْ وَثْرِ^(٣) أَعَزَّ نَفُوسِهِمْ . : . عَلَيْهِمَا يَأْيِدُ مَا تَكَادُ تُطِيعُهَا

وبعدهما الشاهد وبعده :

شَوَاجِرُ^(٤) أَرْجَاحٍ تُقَطِّعُ بَيْنَهُمْ . : . شَوَاجِرُ أَرْحَامٍ مَلُومٍ قَطُوعُهَا
فَلَوْلَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَطْـُـوْلُهُ . : . لَعَادَتِ جُيُوبٌ وَالِدَّمَاءُ رُدُّوعَهَا (٥)

الشاهد في البيت كسابقه وهو حسن المزوجة " حيث زاج الشاعر هنا بين الاحتراب وتذكر القربى الواقعين في الشرط والجزاء في ترتب فيضان شيء عليهم .

(١) هو أبو الفضل جعفر بن المعتصم بن محمد بن الرشيد العباسي (٢٠٦ -

٢٤٧هـ) أمه أم ولد خوارزمية يقال لها : شجاع .

بويص بالخلاف بعد أخيه الواثق ، وكان جواداً مدحاً محباً للعمران ،
قتل في سامراء باغراً من ابنه " المنتصر " / انظر ترجمته :

تاريخ الطبري : ٢٢٢/٩ - ٢٣٤ ، مروج الذهب : ٨٥/٤ - ١٢٨ ، تاريخ
بغداد : ١٦٥ / ٧ .

(٢) الديوان : ٩ / ١ .

(٣) الوتر : الثأر . / اللسان " وتر " : ٥ / ٢٧٤ - ٢٧٥ .

(٤) شواجر : شجر بين القوم أي اختلف الأمر بينهم و " اشتجر " القوم
و " تشاجروا " تنازعوا ، و " المشاجرة " المنازعة / مختار الصحاح :
" شجر " : ٣٣٠ .

(٥) ردوعها : أي طيها ، به رَدَعٌ من زعفران أي لطح ، وأثر / الصحاح :

" ردع " : ٣ / ١٢١٨ .

ولقد روى أبو هلال العسكري البيت برواية أخرى فقال : " ففاضت نفوسها " بدلا من " ففاضت دماؤها " ، ويبدو أن رواية أبي هلال أدق في التصوير، وأدل على شدة الاحتراب ؛ لأن فيضان النفوس معناه انتهاءها مع السرعة والكثرة ، أما قوله ففاضت دماؤها ، فأقل دلالة ؛ لأن الدماء قد تفيض مع بقاء النفس .

وكذلك قال : " ففاضت دموعها " بدلا من " فاضت دموعها " ، ويبدو أن رواية " ففاضت " أدل على شدة الحزن التي أصابت القوم ، وندمهم على تمزق الصلات ، فاحتبست الدموع في المحاجر ؛ لأنه كلما اشتد الحزن جمد الدمع .

قال كثير عزة : - (من الطويل) - في هذا المعنى :
 وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الْعَيْنَ قَبْلَ فِرَاقِهَا . . . غَدَاةَ الشَّبَا ^(٢) مِنْ لَأَعِجَ الْوَجْدُ تَجَمُّدُ ^(٣)

أما البكاء فإن فيه شفاء للنفس وراحة ؛ لأن الدموع تخفف الحزن والألم ، إلا أن هذه الرواية على الرغم من جمالها ودقتها تنفي المزاجية ، فينتفي بذلك موضع الشاهد ؛ لأن المزاجية بين الاحتراب ، وتذكر القربى الواقعيين في الشرط والجزاء تكون بترتب أمر واحد ، وهو فيضان شيء عليهما .

• تقطعت أوشاج الصلات بين بني تغلب ، وجاشت الصد وربا لأحقاد حتى ضاقت بها الدروع ، فقوله :

" حتى تضيق دروعها " تصوير رائع لا مثلاء النفس بالأحقاد .

ولقد فطن الشاعر إلى أن هذه النار المشتعلة في الصدور لن يطفئها سكون الحرب ، وانقطاعها ، بل لن تخبو نارها إلا بكلمات رقيقة ، وأسلوب ناعم لطيف يحيي الحنين في النفوس ، ويوقظ العواطف والأحاسيس . فقال :

(١) رواية الديوان : " فلم " .

(٢) الشبا : واد بالأشيل من أعراض المدينة فيه عين يقال لها خيف

الشبا لبني جعفر بن إبراهيم من بني جعفر بن أبي طالب . /

معجم البلدان : ٣ / ٣١٦ .

(٣) ديوانه : ٤٣٧ .

تَقْتُلُ مِنْ وَتَرٍ أَعَزَّ نَفْسِيهَا .: عَلَيَّهَا بِأَيْدٍ مَا تَكَادُ تُطِيعُهَا

فقوله : أعز نفوسها - بأيدٍ ما تكاد تطيعها .

أن كل نفس من المتحاربين عزيزة على الأخرى ، وأنهم كانوا يتقاتلون رغما عنهم ، فعواطفهم الصادقة كانت تمنع الأيدي عن الطاعة .

وزيادة في إثبات هذه الصلات وتوكيدها لجأ إلى المزاوجة ، فبين لهم أن الخصومات التي قامت بينهم مهما اشتدت ، ومهما فاضت فيها النفوس فإن قلوبهم على الرغم من اشتداد الحرب كانت تتذكر صلات الرحم والقربى ، فيشتد حزنهم على تبعد هذه الصلات ويشتد ندمها .

وبأسلوب التحنان هذا استطاع الشاعر أن يلين القلوب ويطري النفوس ، مما زاد الأرواح تلاقياً وتقارباً .

وفيه أيضاً زجر وطمع للنفوس على قطع صلات القربى والاستهانة بها .

وبيت البحتري هذا مأخوذ من قول أبي تمام :

قَدْ آنَسْتُ بِالْمَنَآيَا فِي أَسَنَّتِهِ .: وَقَدْ أَقَامَ حَيَارَاكُمُ عَلَى اللَّقْمِ (١)

جَذْلَانِ مِنْ ظَفَرٍ حَرَّانٍ أَنْ رَجَعْتُ .: مَخْضُوءَةً مِنْكُمْ أَظْفَارُهُ (٢) بِسَدَمٍ (٣)

وقد نظر أبو تمام إلى أبيات المهلهل بن ربيعة التي يقول فيها :

(١) اللَّقْمُ : معظم الطريق أو وسطه أو الطريق الواضح . / اللسان " لقم " : ٥٤٦/١٢ .

(٢) رواية الديوان : " أظفاره منكم مخضوءة بدم " .

(٣) الديوان : - دار ضعب - : ٢٣٩ .

(٤) هو عدي بن ربيعة بن مرة بن هبيرة من بني جشم ، من تغلب كنيته

" أبو ليلي " المهلهل (. . . - نحو . . (ق هـ) ، وهو شاعر جها هلي من

أبطال العرب من أهل نجد ، وهو خال امرئ القيس الشاعر ، وقيل سمي مهلهلاً ؛ لأنه أول من هلهل نسج الشعر أي رقعته ، وكان أفصح الناس لساناً وأجملهم وجهاً ، ويلقب أيضاً بوزير النساء .

ولما قتل جساس بن مرة كليلاً ثار المهلهل لأخيه ، فكانت وقائع بكر وتغلب

التي دامت أربعين سنة / انظر ترجمته في :-

يُكْرَهُ قُلُوبَنَا يَا آلَ بَكْرٍ . . . تُفَادِيكُمْ بِمَرْهَفَةِ النَّصَالِ
لَهَا لَوْنٌ مِنَ الْهَامَاتِ جَوْنٌ . . . وَإِنْ كَانَتْ تُفَادِي بِالصَّاقَالِ
وَتُبْرِكِي حِينَ تَذْكُرُكُمْ عَلَيْكُمْ . . . وَنَقُتْكُمْ كَأَنَّا لَا نُبَالِي (١)

وقد رأى الخالديان أن بيت البحتري أطرف وأبدع من بيت المهلهل قالوا :
" بيت البحتري أطرف وأبدع من بيت المهلهل إلا أنه أرشده إلى المعنى
ودلَّ عليه (٢) :

وكذلك فضله أبو هلال العسكري على بيتي المهلهل، وأبي تمام ، قال : " وبيت
البحتري أجود من بيتيها بغير خلاف " (٣)

وكذلك ذكره ابن الأثير في الضرب السابع من السلخ ، ورأى أن هذا الضرب
هو المحمود الذي يخرج به حسنه عن باب السرقة . قال :

" . . . وهو أن يؤخذ المعنى فيكسى عبارة أحسن من العبارة الأولى ،
وهذا هو المحمود الذي يخرج به حسنه عن باب السرقة ، فمن ذلك
قول أبي تمام :

جَدُّ لَانَ مِنْ ظَفْرِ حَرَّانٍ أَنْ رَجَعَتْ . . . مَخْضُوبَةً مِنْكُمْ أَظْفَارُهُ بِدَمٍ (٤)
أخذه البحتري فقال :

إِذَا احْتَرَبَتْ يَوْمًا فَفَاضَتْ بِمَاءِهَا . . . تَذَكَّرْتُ الْقُرْبَى فَفَاضَتْ دُمُوعُهَا " (٥)

=== جمهرة أشعار العرب : ٢٠٧ ، الشعر والشعراء : ٣٠٣ / ١ - ٣٠٥ ،

الاشتقاق : ٦١ - ٧٢ ، ٢٥٩ ، ٣٣٨ ، ٣٥٤ - ٣٥٦ ، الأغاني

٥ / ٣٤ - ٦٤ ، الأعلام : ٤ / ٢٢٠ .

(١) الأشباه والنظائر : ١ / ٤ .

(٢) الأشباه والنظائر : ١ / ٧ .

(٣) الصناعتين : ٣٢٩ .

(٤) الديوان - دار صادر - : ٢٣٩ .

(٥) المثل السائر : ٣ / ٢٥٤ .

الشاهد الرابع والأربعون : (*) (الوافر)

قول سليمان بن داود القضاعي : (١)

فَبَيْنَا التَّرَاءُ فِي عِلْيَاءَ أَهْوَى . . وَنَحَطُّ أُتِيحَ لَهُ أَعْتِـلَاءُ
وَبَيْنَا نِعْمَةً إِذْ حَالَ بُؤْسٌ . . وَبُؤْسٌ إِذْ تَعَقَّبَهُ شَرَاءُ (٢)

قبل أن يذكر الشيخ البيهقي قال : " ونوع منه آخر " قول سليمان بن داود
القضاعي .

ولعله أراد بقوله : " ونوع منه آخر " الإشارة إلى نوع آخر من البديع ،
ففي الشاهد مقابلة حسنة لطيفة بين قول الشاعر " عِلْيَاءَ أَهْوَى ، وبين " ونَحَطُّ
أُتِيحَ لَهُ أَعْتِـلَاءُ " ، وبين " نِعْمَةً إِذْ حَالَ بُؤْسٌ " وبين " وَبُؤْسٌ إِذْ تَعَقَّبَهُ شَرَاءُ " .
فروعة هذا الأسلوب في حسن صياغته ودقة تركيبه ، وجيد نظمه ، مما أكسب المعنى
قوة وغزارة .

فالشاعر أراد أن يؤكد في النفوس حال الدنيا وتقلبها ، وأنها لا تثبت على حال ،
فقد يكون المرء متربعا في قمم العز والمجد ، وفجأة يهوي به القدر ، وفي نفس
اللحظة يرتفع شخص كان يلصق في الحضيض إلى تلك القمم .

وكذلك قد يكون الإنسان متدثرا بثوب النعمة والرفاهية ، وفجأة يُقَرَّبُ القدر
منها ، فيحل به البؤس والشقاء ، وفي نفس الوقت يكتسي بتلك النعمة ، وينعم
بذلك الشراء شخص أضناه البؤس والشقاء .

وفي لجوء الشاعر إلى أسلوب المقابلة هذا ، وهو بيان المعنى وضده في
بيان حال الدنيا وما فيها من أضرار ما يؤكد الحقائق في النفس ، ويبرهنها بطريق
لا يدع مجالا للشك .

(*) الدلائل ، رضا : ٧٤ ، خفاجي : ١٣٢ ، شاكر : ٩٤ .

(١) لم أقف على ترجمة له .

(٢) لم أجِد البيت فيما اطلعت عليه من مصادر .

الشاهد الخامس والأربعون : * (الطويل)

قول كثير :

(١) وَإِنِّي وَتَهَيَّيْ بِعِزَّةٍ بَعْدَهَا .: تَخَلَّيْتُ مِمَّا بَيْنَنَا وَتَخَلَّيْتُ
(٢) لَكَ الْمُرْتَجَى ظِلَّ الْغَمَامَةِ كُلَّمَا .: تَبَوَّأَ مِنْهَا لِلْعَقِيلِ اضْمَحَلَّتْ
(٣)
(٤)

والشاهد من قصيدته التي يتغزل فيها بمحبوته عزة ، ومطلعها :

خَلِيلِي هَذَا رُبَّ عَزَّةٍ فَأَعْقِلَا .: قُلُوصُكُمَا ثُمَّ ابْكِيَا حَيْثُ حَلَّيْتُ

وقبل الشاهد أبيات تظهر مدى هيامه ، وتعلقه بعزة ، يقول فيط :

فَوَاللَّوِثُ لَمْ يَلَوْ لَاحِلًا بَعْدَهَا .: وَلَا قَبْلَهَا مِنْ خُلَّةٍ حَيْثُ حَلَّيْتُ
وَمَا مَرَّ مِنْ يَوْمٍ عَلَيَّ كَيَوْمِهَا .: وَإِنْ عَظُمَتْ أَيَّامُ أُخْرَى وَجَلَّيْتُ

(*) الدلائل ، رضا : ٧٤ ، خفاجي : ١٣٢ ، شاکر : ٩٤ .

(١) رواية المختار من شعر بشار : " فَإِنِّي " .

ورواية مجموعة المعاني : " أَرَانِي " .

(٢) رواية التمثيل والمحاضرة : " وَإِنِّي وَتَهَيَّيْ بِعِزَّةٍ " .

ورواية الإعجاز والإيجاز : " إِذَا لَمْ تَجِيْ ، ظِلَّ الْغَمَامَةِ كُلَّمَا " .

(٣) رواية محاضرات الأدباء : " لَكَ الْمُبْتَغَى " .

(٤) انظر البيتين في :

ديوانه : ١٠٣ ، الشعر والشعراء : ١ / ٥٢٣ ، الخصائص : ٣٤٠ / ١

أمالى القالي : ١٠٩ / ٢ ، المختار من شعر بشار : ١٧٠ ، التمثيل

والمحاضرة : ٧٢ ، الإعجاز والإيجاز : ١٥٣ - ١٥٤ ، أمالي

المرتضى : ٤١٤ / ١ ، زهر الآداب : ٥٠٠ / ٢ ، العمدة : ٧٧ -

٧٨ ، محاضرات الأدباء : ٢٨٤ ، نهاية الأرب : ٣ / ٧٧ ، شرح

شواهد المغني : ٨١٣ / ٢ ، تزيين الأسواق : ٤٢ - ذكر

البيت الأول فقط على بيتين آخرين - ، الكشكول : ٨٢ / ٣ / ٢ ،

مجموعة المعاني : ٦٩ .

وَحَلَّتْ بِأَعْلَى شَاهِقٍ مِنْ فُؤَادِهِ . : . فَلَا الْقَلْبُ يَسْلَاهَا وَلَا النَّفْسُ مَلَتْ
فَوَاعَجَبَا لِلْقَلْبِ كَيْفَ اعْتَرَا فُسُهُ . : . وَلِلنَّفْسِ لَمَّا وَطَّنَتْ فَأَظْمَأَنْتِ

وبعد ها بيتا الشاهد وبعد هما :

كَأَنِّي وَإِيَّاهَا سَحَابَةٌ مَمْجُولٌ . : . رَجَاهَا فَلَمَّا جَاوَزَتْهُ آسَتْهَلَّتْ (١)

استشهد الإمام عبد القاهر بهذين البيتين على اتحاد النظم في الوضع ودقة الصنع .

ولعل سبيل النظم، ودقته في هذه الأبيات هو التشبيه المركب .
فالشاعر هنا يصف حاله بعد أن تقطعت الصلات بينه وبين عزة ، فهو
على الرغم مما حصل بينهما لا يزال شديد الوله بها ، وعبر عن ذلك بأجمل
ما يكون التعبير، فجاء بواو القسم ، وأداة التوكيد " إن " وأضاف اسم " إن " للضمير
المتكلم ، ثم جاء بكلمة " تهياي " - بدل " هياي " - وهو مصدر للمبالغة من
الهيام .

وقد تكون جملة " وَتَهْيَايَ بعزة " جملة اعتراضية من مبتدأ وخبر اعترض بها
بين اسم " إن " وخبرها " لكالمترجي " ، وللجملة الاعتراضية هذه مذاقها الخاص
في هذا التركيب ، فقد أظهرت وأكدت حبه وتهيامه (٢) ، فهي غنية بالعواطف ،
غنية بالحنان الذي يمكن أن يروى نفسه الظمأى ، لكنها تتنوع ، وتتأى ، وهذا
ما ألقى نفسه وأوجع قلبه ، فلجأ إلى التشبيه المركب ليصور حاله ويجسد آلامه
وإحساسه ، فالحسرة في نفسه ، والآلم الذي ألمَّ به قد بلغ المدى ، فهو كالإنسان
الذي أحرقت حرارة الشمس فأخذ يبحث عن ظل غمامة يحتمي بها ، ولكنه كلما

(١) ديوانه : ١٠٢ - ١٠٣ .

(٢) قال ابن جني : " وسألته " يعنى أبا على الفارسي " عن بيت كُثِّير
" وَلِيَّيَّ وَتَهْيَايَ . . . " ، فأجاز أن يكون قوله : " وَتَهْيَايَ بِعِزَّة " .
جملة من مبتدأ وخبر ، اعترض بها بين اسم " إن " وخبرها الذي هو قوله :
" لَكَالْمُرْتَجِي . . . " ، فقلت له : أيجوز أن يكون " وَتَهْيَايَ " بِعِزَّة قسماً ،
فأجاز ذلك ولم يدفعه " / الخصائص : ١ / ٣٤٠ .

قوى ألمه في الظل، وأحس بالطمأنينة تركته من غير أن ترأف بحاله، فيظل يبحث عن ظلها، وتظل هي في هروب دائم .

ولما رأى الشاعر أن الحسرة مازالت تستكن في نفسه، وأن أحاسيسه وشعوره لم يفرغ في هذه الصورة التفرغ الكامل الموحى ككرر التشبيه بعد أن أضاف إلى الصورة الجديدة أبعاداً أخرى تبين شدة قسوتها، فهي شديدة العطاء وهو شديد الرجاء إلا أن عطاءها يتنعم عن رجائه، فهي كالسحابة المليئة بالمطر، مرت على رجل أرضه ممحلة مجدبة، فرجاها، وتوسم فيها الخير إلا أنها أصابته بالخيبة والألم، فلم تلقت لرجائه ولم ترحم جديده، بل زادت من عذابه، فبعد أن مرت به، وبعدت عنه أنهل غيشتها .

• رأى الشاعر أن هذين البيتين من قلائد قصائد كثير وغررها . قال :
" من قلائد وغرر قصائده قوله :

" وَإِنِّي وَتَهَيَّأِي بِمَعْرَةٍ بَعْدَمَا ... (١)

وقارن المرتضى في أماليه بين بيت كثير عزة، وبيت عروة بن أذينة :

وَعَادَ الْهَوَىٰ فِيهَا كَظَلِّ سَحَابَةٍ . . . أَلَا حَتَّى يَتَرَقَّى ثُمَّ مَرَّ سَحَابُهَا

قال : " وهيئات هذا البيت الأخير من قول كثير :

وَإِنِّي وَتَهَيَّأِي بِمَعْرَةٍ بَعْدَمَا ... (٢)

ونذكره ابن رشيق في باب التكرار . قال :

" ... إلا أن كثيراً تصرف، فجعل رجاء الأول ظل الغمامة ليقيل تحتها

من حرارة الشمس، فأضحلت، وتركته ضاحياً، وجعل السحل في البيت

الثاني يرجو سحابة ذات ماء، فأمرت بعدما جاوزته " (٣)

(١) الإعجاز والإيجاز : ١٥٣ - ١٥٤ .

(٢) أمالي المرتضى : ١ / ٤١٤ .

(٣) العمدة : ٢ / ٧٧ - ٧٨ .

وواضح أن في البيت "تضمينا" وهو تعليق البيت الأول بالثاني ، ورأى النقاد القدماء عدا ابن الأثير، أنه عيب في الشعر .

الشاهد السادس والأربعون : (*) (الطويل)

قول البحتري :

(١) لَعَمْرُكَ إِنَّا وَالزَّمَانُ كَمَا حَنَسْتُ (٢) . عَلَى الْأَضْعَفِ السَّوْهُونِ عَادِيَّةُ الْأَقْوَى (٣)

البيت من قصيدته التي يمدح بها أبا عيسى بن صاعد (٤) ومطلعها :

وَقَبْلَ الشَّاهِدِ : لَنَا أَبَدًا بَثُّ نَعَائِمِي فِي أَرْوَى . وَحَزْوِي وَكَمْ أَدْنَتْكَ مِنْ لَوَعَةٍ حَزْوِي (٥)

وَوَادٍ مِنَ الْمَعْرُوفِ عِنْدَكَ لَمْ يَكُنْ . مَعْرِجَنَا مِنْهُ عَلَى الْعُدْوَةِ الْقَصْوَى

إِذَا مَا تَحَلَّلْنَا يَدًا عَنْهُ خَلَّتْنَا . لِنَقْصَانِنَا عَنْهَا حَمَلْنَا يَهَا رَضْوَى

وبعدهما الشاهد وبعده :

مَتَى وَعَدَّتْنَا الْحَايَاتُ إِدَالَةً . فَأَخْطَقَ يَدَ الْوَعْدِ يَتَهَنَّنُ أَنْ يُلَوَّى

لِئِنْ زَوَيْتَ عَنَّا الْحُطُوطَ فَيُثْلِمُهَا . إِذَا خَسَّ فِعْلُ الدَّهْرِ عَنْ مِثْلِنَا يُزَوَّى (٦)

(*) الدلائل ، رضا : ٧٤ ، خفاجي : ١٣٢ ، شاکر : ٩٤ .

(١) رواية الديوان : " أَجْدَكَ " .

(٢) رواية الديوان والدلائل تحقيق شاکر : ٩٤ " كَمَا جَنَّتْ " .

(٣) لم أجد البيت إلا في :

ديوانه - دار بيروت - : ١ / ٣٥٠ .

(٤) هو أبو عيسى بن صاعد بن مخلد ، كان والده صاعداً وزيراً للموفق العباسي ،

وكان نصرانياً أسلم على يد الموفق ، فاستكتبه ، ووجهه في المهمات ،

ولُقِّبَ بِذِي الْوِزَارَتَيْنِ ، وكان كريماً نبيلاً كثير الصدقات والصلوات ،

وقعت وحشة بينه وبين الموفق ، فأمر الموفق سنة ٢٧٢ هـ بالقبض

على صاعد ، وعلى جميع أهله ، وأصحابه ونهب منازلهم ، وقُبِضَ

ابنائه أبو عيسى وصالح ، وأخوه عبدون ، وللبحتري أشعار كثيرة في

مدح بني مخلد . / انظر :

أخبار البحتري للصولي : ٨١ ، ١١١ ، سراج الذهب : ٤ / ٢٠٩ ، الكامل

لابن الأثير : ٦ / ٦٠ ، الأعلام : ٣ / ١٨٢ .

(٥) الديوان : ١ / ٣٤٨ .

(٦) ديوانه : ١ / ٣٥٠ .

ولعل الشاهد فيه هو حسن صياغة التشبيه واشتماله على نوع من البديع، وهو الطباق بين الأضعف والأقوى .

يبدو أن رواية الديوان " كما جَنَتْ " أدق وأجمل من رواية الدلائل " كما حَنَتْ " ؛ لأنها أنسب للصورة التي يريد الشاعر تقريرها في النفوس حيث جعل عادة الأقوى جانبية على الأضعف ، وفي جناية القوى على الضعيف بالغ القسوة وعدم الرحمة ، وهذا ما قصده الشاعر .

أما لفظ " حنت " ففيه معنى الحنو والعطف ، وليس هذا مراده إلا إذا كان مجيئاً الحنو هنا على سبيل التهكم والسخرية .

• بدأ الشاعر البيت بالقسم " لعمرك " ليؤكد أن ماسيروه ، ويصوره من حالة الناس مع الزمان هي صورة حقيقية ظاهرة .

وزيادة في التوكيد شبه حال الناس مع الزمان وما يصيبهم فيه من أهوال ومصائب ، بحالة إنسان ضعيف موهون القوى ، قست عليه وظلمته يد قوى معتدٍ .
ووصف الشاعر لفظ " الأضعف " بموهون ليبالغ في ضالة قوته ، وقلة غناؤه قدرته .

وانظر إلى صياغة التشبيه وتركيبه ، وكيف ضمنه نوعاً من البديع وهو الطباق بين الأضعف والأقوى ، وجاء بهما على وزن " أفعل " اسم تفضيل كل ذلك لتتمكن الأذهان من المقارنة بين القوتين ، فتتضح الصورة وتتأكد في النفوس .

الشاهد السابع والأربعون : (*) (البسيط)

قول حسان (١) :

قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمْ . . . أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَائِهِمْ نَفَعُوا

(*) الدلائل ، رضا : ٧٤ ، خفاجي : ١٣٣ ، شاكر : ٩٤ .

(١) هو حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري أبو عبد الرحمن ، ويقال :

أبو الحسام ، ويقال : أبو الوليد (٥٤٠ - ٥٤ هـ) أمه القريرة بنت خالد بن

حبيش ، صحابي ، شاعر فحل مجيد ، وهو شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم ، =====

سَجِيَّةٌ تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُحَدَّثَةٍ .: إِنَّ الْخَلَائِقَ قَاظِمٌ شَرَّهَا الْيَدْعُ (١)

هذان البيتان من قصيدة قالها حسان بن ثابت للرد على قول الزبرقان بن
بدر (٢) حين قدم وفد تميم على الرسول صلى الله عليه وسلم مفتخرين ، وفيهم
الأقرع بن حابس والزبرقان بن بدر ومعهم الخطيب عطار بن حاجب ، فقسام
الزبرقان ، فقال :

نَحْنُ الْكِرَامُ فَلَا حَسِيٌّ يُعَارِلُنَا .: مِنَّا الْمُلُوكُ وَفِينَا تَنْصَبُ الْبَيْعُ

=== وهو أحد المخضرمين ، كان من سكان المدينة واشتهرت مدائحه فسي
الفسانيين ، وملوك الحيرة قبل الإسلام ، وعى قبل وفاته ، ولم يشهد
مع النبي مشهداً لعله أصابته - وروى عن الرسول أحاديث كثيرة . / انظر
ترجمته : سيرة ابن هشام : ٤ / ١٤٨ - ١٥٥ ، طبقات فحول الشعراء :
١ / ٢١٥ ، الشعر والشعراء : ١ / ٣١١ - ٣١٤ ، تاريخ الطبري :
١ / ١١٥ - ١١٩ ، الأغاني : ٤ / ١٣٤ - ١٧٠ ، تاريخ ابن عساکر :
٤ / ١٢٨ ، نكت الهميان : ١٣٤ - ١٣٨ ، تهذيب التهذيب : ٢ / ٢٤٧ -
٢٤٨ ، الإصابة : ١ / ٣٢٥ رقم ١٧٠٣ ، خزنة البغدادي : - دار صادر :
١ / ١١١ ، الأعلام : ٢ / ١٧٦ .
(١) انظر البيتين في :

ديوانه : - دار صادر - : ١٤٥ ، شرح ديوان حسان - البرقوقسي :-
٣٠١ - ٣٠٢ ، السيرة النبوية لابن هشام : ٤ / ١٥٥ ، تاريخ الطبري :
٣ / ١١٧ ، الأغاني : ٤ / ١٤٩ ، المفتاح : ١٨٠ ، الإيضاح : ٢ / ٥٠٨ ،
شرح أبيات الأيضاح : - النسخة الأزهرية - شاهد ٣٨٥ ، مجموعة المعاني
١٧٤ .

(٢) هو الزبرقان بن بدر بن أمري ، القيس التميمي السعدي (. . . - ٤٥ هـ)
صحابي من رؤساء قومه ، واسمه الحصين ، ولُقِّبَ بالزبرقان ، وهو من
أسماء القمر * لحسن وجهه ولأنه الرسول صلى الله عليه وسلم صدقات قومه ،
فتثبث إلى زمن عمر ، وكفَّ بصره في آخر عمره ، وتوفي في أيام معاوية ،
وكان شاعراً فصيحاً فيه جفاء الأعراب . / انظر ترجمته :
السيرة لابن هشام : ٤ / ١٥٢ - ١٥٧ ، عيون الأخبار : ١ / ٢٢٣ - ٢٢٦ ، تاريخ
الطبري : ٣ / ١١٥ - ١١٩ ، المؤلف والمختلف : ١٣٨ ، جمهرة الأنساب : ٢١٨ .

تلك التكرار حزنناها مقارعة .: إذا الكرام على أمثالها اقترعوا (١)

فأرسل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى حسان بن ثابت ، فجاء فأمره أن يجيبه ،
فقال قصيدته التي منها الشاهد (٢) وأولها :

إِنَّ الذَّوَائِبَ مِنْ فِهْرِ وَلِخَوَاتِبِهِمْ .: قَدْ بَيَّنَّا سُنَّةَ النَّاسِ تَبَّعُ
وقبل الشاهد :

يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ .: تَعَوَّى إِلَهِ وَيَا لَأَمْرِ الذِّي شَرَعُوا
وبعده الشاهد وبعده :

لَا يَرْقِعُ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَكْفَهُمْ .: عِنْدَ الدَّفَاعِ وَلَا يُوهُونَ مَا رَقَعُوا
إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَاقُونَ بَقْدَهُمْ .: فَكُلُّ سَبَقٍ لِأَدْنَى سَبَقِهِمْ تَبَّعُ (٣)
استشهد الشيخ بهذين البيتين على أن اتحاد النظم ، ودقة الصنع فيهما كان
عن طريق التقسيم (٤) ثم الجمع ، وهو عنده أدق الأنواع وأجملها . وهذا النوع

(١) ديوانه : ٤٦ - ٤٨ .

(٢) انظر الخبر في :

السيرة لابن هشام : ٤ / ١٥٢ - ١٥٣ ، تاريخ الطبري : ٣ / ١١٥ - ١١٩ ،
الأغانى : ٤ / ١٤٩ .

(٣) ديوان حسان - : دار صادر - : ١٤٥ ، شرح ديوان حسان - البرقوقي -
٣٠١ - ٣٠٢ .

(٤) التقسيم نوع من أنواع البديع ، وهو أن يبتدي الشاعر فيضع أقساماً ما
فيستوفيها ، ولا يفاد رقسماً منها ، ولصحة التقسيم شروط منها :

١- أن تستوفي الأقسام فلا يخل بشيء منها ، مثال ما لم تستوفي فيه الأقسام :
صَارَتْ حَنِيفَةً أَثْلَاسًا فَطُلُّهُمْ .: مِنَ الْعَبِيدِ وَطُلَّتْ مِنْ مَوَالِيهَا
فهذه قسمة فاسدة من طريق الإخلال ؛ لأنه قد أخل بقسم من الثلاثة .
٢- ألا تتكرر مثال قول أبي تمام :

قَسَمَ الزَّمَانُ رُبُوعَهَا بَيْنَ الصَّبَا .: وَقَبُولِهَا وَدُبُورِهَا أَثْلَاسًا

فهذا فاسد من طريق التكرار ؛ لأن القبول هي الصبا على ما ذكره جماعة من
أهل اللغة .

بحثت عنه عند ابن المعتز في كتابه " البديع " ، فلم أجد له أثراً ، وكذلك عند
قدامة بن جعفر فقد تحدث عن صحة التقسيم فقط ، ولم يذكر نوع التقسيم - مع
الجمع ، وكذلك في العمدة ، وسر الفصاحة لم أجد أحداً منهم قد تطرق إلى
ما تطرق إليه الشيخ ، ويبدو أن المتأخرين أخذوا هذا القسم عنه ، وكذلك
استشهدوا بنفس الشاهد الذي ذكره ، وهو قول حسان السابق .

فقد قَسَمَ حَسَّان حال القوم قسمين :

ضرهم للعدو ، ونفعهم للأشياء .

ثم جمع هذين الخلقين في قوله " سجية " .

فبيتا الشاهد أروع وأدق من قول الزبرقان بن بدر :

نَحْنُ الْمَلُوكُ فَلَا حَيٌّ يَقَارِنُنَا . . . البيتان .

فجواب حسان أبرع ؛ لأن الزبرقان افتخر بكونهم ملوكاً قد أخذوا مكارمهم
مقارعة وحرماً ، وحازوا عليها قهراً وقسراً ، فهي ليست من طبائعهم التي جبلوا
عليها ، أما حسان ، فقد جعل قيادة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وطاعة الخلائق
له نابعة عن رضى من أنفسهم وطواعية ، فلا قهر ولا جبر ، وأن السجاياء التي يتصف
بها المسلمون إنما هي من طبيعتهم وفطرتهم ، فقسم في بادئ الأمر أخلاقهم ، وجاء
بها عن طريق المقابلة إظهاراً لها ؛ لتكون صورتها أبرز وأوضح ، ثم جمعها في
قوله : " سجية " تعظيماً ومفاخرة ، وتوكيداً وإقراراً لتلك السجية ، ثم جاء
باسم الإشارة " تلك " ليثبت بُعد منزلتهم في الشرف والأخلاق ، ثم انظر إلى

==== ٣ - ألا يدخل بعضها تحت بعض ، مثاله قول نصيب :

أَبَايَرُ إِهْلَاكَ مَسْتَهْلِكٍ . . . لِمَا لِي أَوْعَيْتَ الْعَايِثِ

فهذا فاسد لدخول أحد القسمين في الآخر ؛ لأن العايث داخل في

استهلاك المستهلك / انظر :

نقد الشعر : ١٣١ - ١٩٩ ، سر الفصاحة : ٢٢٦ - ٢٢٧ ، خزانة

الحموي : ٤٣٦ - ٤٣٧ .

الالتفات الذي جاء في صورة مؤكدة بأداة التوكيد (إِنَّ) - " ان الخلائق " - ،
ثم تأمل الجملة الاعتراضية " فأعلم " ، وصنيع " الفاء " التي زادت فعل الأمر قوة
وتنبهياً ، قال صاحب شرح أبيات الإيضاح :

" وقوله : - " فأعلم " - اعتراض بين الاسم والخبر ، وقوله : إِنَّ الخلائق - فأعلم -
شَرُّها البدع جار مجرئ المثل ، وهو التفات يصفهم بالاعتقاد على ما يشاءون ، وأن
ما فيهم من الضر والنفع طبيعي غير محدث (١) .

وقبل ذلك كله أنظر كيف ابتدأ البيت بالمسند " قوم " وحذف المسند إليه ،
فالأصل " هم قوم " ، فابتدأ بذكرهم إظهاراً لعظمتهم وإثباتاً لهيبتهم .
وكيف بنى البيت على أسلوب الشرط ، بإذا " ليظهر تحقق وقوع ضرهم العدو ،
ونفعهم الاشياء .

• وقد استحسّن الشيخ عبد القاهر التقسيم ، ثم الجمع ، فقال :

" ومنه " التقسيم " وخصوصاً إذا قَسَمْتَ ثم جمعت (٢) .

ولكن ابن حجة الحموي رأى أن الجمع مع التقسيم : وهو أن يجمع الناظم بين
شيئين فأكثر ، ثم يقسم أفضل من النوع الذي ذكره الشيخ . قال :
" هذا النوع أعنى الجمع مع التقسيم هو أن يجمع الناظم بين شيئين فأكثر ،
ثم يقسم كقول أبي الطيب المتنبّي :

الدَّهْرُ مُعْتَدِرٌ وَالسَّيْفُ مُنْتَظَرٌ . . . وَأَرْضُهُمْ لَكَ مُصْطَافٌ وَمَرْتَبَتُهُمْ (٣)

لِلنَّبِيِّ مَا نَكَحُوا وَالْقَتْلَ مَا وَلَدُوا . . . وَالنَّهْبَ مَا جَمَعُوا وَالتَّارَ مَا زَرَعُوا (٤)

وقد يتقدم التقسيم ويتأخر كقول حسان :

قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضُرُّوا عَدُوَّهُمْ . . . البيتان .

(١) شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - : شاهد رقم (٣٨٥) علم البديع

القسم المعنوي .

(٢) الدلائل ، رضا : ٧٤ ، خفاجي : ١٣٣ ، شاكر : ٩٤ .

(٣) ديوانه بشرح العكبري : ٢ / ٢٣٣ .

(٤) المصدر السابق : ٢ / ٢٢٤ .

فالأول أحسن، وأوقع في القلوب، وعليه مشى أصحاب البديعيات^(١).

الشاهد الثامن والأربعون : (*) (البسيط)

قول القائل :^(٢)

لَوْ أَنَّ مَا أَنْتُمْ فِيهِ يَدُّ لَكُمْ . : . ظَنَنْتُ مَا أَنَا فِيهِ دَائِمًا أَبَدًا
لَكِنْ رَأَيْتُ اللَّيَالِي غَيْرَ تَارِكَةٍ . : . مَا سَرَّ مِنْ حَدِيثٍ أَوْ سَاءَ مُطَرِّدًا
فَقَدْ سَكَنْتُ إِلَى أَنِّي وَأَنْتُمْ . : . سَنَسْتَجِدُّ خِلَافَ الْحَالَتَيْنِ غَدًا

- (١) خزانة الأدب للحموي : ٣٥٦ - ٣٥٧ .
(*) الدلائل ، رضا : ٧٥ ، خفاجي : ١٣٣ ، شاكر : ٩٤ .
(٢) ذكر الأستاذ محمود محمد شاكر في تحقيق الدلائل أَنَّ الأبيات على الرغم من شهرتها لم يقف لها على قائل .

ونسبها محقق الإيضاح الأستاذ : " خفاجي " لإبراهيم بن العباس الصولي ، وقد رجعت إلى ديوانه المطبوع ضمن كتاب الطرائف الأدبية ، فلم أجد الأبيات ، وراجعت ترجمته في معجم الأدباء والأغاني ، وفي كتب التراجم الأخرى فلم أجد لها فيها .
وأشار كذلك إلى أن الأبيات قد تكون لابن الرومي ، وبحثت في ديوانه فلم أعثر عليها ، ولا أدري على أي شيء اعتمد في نسبته هذه ؟ فقد بحثت عنها في كثير من كتب الأدب واللغة والنحو فلم أعثر عليها أو على قائلها .
ومن الكتب التي رجعت إليها :

جوهرة أشعار العرب / المفضليات / الكتاب / مجاز القرآن / معانسي
القرآن للأخفش الأوسط / نوادر أبي زيد / الأصمعيات / كتاب الأمثال
لابن سلام / شرح أبيات الكتاب للنحاس / إصلاح المنطق / البيان
والتبيين / الشعر والشعراء / المعاني الكبير / الكامل / المقتضب
مجالس ثعلب / البديع / أمالي اليزيدي / الخصائص / عيار الشعر /
العقد الفريد / أخبار أبي تمام للصولي / أخبار البحري للصولي /
نقد الشعر / أمالي الزجاجي / الوساطة / ديوان الأدب للفارابي /
الأغاني / أمالي القالي وذيله / الصاحبي / الموازنة / ديوان المعاني /
الموشح / ثلاث رسائل في اعجاز القرآن / معاني أبيات الحماسة /

استشهد الإمام عبد القاهر بهذه الأبيات دليلاً آخر على حسن التقسيم، ثم
الجمع، ورأى أنها في غاية الحسن. قال :

” سَنَسْتَجِدُّ خِلَافَ الْحَالَتَيْنِ غَدًا ” جمع فيما قسم لطيف ، وقد زاد لطفاً
بحسن ما بناه عليه ، ولطف ما توصل به إليه من قوله : ” فَقَدْ سَكَنْتُ إِلَى أَنْتِي
وَأَنْتُمْ ” (١).

والأبيات في غاية اللطف ، وغاية البراعة ، فهي تحوي معنى غزيراً وعميقاً ، فصدر
الشاعر يعجُّ بالحنق والغیظ على بعض الأقسام الذين غرتهم الدنيا ، فاطمأنوا
إليها ، وانساقوا وراءها ، ولم يبالوا بغيرهم ، ونسوا من يخالفهم في الحال ، واعتقدوا
أن ما هم فيه من النعيم والاستقرار دائم أبداً ، فجاء بهذه الأبيات ؛ ليقرر لهم
حقيقة حال الدنيا الغرور ، فبدأ الأبيات بـ (لو) ؛ ليؤكد امتناع دوام الحال ، واستحالة
استمراره .

ولجأ إلى التقسيم ؛ ليجسد صورتها ، فتبرز وتتضح ، فما سر من حوادثها —
وما ساء منها لا يمكن أن يكون مطرداً ، ثم جمع ليكون التوضيح في صورة التقرير ، فقال :
” سَنَسْتَجِدُّ خِلَافَ الْحَالَتَيْنِ غَدًا ” ، فهذا أمر آتٍ لا محالة ، وقبل الجمع قال :

==== إعجاز القرآن للباقلاني / التنبيهات على غرائب التشبيهات /
نثر الدر الآبي / الحماسة بشرح المرزوقي / التثيل والمحاضرة /
أحسن ما سمعت / محاضرات الأدباء / أمالي المرتضى / زهر
الآداب / العمدة / بهجة المجالس / سر الفصاحة / المتع /
أمالي الشجري / الإفصاح للفارقي / شرح الحماسة للتبريزي /
الرسالة المصرية لأبي الصلت / المفتاح / المثل السائر / المغني
/ الحماسة البصرية ، التلخيص / الإيضاح / شرح ألفية ابن مالك /
شرح أبيات الإيضاح / المستطرف / الإرشاد الشافي للدمنهوري /
معاهد التنصيص / خزانة الأدب للبغدادی / الطراز . وغيرها
من الكتب .

" فَقَدْ سَكَتُ إِلَى أَنِّي وَأَنْتُمْ " فلفظ " سَكَتُ " يدل على سكون نفس الشاعر
 النائرة وراحتها واطمئنانها إلى ماسيقره ، وكأنَّ في إعلان سكونه تشفياً منهم .
 وقوله : " أَنِّي وَأَنْتُمْ " تعبير في غاية الدقة والإيجاز ؛ لأنَّ قوله " أَنِّي " إشارة إلى المأساة التي يمر بها ، وهذه المأساة رمز إلى السيئ من حال الدنيا ،
 فعبر عن ذلك كله بالضمير ، وقوله " أَنْتُمْ " إشارة إلى محبي الدنيا ، والمتعلقين
 بأذنابها ، وهم رمز للمغريات ، والضلالات ، وهكذا حمل الضمير كثيراً من المعاني
 والدلالات .

الشاهد التاسع والأربعون : (*) (الطويل)

قول أمري القيس :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَتَيَّاسًا . لَدَى وَكْرِهَا الْعُتَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي (٢) (١) (٣)

- (*) الدلائل ، رضا : ٧٥ ، خفاجي : ١٣٣ ، شاكر : ٩٥ .
 (١) الْعُتَابُ : العُتَاب من الثمر معروف ، الواحدة عُتَابَةٌ ، وربما سمي ثمر
 الْأَرَاكِ عُتَابًا / اللسان : " عنب " : ١ / ٦٣٠ .
 (٢) الحشف : الحشف من التمر مالم يُنَوَّ ، فإذا يَبَسَ صَلَبَ ، وفسد لا طعم له ،
 ولا لِحَاء ولا حلاوة . / اللسان " حشف " : ٩ / ٤٧ .
 (٣) انظر البيت في :
 ديوانه - شرح السندوبي - : ١٦٦ ، طبقات فحول الشعراء : ١ / ٨١ ،
 الحيوان : ٣ / ٥٣ ، المعاني الكبير : ١ / ٢٧٧ ، الكامل للمبرد
 - دار الفكر - : ٢ / ٣ ، البديع : ٦٩ ، عيار الشعر : ٢٣ ، أخبار أبي تمام
 للصولي : ١٧ ، الأغاني : ١٩٦ / ٣ - ٢٣٧ ، ذيل
 الأمالي والنوادر : ٣٠ ، المصون : ٦٥ ، أمالي المرتضى : ١٢٥ / ٢ ، الصنائع :
 ٢٦٧ - ٢٧٢ ، المنصف في نقد الشعر : ٥٠ ، إعجاز القرآن للباقلائي : ٧٣ ،
 زهر الآداب : ٨٢١ - ٨٢٢ ، العمدة : ٢٦٢ / ١ ، أشعار الشعراء
 الستة الجاهليين : ٢٣ / ١ - ٢٥ ، سر الفصاحة : ٢٣٩ ، تحرير التعبير :
 ١ / ١٦٣ ، الإيضاح : ٢ / ٣٦٧ ، شرح أبيات الإيضاح : " فيض الله " : ١٧١ ، =====

والشاهد من قصيدته المشهورة التي مطلعها :

أَلَا يَمُ صَبَاحًا أَيُّهَا الطَّلُّ الْبَالِي . . . وَهَلْ يَعْمَنْ مَنْ كَانَ فِي الْعُصْرِ الْخَالِي (١)

وقبل بيت الشاهد :

كَأَنِّي يَفْتَحَاءُ الْجَنَاحَيْنِ لِقَوَّةِ (٢) (٣) . . . صَيُودٍ مِنَ الْعِقْبَانِ طَاطَأَتْ (٤) شِمْلَالِ
تَخَطَّفُ خِزَانَ الشَّرْبَةِ بِالضُّحَى (٥) (٦) . . . وَقَدْ حُجِرَتْ مِنْهَا شَعَالِبُ أَوْزَالِ (٧)

== شرح شواهد المغني : ٣٤٢ / ١ ، أوضح المسالك : ٩٢ / ٢ رقم الشاهد :

« ٢٧٤ » ، خزانة الأدب للحموي : ١٨٩ ، معاهد التنصيص : ٨٠ / ٢ - ٨١ ،

الكشكول : ٣٢٢ / ٢ / ١ .

(١) ديوانه - شرح السند وبني - : ١٥٨ .

(٢) عقاب فتحاء : لينة لأنها إذا انحطت كسرت جناحيها ، وهذا لا يكون إلا من

اللين / اللسان : * فتح * : ٣ / ٤٠ - ٤١ .

(٣) لقوة : عقاب لينة الجناحين سريعة الاختطاف / اللسان : * لقاء * : ٢٥٣ / ٥ .

(٤) طأطأ : أسرع واشتد وبالغ / اللسان * طأطأ * : ١١٣ / ١ .

(٥) خِزَان : ذكور الأرنب وقيل ولد الأرنب / اللسان : ٣٤٥ / ٥ .

(٦) الشربة : يقال لكل نحيزة من الشجر شربة ، والنحيزة طريقة سوداء في

الأرض كأنها مستوية لا يكون عرضها ذراعين ، يكون ذلك من جبل وشجر وغير ذلك .

والشربة بنجد وادي الرمة يقطع بين عدنة والشربة فإذا جزعت الرمة في

الشمال أخذت في عدنة ، والشربة بين الرمة وبين الجريب ، والجريب

وادي يصب في الرمة ، والشربة أشد بلاد نجد قرأ ، وهي من بلاد

غطفان . / انظر :

معجم البلدان : ٣ / ٢٣٢ - ٣٣٣ ، معجم ما استعجم : ٧٩٠ / ٢ .

(٧) أوزال : آخره لام ، أجبل ثلاثة سود في جوف الرمل الواحد وزل ، فيقال :

الوزل الأيمن ، والوزل الأيسر ، والوزل الأوسط ، وحذاءهن مائة

لبنى عبد الله بن دارم يقال لها الولة / انظر :

معجم البلدان : ١ / ٢٧٨ .

وبعدهما الشاهد وبعده :

(١)

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لَأَدْنَى مَعِيشَةٍ . : كَفَانِي وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ

والبيت أورده الشيخ شاهداً على أن من جمال النظم ودقته ، وتلاحم أجزاءه

تشبيه شيئين بشيئين ، ^(٢) فالتشبيهات على ضروب مختلفة منها تشبيه الشيء

بالشيء صورة وهيئة ، ومنها تشبيهه به لوناً ، ومنها تشبيهه به صوتاً ، وربما

امتزجت هذه المعاني بعضها ببعض ، فإذا اتفق في الشيء المشبه بالشيء معنيان

أو أكثر دل ذلك على قوة التشبيه ، وتأكد الصدق فيه ، وكان الشعر بذلك حسناً ،

وبيت امرئ القيس من هذا النمط العالي ، وهو تشبيه الشيء بالشيء صورة

(٣)

وهيئة .

والمقصود به إيضاح الشيء ، لأن مشاهدة العناب والحشف أكثر من مشاهدة

(٤)

قلوب الطير رطبة ويابسة .

والبيت في صفة العقاب ، وخفته ، وبراعته في الصيد ، فهو كثير الاصطياد ، فأوكلاره

دائماً مليئة بما يحمله من الطير حتى اجتمعت فيها القلوب ، فمنها الطير كالعناب ،

وهي قلوب الطير الحديثة الصيد ، ومنها اليابس كالحشف البالي ، وهي قلوب

الطير التي انقضت عليها زمن طويل . قال ابن وكيع :

... فشبّه القلوب الرطبة بالعناب ، واليابسة بالحشف ، وخصّ قلوب

الطير ؛ لأنها أطيبها ، فإذا صادت جاءت بقلوب الطير إلى أفراخها ،

وذكر عن الأصمعي أنه قال : الجارح لا يأكل قلوب الطير . وإنما خصّها

(٥)

دون غيرها لبقائها في وكر العقاب لليلة التي ذكرها .

(١) ديوان امرئ القيس : ١٦٦ - ١٦٧ .

(٢) والبيت يستشهد به النحاة على أن رطباً ويابساً حالان متضمنان معننى

الفعل ؛ فلذا وجب تأخيرهما / المغنى : ١ / ٣٦٥ ، رقم الشاهد : ٦٤٣٦٣٠

شرح شواهد المغنى : ١ / ٣٤٢ ، ٢ / ٥٩٥ ، ٨١٩ .

(٣) عيار الشعر : ٢٣ .

(٤) سر الفصاحة : ٢٣٩ . (٥) المنصف في نقد الشعر : ٥٠ .

وهذا البيت من معاني أمري القيس المخترعة التي لم يسبق إليها ، ولم يعمل أحد من الشعراء ، قبله نظيرها ، أو ما يقرب منها ، فهو أول من بدأ بتشبيه شيئين بشيئين في بيت واحد . (١)

• ولقد أجمع النقاد على استحسان هذا البيت . جاء في الكامل للمبرد :
 " قال أبو العباس ، وهذا باب طريف نصل به هذا الباب الجامع الذي ذكرناه ، وهو بعض ما مر للعرب من التشبيه المصيب والمحدثين بعدهم ، فأحسن ذلك ما جاء بإجماع الرواة ما مر لا مري القيس في كلام مختصر أي بيت واحد من تشبيه شيء في حالتين بشيئين مختلفين ، وهو قوله :
 كَانَ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا . (٢)

ثم يلفت المبرد الأنظار إلى روعة التركيب ودقته فلو أنه قَصَلَ ، وقال : كأنه رطباً العناب ، وكأنه يابساً الحشف ؛ لَصَرَفَ الكلام عن رونقه ، وزالت عنه فصاحته .
 وأخذ الشيخ عبد القاهر كلام المبرد هذا ، وضمنه كتابه أسرار البلاغة فقال :

" . . . وكذلك لو فرقت التشبيه ، فقلت : " كأن الرُّطْبَ من القلوب عُنَابٌ ، وكأن اليبسَ حشفٌ بال " لم تر أحد التشبيهين موقوفاً في الغائدة على الآخر . . . (٣)

وذكره ابن المعتز في " محاسن الكلام " ، قال :

(٤)

" ومنها حسن التشبيه نبدأ بإمام الشعراء ، قال امرؤ القيس... البيت "

وكذلك ذكره الصولي في رسالته إلى مزاحم بن فاذك ، وذكر أن الناس

(١) انظر: المصون : ٦٥ ، العمدة : ١ / ٢٦٢ ، باب المخترع والبديع

(٢) الكامل - دار الفكر - : ٣ / ٠٢ .

(٣) أسرار البلاغة : هـ ، ريت : ١٧٧ .

(٤) البديع : ٦٩ .

استحسنوه ، ونفوا قدرة أحد على الإتيان بمثله ^(١) .

وقد أعجب بشار بهذا البيت إعجاباً جعله يشغل نفسه بالإتيان بمثله ، فلم يهدأ بالاً حتى قال :

كَأَنَّ مُشَارَ النَّفْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا . . . وَأَشْيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ ^(٢)

وقد رأى أبو هلال العسكري أن البيت - بيت أمري القيس - في غاية الجودة .
قال :

" فمن بديع التشبيه قول أمري القيس :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا . . . البيت

فشبه شيئين بشيئين مفصلاً - الرطب بالعناب ، واليابس بالحشف ، فجاء في غاية الجودة ^(٣) .

وقد سأل عبد الملك بن مروان عن أشعر الناس ، فأجابه روح بن زنباع ، أشعرهم الذي يقول :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا . . . البيت ^(٤)

وأورده أبو إسحاق القيرواني على أنه من أجمل ما قاله العرب في الوصف ، وذكر قصة عبد الملك بن مروان السابقة الذكر ^(٥) .

فالبيت إن شاء شاهد على التشبيه الملقوف ، وهو أن يؤتى بمشبهين ثم المشبه بهما ، فهنا شبه الرطب الطري من قلوب الطير بالعناب ، واليابس القديم منها بالحشف البالي .

(١) أخبار أبي تمام : ١٧٠ .

(٢) الأغاني : ٣ / ١٩٦-٢٣٧ ، أشعار الشعراء الستة الجاهليين : ١ / ٢٣ ،

سر الفصاحة : ٢٣٩ .

(٣) الصناعتين : ٢٧٢ .

(٤) ذيل الأمالي والنوادر : ٢٩ - ٣٠ .

(٥) زهر الآداب : ٣ / ٨٢١ - ٨٢٢ .

الشاهد الخمسون : * (الكامل)

بيت الفرزدق :

وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي الشَّبَابِ كَأَنَّهُ ^(٢) . . لَيْلٌ ^(٣) يَصِيحُ ^(٤) يَجَانِبُهُ نَهَارٌ ^(٥)

والبيت من قصيدته التي مطلعها :

(*) الدلائل ، رضا : ٧٥ ، خفاجي : ١٣٤ ، شاكر : ٩٥ .

(١) رواية المستطرف : " ينقض في الشباب " .

(٢) رواية الديوان ، والكامل والاقتضاب وريحانة الألبا :

" والشيب ينهض في السواد " .

ويبدو أن رواية الدلائل أبلغ ؛ لأن الشاعر قصد ظهور المشيب في فترة محددة ووقت معين ، وهو انقضاء فترة الشباب واللهو واللعب . أما رواية " والشيب ينهض في السواد " فهي أقل دقة ؛ لأن الوقت فيها يكون مطلقاً غير محدد ، فالشيب قد يظهر بعد سن البلوغ مباشرة ، وقد يظهر في سن الشباب ، وقد يتأخر ، فتحدد الوقت أدق في الصورة التي أراد الشاعر رسمها .

(٣) رواية الأغاني : " ليل يسير " ويبدو أن رواية " يصيح " أجمل ؛ لأن

لفظة " يصيح " أكثر حركة وأنسب لموقف الزجر والتأنيب .

(٤) رواية المستطرف : " بعارضيه " ، ورواية أنوار الربيع : " بحافتيه " .

(٥) انظر البيت في :-

الديوان : ١ / ٣٧٢ ، حماسة البحتري : ١٨٣ ، طبقات فحول

الشعراء : ١ / ٣٦٨ ، الشعر والشعراء : ١ / ٧٤ ، الكامل للمبرد :

١ / ٢٤ ، الأغاني : ٢١ / ٣٠٩ ، الصناعتين :

٢٧٧ ، إعجاز القرآن للباقلائي : ٨٢ ، الموشح : ٩٣ - ٩٤ ، العمدة :

١ / ٢٦٧ ، الغيث المسجم : ١ / ٢٩٤ ، المستطرف : ٢ / ٣٣ ،

الاقتضاب : ١٤٦ ، ريحانة الألبا : ٢ / ٣٨٢ ، أنوار الربيع :

٤ / ٤٠ ، ٥ / ٢٣٥ .

(١) (٢) (٣)
أَعْرِفْتَ بَيْنَ رُؤْيَيْنِ وَحَنَبَلٍ .: دِمْنًا تَلُوحُ كَأَنَّهَا الْأَسْطَارُ (٤)

وقبل بيت الشاهد :

إِنَّ الْعَلَامَةَ مِثْلُ مَا بَكَرَتْ بِه .: مِنْ تَحْتِ لَيْلَتِهَا عَلَيْكَ نَوَارُ
وَتَقُولُ كَيْفَ يَسِيلُ مِثْلُكَ لِلْمَصِّبَا .: وَعَلَيْكَ مِنْ سِتَةِ الْحَلِيمِ عِذَارُ
وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي السَّوَادِ كَأَنَّهُ .: لَيْلٌ يَصِيحُ بِجَانِبَيْهِ تَهَارُ

وبعده :

إِنَّ الشَّبَابَ لَرَايِحٌ مِّنْ بَاعِهِ .: وَالشَّيْبُ لَيْسَ لِبَائِعِهِ تَجَارُ (٥)

استشهد به الإمام عبد القاهر على النظم العالي الذي ندر ولطف مأخذه ،

ودق نظر واصفه ، وهو من تشبيه الشيعيين بالشيئين قال :

" وإن قد عرفت هذا النمط من الكلام ، وهو ما تتحد أجزاءه حتى يوضع
وضعا واحداً ، فأعلم أنه النمط العالي ، والباب الأعظم الذي لا تسمى
سلطان المزية عظم في شيء ، كعظمه فيه ، وما ندر منه ، ولطف مأخذه ،
ودق نظر واضعه ، وجلّى لك عن شأوق قد تحسروا منه العتاق ، وغاية
يعنى من قبلها المذاكي القُرَح ، الأبيات المشهورة في تشبيه شيئين

بشيئين " . (٦)

(١) رُؤْيَيْنِ : بضم أوله وفتح ثانيه ، وتشديد الياء المثناة من تحت كأنه تصغير

رؤية واحدة الرّئي من العطش ، وقيل رؤية بالهمزة ماء في بلاد بني الروية ، وينو

الروية من قرى اليمن . / معجم البلدان : ١٠٥ / ٣ - ١٠٦ .

(٢) حَنَبَلٌ : بفتح أوله واسكان ثانيه وبالياء المعجمة هو موضع ما بين البصرة

ولينة / معجم ما استعجم : ١ / ٤٧١ .

(٣) الأسطار : أراد الأثر الخفي منه المطار ، وأصله من السَّطَر والسَّطَر ، وهو

الخط من الكتابة . تاج العروس : " سطر " : ٣ / ٢٦٦ - ٢٦٧ .

(٤) ديوانه : ١ / ٣٧١ .

(٥) ديوان الفرزدق : ١ / ٣٧٢ .

(٦) الدلائل ، رضا : ٧٥ ، خفاجي : ١٣٤ ، شاكر : ٩٥ ،

ثم ذكر بيت آمري، القيس * كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا *

وبيت الفرزدق : * وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي الشَّبَابِ *

وبيت بشار : * كَأَنَّ مَثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا (١) *

وعد علماء البلاغة بيت الفرزدق * بيت الشاهد * من أجود شعره ، ويستشهدون به على جيد التشبيه والاستعارة .

فهو عند العبرد واضح المعنى غريب اللفظ قريب المأخذ (٢) .

ورد هذه العبارة المرزباني في الموشح (٣) ، وذكره الباقلاني في البديع من

الكلام (٤) .

وأورد ابن رشيق في باب المجاز ، ورأى أنه من أناشيد هذا الباب (٥) .

أما ابن سلام فيرى أنه من الكلام المتداخل المعقد ، وذكر أن الفرزدق كان

يُدْخِلُ الكلام ، وكان ذلك يُعْجِبُ أصحاب النحو (٦) .

- ولا أعلم وجه ذلك الإعجاب - ، وأورده مع قوله :

* وَأَصْبَحَ مَا فِي النَّاسِ إِلَّا مُمْلَكًا *

وكذلك رأى ابن قتيبة أن هذا البيت من الضرب الذي جاد معناه، وقصرت

الفاظه عنه (٧) .

ورأى الصندي أن الصِّيَاح هنا لا مناسبة له ولا معنى (٨) .

(١) سيأتي ذكره ، وهو الشاهد الواحد والخمسون .

(٢) الكامل - دار الفكر - : ٢٤ / ١ .

(٣) الموشح : ٩٣ - ٩٤ .

(٤) إعجاز القرآن : ٨٢ .

(٥) العمدة : ١ / ٢٦٢ .

(٦) طبقات فحول الشعراء : ١ / ٣٦٨ .

(٧) الشعر والشعراء : ١ / ٧٤ .

(٨) الغيث المسجم : ١ / ٢٩٤ .

وذكر في "أنوار الربيع" أنه من فساد التشبيه الذي يأتي منكوساً قيل :
 " فذكر أن الشيب يبدو في الشباب ، ثم ترك ما ابتدأ به ، ووصف الشباب
 بأنه كالليل ، والذي تقتضيه المقابلة الصحيحة أن يقول :
 كَمَا يَنْهَضُ نَهَارٌ فِي جَانِبِ اللَّيْلِ (١) .

وعلى الرغم مما قيل فإنَّ التمعن في هذه الأبيات يجعل الخيال يخلق فسي
 أجواء من المتعة النفسية ، والحركة الفكرية مما يدفع النفوس للإعجاب بدق وخيال
 الشاعر .

فرأى الأستاذ محمود شاكر أن الاستشهاد بالبيت وحده معنى مفســوـلاً
 لا خير فيه ، وإنما يظهر جماله ورونقه ، ويكمل معناه مع الأبيات التي حوله .
 فقله :

وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي الشَّبَابِ كَأَنَّهُ . . لَيْلٌ يَصِيحُ بِجَانِبِهِ نَهَارٌ

من تمام البيت الذي قبله ، وهو قوله :

وَتَقُولُ كَيْفَ يَهْمِلُ مِثْلَكَ لِلصَّبَا . . وَعَلَيْكَ مِنْ سِمَةِ الْحَلِيمِ عَذَارُ

فهو من قول النّوّار (٢) في ملامتها له .

والبيت الذي بعده :

إِنَّ الشَّبَابَ لَرَابِحٌ مِّنْ بَاعِئِهِ . . وَالشَّيْبُ لَيْسَ لِإِثْمِهِ تَجَارُ

زفرة زفرها الفرزدق بعد أن سمع ملامتها ، فجاءت تقطر حسرات على مافات

من شبابه ، فهي تقول له أن الإنسان إذا كبر ، وبلغ من العمر مبلغاً ، وشباب
 عارضه كف الشيب من عفوانه ، وانبعث تجاربه تذكره ، وتذكره ، وتوقظه ، وتهديسه
 إلى حياة أخرى غير حياة اللهو واللعب ، فتنقشع الغشاوة عن عينيه ، وينهتسك

(١) أنوار الربيع : ٥ / ٢٣٥ .

(٢) هي النّوّار ابنة أعيان بن صعصعة بن ناجية بن عقال المجاشعي - وهي

ابنة عم الفرزدق - تزوجها ولزواجه منها قصة . / انظر :

الأغاني : ٢١ / ٢٨٦-٢٨٧ .

ظلام الغفلة التي كانت مطبقة عليه ، ثم شبيهت هذا كله بالفجر إذا أقبل فأسفر
على القوم النيام ، فانبعثت الأصوات في نواحي الحي . . كلب ينبح ، وشاة تتفوق ،
وبعير يرغو ، وديك يؤذن ، وداع يصيح ، ومناد ينادي ، وأقدام تدب ، وأصوات
الحياة في ظلمة الليل ، وهدأته تنذر النّوم أن النهار قد أقبل بغورته يطرد
الظلام المطبق ، فجد الجد ، وطار الأحلام ، فهو هنا أراد تشبيه حالة مجتمعة
بحالة أخرى مجتمعة لا تشبيه لون بلون ، فإنه إسقاط للشعر . (١)

يبدو أن ما ذهب إليه الأستاذان شاكر يرفع من قيمة الأبيات ، ويزيد من روعتها
وجالها .

ومن اللغات الجميلة في البيت حسن اختيار الزمن ، فالشاعر جعل وقته
ملائمتها له ، وحديثها معه في وقت الليل ، وهو وقت الراحة والسكون والهدوء ،
ووقع العلامة فيه أشد ؛ لأن النفس تكون فيه أدعى للإستجابة ، والأحاسيس تكون
في قمة صفائها وشفافيتها ، ثم صاغ ملامتها في أسلوب الاستفهام " وتقول كيف
يميل مثلك للصبا " ، وهو أقوى في الزجر والتأنيب ، ثم جعل " الشيب ينهض
في الشباب " وكأنه شخص حكيم أزجه مارأى من طيش الشباب ، فهبّ وأسرع
مصطحباً الأناة والصبر يريد النصح والتقويم ، ومع حركة النهوض ودبيبها تدب
التجربة ، ويدب العقل ليوقظ النفس من طيشها ، وينفي عنها جهلها .

وقوله : " يصيح بجانبه نهار " يضيف على الأبيات مزيد حركة وخفة ؛
لأن الصياح هنا يقابل النهوض في المشبه ، فالصورة كلها حركة ، وضجيج ، وسرعة ،
وشورة على تلك النفس التي تريد أن تخرج عن وقارها .

وجعل بعضهم الصياح هنا بمعنى انصاح الثوب انصياحاً إذا تشقق .
ورأى آخرون أنه الصياح بعينه وهو الدعاء ، ورأى البطليوسي أن الوجه
الثاني أدق وأصح قال :

" وإنما الصياح ههنا مجاز أو استعارة ؛ لأن النهار لما كان آخذاً في
الإقبال ، وكان الليل آخذاً في الإدبار شبه النهار بالمهازم الذي من
شأنه أن يصيح على المهزوم ؛ ولذلك شبهوا الليل بالقتيل ، وقد صرح
الشماخ بهذا المعنى في قوله :

وَلَا قَتَ بِأَرْجَاءِ الْبَسِيطَةِ سَاطِعاً . . . مِّنَ الصُّبْحِ لَتَا صَاحٍ بِاللَّيْلِ نَقْرًا * (٢)

وبعد تلك الزومعة والضجيج يتحسر الشاعر على الشباب ، ويستهيمن بالشيب ،
فالأول لعزته ونفاسته يجد له مشترياً إذا أراد بيعه ؛ لأن المشتري ربح فيه .
أما الشيب لِهَوَانِهِ ، فلا تاجر يشتريه إذا أراد صاحبه أن يبيعه .
وكانه يريد أن يقول : إن الناس يرغبون في الشباب ليستعينوا به ، ويزهدون
في الشيب لأنهم لا يجدون في صاحبه معيناً ولا مساعداً . وهذا ما أراد به بالبيع
والشراء .

الشاهد الحادي والخمسون : (*) (الطويل)

بيت بشار :

كَأَنَّ مَثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا (٣) . . . وَأَسْيَافَنَا لَيْلٍ تَهَاوَى كَوَاكِبَهُ (٤) (٥)

(١) لم أجده في ديوانه . (٢) الاقتضاب : ١٤٧ .

(*) الدلائل ، رضا : ٧٥ ، خفاجي : ١٣٤ ، شاكر : ٩٦ .

(٣) رواية الديوان وإعجاز القرآن للباقلاني ، وخاص الخاص ، والمرتضى " رؤوسهم " ،

ورواية المبرد في الفاضل : " كَأَنَّ مَثَارَ النَّقْعِ فِينَا وَفِيهِمْ " .

(٤) رواية طبقات فحول الشعراء : " تهاوت كواكبه " .

(٥) انظر البيت في :

ديوانه : ١ / ٣٣٥ ، الفاضل : ٤٥ ، طبقات الشعراء لابن المعتز : ٢٨ ، =====

والبيت من قصيدته في مدح ^(١) مروان بن محمد بن مروان ^(٢) ومطلعها :

جَفَا وَدَّهْ فَازُورَ أَوْ مَلَّ صَاحِبُهُ . . وَأَزْرَى بِهِ أَنْ لَا يَزَالَ يُعَايِنُهُ

وقبل الشاهد :

وَجَيْشٍ كَجَنَحِ اللَّيْلِ يَرْجِفُ بِالْحَصَى ^(٣) . . وَيَالِ شَتْلٍ وَالْخَطِيَّ حُمُرُ ثَعَالِبُهُ

غَدَوْنَا لَهُ وَالشَّمْسُ فِي خِذْرِ أَمَّتْهَا . . تَطَالِ عُنَا وَالطَّلُّ لَمْ يَجْرِ ذَائِبُهُ

يَضْرِبُ يَدُوقُ الْمَوْتَ مَنْ ذَا قَطَعَهُ . . وَتَدْرِكُ مَنْ نَجَّى الْفِرَارُ مَثَالِبُهُ

==== الوساطة : ٣١٣ ، الأغاني ——— سي : ١٩٦/٣ ، الأشباه والنظائر
للخالدين : ٣٥٤/٢ ، المنصف في نقد الشعر : ٥١-٣١٧-٤٣٦ ، إعجاز
القرآن للباقلاني : ٧٢ ، ثمار القلوب : ٢٢٤ ، يتيمة الدهر : ١٣٣/١ ،
العمدة : ٢٩١ ، خاص الخاص : ١٠٧ ، أمالي المرتضى : ١٢٦/٢ ،
ثلاث رسائل في إعجاز القرآن - الرسالة الشافية : ١٣٨ ، حماسة
ابن الشجري : ٥٧-٢٣٤ ، تحرير التحبير : ٣ / ٤٨٣ ، الإيضاح :
٢ / ٣٤٦ ، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - ملت - : ٦٥ أ ،
المستطرف : ١ / ٦١ ، معاهد التنصيص : ٢ / ٢٨ - رقم الشاهد :

٧٧-٠

(١) جاء في الأغاني أنه مدح في هذه القصيدة يزيد بن عمر بن هبيرة ،

ولكن لم يرد ذكره في القصيدة ، وإنما الوارد اسم مروان بن محمد بن
مروان .

(٢) هو آخر خلفاء بني أمية ، وهو الملقب بالحمار * بكسر الحاء وتخفيف

الميم * ، وكان ذا رأى ومكيدة ، ويسأله في الحروب ، أخذ الخلافة

غصباً ، وأراد ضبط الدولة حين أشرفت على الانحلال ، فغلبته ، وضمحل

أمره ، ولُقِّب بالحمار ؛ لأنه كان يحرن في الحرب فلا يتزحزح ، وكسنيته

أبو عبد الملك ، ويعرف بمروان الجعدي نسبة إلى مؤدبه الجعد بن درهم ،

كان بليغاً له رسائل تجمع ، ويقتدي بها (٧٢هـ-١٣٢هـ) / انظر ترجمته :

تاريخ الطبري : ٧/٢٨١-٣٤٣ ، المسعودي : ٣/٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٥٢-٢٦٥ ،

الكامل لابن الأثير : ٤/٢٨٣-٣٢٢ .

(٣) رواية الأغاني : " يزحف " .

ويبدو أن رواية الأغاني أدق ؛ لأن الشاعر أراد تشبيه صورة كثرتهم بصورة

وبعد ها الشاهد وبعده :

بَعَثْنَا لَهُمْ مَوْتَ الْفَجَاءَةِ إِنَّنَا .: بَنُو الْمَلِكِ خَفَّاقٌ عَلَيْنَا سَبَائِسُهُ
(١)
فَرَاخَوْ فَرِيقًا فِي الْإِسَارِ وَمِثْلُهُ .: قَتِيلٌ وَمِثْلٌ لَأَنَّا بِالْبَحْرِ هَارِبُهُ

رأى الطاهر بن عاشور محقق ديوان بشار أن رواية الديوان " فوق رؤوسهم " أرشق وأجل من الرواية المشهورة في كتب الأدب : " فوق رؤوسنا " قال :
" وكتب في الديوان " فوق رؤوسهم " ، ورواية الأغاني وأكثر كتب العربية والأدب " رؤوسنا " ، والرواية التي في الديوان أرشق ؛ لأن النقع وإن كان فوق رؤوس الفريقين إلا أن الشاعر أراد أن يتوصل بجعل النقع فوق رؤوس الأعداء إلى إفادة أن سيوف جيش قومه كانت واقعة على رؤوس الأعداء مع ذلك النقع ؛ لأن أسيفنا مفعول معه ، أو معطوف عليه ، ولو قال :
" فَوَقَّ رُؤُوسِنَا " لما كان لذكر الرؤوس خصوصية ، إذ يكفي أن يقول :
(٢)
فوقنا ."

ويبدو لي أن رواية " فوق رؤوسنا " وهي الرواية الأكثر شيوعاً ودوراناً ، والتي رد ها الأستاذ طاهر بن عاشور أدق من رواية الديوان " رؤوسهم " ، وهي أنسب للصورة التي يريد الشاعر رسمها ؛ لأن الغبار حين يثور يعم الجميع ، فكون الغبار على رؤوس الأعداء فقط يدل على أنه لا تراحم ولا تلاحم ، فكثرة الغبار وعمومه على جميع الرؤوس مع كونهم متلاحمين يدل على شدة المعركة وقوتها ، فأضافت إلى الصورة نوعاً من الحركة والاضطراب ، وهذا ما أراد الشاعر .
أما رواية المبرد في الغاضل " فينا وفيهم " ، فإنها تجعل الصورة التي يريد الشاعر رسمها وتصويرها ناقصة مبتورة .

=== الليل ، فهم من كثرتهم ، وتزاحمهم لا يرى منهم إلا سواد رؤوسهم ، أما الرجيف ، فهو دوى الأصوات ، فلا وجه لتشبيهه أصواتهم بجنح الليل .

(١) ديوان بشار - تحقيق الطاهر بن عاشور - : ١ / ٣٣٦ .

(٢) المصدر السابق : ١ / ٣٣٥ .

والشاهد فيه كسابقه ، وهو أن النظم ودقته وتلاحم أجزائه كان من تشبيهه شيئين بشيئين ، واستحسنه الشيخ ورأى أنه من النمط العالي الذي دق نظـر واضعه ولطف مأخذ^(١).

فالتشبيه مركب حيث صور المعركة ، وما فيها من شدة التلاحم والحركة التي أثارت النقع فوق الرؤوس ، فحجب الرؤيا وساد الظلام ، وأصبحت حركات السيوف تعلو وتهبط في جهات متعددة ، شبه ذلك كله بصورة الليل المظلم الحالك السواد الذي تتساقط وتهاوى فيه النجوم في كل جانب ، وقوله " تنهاوى " يدل على كثرة الحركة وشدتها مما يجعل حركة الشيء المتهاوى غير منتظمة .

وقد لاحظ المبرد في التشبيه أجزائه المتفرقة ، فكانه أراد به التشبيه المتعدد ؛ وذلك لأن تحد يد التشبيه وتحقيقه لم يظهر في عصره بعد . قال :

" وأنشد الأصمعي قول الشاعر ، ولم نر تشبيها في بيت أحسن من هذا :

كَأَنَّ مَنَارَ النَّقْعِ فِينَا وَفِيهِمْ . . . وَأَسْيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ

شبه الغبار بالليل ، وشبه السيوف في الغبار بالكواكب المنقضة في الليل^(٢) ولقد استحسن ابن المعتز في طبقاته هذا البيت ؛ وذلك لإحكام رصفه ، وحسن وصفه . قال :

" ومما يستحسن لبشار ؛ لإحكام رصفه ، وحسن وصفه كلمته التي يقول فيها —

بيته الذي ذكرناه في التشبيه — يقصد قوله كَأَنَّ مَنَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا — فأولها :

جَفَا جَفْوَةً فَازْوَرَّ إِذْ مَلَّ صَاحِبُهُ . . . وَأَزْرَى بِهِ أَنْ لَا يَزَالَ يُصَاحِبُهُ . . .^(٣)

وكذلك استحسنه الباقلاني ، فقال :

" واستبدعوا تشبيه شيئين بشيئين على حسن تقسيم ، ويزعمون أن أحسن

(١) الدلائل ، رضا : ٧٥ ، خفاجي : ١٣٤ ، شاکر : ٩٦ .

(٢) الفاضل : ٤٥ .

(٣) طبقات الشعراء لابن المعتز : ٢٧ .

ما وجد في هذا للمحدثين قول بشار :

كَأَنَّ مَنَارَ النَّعْجِ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ ... (١)

ورأى ابن رشيق (٢) أنه إن كان مراد بشار الترتيب ، فصدق ولم يقع بعد بيت امرئ القيس في ترتيبه كبنيته ، وإن كان المراد تشبيههم ، فقد قال الطرمّاح في صفة ثور وحشي :

يَبْدُو وَتَضْمِيرُهُ الْبِلَادُ كَأَنَّهُ . . . سَيْفٌ عَلَى شَرَفٍ يُسَلُّ وَيَقْتَلُ (٣)

وقد تعجب ابن المعتز والشماعلي من حسن تصوير بشار ودقة تشبيهه ؛ لأنه

كان أعمى أكمه لم يبصر ، وقال بيته هذا ، فكان بذلك أستاذ عصره . (٤)

وقال ابن وكيع في بيت بشار : " وَكُلُّ مَا قِيلَ فِي هَذَا الْمَعْنَى يَسْقُطُ دُونَ

قول بشار . . . هذا شعر يجمع حسن اللفظ والمعنى لأن فيه تشبيههم

في تشبيههم لا يحتاج البيت فيهما إلى غيره ، وبيت أبي الطيب (٥) يفسره

ما قبله ، فيكون اللفظ الطويل الذي جاء به الشعراء قبله في الموجز

القليل ، والسابق أحق بقوله (٦) .

ورأى ابن الشجري أن بشاراً قد بلغ ببيته هذا الغاية . قال :

" وَقَالَ بشار في تشبيه السيوف في الغبار ، فبلغ الغاية . . البيت (٧)

ورأى الطاهر بن عاشور أن بيت بشار قد فاق بيت امرئ القيس :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَأْسًا . . .

(١) إعجاز القرآن : ٧٢ .

(٢) العمدة : ٢٩٠ - ٢٩١ .

(٣) ديوانه : ٣٣١ .

(٤) طبقات الشعراء لابن المعتز : ٢٦ ، خاص الخاص : ١٠٧ ، شارالقلوب :

٢٢٤ .

(٥) يقصد قوله : فَكَأَنَّمَا كُسِيَ النَّهَارُ بِهَا دُجَى . . لَيْلٍ وَأُطْلِقَتِ الرِّمَاحُ كَوَاكِبًا

(٦) المنصف : ٤٣٦ .

(٧) حماسة ابن الشجري : ٢٣٤ .

على الرغم من إعجاب بشار به، وولوعه بالإتيان بمثله. ^(١)
 وقد أخذ معنى بيت بشار منصور النمري، ^(٢) فقال :
 لَيْلٌ مِّنَ النَّقْعِ لَا نَجْمٌ ^(٣) وَلَا قَسْرٌ . . . إِلَّا جَبِينُكَ وَالْمَذْرُوءَةُ الشَّرْعُ ^(٤)
 وأخذه مسلم بن الوليد ^(٥) في قوله :
 فِي عَسْكَرٍ تَشْرِيقُ الْأَرْضِ الْفَضَاءُ بِهِ . . . كَاللَّيْلِ أَنْجُمُهُ الْقُضْبَانُ وَالْأَسَلُ ^(٦)

-
- (١) ديوان بشار ، تحقيق الطاهر بن عاشور : ١ / ٣٣٥ .
- (٢) هو منصور بن الزبرقان بن سلمة بن شريك النمري ، أبو القاسم ، من بني النمر بن قاسط (. . . - نحو ٩٠ هـ) ، كان تلميذ كلثوم بن عمرو العتابي ، وكانت بينهم صفة انقلبت بعد ذلك إلى وحشة ، وأخذ كل منهما يسعى في هلاك صاحبه . فأوغر العتابي صدر الرشيد عليه ، فأرسل يطلب رأسه ، فوصل الرسول في اليوم الذي مات فيه النمري . / انظر ترجمته :
- الشعر والشعراء : ٢ / ٨٦٣-٨٦٦ ، الإعجاز والإيجاز : ١٦٦ ، جمهرة الأنساب : ٣٠٢ ، تاريخ بغداد : ١٣ / ٦٥-٦٩ ، سبط اللاكبي : ١ / ٣٣٦ ، نهاية الأرب : ٣ / ٨٥ ، الأعلام : ٧ / ٣٠٠ .
- (٣) رواية الأشباه والنظائر : " لاشْمَسَ " .
- (٤) ديوانه : ١٠١ .
- (٥) هو مسلم بن الوليد الأنصاري بالولاء ، أبو الوليد ، المقلب بصريح الفواني ، شاعر غزل ، هو أول من أكثر من " البديع " ، فتبعه الشعراء ، وهو من أهل الكوفة ، اتصل بكبار رجال الدولة ومدحهم ، وتولى بريد جرجان إلى أن مات فيها . / انظر ترجمته :
- الشعر والشعراء : ٢ / ٨٤٦-٨٤٦ ، الإعجاز والإيجاز : ١٧١ ، المؤلف والمختلف : ٣٧٢ ، سبط اللاكبي : ١ / ٤٢٧ ، تاريخ جرجان : ٤٦٣ ، نهاية الأرب : ٣ / ٨٥ ، الأعلام : ٧ / ٢٢٣ .
- (٦) شرح ديوان صريح الفواني : ٢٥١ .

وكذلك أخذه ابن المعتز حيث يقول :

وَعَمَّ السَّمَاءَ النَّقْعُ حَتَّى كَانَتْهُ . دُخَانٌ وَأَطْرَافُ الرِّيحِ شَتَرَارُ (١)

وكذلك أخذه المتنبي في قوله :

فَكَأَنَّمَا كَسَى النَّهَارُ يَهَا دُجَى . لَيْلٍ وَأَطْلَعَتِ الرِّيحُ كَوَاكِبَهَا (٢)

وقوله :

يَزُورُ الْأَعَادِي فِي سَمَاءٍ عَجَاجَةٍ . أَسْنَتْهَا فِي جَانِبَيْهَا كَوَاكِبُ (٣)

ومثله قول بعضهم :

نَسَجَتْ حَوَافِرَهَا سَمَاءٌ قَوَقَنًا . جَعَلَتْ أَسْنَتَنَا نَجُومَ سَمَائِهَا

ومثله :

تَبَيَّنَ سَنَائِكُهَا مِنْ فَوْقِ هَامِهِمْ . لَيْلًا كَوَاكِبُهُ الْبَيْضُ الْمَبَاتِيرُ (٤)

وبيت الشاهد ذكره الشيخ في الأسرار^(٥) مفصلاً شرحه مع مقارنته بنظائره ،

وبيان وجه تفضيله ، وسنورد ذلك في فصل لاحق إن شاء الله .

الشاهد الثاني والخمسون : (*) (الطويل)

قول زياد الأعجم : (٦)

(١) ديوانه : - دار صادر - : ١٩٤٠ .

(٢) ديوانه بشرح العكبري : ١ / ١٢٨ .

(٣) رواية الديوان : أَسْنَتْهُ فِي جَانِبَيْهَا الْكَوَاكِبُ .

انظر : الديوان بشرح العكبري : ١ / ١٠٢ .

(٤) انظر البيت في : الأشباه والنظائر : ٣٥٤ / ٢ ، المنصف في نقد الشعر :

٣١٧ ، معاهد التنصيص : ٢ / ٣١ .

(٥) الأسرار هـ ، ريت : ١٧٩ ، ١٨٣ - ١٨٥ .

(*) الدلائل ، رضا : ٧٦ ، خفاجي : ١٣٤ ، شاكر : ٩٦ .

(٦) هوزياد بن سلمى بن عبد القيس أبو أمانة العبدى المعروف بزياد الأعجم ،

مولى عبد القيس ، قيل له الأعجم للكنة كانت فيه ، أدرك أبا موسى

الأشعري ، وعثمان بن أبي العاص ، وشهد معهما فتح اصطخر ، وهو من =====

وَلَنَا وَمَاتَلْقِي لَنَا إِنْ هَجَوْتَنَا .: لَكَالْبَحْرِ مَهْمَا يُلْقَى فِي الْبَحْرِ يَغْرَقُ (٣)

وهو من قصيدته في هجاء الفرزدق ، فقد روى أن الفرزدق همَّ بهجاء
عبد القيس (٤) ، فبلغ ذلك زياداً الأعجم ، فبعث إليه لا تعمل حتى أهدى إليك
هدية ، فانتظر الفرزدق الهدية ، فبعث إليه :

مَاتَرَكَ الْهَاجُونَ لِي إِنْ هَجَوْتَهُ .: يَصْحَا أَرَاهُ فِي أَدِيمِ الْفَرَزْدَقِ (٥)

== شعراء الدولة الأموية ، عنه ابن سلام في الطبقة السادسة من شعراء الاسلام /
انظر ترجمته :

الشعر والشعراء : ١/٤٣٧-٤٤٠ ، الأغاني : ١٥/٣٨٠-٣٩٤ ، المؤتلف
والمختلف : ١٣١-١٣٢ ، معجم الأدباء : ١١/١٦٨ ، خزانة البغدادى :
١٩٣/٤

(١) رواية الأغاني والعمدة : " فَإِنَّا وَمَاتَهْدِي لَنَا " ، ورواية خزانة البغدادى والديوان :
" وَلَنَا وَمَاتَهْدِي لَنَا " ، ويبدو أن هاتين الروایتين أبلغ من رواية الدلائل
" وَلَنَا وَمَاتَلْقِي " لأن الإهداء هنا يتضمن معنى التحقير والاستهزاء
بالمهجو ، وهذا ما أراد الشاعر .

(٢) ضبطت " أن " في شرح أبيات الإيضاح بالفتح فتؤول هي وما بعد هذا
بصدر ، والمعنى فإنك وماتلقى لنا بهجائك ، وضبطت في الدلائل " إن " .
بل لكسر على أنها شرطية ، وهذا أولى بالسياق كما سيأتي في التحليل .

(٣) انظر البيت في : شعر زياد الأعجم : ٨٨ .
الشعر والشعراء : ١/٤٣٨ ، معجم الأدباء : ١١/١٦٩ ، الأغاني :
١٥/٣٩٣ ، العمدة : ١/٦٥ ، الإيضاح : ٢/٣٧٤ ، شرح أبيات الإيضاح
- النسخة الأزهرية - شاهد رقم ٣٠٣ ، خزانة الأدب للبغدادى ودار صادر : ١٩٣/٤

(٤) هو عبد القيس بن أقصى بن دغمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار -
جمهرة أنساب العرب : ٢٩٥ .

(٥) رواية معجم الأدباء وخزانة البغدادى : " قَمَا تَرَكَ الْهَاجُونَ " .
وهذه الرواية أولى ؛ لأن ترك «الفاء» يجعل في البيت خرمًا أي حذف حرف
من أول البيت ، والشعر من الطويل .

(٦) رواية الأغاني : " إِنْ أَرَدْتَهُ " .

(١) وَلَا تَرْكُوا عَظْمًا يُرَى تَحْتَ لَحْمِهِ . : لِكَاسِرِهِ أَبْقَوْهُ لِمُتَعَرِّقٍ

(٢) سَاكِسِرٌ مَا أَبْقَوْهُ لِي مِنْ عِظَائِهِ . : وَأَنْكَتُ مَخَّ السَّاقِ مِنْهُ وَأَنْتَقِي

وَأَنَا وَمَا تَهْدِي لَنَا إِنْ هَجَوْتَنَا . : لَكَالْبَحْرِ تَهْمَا يُلْقَى فِي الْبَحْرِ يَفْرَقُ

فلما بلغ الفرزدق هذا الشعر طلب من زياد أن يتنازلوا ، وقال : ليس

لي هجاء هؤلاء مادام هذا العبد فيهم (٣)

رأى الشيخ عبد القاهر أن هذا البيت في غاية الدقة ، وهو أعجب من سابقه

- يقصد قول - آري ، القيس ، وبشار ، والفرزدق " وإِنَّمَا كَانَ أُعْجِبُ ؛ لَأَنَّ عَمَلَهُ أَدَقُّ

وطريقه أغمض ووجه التشابه فيه أغرب " (٤)

الشاهد من أوجع أبيات الهجاء ، وأشد ها تهكماً ، فالشاعر هنا أوسع الفرزدق تحقيراً ، فهو لوضاعة شأنه لم يتركه أحد من الشعراء إلا وأوجعه ذماً وهجاءً حتى أنهم وصلوا إلى داخل جسمه ، وما تحت اللحم من العظام ، فلم يبق له إلا أن يفت تلك العظام . وأراد الشاعر من هذا كله الإغلاء من شأن نفسه والإكبار من قدرته وبراعته في هذا الفن ، فهو إن هجا سحق خصمه سحقاً وأفناه فنساءً محققاً تاماً ، ثم أخذ يستهين بقدرة الفرزدق على الهجاء ، فهو قصير الباع فسي هذا المضمار .

وزيادة في التهكم جعل هجاء الفرزدق لهم ، وكأنه هدية ؛ لأنه كلا هجاء ، وجاء به " إِنْ " الشرطية " إِنْ هَجَوْتَنَا " ليشكك في وقوع الهجاء منه ، وكذلك جعل هجاءه لخفته وتفاوته كالشيء الخفيف الوزن إذا ربي في البحر غاص في الأعماق ، ولم يعد له أثر ، فهجاؤه فإن لا يبقى له أثر في نفس المهجو ، فهو ليس كهجاء زياد

(١) رواية الديوان : وَلَمْ تَرْكُوا لَحْمًا يُرَى تَحْتَ عَظْمِهِ لِكَاسِرِهِ أَبْقَوْهُ لِمُتَعَرِّقٍ

رواية الأغاني : " وَمَا تَرْكُوا لَحْمًا يَدُ قَوْنِ عَظْمِهِ " .

() ورواية معجم الأدباء وخزانة البغداديين : " وَمَا تَرْكُوا عَظْمًا " .

(٢) رواية الأغاني : " سَاكِسِرٌ مَا أَبْقَوْهُ لِي مِنْ عِظَائِهِ " .

ورواية الديوان والعمدة : " سَاكِسِرٌ مَا أَبْقَوْهُ لِي مِنْ عِظَائِهِ " .

ورواية " سَاكِسِرٌ " أنسب للبيت لأن الحَظْمَ أشد من الكسر .

(٣) انظر : الأغاني : ١٥ / ٣٩٣ ، العمدة : ١ / ٦٥ .

(٤) الدلائل ، رضا : ٧٦ ، خفاجي : ١٣٤ ، شاكر : ٩٦ .

الذي يفت العظم ويبقى أثره خالدا .

فالشاعر شبه صورته وقومه حين يتلقون هجاء الفرزدق، وأثر ذلك على أنفسهم بالبحر الواسع الذي لا يتأثر بالأشياء التافهة التي ترمي فيه، وذلك مبالغة في الاستهانة بأمر الفرزدق ، والتصغير من شأنه .

فالشاعر استطاع أن يبرز الأمر المعنوي في صورة المحسوس، وأن يوجد بينهما علاقة وارتباطاً على الرغم من تباعد طرفيهما .

والبيت لاشك في براعته إلا أن الشيخ عبد القاهر بالغ في استحسانه إذ فضله على كل ما سبق ، فهو عندي ليس بأفضل من قول بشار :

كَأَنَّ مَنَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا . . .

ولا من قول الفرزدق :

وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي الشَّبَابِ . . .

الشاهد الثالث والخمسون :- (*) (الطويل)

قول ابن المعتز :

وَأُوتِي عَلَى إِشْفَاقٍ عَيْنِي مِنَ الْعَدَى . (١) لَتَجْمَعَ (٢) مِنِّي نَظْرَةٌ ثُمَّ أَطْرُقُ (٣)

(*) الدلائل ، رضا : ٧٧ ، خفاجي : ١٣٦ ، شاکر : ٩٨ .

(١) رواية ديوانه - دار المعارف - : " القذى " .

(٢) لتجمع : وهي من فرس جموح إذا لم يثب رأسه وجمح الفرس بصاحبه

جمحاً وجماحاً ذهب يجرى جرياً غالباً واعتز فارسه وغلبه ، ويقال جمح

وطمح إذا أسرع ولم يرد وجهه شيء / اللسان " جمح " : ٢ / ٤٢٦ .

(٣) أشار الأستاذ عبد السلام هارون في معجم شواهد العربية إلى أن

البيت غير موجود في ديوان ابن المعتز ، وقد راجعت ديوانه طبعاً

- دار صادر - فلم أجده فيه ، ووجدته في ديوانه - دار المعارف - :

١ / ٣٨٨ .

وعلى الرغم من بلاغة البيت ، ولطافته وحسنه ، فهو نادر الوجود في كتب

ومطلع القصيدة :

أَلَا هَلْ لَأَسْرَى أَخَذَ عَيْنِكَ مُطْلِقُ . . وَهَلْ مُسْتَرْقٌ يَشْتَرِكِي الشَّوْقَ مُعْتَرِقُ

وبعد ه بيت قبل الشاهد :

أَضَفْتُ إِلَى أَحْشَائِهِ حَرَقَ الْهَوَى . . وَنَفَرْتُ قَلْبًا بَيْنَ جَنْبَيَّ يَخْفَرُ

وبعد ه الشاهد وبعد ه :

كَمَا حُلِيتَ عَنْ بَرْدِ مَاءٍ طَرِيدَةٍ . . تَمُدُّ إِلَيْهِ جِدَهَا وَهِيَ تَفَرِّقُ

وَلِي دَمْعَةٌ مُحَبَّسَةٌ فِي جَفُونِهَا . . وَأُخْرَى مُخَلَّاةٌ عَلَى الْخَدِّ تَطْلُقُ (١)

يبدو أن هذا الشاهد من الشواهد التي تفرد بها الشيخ عبد القاهر ، وقل دورانها في كتب الأدب والبلاغة ، مع أن فيه لفتات بلاغية جميلة فتق أكامها
الشيخ ، حيث استشهد به على أن العزية ليست للفظ وحده بل تعود إلى النظم
أيضاً قال :

” واعلم أن هذا - أعني الفرق بين أن تكون العزية في اللفظ ، وبين أن
تكون في النظم - باب يكثرفيه الغلط ، فلا تزال ترى مستحسنات قد
أخطأ بالاستحسان موضعها ، فينحل اللفظ ما ليس له ، ولا تزال ترى

=== العربية وآدابها ، فقد بحث عنه في الكتب التالية ، ولم أجده في واحد
منها - :

أمالى البزدي / الخصائص / عيار الشعر / العقد الفريد / أخبار
أبي تمام / أدب الكاتب / الوساطة / الأغاني / أمالي القالي /
الأشياء والنظائر / الصناعتين / الموشح / ثلاث رسائل في
إعجاز القرآن / معاني أبيات الحماسة / نثر الدر الآبسي /
شرح الحماسة للمرزوقي / التمثيل والمحاضرة / خاص الخاص /
مجالس العلماء / أمالي المرتضى / زهر الآداب / العمدة /
بهجة المجالس وأنس المجالس / سر الفصاحة / الممتع / آمالسي
الشجري / الإفصاح / شرح الحماسة للتبريزي / مفتاح العلوم /
الإيضاح / شرح أبيات الإيضاح / المستطرف / أنوار الربيع / الطراز .

الشبهة قد دخلت عليك في الكلام قد حسن من لفظه ونظمه ، فظننت
أن حسنه ذلك كله للفظ منه دون النظم ، مثال ذلك أن تنظر السي
قول ابن المعتز :

وَأَتَيْتُ عَلَى إِشْفَاقٍ عَيْنِي مِنَ الْعِدَى . . . لَتَجْمَحُ مِنِّي نَظْرَةٌ ثُمَّ أَطْرُقُ
فترى أن هذه الطلاوة ، وهذا الظرف إنما هو لأن جعل النظر يجمع ،
وليس هو لذلك ؛ بل لأن قال في أول البيت " وَأَتَيْتُ " حتى دخل
اللام في قوله : " لتجمع " ثم قوله : " مِنِّي " ثم لأن قال " نظرة " ولم
يقُلْ " النظر " مثلاً ثم لمكان " ثم " في قوله : " ثم أطرق " وللطيفة
أخرى نصرت هذه اللطائف ، وهي اعتراضة بين اسم " إِنَّ " وخبرها
بقوله : " عَلَى إِشْفَاقٍ عَيْنِي مِنَ الْعِدَى (١) .

ويكتفي الشيخ عبد القاهر بهذا البيان الموجز في شرح جمال النظم ، وإن وراء
هذا الإيجاز لشرحاً طويلاً ، كان على الشيخ إبرازه ليتذوق القاري به أسرار
حسن النظم في البيت ، فليت شعري ، أكان وضوحه أمام عينيه مظنة اعتقاده بأنه
واضح أمام قارئيه (٢) .

وعلى كل فإن الخصائص التي حددها الشيخ في البيت تدل على أنه استطاع
بحق أن يضع يده على مواطن الجمال بل على إبراز الملامح الدالة فيه .
فلا استعارة التي جاء بها ابن المعتز ، وهي استعارة الجموح للنظرة استعارة
رائعة بلا شك ، ولكن روعتها لا ترجع لمجرد استعارة الجموح للنظرة ؛ لأن الجموح
وحده ما كان ليبلغ هذا التأثير لولا تلك العناصر التي جمعها الشاعر ، والتي نجحت
كل النجاح في الإفصاح عن عاطفته وعن موقفه النفسي ، فالموقف في البيت موقف شاعر

(١) الدلائل ، رضا : ٧٧ - ٧٨ ، خفاجي : ١٣٦ ، شاكر : ٩٨ - ٩٩ .

(٢) عبد القاهر ، أحمد بدوي : ١٢١ - ١٢٢ .

محب يرى حبيته أمامه ، وهو شديد اللهفة إلى إطفاء شوقه إليها ، قوّة لو استطاع أن يتمتع عينه بالنظر إليها ، ولكنه لسوء حظه محوط بالأعداء من كل جانب ، وجميعهم ينظر إليه ويرقبه ، وهو أمام هذا كله بين أمرين : إمّا أن يخضع لعاطفته المشبوبة ، فيبعث بنظرته إلى حبيته ضارباً عرض الحائط بهذه الأنظار المصوّبة نحوه من أعدائه ، فيفتضح أمره ، ويكشف عن حبه ، وإمّا أن يذعن لخوفه وإشفاقه من أعدائه ، ورغبته في إخفاء هذه الحقيقة عنهم ، فيحرم نفسه من النظر إلى حبيته حرصاً منه على نفسه وعليها .

وما أبرع مجيء اللام في قوله " لتجمع " ، ومجيء الجار والمجرور " منّي " حيث أبرز عدم استطاعته كتمان حبه ، وكبت لهفته وشوقه ، فعلى الرغم من مقاومته إذا بالشوق يغلبه ، وإذا بهذه العاطفة الحبيسة في صدره تنطلق رغماً عنه ، وعن القيود التي تقيدها ، فتجمع منه نظرة ثم يطرق ، وفي إفراده لفظ " نظرة " وفي إطرارته هذه إحساس عميق بكل معاني الإشفاق ، والخجل التي تصطرع في نفسه ودخيلته ، وما كان لهذا الجموح ، وهذا الإحساس أن يظهر على أنه أمر محتوم لا مفر منه لولا أن سبقته عبارة " على إشفاق عيني من العبدى " ، ثم تتالت هذه الأجزاء في وحدة لتلتحم أخيراً بقوله : " ثم أطرق " ، فيضيف بذلك إضافة رائعة ، ومهمة قوت مسن الإحساس بالحذر والحيلة ، فعلى الرغم من انطلاق النظرة منه يحس بالخوف من حوله .

وانظر إلى دور حرف العطف " ثم " فهو لم يأت لمجرد العطف مع التراخي فحسب ، وإنما تعدى هذا إلى إضافة معنى يتناسب مع موقف الشاعر الخائف ، فالتراخي فترة زمنية تمثل في أثنائها الخوف والقلق من المصير المجهول . (١)

(١) انظر: قضايا النقد الأدبي : ٢٤٤ - ٢٤٥ ، النقد التحليلي

عند عبد القاهر : ٢٥٣ - ٢٥٤ .

وهكذا يلغتنا الشيخ إلى أن تنظيم الكلمات، وتلاحم أجزاء الجملة وتراحمها عنصر هام في إبراز جمال الاستعارة إذ أنه يضيء عليها روح الخفة والجدة، فدراستها مستقلة تتنافى مع طبيعة الأشياء ، وتنطس بذلك الصور البيانية ، ويذهب رونقها وجمالها .

الشاهد الرابع والخمسون :- (*) (الرجز)

قول بعض الأعراب :^(١)
 اللَّيْلُ دَاجٌ كَنَفًا جَلْبَابِيهِ . . وَالْبَيْتُ مَحْجُورٌ عَلَى غُرَابِيهِ^(٢)
 (٣) (٤) (٥) (٦)

الشاهد فيه كسابقه ، وهو أن الروعة والجمال في البيت ليس في الاستعارة وحدها بأن جعل الليل جلباباً بل ترجع الروعة إلى مجموعة الدلالات والصيغ التي تركبت منها الاستعارة وتركب منها البيت كله .

-
- (*) الدلائل ، رضا : ٨١ ، خفاجي : ١٣٩ ، شاكر : ١٠٢ .
 (١) لم أقف على قائله .
 (٢) الدَّجَى : سواد الليل مع غيم وأن لا ترى نجماً ولا قمراً ، وقيل هو إذا ألبس كل شيء وليس هو من الظلمة ، وقد دَجَا الليل يدجو دَجْواً وَدَجَّوْاً فهو داجٌ وَدَجِيٌّ / اللسان " دجا " : ١٤ / ٢٤٩ .
 (٣) رواية اللسان :
 " وَالْقَيْشُ دَاجٌ كَنَفًا جَلْبَابِيهِ " ، والمراد بذلك خفض العيش وترفيه .
 (٤) كنفا : الكنف والكنفة : ناحية الشيء ، وناحيتا كل شيء كنفاه والجمع أكناف / اللسان : " كنف " : ٩ / ٣٠٨ .
 (٥) ذكر الأستاذ " شاكر " أنه جاء في رواية إحدى مخطوطات الدلائل :
 " وَاللَّيْلُ مَحْجُورٌ عَلَى غُرَابِيهِ " ، وذكر أنه سهو من الناسخ .
 (٦) لم أقف على البيت على الرغم من مراجعتي لكثير من كتب الأدب ، والبلاغة ، إلا في :

اللسان : " دجا " : ١٤ / ٢٥١ .

وقد أشار الشيخ إلى الأسرار الخفية في الصيغ ، والتي أنارت الأحاسيس المظلمة في نفس الشاعر . قال :

” ليس كل ما ترى من الملاحه ؛ لأن جعل الليل جلباباً ، وحجر على الغراب ، ولكن في أن وضع الكلام الذي ترى فجعل الليل مبتدأ ، وجعل داج خبراً له ، وفعلاً لما بعده ، وهو الكنفان ، وأضاف الجلباب إلى ضمير الليل ؛ ولأن جعل كذلك البين مبتدأ ، وأجرى محجوراً خبراً عنه ، وأن أخرج اللفظ على مفعول ، يبين ذلك أنك لو قلت : ” وغراب البين محجور عليه أو : قد حجر على غراب البين ، لم تجد له هذه الملاحه ، وكذلك لو قلت : قد دجا كنفا جلباب الليل لم يكن شيئاً ” (١) .

لم يسق الشيخ هذا البيت ليحدثنا عن وصف هذا الشعر لظلمة الليل ، وبقا الوصال ، وذهاب الفراق ؛ لأن هذا المعنى سطحي يدركه كل من يعرف هذه اللغة ، وإنما ليقود الذهن والإحساس قسراً إلى أفق آخر تدرك فيه حركة وجدان الشاعر ، وكيفية إحساسه بمعناه ، فالشاعر أحس بالليل إحساساً طاغياً فرمى به في صدر كلامه ، وبنى عبارته عليه ، ثم أخبر عنه بلفظ ” داج ” ، فجعل ظلمته ظلمة مطبقة لا يرى فيها نجم ولا قمر ، وإنما هو ليل ملبس كله ؛ ولشدة إحساس الشاعر بهذه الظلمة المطبقة شعر أن هذه الإبانة لم تغر بإحساسه ، فركب المعنى تركيباً آخر ، فوصل الخبر بما بعده ، وجعله فعلاً للكنفين أي الجانبين ، ثم لم يجعل الكنفين لليل ، ولم يقل والليل داج كنفا أي جانباه ، وإنما جعل ذلك لجلباب الليل ، فجعل لليل جلباباً ، ثم تحدث عن كنفي هذا الجلباب ، وهذا التركيب لظلمة الليل ليس بالتركيب السهل ، وهذا الإحساس بهذه الظلمة ليس بإحساس ساذج ، وإنما هي أحاسيس بُني بعضها على بعض ، فهناك إحساس

(١) الدلائل ، رضا : ٨١ ، خفاجي : ١٣٩ ، شاكر : ١٠٢ - ١٠٣ .

بأهمية هذا الليل ، ثم إحساس بظلمته المطبقة ، فهو داج ، ثم إحساس بأن هذه الظلمة متكاثفة ، وكأنها جلباب شديد سواد الجانبين ، ثم إحساس بتشخيص الليل أي بصيرورته في وجدانه شخصاً يرتدي جلباباً شديد الدَّجْو على جانبي الوجود ، فلا يدع فيه شيئاً إلا أحاط به ، وكأنه مارد عملاق يشق برأسه السماء ، ويطوي بين يدي المغربين - الليل داج كنفا جلبابه - ، وكذلك أحس الشاعر بالبين إحساساً عميقاً بارزاً ، فرمى به في صدر عبارته الثانية " والبين محجور " ، وبني الجملة عليه ؛ لأن أهم ما يعنيه في هذا السياق هو أن يخبر عنه ، وأنه محجور على غرابه ، ثم إنَّ الشاعر تأمل الكلمات ، وأدارها في نفسه ثم اختار كلمة محجور بصفتهما هذه ، وفضلها على كلمة حجر على غرابه ، أو قد حجر على غرابه ، لأن محجوراً فيها إحساس بدوام الحجر ، وليس هذا الإحساس في صيغة الفعل .

وفي هذين الموقعين في الجملة يكن إحساس الشاعر ، فلو أنه زُحِج لفظ " البين " ، وقُدِّم " غراب " عليه وقيل : " وغراب البين محجور عليه لكان شيئاً مخالفاً لإحساس الشاعر ومراده ، ويتبين هذا الفرق إذا تأملنا الفرق بين جملة " زيد عظيم قدره " وجملة : " وقدر زيد عظيم " ، ففي الأولى إخبار عن زيد بعظمة القدر ، وفي الثانية إخبار عن قدر زيد بالعظمة ، ويبعد ما بينهما لمن يحس إدراك الفروق .

وهكذا ندرك رهافة حس الكلمة بالكلمة ، وأن أقل قدر من الاهتزاز في هذه المماساة بين الكلمتين يؤدي إلى تغيير جوهري في المعنى .^(١)

(١) انظر : دلالات التراكيب : ٤ - ٥ .

الشاهد الخامس والخمسون : (*) (الخفيف)

قول المتنبي :

غَضَبَ الدَّهْرَ وَالْمُلُوكَ عَلَيْهِمَا . : فَبَنَاهَا فِي وَجْنَةِ الدَّهْرِ خَالَا (١)
وهو من قصيدته في مدح سيف الدولة ، ويذكر فيها نهوضه إلى الثغر (٢)
واستيلاءه على قلعة الحدث (٣) ، وذلك في جمادي الأول سنة أربعين وثلاثمائة ،
وقبل سنة أربع وأربعين وثلاثمائة ، ومطلعها :
يَا مَعَالِي فَلْيَعْلَوْنَ مَنْ تَعَالَى . : هَكَذَا هَكَذَا وَإِلَّا فَلَا (٤)

وقبل الشاهد :

أَيُّ عَيْنٍ تَأْتِلُكَ فَلَا قَتَّكَ (م) . : وَطَرَفِي رَنَّا إِلَيْكَ فَلَا

(*) الدلائل ، رضا : ٨١ ، خفاجي : ١٤٠ ، شياكر : ١٠٣ .

(١) لم أجد البيت فيما رجعت إليه من مصادر إلا في ديوانه ، وكأنه من

الشواهد الخاصة بالشيخ / انظر :

(٢) ديوانه بشرح العكبري : ٣ / ١٤٥ ، العرف الطيب : ٢٧٩ / ٤ .

(٢) الثغر : كل موضع قريب من أرض العدو يسمى ثغراً كأنه مأخوذ من الثفرة

وهي الفرجة في الحائط ، وهو في مواضع كثيرة ، منها : ثغر الشام ،

وجمع ثغور ، وهذا الاسم يشمل بلاداً كثيرة / انظر :

معجم البلدان : ٢ / ٧٩ .

(٣) الحدث : قلعة حصينة بين ملطية وسُميساط ومرعش من الثغور يقال لها

الحراء ؛ لأن تربتها جميعاً حمراء ، وقلعتها على جبل يقال له :

الأحيدب ، وكان حصن الحدث ما فتح في أيام عمر رضي الله عنه . / انظر :

معجم البلدان : ٢ / ٢٢٧ .

(٤) والمعنى : يقول مشيراً إلى ما فعله سيف الدولة بجيوش الروم ،

وانهزامهم بين يديه ، ومنعه لهم ما كانوا عليه من حمار .

إن هذه هي المعالي التي تؤثر ، والمكارم التي تخلد على أثبت

حقائقها ، وأبعد غاياتها ، فمن تعاطى الإقدام والقوة ، والتعالي

والرفعة ، فلينهض بمثلها ، وليتقدم إلى فعلها ، وهكذا سبيلها ووجهها

فلا يتعرض الرؤساء لها ، ولا يتميزون بها ، وكرر " لا " على سبيل

التوكيد / شرح العكبري : ٣ / ١٣٤ .

مَا يَشُكُّ اللَّعِينُ فِي أَخْذِكَ الْحَيِّ . . . شَ فَهَلْ يَيْقَعُ الْجِيُوشَ نَوَالًا
 تَالِمَنْ يَنْصَبُ الْحَبَائِلَ فِي الْأَرْضِ . . . رِضَ وَمَرْجَاهُ أَنْ يَصِيدَ الْهَلَالَ
 إِنْ كُنَّ الرِّبِّي عَلَى الدَّرْبِ وَالْأَحْبَ . . . دَبِّ، وَالتَّنْهَرِ مَخْطَا مَزِيَالًا (٥)

وبعدها الشاهد وبعده :

فَهِيَ تَمْشِي مَشْيَ الْعُرُوسِ اخْتِيَالًا . . . وَتَتَنَبَّي عَلَى الزَّمَانِ دَلَالًا (٦)

والشاهد فيه كسابقه ، وقد علق عليه الشيخ بقوله :

" قد ترى في أول الأمر أن حسنه أجمع في أن جعل للدهر " وجنة "
 وجعل البنية " خالا " في الوجنة ، وليس الأمر على ذلك ، فإن موضع
 الأعجوبة في أن أخرج الكلام مخرجه الذي ترى ، وأن أتى " بالخال "
 منصوباً على الحال من قوله : " فبناها " أفلا ترى أنك لو قلت : " وهي
 خال في وجنة الدهر " لوجدت الصورة غير ما ترى ؟ (٧)

(١) الدرب : المدخل من أرض العدد . شرح العكبري : ٣ / ١٤٥ .

(٢) الأحذب : جبل عليه قلعة الحدث ، ويقال له الأحيدب . / انظر :

معجم ما استعجم : ١ / ١٢١ .

(٣) موضع بقرب الحصن . / شرح العكبري : ٣ / ١٤٥ .

(٤) مَخْطَطٌ مَزِيَالٌ : يخالط الأمور : أي موصوف بالشجاعة ، وسداد الرأي . /

الصاح : " خلط " : ٣ / ١١٢٥ .

(٥) والمعنى أن هذه القلعة لا يمكن الوصول إليها ؛ لأن حاميها رجل مخلص

مزياي كثير المخالطة للأمور يخالطها ثم يزيالها ، يحمي حريمها ،

ويقاتل الأعداء عنها ، أو دونها ملك مقتدر مزياي عن أطراف بلاده

مخلص بالأعداء فيها عند قصدهم لها سريع لا يتأخر عن سطوته . /

ديوانه بشرح العكبري : ٣ / ١٤٥ .

(٦) انظر الأبيات في :

ديوانه بشرح العكبري : ٣ / ١٤٣ - ١٤٥ ، العرف الطيب :

٢٧٨ - ٢٧٩ .

(٧) الدلائل ، رضا : ٨٢ ، خفاجي : ١٤٠ ، شاعر : ١٠٣ .

في هذا البيت يغمر المتنبّي الإحساس بالفرحة ، وتزهو نفسه بالانتصار الذي أحرزه المدوح ، فهو انتصار لا يتمكن منه إلا شخص متمرس قوي الشكيمة ، ولا حساسه بعظمة هذا الشخص وقوته ، قال :

” غَضَبَ الدَّهْرَ وَالْمُلُوكَ عَلَيْهِمَا ”

فهو لم ينتزعها من أقرانه ” الملوك ” فقط ، وإنما تمكن منها وأخذها من الدهر عنوة .

وقد وُفق الشاعر في اختيار لفظ ” غَضَبَ ” بدلاً من ” أخذ ” مثلاً لما لهذه الكلمة من أبعاد دلالية وإحالات خفية ، فهي توحى بصورة كروفر قامت بين الدهر والمدوح ، وفيها نوع من المخاطرة والمجازفة بالنفس ، وفيها أيضاً دلالة على إرادته وقوته الجبارة وفي طريقة بناء الكلام ما يبعث في النفس التشويق حيث أجهم في صدر البيت ، ثم فاجأ النفس بقوله : ” فبناها ” ، فإن الشيء الذي حارب من أجله وغضب الدهر والملوك عليه هو ” بناء ” ، وجاء بالفاء فدلّت على سرعة البناء ، فهو لم يستغرق وقتاً طويلاً في بنائها ، ثم جاء بالحال ” خالاً ” ؛ ليصور روعة ذلك البناء ودقته وعظمته ، فهذه المدينة قد جل قدرها ، فكأن الدهر زين بها وجهه ، ووسم برفعته نفسها ، فهذه الروعة ، وهذا الجمال هو الذي دفع المدوح ليناظر ويحارب أكبر القوى ، وقد استحسّن العكبري هذه الاستعارة فقال :

” وهذه استعارة حسنة لم يعمل في بيته مثلاً^(١) ”

الشاهد السادس والخمسون : (*) (المجتث)

قول ابن المعتز :

يَا مِسْكَةَ الْعَطَّارِ . . . وَخَالَ وَجْهَ النَّهَارِ

(١) ديوان المتنبّي بشرح العكبري : ٣ / ١٤٥ .

(*) الدلائل ، رضا : ٨٢ ، خفاجي : ١٤٠ ، شاكر : ١٠٣ .

وهو مطلع قصيدة يصف امرأة سوداء وبعد عدة أبيات هي تمام القصيدة :

وَلَعَبَةً أَحْكَمْتَهَا . . . عِنَايَةَ النَّجَارِ
مِنْ آتِنُوسٍ تَسَمَّى . . . بِالْيَمِينِ بَيْنَ الْجَوَارِي
وَأَطِيبَ النَّاسِ رِيْقًا . . . لِمُعْتَدٍ وَلِسَارِ
وَلَيْسَ ذَا يَعْجِيبٍ . . . وَلَيْسَ فِي ذَا تَكَارِي
لَا تُشْرَبُ الْخَمْرُ إِلَّا . . . مَبْرُوءَةً مِنْ قَارِ (١)

استشهد به الشيخ على أن الملاحاة والطرافة ليس في استعارة لفظ الخال

بل لتتابع الإضافات قال :

" وكانت الملاحاة في الإضافة بعد الإضافة لافي استعارة لفظة الخال ،

إن معلوم أنه لو قال : يا خالا في وجه النهار أو يامن هو خال فـي

وجه النهار لم يكن شيئا ، ومن شأن هذا الضرب أن يدخله الاستكراه

قال صاحب : " إياك والإضافات المتداخلة " (٢) فإن ذلك لا يحسن (٣) .

يظهر هذا البيت نفسية الشاعر المرححة السهلة الميالة للفكاهة والملح ، فموسيقى

البيت التي اختارها موسيقى خفيفة تتنقل في جوانب النفس بسرعة وخفة ، فبدأ

البيت بالنداء " يامسكة " ؛ ليوقط النفوس ويلفت الأنظار إلى أنها هي المسك

بعينه ، فكونها مسكة أمر ليس فيه شك ، وهذه مبالغة طريفة من الشاعر ، وزادها

طرافة إضافة لفظه " مسكة " إلى " العطار " ؛ ليؤكد طيب رائحتها ويثبت هذه

الصفة فيها .

(١) لم أجده فيما رجعت إليه من مصادر إلا في : ديوان ابن المعتز - دار
صادر - : ٢٥٣ ، ديوان أشعار الأمير أبي العباس : - دار المعارف -

٠١٨٢ / ٢

(٢) في الدلائل نسخة شاكر " المتداخلة " .

(٣) الدلائل ، رضا : ٨٢ ، خفاجي : ١٤٠ - ١٤١ ، شاكر : ١٠٣ - ١٠٤ .

ثم استعار لفظ خال لتلك الجارية ؛ ليدل على شهرتها وجمالها ، ثم أضاف الخال للوجه ، وأضاف الوجه للنهار ، فجعل الجملة كلها أجزاء متلازمة ؛ ليؤكد أن شهرتها بالركة والجمال ملازمة لها لا تخفى على أحد .

الشاهد السابع والخمسون : (*) (الخفيف)

قول القائل : (١)

(٢)
يَا عَلِيَّ بْنَ حَمْزَةَ بْنِ عُمَارَةَ . : أَنْتَ وَاللَّهِ ثَلْجَةٌ فِي خِيَارَةٍ (٣)
البيت حكي عن الصاحب بن عمار (٤) ، وأثبتته صاحب عقود الدرر للصاحب قال :
" أقول هذا البيت للصاحب بن عمار (٥) "

(*) الدلائل ، رضا : ٨٣ ، خفاجي : ١٤١ ، شاكر : ١٠٤ .

(١) لم أقف على قائله .

(٢) هو علي بن حمزة بن عمار بن حمزة بن يسار بن عثمان الأصبهاني أبو الحسن وعثمان هذا الذي انتهت نسبة هذا إليه هو والد أبي مسلم الخراساني ويسار أخوه ، وعلي بن حمزة هذا من أولاد أخيه يسار ، وكان أحد أدباء أصبهان المشهورين بالعلم والشعر والفضل والتصنيف وصنف كتباً منها :

" كتاب الشعر " ، " كتاب فقر البلغاء " يشتمل على الاختيار من شعر عامة الشعراء ، " كتاب قلائد الشرف في مفاخر أصبهان وأخبارها " وغير ذلك .
انظر ترجمته :

معجم الأدباء : ٧ / ١٣ / ٢٠٣ - ٢٠٨ .

(٣) انظر البيت في : -

الإيضاح : ١ / ٢٩ ، شرح التلخيص : عروس الأنسراح : ١ / ١١٦ ،
شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٥ ب ، عقود الدرر : ١٠ ب ،
شرح شواهد كتاب في البلاغة ، مخطوط (ق ١ - ١٢) رقم ١٣٠٥ ، ١١١ .

(٤) شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٥ ب .

(٥) عقود الدرر : ١٠ أ ، شرح شواهد كتاب في البلاغة مخطوط (ق ١ - ١٢) رقم ١٣٠٥ ، ١١١ .

استشهد به الشيخ على أن تتابع الإضافات يحسن في مواضع الهجاء والذم .

قال :

* وذكر - أي صاحب بن عباد - أنه يستعمل في الهجاء ، ... ولا شبهة في ثقل ذلك على الأكثر ، ولكنه إذا سلم من الاستكراه لطف وملح ^(١) .
حيث أضاف (بن) الأولى إلى حمزة وأضاف (بن) الثانية إلى عَمارة ، ويسدو أن عبارة الشيخ أدق من عبارة صاحب ، لأن الشيخ احتاط حين قال .
" ومن شأن ... الخ " أما صاحب فعمم الحكم في قوله (وإيّاك ...) .

واعترض ابن السبكي على أن في البيت إضافات متتابعة قال :

* قلت فيما قالوه نظراً ، وأين تتابع الإضافات هنا ^(٢) .

ونكره أيضاً في البديع ^(٣) ، وجعله من الاطراد ^(٤) .

ورأى صاحب عقود الدرر أن الشاهد في البيت تتابع الإضافات الموجبة للثقل ^(٥) ، وهذا خلاف ما ذهب إليه الشيخ ، وحسن تتابع الإضافات هنا ؛ لأن الإضافة عرفت شخصية المهجو تعريفاً تاماً ، وفي ذلك تشهير به ، ثم هجى هجاء لاذعاً ليكون به ألزم ، وهو به أحق حيث جعل المهجو بارداً الإحساس متحجراً الشعور قوَصِف بشدة البرودة ، فالخيار بارد بالطبع وزاد من برودته أنه جَمَعَ مع الثلج . قال الشيخ عبد القاهر :

(١) الدلائل ، رضا : ٨٢ ، خفاجي : ١٤١ ، شاکر : ١٠٤ .

(٢) شرح التلخيص ، عروس الأفراح : ١ / ١١٦ .

(٣) المصدر السابق : ٤ / ٤١١ .

(٤) الاطراد : وهو أن يأتي بأسماء المدوح ، أو غيره وآبائه على ترتيب الولادة من غير تكلف في السبك حتى تكون الأسماء في تحدرها كالماء الجاري في اطراده ، وسهولة انسجامه . /

التلخيص : ٣٨٢ - ٣٨٨ .

(٥) عقود الدرر : ١٠ ب .

* يريد هذا الخيار الذي يؤكل، وأراد وصفه بشدة البرودة ؛ لأن الخيار بارد بالطبع ، فإذا تجمع مع الثلج كان غاية فيها (١) .
* والكلام هنا على القلب ، والأصل أنت خيارة في ثلجة ، فإن الخيار بارد ، ويتضاعف بارده إذا وضع في الثلج بخلاف العكس ، ووجه الحُسن فيه المبالغة في وصفه بالبرودة المفرطة حتى كأن الثلجة داخل الخيار (٢) .

الشاهد الثامن والخمسون :- (*) (الطويل)

قول ابن المعتز :

(٣) وَظَلَّتْ تَدِيرُ الرَّاحُ أَيْدِي جَانِدٍ (٤) . عَتَقَ (٦) دَنَانِيرَ الْوُجُوهِ مِسْلَاحَ (٧)

(١) ذكر العاطلي في شرح أبيات الإيضاح أن هذا من كلام الشيخ قال في بداية

الكلام : * حاشية عن خط الشيخ " وفي نهايته قال : " نقلت هذا من غير

تغيير عن حاشية دلائل الإعجاز " : ه ب .

(*) الدلائل ، رضا : ٨٢ ، خفاجي : ١٤١ ، شاكر : ١٠٤ .

(٢) عقود الدرر : ١٠ - ١١ . ب .

(٣) رواية عقود الدرر : * فظلت * .

(٤) الراح : الخمر / مختار الصحاح ، " روح " : ٢٦٢ .

رواية أبيات الإيضاح وعقود الدرر : " تدِيرُ الكأس " وكذلك ذكر محقق

ديوان أشعار الأمير أبي العباس أن هذه هي إحدى نُسخ الديوان .

(٥) الجَوْدَرُ ، والجَوْدَرُ ، يفتح الذال وضما ولد البقرة الوحشية ، والجمع

جَانِدَر / مختار الصحاح ، : " جَانِدَر " : ٩٠ .

(٦) عَتَقَ : " العتق " : الكرم وهو أيضا الجمال / مختار الصحاح " عتق " :

٠ ٤١١

(٧) انظر البيت في :-

ديوان ابن المعتز - دار صادر :- ١٤٥ ، ديوان أشعار الأمير أبي العباس

- دار المعارف :- ٢٣٥ / ٢ ، الإيضاح : ٧٩ / ١ ، شرح أبيات الإيضاح ،

- فيض الله - : ه ب ، النسخة الأزهرية ، شاهد رقم : ١٥ ، عقود الدرر :

١٠ ب . وأعتقد أن هذا البيت من شواهد الشيخ الخاصة به والتي

أخذها عنه المتأخرون مثل القزويني في الإيضاح والسبكي في عروس الأفراح ،

واستشهدوا به على نفس الموضع .

لَيْسَتْنا إِلَى الْخَمَّارِ وَالنَّجْمِ غَائِرٌ^(٢) . غَلَالَةَ لَيْلٍ طَرَزَتْ بِصَبَاحِ

ذكر الشيخ عبد القاهر أن تتابع الإضافات إذا أفضى باللفظ إلى الثقل على اللسان فهو مخل بالفصاحة ، وإذا سلم من الاستكراه ملح ولطف .
 واستشهد ببیت ابن المعتز على حُسن الإضافات المتتابعة ، حيث أضاف عتاق إلى دنانير ، وأضاف دنانير إلى وجوه ، ولعلها حسنت لأن الإضافة وقعت بين المشبه والمشبه به ، فأصبحت جزأين متلازمين تلازم المضاف والمضاف إليه ، فقرر بذلك أن المشبه به وهو الدنانير في صفاتها وحسنها صفة حقيقية لتلك الوجوه ، فلا تفاوت بين المشبه والمشبه به ، وهذا التعبير أقوى في الدلالة على الصفاء والحسن من قولنا : " وجوه كالدينانير " ، وأقوى في تعميق الصورة في النفس .

ولعلها حسنت أيضا لأن في البيت إضافتين ، وإنما يستكره في تتابع الإضافات أن تكون ثلاثة فأكثر^(٣) .

(١) رواية عقود الدرر : " غَدَ وَنَا " .

(٢) رواية عقود الدرر : " غَائِرَةٌ " .

(٣) وذكر ابن السبكي من شروط كراهة تتابع الإضافات :

أن تكون ثلاثة فأكثر ، وأن لا يكون واحد منها جزءاً ، أو كالجزء ، وأن لا يكون المضاف إليه الأخير ضميراً ، وأن لا يكون فيها إضافة في علم كقول أبي سفيان لقد أمر أمر ابن أبي كبشة ، فليس في مثل ذلك استكراه .

ورأى أن أحسن ما يستدل به على فصاحة تتابع الإضافات قوله تعالى : " ذَكَرْ رَحْمَةَ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا " - مريم : (٢) - وقد ينزاع فيه فيقال : إن الإضافات ههنا ترجع إلى إضافتين أو إضافة ، فإن ذكر الرحمة رحمة ، ورحمة الله صفته ، ويؤيد ذلك قول النحاة أنه يرد الحال من المضاف له ، إذا كان المضاف جزءاً أو كجزءه ؛ لأنه يصير وجود الإضافة كعدمها ثم المضاف إليه ضمير . /

وظللت تلك الروح المرحّة تداعبه داخل الخمارة ، حين ظلت كؤوس الخمر تدور من غير انقطاع ، وزاد من نشوته وانبساطه أن اللواتي يدن الرّاح بلفن الغايمة في الجمال ، فهن الدنانير بعينها في صفائها وبريقها ، وأحس الشاعر أن تأثير جمالهن متغلغل في داخله ، فزاد لفظ " ملاح " زيادة في الوصف .

(١)
قول الخالدي :

وَيَعْرِفُ الشَّعْرَ مِثْلَ مَعْرِفَتِي . . وَهُوَ عَلَى أَنْ يَزِيدَ مُجْتَمِعُ
(٢) (٣)
وَصِرْفِي الْقَرِيضَ وَازِنُ دِيْنَارِ الْمَعَانِي الذَّقَايَ مُنْتَقِدُ (٤)

(*) الدلائل ، رضا : ٨٢ ، خفاجي : ١٤١ ، شاكر : ١٠٤
(١) هو أبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدي من شعراء اليتيمة ، وكان
في حاشية سيف الدولة الأدبية ، وقیم دارکتبه مع أخيه أبي بكر
محمد ، وكان السري الموصلي يدعي عليهما سرقة شعره .

انظر : يتيمة الدهر : ٢ / ١٨٣ - ٢٠٨ .

(۲) روایۃ الدلائل : رضا ، خفاجی ، شاکر : " وزان " .

(٣) رواية الديوان : " الجياد " .

(٤) انظر البيتين في :

ديوان الخالدين - أبي عثمان سعيد بن هاشم - : ١٢٢ / ٢ ، خاص
الخاص : ١٥٦ - ١٥٧ ، الإيضاح : ١ / ٧٩ ، شرح أبيات الإيضاح
- فيض الله - : ٥ ب .

(١)
وهذا ان البيتان لأبي عثمان الخالدي في وصف غلام له يسمى رشاً .
والشاهد من قصيدة^(٢) مطلعها :

مَا هُوَ عَبْدٌ لَكِنَّهُ وَلَدٌ . . . خَوْلَنِيهِ الْمَهْمِينُ الصَّدُ
وقبل الشاهد :

خَازِنُ مَا فِي يَدَيَّ وَحَافِظُهُ . . . قَلْبَيْنِ شَيْءٌ لَدَيَّ يَفْتَقَدُ
يَصُونُ كُتُبِي فَكُلُّهَا حَسَنٌ . . . يَطْوِي ثِيَابِي فَكُلُّهَا جُودُ
وَحَاجِبِي فَالْخَفِيفُ مُحْتَبَسٌ . . . عِنْدِي بِهِ وَالثَّقِيلُ مُطَرَّرُ
وبعد هذا الشاهد وبعده :

وَحَافِظُ الدَّارِ إِنْ رَكِبْتُ فَمَا . . . عَلَى غَلَامٍ سِوَاهُ أُعْتَبِرُ
الشاهد هنا كسابقه وهو حسن تتابع الإضافات قال :

" وما جاء منه حسناً جميلاً قول الخالدي في صفة غلام له^(٣) .

ولعل الإضافة هنا حسنة ؛ لأنها ربطت بين المشبه به والمشبه ، وجعلتهما
كالجزء الواحد ، أولاً أن تتابع الإضافات ولَدٌ مبالغة عظيمة في وصف الغلام بعظيم
الخبرة والدقة ، فالدينار وهو شيء محسوس أضيف إلى شيء معنوي ، وهو " المعاني "

(١) قال أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسي أنه رآه بعد موت
مولاه أبي عثمان في ناحية أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف قال :
وهو اليوم وزير قراد العقيلي والي البلد والجامعين والقصر /
شار القلوب : ٢٢٩ .

(٢) قال الثعالبي : قرأت أنا بخطه - أي بخط الغلام رشاً - في مجموعة
من شعر الخالدين بخط أحد الأخوين في دفتر أعارنيه أبو نصر
سهل بن المرزيان :

كتب ابن سكرة الهاشمي إلى أبي عثمان يسأله عني فكتب إليهم :
ما هو عبدٌ لكنه ولدٌ . . . القصيدة / انظر :

ديوان الخالدين : ١١٩ - ١٢٠ .

(٣) الدلائل ، رضا : ٨٢ ، خفاجي : ١٤١ ، شاكر : ١٠٤ .

فأكسبه تجسيدا وحساً ، فكأنه جعل الشئ المعنوي هو ذلك الشئ المحسوس بعينه ، فهو لشدة خبرته ودقيق نظره يحس بالمعاني ، ويلمسها ، ويقلبها على شتى وجوهها كما يقلب الدينار عند الوزن .

فالخالدي في هذه الأبيات يضرب بعلامه المثل في الكياسة والشهامة ، والنفاذ في حسن الخدمة ، وجمع له محاسن الممالك ، ومناقب العبيد ، فهو يصفه في هذين البيتين بمعرفة الشعر معرفة مولاة ، وأن له حاسة ذوقية تمكنه من الوقوف على دقائق الشعر ، وأسراره مثل وقوف مولاة ، بل إن فيه روح الجرأة والاجتهاد وحب الاطلاع ، فهو يبدل وسعه في أن يزيد على مولاة في معرفة الشعر .

* وهو صير في القريض يتصرف في الشعر بدقة نظره فيه ، ويجعل لبعضه عيارا على البعض بعلمه ، وزان المعاني الدقيقة الشبيهة بالدنانير في العزة وميل النفوس إليها يزنها ويقدرها بميزان العقل والفكر ليوذي سالمه من زيادة ونقصان ، منتقد فميز جياذ الأشعار من رديها ، والله أعلم (١)

الشاهد الستون : (*) (الكامل)

قول أبي تمام :

خُذْهَا آئِنَةَ الْفِكْرِ الْمُهَذَّبِ فِي الدُّجَى . . وَاللَّيْلُ أَسْوَدُ رُقْعَةِ الْجِلْبَابِ (٢)

وهو من قصيدته في مدح مالك بن طوق التغلبي (٤) ، ومطلعها :

(١) شرح أبيات الإيضاح : شاهد رقم : ١٦ ، - النسخة الأزهرية -

(*) الديلم ، رضا : ٨٢ ، حناحي : ١٤١ ، شاكرك : ١٠٤ .

(٢) رواية العمدة : " حالك الجلباب " .

(٣) انظر البيت في :

ديوان أبي تمام - دار صعب - : ٢٥ ، العمدة : ٢٠ / ٧٠ ، تحرير التحبير :

٤٠٢ / ٣ ، أنوار الربيع : ٥ / ١٥٤ .

(٤) مالك بن طوق : هو مالك بن طوق بن عَتَّاب " غَيَّاث " التغلبي ، أبو كلثوم

(٢٥٩-٠٠ وقيل : ٢٦٠) ، أمير كان من الأشراف الأجواد الفرسانيان

لَوْ أَنَّ دَهْرًا رَدَّ رَجَعَ جَوَابِي . . . أَوْ كَفَّ مِنْ شَأْنِيهِ طَوْلُ عَتَابِي

وبعده أبيات قبل الشاهد :

لَعَذْلَتُهُ فِي دَمْنَتَيْنِ تَقَادَمَا . . . مَحْوُوتَيْنِ لِزَيْنَبٍ وَرَبَابِ
يَا مَالِكُ اسْتَوْدَعْتَنِي لَكَ مِنْمَةً . . . تَبْقَى ذَخَائِرُهَا عَلَى الْأَحْقَابِ
يَا خَاطِبًا مَذْحِي إِلَيْهِ بِجُودِهِ . . . وَلَقَدْ خَطَبْتَ قَلِيلَةَ الْخَطَابِ

وبعدها الشاهد - وبعده :

يَكْرَأُ تَوَرَّثَ فِي الْحَيَاةِ وَتَنَشَّنِي . . . فِي السَّلَمِ وَهِيَ كَثِيرَةُ الْأَسْلَابِ
وَيَزِيدُهَا مَرَّ اللَّيَالِي جِدَّةً . . . وَتَقَادِمُ الْأَيَّامِ حَسَنَ شَبَابِ

ذكر الشيخ أنه شاهد آخر على حسن تتابع الإضافات وموضع الشاهد قوله :

" وَاللَّيْلُ أَسْوَدُ رُقْعَةِ الْجِلْبَابِ " ، حيث أضاف أسود إلى رقعة ، وأضاف رقعة إلى السي
الجلباب ، وربما حَسُنَتْ الإضافة ؛ لأن في البيتين إضافتين لا أكثر ، ولعل الشاعر
لجأ إلى تتابع الإضافات ؛ ليعالج في وصف الليل بشدة السواد .
وفي البيت وجوه جمالية أخرى أضفت عليه حسنا وطلاقة .

أنظر إلى قوله : " خَذَهَا " حيث أبهم ؛ ليشوق النفس إلى معرفة هذا الشيء ،
المقدم ، وفي استعمال فعل الأمر زيادة تشويق ، ثم بين بعد ذلك ماهية الشيء ،
المأخوذ ، وفي قوله " خذها " تظهر النفس المليئة بالثقة بما حاكت وصورت ،
ثم كنى عنها بقوله : " ابنة الفكر " ، فهناك صلة وثيقة بين هذه القصيدة ، وبين
فكره كصلة الأبوة والبنوة ، فهو لم يُنشئها إلا بعد أن تغاغت أفكاره ، فولدت هذه
المعاني .

== ولي إمرة دمشق للمتوكل العباسي ، وبني بمساعدة الرشيد بلدة
" الرحبة " التي على الفرات وتعرف برحبة " مالك " نسبة إليه ،
وكثر سكانها في أيامه وكان فصيحاً له شعر . / انظر ترجمته فسي :
معجم البلدان : ٣ / ٣٤ ، فوات الوفيات : ٣ / ٢٣١ ،
النجوم الزاهرة : ٣ / ٣٢ ، مختارات البارودي : ١ / ١٣٥ - ١٣٧ ، الأعلام :
٥ / ٢٦٢ .

وفي اختياره لزمن تولد القصيدة دليل على أن ألفاظها ومعانيها خرجت من نفس صادقة هادئة ، لأنه صاغها في وقت الدُّجى ، وقت اشتداد الظلمة ، فكلما اشتد الكون ظلمة اشتدت النفس إنارة وصفاء ، فتسلل الأحاسيس من الداخل لتسكن في كلمات صادقة معبرة .

قال ابن أبي الأصبع :

" فإنه إنما خصَّ تهذيب الفكر بالدُّجى لكون الليل تهدأ فيه الأصوات ، وتسكن الحركات ، فيكون الفكر فيه مجتمعاً ، والخاطر خالياً ، ولا سيما في وسط الليل عندما تأخذ النفس حظها من الراحة ، وتنال قسطها من النوم ، ويخف عليها ثقل الغذاء ، فحينئذ يكون الذهن صحيحاً ، والصدر منشرحاً ، والقلب منبسطاً ، واختياره وسط الليل دون السحر مع ما فيه من رقة الهواء ، وخفة الغذاء ، وأخذ النفس سهمها من الراحة ، لما يكون في السحر من انتباه أكثر الحيوان الناطق والبهيم ، وارتفاع معظم الأصوات ، وجرس الحركات ، وتفتُّح الظلمات بطلائع الأضواء ، وببعض ذلك يتقسم الفكر ، ويتذبذب الخاطر ، ويشتغل القلب ، ويتفرق مجتمع الهم ، ووسط الليل خال عما ذكرنا ، ولهذا خصَّ أبو تمام تهذيب الفكر بالدُّجى عادلاً عن الطرفين لما فيهما من الشواغل التي ذكرناها (١) .

ولقد كره ابن رشيق كلمة " الدُّجى " في هذا البيت ورأى أنها حشوا لفائدة

منه ، قال :

" .. فقله " الدُّجى " حشو (٢) ، لأن في القسم الثاني ما يدل عليه من زيادة

(١) تحرير التعبير : ٣ / ٤٠٣ .

(٢) الحشو : وسماه قوم الالكاء ، وذلك أن يكون في داخل البيت من الشعر

لفظ لا يفيد معنى ، وإنما أدخله الشاعر لإقامة الوزن ، فإن كان ذاك في القافية ، فهو استدعاء ، وقد يأتي في حشو البيت ما هو زيادة في حسنه وتقوية لمعناه كالذي تقدم من التثنية والالتفات وغير ذلك مما ذكرناه

أنفا . / العمدة : ٢ / ٦٩ .

استعارتين مليحتين ، فإن لم يكن في القسم الأول حشو كان القسم الثاني بأثره فضلة ^(١) .

ولقد رثا ابن أبي الإصبع على من قال إن في البيت حشواً وأبرز سر إتيان الشاعر بهذه اللفظة فلفظ " الدُّجى " قد يطلق على الليل كله سواء كان مظلماً أو مقمراً ، لكنه إطلاق مجازي ، وحقيقته أن الدُّجى هو شدة الظلمة ، وطرفا الليل لقربهما من الشمس لا يكون غيبهما شديد الظلمة ، وأبو تمام أراد هنا الإطلاق الحقيقي لا المجازي لقصد المبالغة ، ولما رأى أن لفظ " الدُّجى " فيه عموم فهو يصلح أن يكون اسماً لليل كائناً ما كان في حالتي الحقيقة والمجاز ، احترس من ذلك بما جاء به من التدويل ليخلص من الاشتراك الحاصل من لفظة " الدُّجى " على انفرادها ، وكل ذلك مبالغة في وصف القصيدة .

قال ابن أبي الإصبع :

" وإنما دخلت لفظة الدُّجى على وسط الليل ؛ لأنها جمع دجية ، وطرفا الليل لقربهما من الشمس لا يكون غيبهما شديد الظلمة ، والدُّجى شدة الظلمة ؛ لأنه مجموع ظلمات ، وإن كان الدُّجى قد يطلق على الليل كله ، سواء كان مظلماً أو مقمراً ، لكنه إطلاق مجازي حقيقته ما ذكرناه ، وأبو تمام أرادها هنا الحقيقة لا المجاز ؛ لقصد المبالغة ، ولما لاحظ أبو تمام أن لفظة الدُّجى لعمومها وصلاحياتها في حالتي المجاز والحقيقة ؛ إلى أن تكون اسماً لليل كائناً ما كان آحترس من ذلك بما جاء به التدويل حيث قال :

... .. وَاللَّيْلُ أَسْوَدُ رُقْعَةِ الْجَلْبَابِ

ليخلص من الاشتراك الحاصل من لفظة الدُّجى على انفرادها ؛ وليبين أنه أراد الليالي السود التي سمَّتها العرب بالدَّآري ، لا الليالي

البيض ، ولا غيرها من الليالي التي فيها وقت مُضيء في الجملة فراراً من ليل لا يخلو من الأصوات والحركات ، مبالغة في وصف القصيدة بالتنقيح المرضي في الوقت المختار لذلك ، وقد جمع الكتاب العزيز هذه المعاني ، وأتى بها في أوجز لفظ وأجزله حيث قال سبحانه : * إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا (١) (٢) .

الشاهد الحادي والستون : (*) (الطويل)

قول المتنبي :

وَقَيْدَتْ نَفْسِي فِي ذَرَاكَ مَحَبَّةً . . . وَمَنْ وَجَدَ الْإِحْسَانَ قَيْدًا تَقَيَّدَا (٣)

وهو من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ويهنيه بعيد الأضحى ، ومطلع القصيدة :

لِكُلِّ أَمْرٍ يُؤَمِّنُ دَهْرُهُ مَا تَعَسَّوْدَا . . . وَعَادَاتُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الطُّغْنُ فِي الْعَدَا (٤)

وقبل الشاهد :

تَرَكْتُ السَّرَى خَلْفِي لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ . . . وَأَنْقَلْتُ أَفْرَاسِي بِنَعْمَاكَ عَسَجَدَا

وبعد الشاهد وبعده :

وَإِنَّا سَأَلْنَا الْإِنْسَانَ أَيَّامَهُ الْفَنَى . . . وَكَدَّتْ عَلَى بَعْدٍ جَعَلْتُكَ مَوْعِدَا

استشهد به الشيخ على حسن النظم ، ورأى أن استعارة القيد في الأصل

مبتدلة عامية إلا أن الطريق الذي سلكه المتنبي أخرجها من العامية المبتدلة

إلى الاستعارة النادرة . قال :

(١) سورة المزمل ، آية (٦) . (٢) تحرير التعبير : ٣ / ٤٠٣ .

(*) الدلائل ، رضا : ٨٢ ، خفاجي : ١٤١ ، شاكر : ١٠٥ .

(٣) ديوانه بشرح العكبري : ١ / ٢٩١ ، العرف الطيب : ٢ / ١١٩ ،

نهاية الأرب : ٣ / ١٠٢ .

(٤) ديوانه بشرح العكبري : ١ / ٢٨١ ، العرف الطيب : ٢ / ١١١ .

" الاستعارة في أصلها مبتدلة معروفة ، فإنك ترى العامي يقول للرجل
يكثر إحسانه إليه وبره له ، حتى يألفه ، ويختار المقام عنده قد قيد نسي
بكثرة إحسانه إليّ وجميل فعله معي حتى صارت نفسي لا تطاوعني على
الخروج من عنده ، وإنما كان ما ترى من الحسن بالمسلك الذي سلك
في النظم والتأليف (١) .

ولعل الاستعارة لطفت وندرت ؛ لأنه بناها بناءً نادراً فيه جِدَّة وطرافة ،
فاستعارة القيد عادة تَبْنِي على الإحسان ، فهو الذي يُرغم العواطف ، ويجعلها
تنقاد قسراً ، ولكن الشاعر لصدق عاطفته ، وفرط محبته للممدوح خرج بها عن
الوجه المعتاد ، فبناها على المحبة الخالصة ، فانقاد شعوره طائعاً مختاراً ، فهو
الذي قيد نفسه من غير أن تدفعه المصلحة لذلك .

فشعوره وارتباطه بالممدوح أرفع وأسمى من أن يقيد به الإحسان وحده .
ونصب محبةً على المفعول لأجله ؛ ليبين أنها محبة مطلقة غير محددة .
وقوله : " مَنْ وَجَدَ الْإِحْسَانَ قَيْدًا تَقِيدًا " تذييل لطيف خرج مخرج المشغل ،
والحكمة ؛ ليؤكد أن الإحسان في أصله قيد فكيف إذا أُضيف إليه المحبة الخالصة ؟
وذكر العكبري أنه نظر إلى قول الطائي :

وَتَرَكِي سُرْعَةَ الصَّدْرِ اغْتِيَاطًا . . . يَدُلُّ عَلَى مُوَافَقَةِ السُّرُورِ . (٢)

ومثله :

هَمِّي مُعَلِّقَةٌ عَلَيْكَ رِقَابُهَا . . . مَغْلُولَةٌ إِنَّ الْوَفَاءَ إِسَارُهَا (٣)

يبدو أن الشيخ أول من اتخذ بيت الشاهد شاهداً على الاستعارة النادرة .

(١) الدلائل ، رضا : ٨٣ ، خفاجي : ١٤١ ، شاكر : ١٠٥ .

(٢) ديوان أبي تمام : - دار صعب - : ٩٦ .

(٣) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ١ / ٢٩١ .

الفصل الرابع :

شواهد التقديم والتأخير

٥ - التقديم والتأخير مع الاستفهام .

ب - التقديم والتأخير مع السقي .

٢ - التقديم والتأخير في الخبر .

٤ - تقديم مثل وغير .

مواضع التقديم والتأخير :-

ذكر الشيخ عبد القاهر أن باب التقديم * . . باب كثير الفوائد جم المحاسن ، واسع التصرف ، بعيد الغاية ، لا يزال يَفْتَرُّكَ عن يدِ بعة ، ويفضي بك إلى لطيفة ، ولا تزال ترى شعراً يروقك مَسْمَعُهُ ، ويلطف لديك موقعه ، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ، ولطف عندك أن قُدِّم فيه شيء ، وَحَوَّلَ اللفظ عن مكان إلى مكان (١) .

ورأى أن كل تقديم لابد أن يكون له غرض معنوي ، وأنه من الخطأ أن يُقَسَّم الأمر في التقديم والتأخير إلى مفيد تارة وترجع إفادته إلى معنى الكلام ، وغير مفيد تارة أخرى بل الغرض منه أمر لفظي ، وهو التوسعة على الشاعر حتى يستقيم له الوزن . قال الشيخ :-

* وأعلم أن من الخطأ أن يُقَسَّم الأمر في تقديم الشيء وتأخيرهِ قسَمين ، فيجعل مفيداً في بعض الكلام ، وغير مفيد في بعض ، وأن يعلَّل تارة بالعناية ، وأخرى بأنه توسعة على الشاعر والكاتب حتى تطرد لهذا قوافيه ، ولذلك سجعهم ، ذاك لأن من البعيد أن يكون في جملة النظم ما يدل تارة ، ولا يدل أخرى ، فمتى ثبت في تقديم المفعول مثلاً على الفعل في كثير من الكلام أنه قد أُخْتُصِرَ بفائدة لا تكون تلك الفائدة مع التأخير ، فقد وجب أن تكون تلك قضية في كل شيء وكلِّ حال (٢) .

فإفادة التقديم عنده مطردة في كل شيء وفي كل حال ، وقد خالفه في ذلك ابن الأثير فرأى أن التقديم له فائدتان :

إحداها : أن يكون للاختصاص .

وثانيهما : مراعاة النظم (٣) ، وعلى هذا سار كثير من علماء البلاغة المتأخرين (٤) .

(١) الدلائل ، رضا : ٨٣ ، خفاجي : ١٤٢ ، شاكر : ١٠٦ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٨٦-٨٧ ، خفاجي : ١٤٥ ، شاكر : ١١٠ .

(٣) المثل السائر : ٢ / ٢١٨ .

(٤) انظر : شروح التلخيص : ٢ / ١٥٠-١٥١ .

ثم ذكر الشيخ بعد ذلك مسائل التقديم ، ورأى أنه لا يستطيع أحد أن يمتنع من التفرقة بين تقديم ما قدم فيها ، وترك تقديمه ، فتعرض لتقديم همزة الاستفهام على الفعل والاسم ، وموضع التقديم والتأخير مع النفي ، وموضع التقديم والتأخير في الخبر المثبت ، ثم نكتة تقديم " مثل " و " غير " ، وأخيراً تقديم النكرة على الفعل وعكسه - وهذا الفصل لم يورد فيه شواهد شعرية - ، وكان الشيخ يُقلب كل موضع على وجوهه المختلفة تقليب الخبر المتعرج ، ويبين الدلالات الفنية لكل وجه ، وأثرها في المعنى ، وأثر هذا المعنى في النفس ، فدل ذلك على أصالة فكره ، وبعد نظره ، وقدرته على سبر أغوار النفس ، وكشف خفاياها وأسرارها .

٢ - التقديم والتأخير في الفعل المضارع مع الاستفهام :

الشاهد الثاني والستون :- (*) (الطويل)

أَيَقْتُلُنِي ^(١)وَالْمَشْرِفِيُّ ^(٢)مُضَاجِعِي . . وَمَسْنُونَةٌ ^(٣)زَرْقٌ ^(٤)كَأَنْيَابِ أَغْوَالٍ (٤)

(*) الدلائل ، رضا : ٩١ ، خفاجي : ١٥٢ ، شاكر : ١١٧ .

(١) الْمَشْرِفِيُّ : السيف ينعى بالجودة ، ومشرفي منسوب إلى مشارف الشام ،

وهي أرض من قرى العرب ، تدنو من الريف ، وقيل هذا خطأ ، بل هي نسبة إلى

موضع من اليمن . / المصباح المنير " شرف " : ٣٣٢ / ١ ، وانظر :

معجم ما استعجم : ٢ / ١٢٣٠ .

(٢) مسنونة زرق : أي نصال الرماح والسهام يعني سهماً محدودة الأزجة ،

ونعتت بزرق للدلالة على أنها صافية مجلوة فهي لشدة التماعها وبريقها ترى

زرقاً ، والعرب تصف كل خبيث بالزرق ، ولذلك يقال هو أزرق العين . /

اللسان " زرق " : ١٣٨ / ١٠ - ١٣٩ .

(٣) أغوال : مفردة غول ، وهو حيوان وهمي ، وذكره للتهويل وهو من السعالي

والجمع غيلان وأغوال ، وكل ما اغتال الإنسان وأهلكه فهو غول . /

المصباح المنير : ١١١ / ٢ .

(٤) انظر البيت في : ديوان أمري ، القيس - السندوبي : ١٦٢ ، طبقات فحول

الشعراء : ٨٣ / ١ ، المعاني الكبير : ١٠٤٩ / ٢ ، شار القلوب : ٧٨ ، شرح =====

أورده الشيخ من غير نسبة ، وهو لامري والقيس من قصيدته التي مطلعها :
 أَلَا عِمَّ صَبَاحًا أَيُّهَا الظَّلُّ الْبَالِي . . . وَهَلْ يَعِمَّنْ مَنْ كَانَ فِي الْعَصْرِ الْخَالِي
 وقبل الشاهد :

فَأَصْبَحْتَ مَعْشُوقًا وَأَصْبَحَ بَعْلُهَا . . . عَلَيْهِ الْقَتَامُ سَيِّئُ الظَّنِّ وَالْبَالِ
 يَفْطُ غَطِيطَ الْبَكْرِ شَدَّ خَنَاقَهُ . . . لِيَقْتُلَنِي وَالْمَرْءُ لَيْسَ يَقْتَالَ
 وبعدها بيت الشاهد وبعده :

وَلَيْسَ يَذِي رُمَحٍ فَيَطْعَنُنِي بِهِ . . . وَلَيْسَ يَذِي سَيْفٍ وَلَيْسَ يَنْبِيَّالِ
 لِيَقْتُلَنِي أَنِّي شَفَقْتُ قُرَادَهَا . . . كَمَا شَفَعَ الْمَهْنُوءَةُ الرَّجُلُ الطَّالِي
 استشهد الشيخ بهذا البيت على أن الهمزة هنا للإنكار التذكيري بمعنى
 " لا يمكن أن يكون " ، فعنده أن الهمزة إذا دخلت على الفعل كان الشك في
 الفعل نفسه ، وكان الإنكار متوجهاً إليه ، فإن كان الفعل مضارعاً كان الإنكار
 تذكيراً بمعنى " لا يكون " ، وإن كان ماضياً كان بمعنى " لم يكن " ومثاله قوله تعالى :
 * أَفَأَضْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَيْنِينَ ، وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ^(١) *
 فهذا تذكير للمشركين ورد لما يفترونه ، فقد زعموا أن الملائكة إناث ،
 وأن الله اصطفاهم ، واختصهم بالبينين ، فجاء الفعل أصطفى ، وقد قدمت عليه
 الهمزة للتذكير أي أنه لم يكن .

وقد يكون الإنكار بمعنى التوبيخ أي " ما كان ينبغي أن يكون " هذا إذا كان
 الفعل ماضياً ، ومعنى : " لا ينبغي أن يكون " إن كان الفعل مضارعاً يراد به الحال .
 ورأى الشيخ أن التقرير لا يكون إلا بالماضي والحال ، ولا يكون بالفعل المراد به
 الاستقبال .

هذا ملخص ما أورده الشيخ من دخول الهمزة على الفعل . قال :

=== الفصل : ٢ / ٩ / ٩٧ ، الإيضاح : ٢٣٦ / ١ - ٢٧٥ ، التلخيص : ٢٤٤ ، شرح
 أبيات الإيضاح :- فيض الله :- ٣٧ ب ، شرح التلخيص - باب التشبيه : ٣٧ / ٣ .
 (١) سورة الإسراء ، آية . ٤ .

"... وهذه مسائل لا يستطيع أحد أن يمتنع من التفريق بين تقديم ما قدم فيها وترك تقديمه .

ومن أبين شيء في ذلك " الاستفهام بالهمزة " فإن موضع الكلام على أنك إذا قلت : " أفعلت ؟ " ، فبدأت بالفعل ، كان الشك في الفعل نفسه ، وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده .

وإذا قلت : " أنت فعلت ؟ " فبدأت بالاسم ، كان الشك في الفاعل من هو ، وكان التردد فيه . ومثال ذلك أنك تقول : " أبنيت السدار التي كنت على أن تبنيها ؟ " ، " أقلت الشعر الذي كان في نفسك أن تقول ؟ " ، " أفرغت من الكتاب الذي كنت تكتبه ؟ " تبدأ في هذا ونحوه بالفعل ؛ لأن السؤال عن الفعل نفسه والشك فيه ؛ لأنك في جميع ذلك متردد في وجود الفعل وانتفاءه ، مجوّز أن يكون قد كان ، وأن يكون لم يكن .

وتقول : " أنت بنيت هذه الدار ؟ " ، " أنت قلت هذا الشعر ؟ " ، " أنت كتبت هذا الكتاب ؟ " ، فتبدأ في ذلك كله بالاسم ، ذاك لأنك لم تشك في الفعل أنه كان .

كيف ؟ وقد أشرت إلى الدار مبنية ، والشعر مقولاً ، والكتاب مكتوباً ، وإنما شككت في الفاعل من هو ؟

فهذا من الفرق لا يدفعه دافع ، ولا يشك فيه شاك ، ولا يخفى فساد أحدهما في موضع الآخر .

فلو قلت : " أنت بنيت الدار التي كنت على أن تبنيها ؟ " ، ... خرجت من كلام الناس ، وكذلك لو قلت أبنيت هذه الدار ؟ ... قلت ماليس يقول . ذاك لفساد أن تقول في الشيء المشاهد الذي هو نصب عينيك أوجود أم لا ؟

ومثلاً يعلم به ضرورة أنه لا تكون البداية بالفعل كالبداية بالاسم أنك

تقول : " أقلت شعراً قط " ، " أرايت اليوم إنساناً ؟ " ، فيكون كلاماً مستقيماً ، ولو قلت : " أأنت قلت شعراً قط ؟ " ، " أأنت رأيت إنساناً " ، أخلت ، وذلك أنه لا معنى للسؤال عن الفاعل من هو في مثل هذا ؛ لأن ذلك إنما يتصور إذا كانت الإشارة إلى فعل مخصوص نحو أن تقول : " من قال هذا الشعر ؟ " ، و " من بنى هذه الدار ؟ " . . . وما أشبه ذلك مما يمكن أن ينص فيه على معين ، فأما قيل شعراً على الجملة . . . فمحال ذلك فيه ؛ لأنه ليس ما يختص بهذا دون ذاك حتى يسأل عن عين فاعله . . . واعلم أن هذا الذي ذكرت لك في الهمزة وهي للاستفهام قائم فيها إذا هي كانت للتقرير ، فإذا قلت : " أأنت فعلت ذاك ؟ " ، كان غرضك أن تقرره بأنه الفاعل (١) .

ثم ذكر الشيخ أن للهمزة مذهباً آخر وهو إنكار أن يكون الفعل قد كان من أصله . قال :

" وأعلم أن " الهمزة " فيما ذكرنا تقرير بفعل قد كان ، وإنكار له لم كان ، وتوبيخ لفاعله عليه .

ولها مذهب آخر ، وهو أن يكون الإنكار أن يكون الفعل قد كان من أصله . ومثاله قوله تعالى :

* أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ ، وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا (٢) . . . * (٣)

وهذه الفروق الآتية كانت بين تقديم الفعل ، وتقديم الاسم ، والفعل ماضٍ .

أما عن الفرق إذا كان الفعل مضارعاً فقد قال الشيخ :-

" والقول في ذلك أنك إذا قلت : " أتفعل ؟ " و " أأنت تفعل ؟ " لم يخل

(١) الدلائل ، رضا : ٨٧-٨٨ ، خفاجي : ١٤٦-١٥١ ، شاكر : ١١١-١١٤ .

(٢) الإسراء : ٤٠ .

(٣) الدلائل ، رضا : ٨٩ ، خفاجي : ١٥٢-١٥٥ ، شاكر : ١١٤ .

من أن تريد الحال، أو الاستقبال، فإن أردت الحال كان المعنى شبيهاً بما مضى في الماضي، فإذا قلت: "أَتَفَعَّلَ؟" و "أَأَنْتَ تَفَعَّلَ؟" لم يخل من أن تريد الحال، أو الاستقبال. فإن أردت الحال كان المعنى شبيهاً بما مضى في الماضي، فإذا قلت: "أَتَفَعَّلَ؟" كان المعنى أنك أردت أن تقرّره بفعل هو يفعله، وكنت كمن يُوهَم أنه لا يعلم بالحقيقة أن الفعل كائن، وإذا قلت: "أَأَنْتَ تفعل؟" كان المعنى على أنك تريد أن تقرّره بأنه الفاعل، وكان أمرُ الفعل في وجوده ظاهراً وحيث لا يحتاج إلى الإقرار بأنه كائن، وإن أردت به "تفعل" المستقبل، كان المعنى إذا بدأت بالفعل على أنك تعتمد بالإِنْكار إلى الفعل نفسه، وتزعم أنه لا يكون، أو أنه لا ينبغي أن يكون، فمثال الأول:

أَيَقْتُلَنِي وَالْمَشْرِفِي مَضَاجِعِي

ومثال الثاني:

أَأَثْرُكَ أَنْ قَلْتُ دَرَاهِمَ خَالِدٍ . . زِيَارَتَهُ إِنِّي إِذَا لِلدَّيْسِمْ (١)

فامرؤ القيس قدم الهمزة على الفعل المضارع المراد به الاستقبال، فيكون الإنكار موجهاً للفعل نفسه لا للفاعل، ويراد به التكذيب، فقله: "أَيَقْتُلَنِي" ليس إنكاراً لأن يكون القتل من الفاعل بل هو إنكار لفعل القتل، وأنه لن يكسبون. قال الشيخ:

"فهذا تكذيب منه لإنسان تهدده بالقتل، وإنكار أن يقدر على ذلك ويستطيعه (٢) فامرؤ القيس قد جرد بعمل محبوبته من كل صفات البطولة، فهو منحنط الشأن، كثير الهذيان، ليس له إلا الغطيط، وهو ليس بقاتل، وليس بذي رَمَح، وليس بذي سيف ولا نبل، وهذه الأوصاف كلها توهم بأن الإنكار في قوله: "أَيَقْتُلَنِي"

(١) الدلائل، رضا: ٩١-٩٢، خفاجي: ١٥٦-١٥٧، شاكر: ١١٦-١١٧.

(٢) الدلائل، رضا: ٩١، خفاجي: ١٥٧، شاكر: ١١٧.

متوجه إلى ذلك البعل أي "أهو يقتلني" ، ولكن الصورة التي رسمها أمرؤ القيس لنفسه تنفي هذا الوهم . حيث جعل سيفه مضاجعاً وملزماً له ، ثم استعانته بصورة الغول ، وهو أمر وهي ليضفي الرعب والهول على صورة استعداد ، فهذا الاستعداد ، وهذا التأهب لا يمكن أن يكون لأجل شخص تلك صورته ، ومنزلته في الحقارة " وكان أمرؤ القيس لما أفرغ هذا الرجل من كل ما يهيم به الخصم من أحوال خصيمه استشعر أن وراء هذا أنه لو كان أمراً ذا شأن لأخاف الشاعر ، فقال : أيقتلني ليرشد إلى أن قتله مستبعد منه ومن غيره ، وذكر عذته ؛ ليؤكد ذلك ، وبهذا يحقق معنى دقيقاً بين محظورين ، فلو أنه اكتفى بوصفه بالضعف ، والخور لما كان في ذلك تنويه بشجاعة الشاعر واقتداره ، ولو أنه اكتفى بوصف نفسه بالقوة ، وكمال العدة لأوهم أن صاحبها ما يحتفل بملاقاته (١) .

قال الشيخ :

" وجملة الأمر أن تقديم الاسم يقتضي أنك عمدت بالإنكار إلى ذات من قيل "إنه يفعل" أو قال هو "إني أفعل" وأردت ما تريد إذا قلت : " ليس هو بالذي يفعل ، وليس مثله يفعل ، ولا يكون هذا المعنى إذا بدأت بالفعل فقلت : "أتفعل ؟ " ... وقد يتوهم المتوهم في الشيء من ذلك أنه يحتمل ، فإذا نظر لم يحتمل ، فمن ذلك قوله : " أيقتلني والمشرقي مضاجعي ؟ " وقد يظن الظان أنه يجوز أن يكون في معنى أنه ليس بالذي يجيء منه أن يقتل مثلي ، ويتعلق بأنه قال قبل :
يَغْرِطُ غَطِيطَ الْبَكْرِ شَدَّ خِنَاقَهُ . : لِيَقْتُلَنِي وَالْمَرْءُ لَيْسَ يَقْتُلُ
ولكنه إذا نظر علم أنه لا يجوز ، وذلك لأنه قال : " والمشرقي مضاجعي " ، فذكر ما يكون منعاً من الفعل ، ومحال أن يقول : هو ممن لا يجيء منه الفعل ومع من يصح منه ، لا من هو منه محال ، ومن هو نفسه عنه عاجز ، فأعرفه (٢) .

(١) دلالات التراكيب : ٢٥١ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٩٢-٩٣ ، خفاجي : ١٥٩ ، شاکر : ١١٩ .

والبيت أورده الخطيب في التلخيص شاهداً على التشبيه الوهمي في قوله :
 " كَأَنِّيَابِ أَغْوَالٍ " ، والتشبيه الوهمي : هو التشبيه غير المدرك بإحدى الحواس ،
 ولكنه لو أدرك لكان مدركاً بها ، فإن أنياب الغول مما لا يدركه الحس لعدم
 تحققها مع أنها لو أدركت لم تدرك إلا بحس البصر (١) .

وأورده في الإيضاح شاهداً على موضعين :
 في باب الإنشاء (٢) ، وفي باب الفصل والوصل (٣) .

الشاهد الثالث والستون : (*) (الطويل)

أَتَرَكُ أَنْ قُلْتُ دَرَاهِمَ خَالِدٍ . : زِيَارَتُهُ إِنِّي إِذَا لِلَّيْمِ (٤)
 (٥)

- (١) التلخيص : ٢٤٤ ، الإيضاح : ٢ / ٣٣٦ .
 (٢) الإيضاح : ١ / ٢٣٦ . (٣) المصدر السابق : ١ / ٢٧٥ .
 (٤) الدلائل ، رضا : ٩٢ ، خفاجي : ١٥٧ ، شاكر : ١١٢ .
 (٥) رواية الأغاني : " إن " بكسر الهمزة ، ويبدو أن رواية الدلائل أصوب ،
 لأن " إن " بكسر الهمزة تكون شرطية ، بمعنى أن الترك لن يكون
 إلا إذا حصلت قلة الدراهم ، فصورت حالة الفقر بأنها لم تقع بعد .
 أما " أن " بفتح الهمزة فتكون بمعنى " لأن " ، فتصور أن حالة الفقر
 وقلة الدراهم قد وقعت وحصلت ، وهذا ما تدل عليه الأبيات .
 جاء في شرح أبيات الإيضاح : " تروى بفتح الهمزة وبكسرها ، فإن
 روى بفتح الهمزة أريد لأن ، وإن روى بكسر الهمزة كان شرطاً جزاءً
 في قوله : أترك .

(٥) انظر البيت في :

- الكامل - دار الفكر - : ١ / ٢١٢ ، الأغاني : ٢٤ / ٢٥٥ ،
 العمدة : ١ / ٧٠ ، حماسة ابن الشجري : ١٣٣ ، الإيضاح : ١ / ٢٣٧ ،
 شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٣٩ ، المستطرف : ١ / ١٦٥ .

أورده الشيخ من غيرنسبة ، وهو لعمارة بن عقيل^(١) يمدح به خالد بن يزيد
ابن يزيد الشيباني^(٢) ، ويذم تميم بن خزيمة^(٣) .
وبعبده :

(١) هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية الخطفي ، وكنيته أبو عقيل
وهو شاعر ابن شاعر ، مقدم فصيح ، كان يسكن بادية البصرة ،
ويزور الخلفاء في الدولة العباسية فيجزلون له العطاء ، ويمدح
قوادهم وكتابهم ، فيحظى منهم بكل فائدة ، وكان النحاة يأخذون عنه
اللغة ، وفيه قال محمد بن يزيد المبرد * * ختمت الفصاحة في شعر
المحدثين بعمارة بن عقيل * اتصل عمارة بإسحاق بن إبراهيم المصعبي ،
وله فيه مدح كثير ، واجتمع الناس وكتبوا شعره ، وبقي إلى أيام الواثق ،
ومدحه وعمى قبل موته ، ولد سنة ١٨٢ هـ ، وتوفي «سنة ٢٣٩ هـ» . /
انظر ترجمته في : /

معجم الشعراء للمرزباني : ٢٤٧ ، جمهرة أنساب العرب : ٢٢٦ ،
الأغانسي : ٢٤ / ٢٤٥ - ٢٥٨ ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي :
٣ / ١٤٣٢ - ١٤٣٩ ، الأعلام : ٥ / ٣٧ .

(٢) هو خالد بن يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني أحد الولاة في
العصر العباسي * اشتهر بالجوّد والكرم * ت : ٢٣٠ هـ ، ولعمارة
ابن عقيل فيه مدائح كثيرة منها :
تَأْتِي خَلَائِقُ خَالِدٍ وَفِعَالُهُ . . . إِلَّا تَجَنَّبَ كُلَّ أَمْرٍ عَائِبٍ
وَلَوْ دَا حَضَرْنَا الْبَابَ عِنْدَ غَدَائِهِ . . . أَنْ نَ الْغَدَاءَ لَنَا بِرَغْمِ الْحَاجِبِ
انظر ترجمته في :

أخبار أبي تمام للصولي : ١٥٦ ، ١٥٨ - ١٦٦ ، الأغانسي : ٢٤ / ٢٥٤ -
٢٥٥ ، معجم الشعراء للمرزباني : ٢٤٨ ، جمهرة أنساب العرب :
٣٢٦ - ٣٢٧ ، الأعلام : ٢ / ٣٠١ .

(٣) هو تميم بن خزيمة بن حازم النهشلي ، شيخ من شيوخ بني تميم ، وأمير من
أمرائها ، عاصر المأمون ، وقد قصده الشاعر عمارة في حاجة له ، فلم يلتفت
إليه ، ولم يُجِبْ مطلبه ، وحُجِبَ عنه ، فقصد خالد بن يزيد ، فأكرمه ، فقال الأبيات
التي منها الشاهد / انظر : الأغانسي : ٢٤ / ٢٥٣ - ٢٥٥ .

- (١) (٢) (٣) (٤)
 وَقَدْ يَسْلَعُ الْمَرْءُ اللَّئِيمُ اصْطِنَاعَهُ .: وَيَعْتَلُّ نَقْدُ التَّمْرِ وَهُوَ كَرِيمٌ
 (٥)
 فَتَى وَاسْطُ فِي ابْنِي نِزَارٍ مُحَبَّبٌ .: إِلَى ابْنِي نِزَارٍ فِي الْخُطُوبِ عَمِيمٌ
 فَلَيْتَ بِثَوْبِيهِ لَنَا كَانَ خَالِدٌ .: وَكَانَ لِبَكْرِ بِالشَّرَاءِ تَمِيمٌ
 (٦)
 فَيُصْبِحُ فِينَا سَابِقٌ مَتَمَّ لُ .: وَيُصْبِحُ فِي بَكْرِ أَغْمٌ بِهِ سِيمٌ
- والشاهد فيه كسابقه حيث قدم الهمزة على الفعل المضارع المراد به الاستقبال ،
 فيكون الإنكار للفعل ذاته ، وهو بمعنى " لن يكون ذلك مني " ، وهو إنكار تكذيبي ،
 فالشاعر حين أنكر تحقق ترك الزيارة ، أكد بذلك وفاءه للممدوح في جميع
 الأحوال ؛ لأن حدث ترك الزيارة معناه إثبات صفة اللؤم ولزومها له ، وهذا أمر
 يستقبحه الشاعر ، ولكي يزجر النفوس عن ترك الأمانة في وقت الشدة جاء بقوله :
 " إِيَّا نِي إِذَا لِلثِّمِ " ، فأكد صفة اللؤم التي تنفر منها النفوس " بأن " و " لام التوكيد "

- (١) رواية الأغاني : " فقد " .
 (٢) السَّلْع : الشَّق ، والسَّلْع شَقِي فِي الْجَبَلِ كَهَيْئَةِ الصَّدْع ، وَجَمْعُهُ أَسْلَاع ،
 وَسَلْعٌ / اللِّسَان : " سَلْع " : ١٦٠ / ٨ .
 (٣) يَرُوى بِالرَّفْعِ عَلَى أَنَّهُ فَاعِلٌ لِلثِّمِ ، أَوْ عَلَى النَّصْبِ عَلَى أَنَّهُ شَبِيهٌ بِالْمَفْعُولِ
 بِهِ ، جَاءَ فِي الْكَامِلِ : " مِنْ رَفْعِ الْمَرْءِ نَصْبَ اصْطِنَاعِهِ ، وَمِنْ نَصْبِ الْمَرْءِ رَفْعَ
 اصْطِنَاعِهِ " .
 (٤) ذَكَرَ فِي الْأَغَانِي أَنَّ الْبَيْتَ بَعْدَ الشَّاهِدِ :
 فَلَيْتَ بِثَوْبِيهِ لَنَا كَانَ خَالِدٌ .: وَكَانَ لِبَكْرِ بِالشَّرَاءِ تَمِيمٌ
 (٥) هَذَا الْبَيْتُ غَيْرُ مَذْكُورٍ فِي الْأَغَانِي .
 (٦) ذَكَرَ هَذَا الْبَيْتَ فِي الْأَغَانِي بَعْدَ قَوْلِهِ :
 " فَلَيْتَ بِثَوْبِيهِ لَنَا كَانَ خَالِدٌ " .
 هَذِهِ الْأَبْيَاتُ لَمْ تَذَكَرْ إِلَّا فِي :
 الْكَامِلِ لِلْمَبْرَدِ - دَارُ الْفِكْرِ - : ١ / ٢١٣ ، الْأَغَانِي :
 ٢٤ / ٢٥٥ (مَعَادَا الْبَيْتِ الثَّانِي) ، وَذَكَرَ بَعْضُهَا فِي حِمَاسَةِ ابْنِ الشَّجَرِيِّ :
 ١٣٣ ، وَرَوَايَةُ ابْنِ الشَّجَرِيِّ لِلْبَيْتِ الْآخِرِ :
 فَيُصْبِحُ فِي قَوْبِي أَغْرٌ مُحَجَّلٌ .: وَيُصْبِحُ فِي بَكْرِ أَغْمٌ بِهِ سِيمٌ .

وذلك لاستبعاد الترك ، وكأنه يعرّض بهذه الجملة بتميم بن خزيمة ، وأن هذا الأمر يحصل منه ، فهو على بخله لئيم ، فالرجل قد يكثر ماله ، وهو ذميم ، وقد ينضب مال رجل آخر ، وهو مع ذلك كريم رفيع المحامد ، وأراد بالأخير ، وصف خالد بن يزيد بالكرم والمجد مع قلة ماله .

ومثل قول عمار في المعنى قول أبي نواس يعتذر إلى ابن الهيثم :
أَقْنَعُ الْمَعْرُوفَ وَهُوَ كَأَنَّهُ . قَمَرُ الدُّجَى إِنِّي إِذَا لِلْئِيمِ (١)

الشاهد الرابع والستون : (*) (الكامل)

قول ابن أبي عيينة : (٢)

- (١) تحرير التعبير : ٣ / ٦١٩ .
(*) الدلائل ، رضا : ٩٥ ، خفاجي : ١٦٠ ، شاكر : ١٢١ .
(٢) جاء في الأغاني : أن ابن أبي عيينة هو محمد بن أبي عيينة قال : * وابن أبي عيينة هو محمد بن أبي عيينة بن المهلب بن أبي صفرة : ٢٠ / ٧٥ ، وذكر في موضع آخر أن محمداً هو أبوه قال :
* أبو عيينة الشاعر هو أبو عيينة بن المنجاب بن أبي عيينة بن المهلب ، وكان محمد بن أبي عيينة أبو أبي عيينة الشاعر ، يتولى الري ، لأبي جعفر المنصور * : ٢٠ / ٧٩ .
وجاء في معجم الشعراء للمرزباني : -
* أبو عيينة بن محمد بن أبي عيينة * : ٢٦٧ .
وجاء في الكامل للمبرد أن ابن أبي عيينة هو عبد الله بن محمد بن أبي عيينة ، وقد أورد هذا البيت منسوباً إليه مع بعض الأبيات الأخرى .
وإبن أبي عيينة شاعر مطبوع غزال هجاء . قال الجاحظ : -
* والمطبوعون على الشعر من المولدين بشار العقيلي ، والسيد الحميري ، وأبو العتاهية ، وابن أبي عيينة . . .
وعنه قال المرزباني : - * وأبو عيينة هذا من أطبع الناس وأقربهم مأخذاً في الشعر وأقلهم تكلفاً * .

ويبدو أن الشيخ عبد الهادي العدل في كتابه * دراسات تفصيلية لبلاغة =====

فَدَعِ الْوَعِيدَ فَمَا وَعِيدَكَ ضَائِرِي . . أَطْنِينَ أَجْنَحَةَ الذَّبَابِ يَضِيرُ^(١)
 وهذا البيت قاله عبد الله بن أبي عيينة لعلي بن محمد بن جعفر^(٢) ،
 وكان دعاه إلى نصرته حين ظهرت المبيضة فلم يجبه ، فتوعده ، فقال عبد الله :^(٤)

===== عبد القاهر * قد نسب الأبيات إلى محمد بن أبي عيينة والد الشاعر .
 أما الشيخ العباسي في معاهد التنصيص ، فقد ذكر أنه لا يعرف قائلها ،
 وأنا رأي صاحب الدر الفريد ينسبها إلى عبد الله بن محمد بن أبي عيينة .
 وهذا ما ورد في كتاب الكامل للمبرد . / انظر ترجمته : في :
 البيان والتبيين : ١ / ٥٠ - ٣٦١ ، ٤ / ٤٨ - ٧٦ ، الشعر والشعراء :
 ٢ / ٨٧٦ ، الكامل للمبرد : - مكتبة المعارف - : ١ / ٢٤٩ - ٢٥٨ ، معجم
 الشعراء : ٢٦٧ ، الأغاني : . . ٢٠ / ٧٥ - ١١٩ .

(١) رواية الكامل : * أَطْنِينَ أَجْنَحَةَ الْبَقُوضِ * .

(٢) انظر البيت في :

الكامل للمبرد : - مكتبة المعارف - : ١ / ٢٥٧ ، التلخيص : ٣٩٦ . أورد
 القزويني في علم البديع في * رد العجز على الصدر * من غير نسبة .
 الإيضاح : ٢ / ٥٤٦ ، وذكره في علم البديع من غير نسبة ، معاهد
 التنصيص : ٣ / ٢٨٨ ، رقم الشاهد (١٧٦) ، أنوار الربيع : ٣ / ١٠٣ ،
 ذكره في * رد العجز على الصدر * .

(٣) هو علي بن محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي
 طالب رضي الله عنهم . كان والده محمداً شيخاً وداعاً محبوباً في الناس
 مفارقاً لما عليه كثير من أهل بيته من قبح السيرة ، وكان يروى العلم عن أبيه
 جعفر ، اجتمع عليه ابنه علي ، والحسين بن الحسن الأقطس وأقنعوه بقبول
 الخلافة ، وكان كارهاً لها ، فقبلها علي مضطراً ، وكان ليس له من الأمر
 إلا اسمه ، وكان ابنه علياً أسوأ ما كان سيرة وأقبح ما كان فعلاً . / انظر :
 تاريخ الطبري : ٨ / ٥٣٧ - ٥٣٨ ، رأي الشيخ عبد الهادي العدل أن الخطاب
 هنا موجه لابن عم الشاعر خالد بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ،
 ولعله توهم ذلك لما لابن أبي عيينة من أهاج كثيرة في ابن عمه هذا .

(٤) المبيضة : بكسر الياء فرقة من الثنوية ، وهم أصحاب المقتع سموا بذلك

لتبويضهم ثيابهم خلافاً للسودة من أصحاب الدولة العباسية . =====

أَعْلَىٰ إِنَّكَ جَاهِلٌ مَفْسُورٌ .: لَا ظَلَمَ لَكَ لَا وَلَا لَكَ نُورٌ
أَكْتَبْتُ^(١) تَوَعَّدَنِي أَنْ آسْتَبْطِئَ تَنِي .: إِيَّتِي بِحَرْبِكَ مَا حَيِّتُ جَدِيرُ

وبعد ها الشاهد وبعده :

وَإِذَا أَرْتَحَلْتُ فَإِنَّ نَصْرِي لِلأُولَى .: أَبَوَاهُمُ الْمَهْدِيُّ وَالْمَنْصُورُ
نَبَّتَ عَلَيْهِ لِحُومُنَا وَدِمَائُنَا .: وَعَلَيْهِ قَدَّرَ سَعَيْنَا الْمَشْكُورُ^(٢)

الشاهد في البيت : أن إنكار الأمر المستحيل الوقوع بالهمزة إنما يأتي
على سبيل التمثيل ، وذلك بتنزيل المخاطب الذي يطلب الأمر المستحيل بمنزلة
من يستطيعه .

قال الشيخ :

"... وإن قد عرفت ذلك فإنه لا يقرّر بالمحال وما لا يقول أحد إنه
يكون إلا على سبيل التمثيل ، وعلى أن يقال له إنك في دعواك ما أدعيت
بمنزلة من يدعي هذا المحال ، وإنك في طمعك في الذي طمعت فيه
بمنزلة من يطمع في الممتنع"^(٤).

فالكلام في البيت ليس على ظاهره ، وإن لا يدعي أحد أن طنين الذباب
يضير ؛ لأن وقوع الضرر منه مستحيل ، فهو وإن ا على التمثيل ، وذلك بتنزيل المخاطب
- في دعواه أن وعيده الذي لا يؤبه له " يضير " - منزلة من يدعي أن طنين أجنحة
الذباب يضير ، ووجه الشبه أن كلا قد ادعى دعوى كاذبة^(٥).

=== انظر: تاريخ الطبري: ٢٥٧/٩، ٢٩٤، ٢٩٦، ٣١١، ٣٤٣، اللسان :

"بيض" : ١٢٨/٧ .

(١) رواية المعاهد : " أبعثت " .

(٢) رواية معاهد التنصيص : " بُنيت " .

(٣) انظر الأبيات في :

الكامل للمبرد - مكتبة المعارف - : ١ / ٢٥٧ ، معاهد التنصيص : ٢٨٨/٣ ،

رقم الشاهد : * ١٧٦ *

(٤) الدلائل ، رضا : ٩٤ ، خفاجي : ١٥٩ - ١٦٠ ، شاكر : ١٢٠ .

(٥) دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القاهر : ٢٦٨ .

قال الشيخ :

" جعله كأنه قد ظن أن طنين أجنحة الذباب بمثابة ما يضير حتى ظن أن وعيده يضير (١) .

والبيت فيه استخفاف، واستهانة بالمهجوم من عدة وجوه : حيث استعمل فعل الأمر " دع " وفيه تحقير أي اترك الوعيد ، فأنت أعجز وأصغر شأنًا من أن تتوعد . استعماله النفي : " فما وعيدك ضائري " وفيه استبعاد حصول الضرر . ولكي تكتمل صورة الاستخفاف جاء بالتشبيه الضمني في أسلوب الاستفهام الإنكاري ، فدخلت الهمزة على الاسم ، وهذا معناه إنكار الفاعل ، وهو الطنين ، وبالتالي إنكار وعيده ، حيث شبه وعيده الذي لا يعبأ به بطنين أجنحة الذباب ، ووجه الإنكار لهما عن طريق الهمزة .

والبيت يستشهد به البلاغيون في علم البديع على موضوع " رد العجز على الصدر " وهو من النوع الذي يقع فيه أحد اللفظين الملحقين بالمتجانسين في آخر البيت ، والآخري في آخر المصراع الأول (٢) .

وأشار الشيخ عبد القاهر في هذا الفصل إلى فائدة جليلة وهي : أن محض المعنى في الأبيات السابقة ليس هو الإنكار ، ولو كان محض المعنى هو الإنكار لم يكن هناك فرق بين الإنكار بالهمزة ، والإنكار بالنفي الصريح .

فالإنكار بالهمزة له ميزة أخرى وهي إشراك السامع في التفكير في الحقائق المعروضة ، فهو لا يفرض عليه الحكم فرضاً ، لأن طريقة الفرض فيها ثقل على النفس ، وإنما فيه تنبيه للسامع بأن يراجع نفسه ، ويعرف حقيقته ، فيرتدع ، كأن يدّعي القدرة على فعل ما لا يقدر عليه ، أو أن يهمل بفعل ما لا يستصوب فعله ، فإذا رُوجع تنبه وعرف الخطأ . قال الشيخ :-

(١) الدلائل ، رضا : ٩٥ ، خفاجي : ١٦٠ ، شاكر : ١٢١ .

(٢) انظر : التلخيص : ٣٩٣ ، معاهد التنصيص : ٣ / ٢٨٨ ، أنوار البديع :

" وأعلم أنا وإن كنا نَقَسِّر الاستفهام في مثل هذا بالإنكار ، فإن الذي هو محض المعنى أنه ليتنبه السامع حتى يرجع إلى نفسه ، فيخجل ، ويرتدع ويعي بالجاب ، إما لأنه قد ادَّعى القدرة على فعل لا يقدر عليه ، فإذا ثبت على دعواه قيل له : " فافعل " ، فيفضحه ذلك ، وإما لأنه هم بأن يفعل ما لا يُستصوب فعله ، فإذا رُوجع فيه تنبه وعرف الخطأ ، وإما لأنه جَوَّز وجود أمر لا يوجد مثله ، فإذا ثبت على تجويزه وُبِّحَ على تعنته وقت قيل له : " فأرنا في موضع وفي حال ، وأقم شاهداً على أنه كان في وقت " ولو كان يكون للإنكار ، وكان المعنى فيه من يدَّ الأمر ، لكان ينبغي أن لا يجيء فيما لا يقول عاقل إنه يكون ، حتى يُنكر عليه كقولهم : " أَتَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ ؟ " ، " أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَنْقُلَ الْجِبَالَ ؟ " ، " أَيْلَسِي رَجُلٌ مَاضٍ سَبِيلٌ " ؟ (١) .

ج - مواضع التقديم والتأخير مع النفي :-

الشاهد الخامس والستون :- (*) (المتقارب)

قوله :-

وَمَا أَنَا أَسْقَمْتُ جِسْمِي بِهِ . : وَلَا أَنَا أَضْرَمْتُ فِي الْقَلْبِ تَارًا (٢)

والبيت أورد به الشيخ من غير نسبة ، وهو للمتنبي من قصيدة يعتذر فيها لسيف الدولة حين استبطأ مدحه ، ومطلعها :-

أَرَى ذَلِكَ الْقُرْبَ صَارَ أَزْوَرًا . : وَصَارَ طَوِيلَ السَّلَامِ أَخْيَصَارًا

- (١) الدلائل ، رضا : ٩٣-٩٤ ، خفاجي : ١٥٩ ، شاكر : ١١٩-١٢٠ .
 (*) الدلائل ، رضا : ٩٢ ، خفاجي : ١٦٢ ، شاكر : ١٢٥ .
 (٢) انظر البيت في : ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ٩٥/٢ ، الطرائف الأدبية " المختار من دواوين المتنبي والبحري وأبي تمام " : ٢١٣ ، الإيضاح ١٣٧/١ ، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٢١ ب .

وقبل الشاهد :

وَأَعْلَمُ أَنِّي إِذَا مَا عَتَذَرْتُ (م) . تَ إِلَيْكَ أَرَادَ آعْتَذَرِي آعْتَذَرَا
وَلَكِنْ حَتَّى الشَّعْرَ إِلَّا الْقَلِيلَ . لَمْ هُمْ حَتَّى النَّوْمِ إِلَّا غِرَارًا
كَفَرْتُ مَكَارِمَكَ الْبَاهِرَا . تَ إِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنِّي آخْتِيَارَا (١)

وبعدها الشاهد وبعده :

فَلَا تُزِمْنِي ذُنُوبَ الزَّمَانِ (م) إِلَى أَسَاءٍ وَإِيَّايَ ضَمًّا
وَعِنْدِي لَكَ الشَّرُّ السَّائِرَا . تَ لَا يَخْتَصِمَنَّ مِنَ الْأَرْضِ دَارَا
قَوَافٍ إِذَا يَسْرَنَ عَنْ يَقُولِي . وَثَبْنَ الْجِبَالِ وَخُضْنَ الْيَحَارَا (٢)

استشهد الشيخ بهذا الشاهد على أن تقديم الاسم يقتضي وجود الفعل ،
فالقاعدة عنده أنه إذا ولي الاسم حرف النفي ، فإن النفي يتجه إلى نفي فاعل
فعل قد ثبت حصوله ، وتحقق ، أما إذا ولي الفعل النفي كان النفي لشيء ، لم
يثبت حصوله . قال الشيخ :

" وإن قد عرفت هذه المسائل في الاستفهام ، فهذه مسائل فسي

النفي إذا قلت : ما فعلت ، كنت نفيت عنك فعلاً لم يثبت أنه مفعول ،
وإذا قلت : ما أنا فعلت كنت نفيت عنك فعلاً ثبت أنه مفعول (٣) .

وإذا تقدم الاسم على الفعل مع تقدم حرف النفي لا يجوز أن يكون المنفي
عاماً ، بل يجب أن يكون محدداً ، فلا يجوز أن تقول :

" ما أنا قلت شعراً قط ، وما أنا أكلت اليوم شيئاً " ، لأنك تنفي الفعل عن
ذاتك ، وتثبت أن هناك أحداً قد قال كل شعر ، وأكل كل شيء ، وهذا محال .

(١) ذكر في الطرائف الأدبية قوله :

وَلَكِنْ حَتَّى الشَّعْرَ إِلَّا الْقَلِيلَ . لَمْ هُمْ حَتَّى النَّوْمِ إِلَّا غِرَارَا
قبل بيت الشاهد .

(٢) ديوانه بشرح العكبري : ٩٤ - ٩٥ .

(٣) الدلائل ، رضا : ٩٧ ، خفاجي : ١٦٢ ، شاکر : ١٢٤ .

أما إذا تقدم النفي على الفعل ، فيجوز أن يكون الفعل عاماً ، فلك أن تقول :
 " ما قلت شعراً قط " ، لأنك نفيت الفعل عن نفسك من غير أن تشنيه لغيرك .

قال الشيخ :-

" ومن أجل ذلك صلح في الوجه الأول أن يكون المنفي عاماً كقولك : " ما قلت شعراً قط " ، " وما أكلت اليوم شيئاً " ، " وما رأيت أحداً من الناس " ، ولم يصلح في الوجه الثاني ، فكان خلفاً أن تقول : " ما أنا قلت شعراً قط " ، " وما أنا أكلت اليوم شيئاً " ، " وما أنا رأيت أحداً من الناس " ، وذلك لأنه يقتضي المحال ، وهو أن يكون ههنا إنسان قد قال كل شعر في الدنيا ، وأكل كل شيء يؤكل ، ورأى كل أحد من الناس فنفيت أن تكونه (١) .

فالشاعر في بيت الشاهد يثبت أن السقم ثابت موجود ، وليس القصد إلى نفيه بل أن يكون هو الجالب له ، وأن يكون قد جره إلى نفسه ، وأثبتته بذلك اللهم الذي اعتراه . قال الشيخ :

" المعنى كما لا يخفى على أن السقم ثابت موجود ، وليس القصد بالنفي إليه ، ولكن أن يكون هو الجالب له ، ويكون قد جره إلى نفسه (٢) .

ففي تقديم المسند إليه المسبوق بنفي على الخبر الغعلي قصر واختصاص هذا على مذهب الشيخ عبد القاهر .

فقد اختلف علماء البلاغة في صور إفادة تقديم المسند إليه على الخبر الغعلي القصر ، فأشترط الإمام عبد القاهر أن يتقدم المسند إليه حرف نفي ، سواء كان المسند إليه نكرة أم معرفة ظاهراً أم مضمراً ، فإن لم يتقدمه حرف نفي أصلاً ، أو كان متأخراً فتارة يفيد التقديم الاختصاص ، وأخرى يفيد التقوي من غير تفريق

(١) الدلائل ، رضا : ٩٧ ، خفاجي : ١٦٢ ، شاكر : ١٢٤ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٩٧ ، خفاجي : ١٦٣ ، شاكر : ١٢٥ .

بين النكرة والمعرفة ، ظاهرة أو مضمرة ، فحاصل مذهبه التعويل على حرف النفي .

هذا على ما ذكره صاحب الإيضاح ، وعبارته :

” . . . لأن ظاهر كلام الشيخ فيما يليه حرف النفي ، القطع بأنه يفيد

التخصيص مضمراً كان أو مظهراً ، معرفاً أو منكرًا ، من غير شرط ، لكنه لم يمثل

إلا بالمضمر ^(١) .

أما السكاكي ، فحاصل مذهبه : إن كان المسند إليه نكرة ، فهو للتخصيص ،

وإن كان معرفة ” اسماً ظاهراً ” ، فلا يكون إلا للتقوي ، أما إذا كان معرفة مضمرة ،

فيحتمل الأمرين التقوي والتخصيص ، ولم يشترط السكاكي ما اشترطه الإمام عبد القاهر

من تقديم حرف النفي ، وإنما اشترط في إفادة التقديم الاختصاص عدة أمور منها :

جواز تأخير المسند إليه على أن يكون فاعلاً في المعنى فقط كقول القائل :

” أنا درست ” ، فيجوز أن تقدر أن أصله ” درست أنا ” على أن يكون الضمير

” أنا ” تأكيداً للفاعل في درست .

ومنها : تقدير كونه مؤخراً في الأصل ، وقدم لإفادة التخصيص ^(٢) .

فالشاعر في بيت الشاهد ” يكن لسيف الدولة حباً صادقاً ، ووفاءً عجيباً ، فحين

علم بلومه وعتابه ، ثارت أحاسيسه ، وأراد أن يبرّي نفسه ، ويمحو ماطق في نفسه

سيف الدولة ، فلم ير طريقاً للبراءة إلا أسلوب القصر يحمله كل أعذاره ، وينفي عنه

نفياً قاطعاً كل ما اتهم به . ” فقله : ما أنا أسقمت جسدي ” معناه أن هذا السقم

في جسدي ، وهذا الضنى لم أفعله أنا وإنما فعله غيري ، وقوله : ” . . . ولا أنا

أضمرت في القلب ناراً ” أي أن هذا الجوى ، وهذا الوجد الذي يستعر في فؤادي

لم أشعله أنا ، ووراء هذا التركيب معنى لطيف هو عجز الشاعر أمام عواطفه

المشبوذة ، والتي سببت هذا السقم ، وهذا الوجد ، وكأنه يقول : لو كان الأمر

(١) الإيضاح : ١ / ١٤٤ .

(٢) انظر : المفتاح : ١٠٠ - ١٠١ ، الإيضاح : ١ / ١٤٤ - ١٤٧ ، شرح التلخيص :

بيدي لأنفذت نفسي من هذا الذي أجده ، ولكن لا طاقة لي بذلك ، وهذا
معنى جيد (١).

الشاهد السادس والستون : (*) (الطويل)

قوله :

وَمَا أَنَا وَحْدِي قُلْتُ ذَا الشَّعْرُ كُلَّهُ .

أورد الشيخ الصدر من العجز ، ومن غير نسبة ، والشاهد صدر بيت للمتنبى
وتاممه :-

وَلَكِنَّ لِشِعْرِي فِيكَ مِنْ نَفْسِهِ شِعْرٌ (٢)

وهو من قصيدة يمدح بها علي بن أحمد بن عامر الأنطاكي (٣) ، مطلعها :

أَطَاعَنُ خَيْلًا مِنْ قَوَارِسِهَا الدَّهْرُ . : وَحِيدًا وَمَا قَوْلِي كَذَا وَمَعِيَ الصَّبْرُ (٤)

وقبل الشاهد :

وَمَا قُلْتُ مِنْ شِعْرٍ تَكَادُ بَيُوتُهُ . : إِذَا كَتَبْتُ يَبِيضُ مِنْ نُورِهَا الْحَبْرُ
كَأَنَّ الْمَعَارِنِي فِي فَصَاحَةِ لَفْظِهَا . : نَجُومُ الثَّرَيَّا أَوْ خَلَائِقُكَ الزُّهْرُ
وَجَنَّبَنِي قُرْبَ السَّلَاطِينِ مَقْتَبَهَا . : وَمَا يَقْتَضِينِي مِنْ جَمَاعِمِهَا النَّسْرُ

(١) خصائص التراكيب : ١٢٧ .

(*) الدلائل ، رضا : ٩٧ ، خفاجي : ١٦٣ ، شاكر : ١٢٥ .

(٢) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ١٥٨ / ٢ ، العرف الطيب : ٦٧ / ٣ .

(٣) هو علي بن أحمد الأنطاكي الملقب بالمجتبي أبو القاسم " . . . - ٣٧٦ هـ " .

حاسب مهندس ، من أهل أنطاكية ، استوطن بغداد وتوفي فيها ، وكان
من أصحاب عقد الدولة ابن بويه ، المقدمين عنده ، له مؤلفات عدة
منها : " التخت الكبير " في الحاسب الهندسي ، و " تفسير الأرتماطيقى " و
" شرح إقليدس " و " استخراج التراجم " ، كان فصيحا من الموصوفيين
بحسن البيان . / انظر :

تاريخ الحكماء : ٢٣٤ ، الأعلام : ٤ / ٢٥٣ - ٢٥٤ .

(٤) ديوانه بشرح العكبري : ١٤٨ / ٢ ، العرف الطيب : ٥٩ / ٣ .

وَلَرَّيْ رَأَيْتَ الضَّرَّ أَحْسَنَ مَنَظَرًا . . وَأَهْوَنَ مِنْ مَرَأَى صَغِيرٍ بِمِ كِبَرٍ
لِسَانِي وَعَيْنِي وَالْفَوَادَ وَهَمَّيْتِي . . أَوَدَّ اللَّوَاتِي ذَا اسْمِهَا مِنْكَ وَالشَّطْرُ

وبعدها البيت وعده :

وَمَا ذَا الَّذِي فِيهِ مِنَ الْحُسْنِ رَوْنَقًا . . وَلَكِنْ بَدَا فِي وَجْهِهِ نَحْوُكَ الْبِشْرُ
وَلَرَّيْ وَلَوْ نِلْتَ السَّمَاءَ لَعَالِمٌ . . بِأَنَّكَ مَا نِلْتَ الَّذِي يُوجِبُ الْقَدْرُ
أَزَالَتَ بِكَ الْأَيَّامَ عَتِّي كَأَنَّمَا . . بَنُوها لَهَا ذَنْبٌ وَأَنْتَ لَهَا عُذْرُ (١)

الشاهد فيه كسابقه، وهو أن تقديم الاسم المنفي يقتضي وجود الفعل، فالشاعر هنا لم يرد نفي قول الشعر وإنما أراد أن ينفي عن نفسه شيئاً ثبت حصوله، وهو قول الشعر، فالشاعر أراد أن يثبت لعمد وحه عظيم الخصال، ورفع الصفات، فجاء بأسلوب القصر هذا وركبه أحسن ما يكون التركيب، فأعقب النفي "ما" الضمير "أنا" وأكد به بلفظ "وحددي"، وجاء بآسم الإشارة "ذا" ليعلي من قيمة الشعر المقول، ويثبت كثرته، فنفي عن نفسه أن يكون هو وحده الذي صاغ هذا الشعر الفخم الكثير، وأثبت ذلك لصفات المدح. فهي لعظما وحسنا، وفخامتها ألهمته وأوحت إليه بالكثير من القول الجيد، فكانها بهذا الإلهام هي التي قالت هذا الشعر.

هـ - التقديم والتأخير في الخبر:

الشاهد السابع والستون :- (٢٠) (الطويل)

هُمْ يُفْرِشُونَ اللَّبَدَ كُلَّ طَيْرَةٍ . . وَأَجْرَدَ سَبَّاحٍ يُبْدُ الْمُغَالِيَا (٨)
(٩) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧)

(١) ديوانه بشرح العكبري : ٢ / ١٥٧ - ١٥٩ ، العرف الطيب :

٠٦٧-٦٥/٣

(*) الدلائل ، رضا : ١٠٠ ، خفاجي : ١٦٥ ، شاكر : ١٢٩ .

(٢) يُفْرِشُونَ : بضم الياء يجعلون اللبد فراشاً لظهور كل حجر وثابسة ،

وكل فحل كريم ، ويروي بعضهم يُفْرِشُونَ بفتح الياء .

وهو من فَرَشَ الشَّيْءَ يُفْرِشُهُ وَيَفْرِشُهُ فَرَشًا وَفَرَشَهُ فَانْفَرَشَ

.....

- ====
- (٣) الافتَرَشَ : بسطه / اللسان : "فرش" : ٦ / ٣٢٦ .
 اللَّيْدُ : أي لَيْدُ السَّرَجِ ، وَلَيْدُ السَّرَجِ عمل له لَيْدًا ، وَاللَّيْدَةُ كسل
 شَعْرٍ أَوْ صُوفٍ مُلْتَبِدٍ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ / اللسان "ليد" :
- ٣ / ٣٨٦ .
- (٤) طِمْرَةٌ : الفرس الجواد ، وقيل هو : المستفز للوثب ، والعدو ، وقيل :
 هو الطويل القوائم الخفيف ، وقيل المستعد للعدو / اللسان "طمر" :
- ٤ / ٥٠٣ .
- (٥) وَأَجْرِد : الأجرد من الخيل والدواب كلها : القصير الشعر حتى يقال :
 إنه لأجرد القوائم ، وقيل الأجرد الذي رق شعره وقصر ، وهو مدح /
- اللسان : "جرد" : ٣ / ١١٦ .
- (٦) سَبَّاح : صيغة بالغة من سَبَّحَ ، سَبَّحَ الفرس : جَرَّيْهُ ، وفرس سَبَّوح
 وَسَابِحٌ يسبح بيديه في سيره أي سريع الجري / اللسان : "سبح" :
- ٢ / ٤٧٠ .
- (٧) يَبْذُ : يسبق وهو من بَذَّ القوم يَبْذُونُ بَذًا : سبقهم وغلِبهم ، وكل غالسب
 بَاذٍ / اللسان "بذن" : ٣ / ٤٧٧ .
- (٨) المِغَالِيَا : إن ضمت الميم جاز أن يراد به السهم نفسه ، أو فرس يغاليه ،
 وجاز أن يراد به الرافع يده بالسهم يريد به أقصى الغاية ، ويقال : بيني
 وبينه غلوة سهم ، كما يقال قيد رمح وقاب قوس ، وإن فتحت الميم يكون
 جمعاً للمغلاة ، وهي السهم يتخذ للمغلاة ، والمُعَالِي بضم الميم والعين
 غير معجمة الذي يريد أن يعلوه ولا يقدر على ذلك لطوله . / انظر :
 شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٤ / ١٧٦٤ ، شرح الحماسة للتبريزي :
 ٤ / ١٣٦ ، ورواية الدلائل والإيضاح : "المغالبا" بالباء .
- (٩) انظر البيت في :
- الحماسة : ٢ / ٣٧٨ ، الزهرة : ٢ / ٧٥٤ ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي :
 ٤ / ١٧٦٣ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٤ / ١٣٦ ، الإيضاح :
 ١ / ١٤١ ، شرح أبيات الإيضاح : - فيض الله - : ٢١ ب .

أورده الشيخ من غير نسبة ، وهو للمعذل بن عبد الله الليثي (١) .

والشاهد أحد أبيات خمسة هي :

جَزَى اللَّهُ فِتْيَانِ الْعَتِيكِ وَإِنْ نَأَتْ . . . بِي الدَّارُ عَنْهُمْ خَيْرَ مَا كَانَ جَارِيَا
هُمْ خَلَطُونِي بِالنَّفُوسِ وَأَكْرَمُوا الـ (٢) صَحَابَةَ لَمَّا حُمَّ مَا كُنْتُ لَا قِيَا
هُمْ يُفَرِّشُونَ اللَّبَدَ كُلَّ طِمْرَةٍ . . . وَأَجْرَدَ سَبَّاحُ يَبْدُ الْمُغَالِيَا
طَعَامُهُمْ قَوْضَى قَضَا فِي رِحَالِهِمْ . . . وَلَا يُحْسِنُونَ الشَّرَّ إِلَّا تَنَادِيَا
كَأَنَّ دَنَائِيرًا عَلَى قَسَمَاتِهِمْ . . . إِذَا الْمَوْتُ لِلْأَبْطَالِ كَانَ تَحَاسِيَا
(٣) (٤) (٥) (٦) (٧) (٨)

(١) في الزهرة المعذل العبدى ، وفي معجم الشعراء المعذل البكري ، وهو
أحد بني قيس بن ثعلبة شاعر إسلامي كان موجوداً في دولة بني أمية ،
قدم على المهلب بن أبي صفرة بخراسان ، وأنشده شيئاً من شعره ،
فأعطاه خمسين وصيفاً ، ومدح أيضاً النّحاس بن ربيعة العتكي . / انظر ترجمته :
معجم الشعراء : ٣٨٨ ، شرح الحماسة للمرزوقي : ٤ / ١٧٦٣ - ١٧٦٥ ،

شرح الحماسة للتبريزي : ٤ / ١٣٦ - ١٣٧ .

(٢) ذكر المرزباني مكانه : " مَتَاعُهُمْ قَوْضَى قَضَا فِي دِيَارِهِمْ . . . " .

وجعل قبل البيت الأخير : " هُمْ خَلَطُونِي بِالنَّفُوسِ وَأَكْرَمُوا . . . " .

(٣) رواية معجم الشعراء : " مَتَاعُهُمْ " .

ورواية الزهرة : " أَكْفَهُمْ " .

(٤) رواية الزهرة : " بِمَا فِي رِحَالِهِمْ " .

(٥) رواية معجم الشعراء : " فِي دِيَارِهِمْ " .

(٦) رواية معجم الشعراء واللسان : " الشَّرَّ " .

(٧) رواية الزهرة : " فِي الْأَبْطَالِ " .

(٨) انظر الأبيات في :

الحماسة - تحقيق عسيلان - : ٢ / ٣٧٩ - ٣٧٨ ، الزهرة : ٢ / ٧٥٤ ،

معجم الشعراء : ٣٨٨ ، ذكر أربعة أبيات ماعدا بيت الشاهد ، شرح

ديوان الحماسة للمرزوقي : ٤ / ١٧٦٣ - ١٧٦٤ ، زهر الآداب :

ذكر أربعة أبيات ماعدا بيت الشاهد ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي :

٤ / ١٣٦ - ١٣٧ ، اللسان : " فَضَا " : ١٥ / ١٥٨ ، ذكر البيت الرابع فقط .

وهذه الأبيات قالها المعذل في مدح النَّهَّاس^(١) بن ربيعة العتكي ؛ لأنَّه كفل به ، وكان المعذل أخذ بجرم ، فأطلقه النهاس وأمره أن ينجو بنفسه ، وأسلم نفسه مكانه ، فقال له المعذل أخيرك بين أن أمدحك ، وبين أن أمدح قومك ، فقال أمدح قومي ، فمدحهم بهذه الأبيات ، وكان المهلب بن أبي صفرة يعجب بها إعجاباً شديداً فقدم عليه مرة ، فقال : يامعشر الأزد هذا الذي يقول : وأنشد الأبيات ، فجمعوا له خمسين وصيفاً وأعطاه المهلب مثلها^(٢) .

والشاهد في البيت أن تقديم المسند إليه " هم " على الخبر الفعلي المثبت " يفرشون " لم يفد هنا الاختصاص بل التقوي ، لأنَّ القصد ليس إلى الفاعل بل إلى التوكيد والتحقيق بأنَّ الفاعل قد فعل الفعل ، ومنع السامع من الشك .

فمدح هب الشَّيْخ في تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي المثبت أنه قد يفيد الاختصاص تارة ، ولا يفيد أخرى ، بل يفيد التقوي^(٣) وذلك بحسب القصد ، فإنَّ كان القصد إلى الفاعل بإثبات الفعل له وحده دون غيره ، فهذا يفيد الاختصاص ، وإنَّ كان القصد لا إلى الفاعل بل إلى توكيد المعنى ، وتحقيق وقوع الفعل ، كان التقديم للتقوي . قال الشَّيْخ :

(١) في ديوان الحماسة وشرحها للمرزوقي والتبريزي :

" النَّهَّاس بن ربيعة " .

(٢) انظر : معجم الشعراء للمرزباني : ٣٨٨ ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي :

١٧٦٣ / ٤ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٤ / ١٣٦ .

(٣) وهذا ما أجمع عليه جمهور البلاغيين وإنَّما اختلفوا في تقديم الاسم

الظاهر على الخبر الفعلي ، فهو يفيد الاختصاص عند الشَّيْخ بشرط

تقدم النفي . أما عند السكاكي فهو يفيد التقوي ليس غير ، فحاصل

مذهب الشَّيْخ التعويل على النفي ، وحاصل مذهب السكاكي إنَّ كان

المسند إليه نكرة فهو للتخصيص ، وإنَّ كان معرفة واسماً ظاهراً ، فلا يكون

إلا للتقوي ، أمَّا إذا كان معرفة مضمرة فيحتمل الأمرين التقوي والتخصيص /

انظر : الأمر مفصلاً في : الدلائل ، رضا : ٩٦ - ١٠٦ ، خفاجي : ١٦٢ - ١٧١ ، شاكر :

١٢٤ - ١٣٨ ، المفتاح : ١٠٠ - ١٠١ ، شروح التلخيص : ٤٠٠ / ١ - ٤٢٣ .

* وأعلم أنَّ الذي بان لك في الاستفهام، والنفي من المعنى في التقديم قائم مثله في " الخبر المثبت " ، فإذا عمدت إلى الذي أردت أن تحدث عنه بفعل، فقدمت ذكره ، ثم بنيت الفعل عليه ، فقلت : " زيد قد فعل " ، و " أنا فعلت " ، و " أنت فعلت " ، : اقتضى ذلك أن يكون القصد إلى الفاعل إلا أن المعنى في هذا القصد ينقسم قسمين : أحدهما جلي لا يشك ، وهو أن يكون الفعل فعلاً قد أردت أن تنص فيه على واحد ، فتجعله له ، وتزعم أنه فاعله دون واحد آخر ، أو دون كل أحد ، ومثال ذلك أن تقول : " أنا كتبت في معنى فلان ، وأنا شفعت في بابيه " ، تريد أن تدعي الانفراد بذلك ، والاستبداد به ، وتزيل الاشتباه فيه ، وترد على من زعم أن ذلك كان من غيرك ، أو أن غيرك قد كتب فيه كما كتبت ، ومن البين في ذلك قولهم في المثل : " أَتَعَلَّمَنِي بِضَبِّ أَنَا حَرَشْتُهُ (١) " والقسم الثاني : أن لا يكون القصد إلى الفاعل على هذا المعنى ، ولكن على أنك أردت أن تحقق على السامع أنه قد فعل ، وتنعه من الشك ، فأنت لذلك تبدأ بذكره ، وتوقعه أولاً ومن قبل أن تذكر الفعل في نفسه ، لكي تباعده بذلك من الشبهة ، وتنعه من الإنكار ، أو من أن يُظنَّ بسك الغلط أو التزيد ، ومثاله قولك : " هو يعطي الجزيل " ، و " هو يحسب الثناء " ، لا تريد أن تزعم أنه ليس هنا من يعطي الجزيل ويحب الثناء غيره ، ولا أن تُعرِّض بإنسان ، وتحطه عنه ، وتجعله لا يعطي كما يعطي ،

(١) المثل مشهور وهو في مجمع الأمثال للميداني : ١٢٥ / ١ ، وروى من غير تقديم الهمزة " تَعَلَّمَنِي بِضَبِّ أَنَا حَرَشْتُهُ " ويضرب لمن يخبرك بشيء أنت به منه أعلم ، وانظر كذلك كتاب الأمثال لابن سلام : ٢٠٢ ، الرواية هنا بتقديم الهمزة ، جمهرة الأمثال : ٧٦ / ١ ، والحرش والتحريش : اغراؤك الإنسان ، والأسد ليقع بقرنه ، وحرش الضب : صيده وهو أن يحك الجحر الذي هو فيه يتحرش به ، فإذا أحسه الضب حسبه شعباناً فأخرج إليه ذنبه فيصاير حينئذ / اللسان : ٦ / ٢٨٠ .

ولا يرغب كما يرغب ، ولكنك تريد أن تحقق على السامع أن إعطاء الجزيل
وحبّ الشناء دأبه ، وأن تُمكن ذلك في نفسه (١).

فالشاهد عند الشيخ إذاً يفيد التقوي ، لأن بين الشاعر وبين المدح مودة
عميقة ، وعاطفة متأصلة ، فهم قد خلطوه بنفوسهم أي أنهم أقاموه بينهم ، وأسقطوا
الحشمة - كما يقول المرزوقي - بينه وبينهم ، وجعلوه يشاركهم في خيرهم وصاحبوه
مصاحبة كريمة لئلا قد رله ما كان يكابده ، ولئلا كان الموقف موقف مدح ، ولئلا كان
إحساس الشاعر بحب هؤلاء القوم عظيماً لجأ إلى تأكيد المعنى وتقويته ، وتقريره
في النفوس بتقديم المسند إليه على المسند " هُمْ خَلَطُونِي " " هُمْ يُفْرِشُونَ " . قال
الشيخ :

" لم يرد أن يدعي لهم هذه الصفة دعوى من يفرد هم بها ، وينص عليهم
فيها ، حتى كأنه يعرض بقوم آخرين ، فينفي أن يكونوا أصحابها . هذا محال !
ولئلا أراد أن يصفهم بأنهم فرسان يمتهدون صهوات الخيل ، وأنهم
يقنعون الجياد منها ، وأن ذلك دأبهم من غير أن يعرض لنفيه عن
غيرهم ، إلا أنه بدأ بذكرهم لينبه السامع لهم ، ويُعلم بدياً قصده إليهم
بما في نفسه من الصفة ، لينعمه بذلك من الشك ، ومن توهم أن يكون قد
وصفهم بصفة ليست هي لهم ، أو أن يكون قد أراد غيرهم فغلط إليه (٢) .

(١) الدلائل ، رضا : ٩٩ ، خفاجي : ١٦٤-١٦٥ ، شاكر : ١٢٨-١٢٩ .

(٢) الدلائل ، رضا : ١٠٠ ، خفاجي : ١٦٥ ، شاكر : ١٢٩ .

الشاهد الثامن والستون :- (*) (الطويل)

(١) هُم يَضْرِبُونَ الْكَبْشَ يَبْرِقُ بَيْضُهُ . . عَلَى وَجْهِهِ مِنَ الدَّمَاءِ سَبَائِبُ (٦)
(٢) (٣) (٤) (٥)

أورده الشيخ من غير نسبة، وهو للأخنس بن شهاب التغلبي (٨).

(*) الدلائل ، رضا : ١٠٠ ، خفاجي : ١٦٦ ، شاكر : ١٣٠ .

(١) رواية الحماسة - تحقيق عسيلان - ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ،
والإيضاح : " قَمَمٌ " .

(٢) الكبش : " الكبش " واحد " الكَبَاش " و " الأَكْبَش " ، و (كَبَشُ) القوم
سيد هم . / مختار الصحاح : " كبش " : ٥٦٢ .

(٣) رواية نظام الغريب : " تَبْرِقُ " .

(٤) بَيْضُهُ : واحدة " بيضة " وهي الخوذة الواقية للرأس في الحرب ، والمقصود

هنا ببيضه أدوات القتال على التغليب ، أو هي خوذة جيشه على المجاز
المرسل ، ويبرق ببيضه موضع الحال من الكبش ، والعامل فيه يضربون ،
وعلى وجهه من الدماء سبائب في موضع الحال أيضا من قوله يبرق . / شرح
التبريزي : ٢ / ١٢٥ .

(٥) رواية الحماسة - تحقيق عسيلان - : " على خده " .

ورواية شرح أبيات الإيضاح : " على مُبْصِرٍ " .

(٦) سبائب : الطرائق ، الواحدة سبيبه ، والمراد هنا طرائق الدم . / اللسان :

" سبب " : ١ / ٤٥٨ - ٤٥٩ .

(٧) انظر البيت في :

المفضليات : ٢٠٣ ، رقم (٤١) الحماسة - ت - عسيلان : ١ / ٣٧٦ ،

شرح الحماسة للمرزوقي : ٢ / ٢٢٧ ، شرح الحماسة للتبريزي : ٢ / ١٢٥ ،

الإيضاح : ١ / ١٤١ ، ذكر الشطر الأول فقط ، شرح أبيات الإيضاح - فيضال -

٢٢٢ .
(٨) نسب البيت في نظام الغريب (٧٨) " لعينة بن شهاب " ، والمشهور

أنه للأخنس ، وهو الأخنس بن شهاب بن شريق بن شامة بن أرقم بن عدي

ابن معاوية بن عمرو بن غنم بن تغلب نحو ٧٠ ق هـ " والخنس تأخر

الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة .

وهو أحد شعراء الفرسان ، وهو صاحب العصا ، و " العصا " ، فرسه

كما جاء في ذيل الأمالي والنوادر : ١٨٥ ، والأخنس شاعر جاهلي ، وقد ظن =====

والشاهد من قصيدة مطلعها :
لَا بِنَةَ حِطَّانَ بَيْنَ عَوْفٍ مَنَازِلَ . : كَمَا رَقَشَ الْعُنْوَانُ فِي الرَّقِّ كَاتِبُ^(١)^(٢)^(٣)

وقبل الشاهد :

تَرَى رَائِدَاتِ الْخَيْلِ حَوْلَ بُيُوتِنَا . : كَيْمَعَزَى الْجِجَارِ أَعْجَزَتْهَا الزَّرَائِبُ^(٤)
فَيَغْبِقْنَ أَحْلَابًا وَيُضْبِحْنَ مِثْلَهَا . : فَهِنَّ مِنَ التَّعْدَاءِ قُبَّ شَوَازِبُ^(٥)^(٦)^(٧)^(٨)^(٩)

==== صاحب القاموس المحيط مادة "خنس" - أنه صحابي خلط بينه وبين الأخنس

ابن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي حليف بني زهرة ، ولقب بالأخنس لأنه
رجع بيني زهرة بن بدر ، وفي صحبته خلاف ، وخلط البكري في السمط بينه
وبين بكير بن الأخنس الثقفي . / انظر ترجمته وبعض أخباره في :

أُمالي القاضي : ٩٧/٢ - ٢٤٣ ، ١٨٥/٣ ، المؤلف والمختلف : ٢٧ ، شرح
ديوان الحماسة للتبريزي : ١٢٠-١٢٥ ، القاموس المحيط "خنس" :

٢٢٠/٢ ، الأعلام : ١ / ٢٧٧ .

(١) رَقَشَ : نَمَقَ وَحَسَّنَ / أساس البلاغة "رقش" : ١٧٣ .

(٢) العنوان : الأثر والعلامة . / اللسان : "عنن" : ٨٣ / ٢٩٤ .

(٣) الرَّقِّ : بفتح الراء وكسرهما ، جلد رقيق يكتب فيه ، أو الصحيفة البيضاء .

اللسان : "رقق" : ١٠ / ١٢٣ .

(٤) الرائدات : التي ترعى لا تعلف في البيوت ، فهي ترود الرعي من كثرتها . /

اللسان : "رود" : ٣ / ١٨٨ .

(٥) يغبقن : من الغبوق وهو شرب العشي / اللسان : "غبق" : ١٠ / ٢٨١ .

(٦) أحلاب : جمع حَلَب - بفتحتي - وهو اللبن المحلوب . / اللسان : "حلب" :

١ / ٣٢٧ - ٣٢٩ .

(٧) يصبحن : من الصبوح ، وهو شرب الغداة / تاج العروس : "صبح" :

٢ / ١٧٥ .

(٨) قُبَّ : القُبُّ الضوامر الخواصر واحد ها أَقْبَ وقباء / اللسان : "قُب" : ١ / ٦٥٨ .

(٩) شوازب : الضوامر مفرد ها شازب / اللسان : "شزب" : ١ / ٤٩٤ .

(١) فَوَارِسَهَا مِنْ تَغْلِبِ ابْنَةِ وَائِلٍ .: حَمَاةٌ كَمَا لَيْسَ فِيهَا أَشَاءُ

وبعد ها الشاهد وبعده (٢)

(٣) يَجَاوَأُ يَنْفِي وَرَدَهَا سَرَعَانَهَا .: (٤) كَأَنَّ وَضِيحَ (٥) الْبَيْضِ فِيهَا الْكَوَاكِبُ

وَإِنْ قَصَرَتْ أَشْيَانُنَا كَانَ وَضَلَهَا .: (٦) خَطَانَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ تَضَارِبُ

الشاهد فيه كسابقه حيث قدم الضمير "هم" على الخبر الفعلي المثبت

"يضرِبون الكِبش" للتقوية والتوكيد ، وتنبيه السامع لقصد هم بالحدث من غير

أن يدَّعي انفرادهم بالضرب دون غيرهم .

قال الشيخ :

"لم يرد أن يدَّعي لهم الإفراد ، ويجعل هذا الضرب لا يكون إلا منهم ،

ولكن أراد الذي ذكرت لك من تنبيه السامع لقصد هم بالحدث من قبل

(٧)

ذكر الحديث ليحقق الأمر ويؤكد ."

(١) أشائب : الأخطا والأدناس ، والأقدار / المصباح المنير : "شوب" :

٠٣٥٠ / ١

(٢) تكرر في الحامسة أن بعد الشاهد :

لِكُلِّ أَنَاثٍ مِنْ مَعْدِ عِسَارَةٍ .: عَرُوضُ الْبَيْتِهَا يَلْجَأُونَ وَجَانِبُ

أَرَى كُلَّ قَوْمٍ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِمْ .: وَتَقْصُرُ عَمَّا يَفْعَلُونَ الذَّوَائِبُ

(٣) الجأؤاء : الكتيبة الكثيرة الدروع المتغيرة الألوان لطول الغزو ، مأخوذة

من الجؤوءة - بضم الجيم - وهي حمرة تضرب إلى السواد / اللسان ((جأى) :

٠١٢٧ / ١٤

(٤) سرعانها : سرعان الناس وسرعانهم : أوائلهم المستبقون إلى الأمر ، وسرعان

الخلي أوائلها . / اللسان : "سرع" : ٠١٥٢ / ٨

(٥) وضوح البيض : ما وضح منها وظهر . / اللسان "وضح" : ٠٦٣٤ / ٢

(٦) رواية الحامسة تحقيق عسيلان .

" خَطَانَا إِلَى أَعْدَائِنَا فَتَضَارِبُ " .

(٧) الدلائل ، رضا : ١٠٠ ، خفاجي : ١٦٦ ، شاكر : ١٣٠ .

فالأخنس بن شهاب يريد أن يفخر بشجاعة قومه النادرة ، ويسالتهم الفاتحة ،
فأخذ يقوي معاني تلك البطولة في النفوس ، لتأنس بها ، وتعجب ، واستعمل لذلك
عدة طرق ، وأساليب منها : تقديم المسند إليه على المسند " هُمْ يَضْرِبُونَ " لينبسه
السامع إليهم ، ويشوق النفس لمعرفةهم ، ويلفت الأنظار إلى صور بطولتهم بتأكيد
حصول الضرب منهم .

ثم استعمل لفظ " كبش " والمراد به رئيس القوم . وأي كبش أراد ؟ إراد
الكبش القوي المحتاط الذي لبس خوذته واحتاط للمقارعة كل ذلك ليبين أنهم
إنما يقارعون الأبطال ورؤساء الكتائب الشجعان دون الأوساط منهم والعجزة .
ثم أنظر إلى إهماله زمن المقارعة وكيفيتها : ليوجه النفس إلى الأمر الهام الذي
يريد تقويته وتقريره ، وهو قوتهم المتناهية ، فأصدر النتيجة بقوله :

" وعلى وجهه من الدماء سباب " فصورة قضائهم على العدو كانت صورة
سريعة لم تستغرق منهم وقتاً ، ولم تستنفذ منهم جهداً .
وأنظر إلى تركيب صورة القضاء هذه ، حيث قدّم المسند " الجار والمجرور "
" على وجهه " على المسند إليه " سباب " ، وخصّ الوجه بالذكر دون سائر
الأعضاء إمعاناً في الدّلّ والهوان اللذين لحقا به ؛ لأن الوجه موضع الألفة والكبرياء .

الشاهد التاسع والستون : (*) (الهزج)

قول عروة بن أنيسة : (١)

(*) الدلائل ، رضي : ١٠٠ ، خفاجي : ١٦٦ ، شاكر : ١٣٠ .
(١) هو عروة بن أنيسة ، واسمه يحيى بن مالك بن زحل بن
يعمر الشداخ بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة
ابن كنانة بن خزيمة ، ويكنى عروة بأبي عامر ، وهو شاعر غزل مُقَدِّم ، من
شعراء أهل المدينة ، وهو معدود من الفقهاء والمحدثين ، روى عنه
مالك بن أنس وعبيد الله بن عمر العدوي . انظر : المؤلف والمختلف : ٥٤ ،
الأغاني : ١٨ / ٣٢٢ - ٣٣٥ .

سَلَيْنِي أَرْمَعْتَ بَيْنَنَا ^(١) . فَاَيْنَ تَقُولُهَا ^(٢) أَيْنَا ^(٣)

ذكر الأستاذ شاكر أنه ورد في هامش "المخطوطة" مانصه : " وبعده :

وَقَدْ قَالَتْ لِأَتَرَابٍ . لَهَا زَهْرٌ تَلَاقَيْنَا

تَعَالَيْنَ فَقَدْ طَابَ ^(٤) لَنَا الْعَيْشُ تَعَالَيْنَا

وَقَابَ الْبَرَمُ ^(٤) اللَّيْسُ . سَلَّةٌ وَالْعَيْنُ فَلَا عَيْنَا

إِلَى مِثْلِ مَهَاةِ الرَّثَمِ . حَلِ تَكْسُو الْمَجْلِسَ الزَّيْنَا ^(٥)

تَنْيَنَ مَنَا هُـنَّ ^(٦) فَكُنَّا مَا تَنْيَنُنَا

الشاهد في البيت تقديم الاسم الظاهر "سُلَيْمِي" على الخبر الفعلي المثبت "أرمت" ، وهو يفيد التقوي هنا ؛ لأن القصد توكيد وتحقيق أمر الإزماع ، وليس القصد جعل الإزماع خاصاً بها دون غيرها . قال الشيخ :

" وذلك أنه ظاهر معلوم أنه لم يرد أن يجعل هذا الإزماع لها خاصة ، ويجعلها من جماعة لم يُزْمَعِ البينَ منهم أحد سواها . هذا محال ، ولكنه أراد أن يحقق الأمر ويؤكد ، فأوقع ذكرها في سمع الذي كَلَّمَ ابتداءً ، ومن أول الأمر ليَعْلَمَ قبلَ هذا الحديث أنه أرادَها بالحديث ، فيكون ذلك أبعد له من الشك ^(٧) .

(١) رواية الأغاني : " أجمعت " .

(٢) رواية العقد الفريد : " بوصلها " .

(٣) انظر البيت في :-

ديوانه : ٣٩٨ ، العقد الفريد - دار الفكر - الأغاني : ٣٢٧/١٨ .

(٤) البرم : بفتح الراء جمع أبرام ، ومعناه : " اللثام " . / اللسان " برم " :

١٢ / ٤٣ .

(٥) ذكر في الأغاني بيتاً قبله ، وهو :

" فَأَقْبَلَنَ إِلَيْهَا مُسْتَرِغَاتٍ يَتَهَادَيْنَا "

(٦) انظر الأبيات في :

ديوانه : ٣٩٨-٤٠٠ ، الأغاني : ٣٢٧/١٨ ، الدلائل - شاكر - : ١٣٠ .

(٧) الدلائل ، رضا : ١٠١ ، خفاجي : ١٦٦ ، شاكر : ١٣١ .

بعد أن أزمعت "سُلَيْمَى" البين والفرق تصارعت في صدر الشاعر الآلام، فحبس شكواه داخل روحه حتى ضاقت بها النفس، فعزم أن يعلنها للوجود لعله يجد في إعلانها بعض السلوى، فكانت أول صرخة يطلقها: "سُلَيْمَى" لينبه الأسماع إلى أنها هي سبب آلامه وشكواه، فتتشوق للإصغاء إليه ومعرفة كنه تلك الشكوى، وجاء بالخبر الفعلي المثبت "أَزْمَعْتُ" ليؤكد ويقرر تحقق وقوع ذلك الازماع، ولجأ الشاعر إلى أسلوب التقوية هذا لأن إضرار المحب بمحبوبه شيء يستبعد الناس وهو أمر غريب يخالف الواقع، فلكي يمنع السامعين من الشك في شكواه نبههم الأسماع إليها أولاً، ثم أكد هذه الشكوى.

وأنظر إلى تصغير الاسم "سُلَيْمَى" ومافيه من لغات نفسية وعاطفية جميلة، ففيه آستعطاف، وحنين، وترج - ولوم .

وتأمل في الشطر الثاني "فَأَيْنَ تَقُولُهَا أَيْنَا" هذا الاستفهام، وهذا التكرار "أَيْنَ - أَيْنَا"، وهذا الظن، وما ينطوي تحتها من معانٍ حبيسة، ولوعة مكتومة في نفس الشاعر .

وما أجمل ألف الإطلاق التي جعلها قافية لأبياته، وكأنه وجد فيها مراحاً إلى إطلاق زفرات الألم، والأسى، واللوعة الحبيسة .

الشاهد السبعون : (*) (الطويل)

هُمَا يَلْبَسَانِ الْمَجْدَ أَحْسَنَ لِبْسَةٍ . شَحِيحَانِ مَا أَسْطَاعَا عَلَيْهِ كِلَاهُمَا (١)

(*) الدلائل ، رضا : ١٠١ ، خفاجي : ١٦٦ ، شاكر : ١٣١ .

(١) انظر البيت في :

الحماسة - ت عسيلان - : ١ / ٥٣٧ رقم ٣٨٧ ، شرح ديوان الحماسة

للمرزوقي : ٣ / ١٠٨٢ رقم ٣٨٦ ، فرحة الأديب : ٥١ ، شرح ديوان

الحماسة للتبريزي : ٣ / ٦١ ، نهاية الإيجاز : ١٢٢ ، الإيضاح :

١ / ١٤١ ، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٢١ ب ، شاعرات العرب

- ت . عبد البديع صقر - : ٢٧٧ .

أورده الشيخ من غير عزو، وهو لعمره الجشمية، وقيل الخثعمية^(١)، ترثي آبنيتها،
وقيل أخويها.

وأول القصيدة :

أَبَى النَّاسُ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا هُمَاهُمَا^(٢) . وَلَوْ أَنَّ اسْطَغْنَا لَكَاْنَا^(٣) سِوَاهُمَا
بَنِيَا عَجُوزٍ حَرَمَ الدَّهْرُ أَهْلَهَا . فَلَيْسَ لَهَا إِلَّا الْإِلَهُ سِوَاهُمَا^(٤)

(١) ذكر الاستاذ عسيلان محقق كتاب الحماسة أنه ذكر في بعض مخطوطات
الحماسة أن البيت لعمره الجشمية، وذكر في هامش الأصل أنها لعمره
الختعمية . وكذلك ذكر المرزوقي والتبريزي لقب الخثعمية .
وذكر التبريزي أن أبا رياش رجح أن يكون هذا البيت - مع بقية
الأبيات التي سوف أوردها - لدرماء بنت سيار بن عبيدة الجحدرية
ترثي أخويها .

ولقد نقل الأستاذ شاكرفي تحقيقه الدلائل رأي أبي رياش خطأ،
فذكر أنه رجح أن تكون لدرماء بنت سيار بن عبيدة الخثعمية، ولعله
سهو منه أو خطأ من الطابع، لأن الذي ذكره أبو رياش لقب
" الجحدرية " كما ذكرت آنفا .

ونُسبت الأبيات في فرحة الأديب لدرنئ بنت سيار بن صبرة بن حطان
ابن سيار بن عمرو بن ربيعة .

(٢) رواية شاعرات العرب : " يقولوا " ولعله سهو من الجامع، أو خطأ من
الطابع لأن " الناس " جمع فيناسبه واوالجماعة لا ألف الاثنين،
فالضمير في القول يرجع إلى " الناس " وليس إلى المرثيين .

(٣) رواية فرحة الأديب : " لكانوا " .

ورواية شاعرات العرب : " لكان " .

(٤) البيتان ذكرهما التبريزي : (٦٣ / ٣) ، وذكر كذلك في " شاعرات العرب " :

٢٧٧ ، وورد البيت الأول في فرحة الأديب : ٥٠ ، ولم يرد في الحماسة
تحقيق عسيلان ، ولا في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي .

لَقَدْ زَعَمُوا أَنِّي جَزَعْتُ عَلَيْهِمَا . . . وَهَلْ جَزَعٌ أَنْ قُلْتُ يَا أَبَاهُمَا
هُمَا أَخَوَا فِي الْحَرْبِ مَنْ لَا أَخَالَهُ . . . إِذَا خَافَ يَوْمًا نَبُوءَةَ فِدَعَاهُمَا

وبعدهما الشاهد وبعده :

شَهَابَانِ مِنَّا أَوْ قَدْ أَتَمَّ أَخِيْدَا . . . وَكَانَ سَنًا لِلْمُدْلِجِينَ سَنًا هُمَا
إِذَا نَزَلَا الْأَرْضَ الْمَخُوفَ بِهَا الرَّدَى . . . يُخَفِّضُ مِنْ جَاشِيَهُمَا مُنْصَرِّهُمَا
إِذَا اسْتَفْتَنِيَا حُبَّ الْجَمِيعِ إِلَيْهِمَا . . . وَلَمْ يَنَأْ عَنْ نَفْعِ الصَّدِيقِ غِنَاهُمَا (٤)
(١) (٢) (٣)

(١) رواية النوادر :

وَقَدْ زَعَمُوا أَنِّي جَزَعْتُ عَلَيْهِمَا . . . وَهَلْ جَزَعٌ إِنْ قُلْتُ يَا أَبَاهُمَا

(٢) رواية الخصائص، وفرحة الأديب : * إِذَا هَبَطَا .

(٣) رواية فرحة الأديب : * وَجَادَ عَلَى الْأَدْنَيْنِ فَضْلُ غِنَاهُمَا .

(٤) ذكر الغندجاني في فرحة الأديب تسعة أبيات مع اختلاف ترتيبها
عن المذكور آنفا . وزاد على الأبيات المذكورة ثلاثة أبيات إلا أنه
لم يذكر البيت الثاني .

والأبيات السبعة مع بيت الشاهد مذكورة في :-

شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٣ / ٦١ - ٦٢ ، شاعرات العرب :

٢٧٧ - ٢٧٨ ، والأبيات جميعها ماعدا (١ - ٢) في : الحماسة

(ت - عسيلان) : ١ / ٥٣٧ - ٥٣٨ ، شرح ديوان الحماسة

للمرزوقي : ٣ / ١٠٨٢ - ١٠٨٧ ،

والبيت (٢ - ٤) في شرح أبيات سيويه للسيرافي منسوباً لدُرْنِي

بنت سيار بن صبرة بن حِطَّان بن سَيَّار بن عمرو بن ربيعة ،

والبيت (٣) في الحماسة البصرية لعمره الخثعمية ترشيحي

ولديها : ١ / ٢٢٦ .

والبيت (٣ - ٤) في النوادر لأبي زيد : ١١٥ - ١١٦ ونسبها لامرأة جاهلية

من بني سعد ، والبيت (٤) في الكتاب منسوباً لدُرْنِي بنت ععبه من

بني قيس بن شعلبة ، والبيت (٦) في الخصائص لابن جني : ٢٩٦ / ١ ، ونُسب

لدُرْنَا بنت ععبه ، والبيت (٧) مع بيت آخر في المختار من شعر بشار

عزاه إلى أعرابية ترشي ابنيها .

الشاهد في البيت تقديم المسند إليه الضمير " هما " على الخبر الفعلي
المثبت " يليسان " ، وهو هنا يفيد التقوية ، لأن الشاعرة لم ترد قصر صفة
لبس المجد عليهما دون غيرهما بل القصد تنبيه الأسماع إليهما .
قال الشيخ عبد القاهر :

" لا شبهة في أنه لم يرد أن يقصر هذه الصفة عليهما ولكن نبه لهما
قبل الحديث عنهما " .

أُصِيبَت الشاعرة بفقد عزيزين عليها ، يملكان فؤادها ، فلم يبق لها بعد
رحيلهما إلا أن تتغنى بذكرهما ، وأن تقرر في الأذهان أجمل صورة لهما ، وتؤكد
في النفوس أبلغ صفاتهما ، وفي هذا التقرير والتوكيد ما يبعث الراحة والسهولة
في نفسها ، فقد مدت المسند إليه على المسند لتنبيه الأسماع إلى ما سذكروه عنهما
من جميل الخصال ، وطيب الصفات ، فتأكد بذلك وتقوى في النفس ، فهي لم
تقتصر على وصفهما بالمجد بل بالغت في ذلك بأن جعلته لباسهما الذي يترينان
به ، فكما أن الإنسان لا يستغني عن اللباس ، فكذلك هما لا يستغنيان عن المجد ،
ولا يستغني هو عنهما ، فهو ملازم لهما مستمر معهما في كل زمان ومكان .
ومن المعلوم أن الشح والبخل صفة مذمومة إلا أن الشاعرة قلبت تلك الصورة ،
فشوقت النفس إلى معرفة ذلك الشح المحمود ، حيث جعلت الشح بالمجد من
أنبل الصفات وأساها .

قال المرزوقي :

" وصفتها بأنهما يكتسبان المجد ، ويستمتعان به أحسن استمتاع ، وأجمل
اكتساب ، وأنهما يفضَّان به حيث ظهر وطلع فلا يتركانه لأحد ما دام
يستطيعان كسبه ، والفوز به ، وانتصب " أحسن لبسة " على أنه مصدر ، وارتفع
شحيحان " على أنه خبر مقدم ، والمبتدأ " كلاهما " و " ما أسطاعا " فصي

موضع الظرف ، وأسم الزمان محذوف معه ، وأسطاع منقوص عن آستطاع ،
وتقدير الكلام : كلاهما شحيحان به ما استطاعا عليه ، أي ما قدرّا عليه ،
ومعنى " يلبسان المجد " أي يتملّيان به ، ويبتعان به . قال :

لَيْسْتُ أَبِي حَتَّى تَمَلَّيْتُ عَيْشَهُ . . . وَبَلَّيْتُ أَعْمَامِي وَبَلَّيْتُ خَالِيَا (١)

ورأى الشيخ عبد القاهر أن قول الشاعرة " هما يلبسان المجد " أبلغ وأكد ففي
جعلهما يلبسانه من أن يقال : " يلبسان المجد " فالسرفي إفادة تقديم المسند
إليه على الخبر الفعلي المثبت التوكيد أن الأسم لا يؤتى به مَعْرَى من العوامل
إلاّ لحديث قد نوي إسناده إليه ، فإذا ابتدئ بالمسند إليه شعر القلب
بأنك أردت الحديث عنه ، فإذا جئ بالحديث دخل على القلب دخول المأنوس
به ، وقبله قبول المطمئن إليه ، فالإعلام عن الشيء بغتة ليس كالإعلام به بعمد
التنبه عليه ، والتوطئة له ، فالتنبه عليه يجري مجرى تكرير الإعلام في التأكيد
والإحكام ، وإضمار الشيء ثم تفسيره أفخم من أن يذكر من غير تقدم إضمار .

قال الشيخ :

" فإن قلت فمن أين وجب أن يكون تقديم ذكر المحدث عنه بالفعل أكد
لإثبات ذلك الفعل له ، وأن يكون قوله : " هُمَا يَلْبَسَانِ الْمَجْدَ " أبلغ
في جعلهما يلبسانه من أن يقال : " يَلْبَسَانِ الْمَجْدَ " ؟
فإن ذلك من أجل أن لا يؤتى بالأسم مَعْرَى من العوامل إلاّ لحديث قد
نوي إسناده إليه ، وإذا كان كذلك ، فإذا قلت " عبد الله " فقد أشعرت
قلبه بذلك أنك قد أردت الحديث عنه ، فإذا جئت بالحديث ، فقلت
مثلاً قام ، أو قلت : خرج ، أو قلت : قدم ، فقد علم ما جئت به ، وقد
وطأت له ، وقدّمت الإعلام فيه ، فدخل على القلب دخول المأنوس به ،
وقبله قبول المتبهي له المطمئن إليه ، وذلك لا محالة أشدّ لثبوتة وأنفسى

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٣ / ١٠٨٤ ، وانظر كذلك : شرح ديوان

الحماسة للتبريزي : ٣ / ٦١ .

للسببه وأمنع للشك ، وأدخل في التحقيق ، وجمله الأمر أنه ليس
إعلامك الشيء بغتة مثل إعلامك له بعد التنبيه عليه والتقدمة له ،
لأن ذلك يجري مجرى تكرير الإعلام في التأكيد والإحكام ، ومن ههنا
قالوا : إن الشيء إذا أُضْمِرَ ، ثم فُسِّرَ كان ذلك أفخم له من أن يُذكر
من غير تقدم إضمار (١) .

ولعل الشيخ يقصد بتنبيه السامع ما يترتب على التنبيه من التشويق ، فمن الأمور
الفطرية أن الشيء إذا جاء بعد التشويق إل يد كان أوقع في النفس ، وآنس للقلب .
فنظرة الشيخ عبد القاهر نظرة ذوقية تدل على قدرته على التحليل النفسي ،
أما المتأخرون ، فقد نظروا للمسألة نظرة نحوية بحثية ، فرأوا أن السرف في إفساده
تقديم المسند إليه التقوي هو تكرر الإسناد ، فمثلا : " زيد قام " أسند القيام
إلى الضمير المستتر في قام ثم أسند جملة قام إلى زيد ، فتصبح بذلك الجملة في
قوة جملتين . قال الشيخ السكاكي :

" . . . هو أن المبتدأ لكونه مبتدأ يستدعي أن يسند إليه شيء ، فإذا جاء
بعده ما يصلح أن يستند إليه صرفه المبتدأ إلى نفسه ، فينعقد بينهما حكم ،
سواء كان خالياً عن ضمير المبتدأ نحو : " زيد غلامك " أو كان متضمناً له
نحو : " أنا عرفت " و " أنت عرفت " و " هو عرف " و " زيد عرف " ، ثم
إذا كان متضمناً لضميره صرفه ذلك الضمير إلى المبتدأ ثانياً ، فيكتسي الحكم
قوة (٢) .

(١) الدلائل ، رضا : ١٠١ - ١٠٢ ، خفاجي : ١٦٨ ، شاكر :

(٢) المفتاح : ٩٦ ، وانظر كذلك : شروح التلخيص : ١ / ٣٩٧ -

الشاهد الحادي والسبعون : - (*) (الكامل)

وَلَأَنْتَ تَقْرِي مَا خَلَقْتَ وَيَقْدِرُ . خُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَقْرِي (٥)
(١) (٢) (٣) (٤)

- (*) الدلائل ، رضا : ١٠٤ ، خفاجي : ١٦٩ ، شاكر : ١٣٤ .
(١) رواية الكتاب ومعاني القرآن للأخفش الأوسط ، والأغاني ، والصناعتين ، وشرح أبيات سيويه للسيرافي ، ورواية همع الهوامع : " وَأَرَاكَ تَقْرِي " .
ورواية الديوان : " فَلَأَنْتَ تَقْرِي " .
(٢) تَقْرِي : أصل الْفَرْي الْقَطْع ، قَرَيْتَ الشَّيْءَ أَفْرِيهِ فَرِيًّا قَطَعْتَهُ لِأَصْلَحِهِ ، وتَقْرِي فِي الْبَيْتِ مَعْنَاهُ تُنْفِذُ مَا تَعَزَّمُ عَلَيْهِ وَتَقْدِرُهُ ، وَيُقَالُ لِلشَّجَاعِ : مَا يَفْرِي فَرِيَّةً أَحَدًا . / اللسان : " فَرَا " : ١٥ / ١٥٣ .
(٣) الخلق : التقدير ، يُقَالُ خَلَقْتَ الشَّيْءَ إِذَا قَدَرْتَهُ ، وَفِي اللِّسَانِ الْخَلْقُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ : ابْتِدَاعُ الشَّيْءِ عَلَى مِثَالِ لَمْ يَسْبِقْ إِلَيْهِ ، وَمَعْنَاهُ أَيْضًا التَّقْدِيرُ . / جُمُورُ اللُّغَةِ " خَلَقَ " : ٢ / ٢٤٠ ، اللسان " خَلَقَ " : ١٠ / ٨٧ .

- (٤) رواية الكتاب ، وشرح أبيات سيويه للنحاس ، وشرح أبيات سيويه للسيرافي بحذف الياء .

يستشهد به النحاة على جواز حذف الياء في الوقف من قوله : " تَقْرِي " فيمن سكن الراء ، ولم يطلق القافية ، وإثبات الياء أكثر وأقيس ، لأنه فعل لا يدخله التنوين ، ويعاقب ياءه في الوصل ، فيحذف لذلك كقاضي وغاز ، وما أشبههما .

جاء في الكتاب : " والأسماء أجدر أن تحذف ، إذا كان الحذف فيها في غير الفواصل والقوافي ، وأما القوافي فنحو قوله - وهو زهير - : وَأَرَاكَ تَقْرِي مَا خَلَقْتَ وَيَقْدِرُ . خُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَقْرِي وإثبات الياءات ، والواوَات أقيس الكلامين ، وهذا جائز عربي كثير " / الكتاب : ٤ / ١٨٥ .

وقال في موضع آخر : وأعلم أن الياءات ، والواوَات اللواتي هن لامات إذا كان ما قبلها حرف الروي فعل بها ما فعل بالياء والواو اللتين ألحقنا للمد في القوافي ؛ لأنها تكون في المد بمنزلة الملحقة ، ويكون ما قبلها رويًا كما كان ما قبل تلك رويًا ، فلما ساوتها في هذه المنزلة ألحقنا بها في هذه المنزلة الأخرى ، وذلك قولهم - لزهير - :
=====

أورد الشيخ الشاهد من غير نسبة، وهو من قصيدة لزهير بن أبي سلمى^(١)

== * وَيَعْضُ الْقَوْمَ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْسِرُ *

وكذلك "يفزؤ" لو كانت في قافية كنت حازيها إن شئت " / الكتاب : ٢٠٩ / ٤ واستشهد به الأخفش الأوسط والجاحظ - في الحيوان - عند تفسير قوله تعالى : " أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ " - المؤمنون : ١٤ - في بيان معنى الخلق . وكذلك استشهد به ابن قتيبة في " المعاني الكبير " وفي " تأويل مشكل القرآن " عند تفسير معنى " الخلق " أيضا .

(٥) انظر البيت في :

ديوانه - صنعة أبي العباس ثعلب - : ٨٢ ، ديوانه : صنعة الأعلم الشنتري - : ١١٩ ، ديوانه - دار كرم - : ٨٨ ، الكتاب : ٢٠٩ - ١٨٥ / ٤ ، تفسير الطبري : ٩ / ١٨ ، معاني القرآن للأخفش : ٤١٧ ، من غير نسبة ، شرح أبيات سيويه للنحاس : ٢٥٤ ، من غير نسبة ، الحيوان : ٣ / ٣٨٣ ، المعاني الكبير : ١ / ٥٣٩ ، تأويل مشكل القرآن : ٥٠٧ ، جمهرة اللغة : " خلق " : ٢ / ٢٤٠ ، العقد الفريد : ٦ / ٣٠٩ ، الأغاني : ١٠ / ٣٠٤ ، الصنائع : ٤٣١ - ٥٠٧ ، البحر المحيط : ١ / ٩٣ ، ٢ / ٤٦٥ ، شرح أبيات سيويه للسيرافي : ٢ / ٣٤٤ ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٤ / ١٨٧٩ ، اللسان : " خلق " : ١٠ / ٨٧ ، " فرا " : ١٥ / ١٥٣ ، همع الهوامع : ٢ / ٢٠٦ ، من غير نسبة ، وذكر الطبري أن البيت يروى وَلَا تَنْتَ تَخْلُقُ مَا فَرَيْتَ وَيَعْفُ . : خُ الْقَوْمَ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْسِرُ

(١) هو زهير بن أبي سلمى بن ربيعة بن رياح المزني (. . - ١٣ ق هـ) من

مضر ، ولد في بلاد مزينة بنواحي المدينة ، وكان يقيم في الحاجر من ديار نجد ، ذكر البغدادي أن هناك من يظن أن زهيراً من بلاد غطفان قال : كانت محلتهم - أي بني " مزينة " في بلاد غطفان ، فيظن الناس أنه من غطفان أعني زهيراً وهو غلط . وكان هذا رد على مقالته ابن قتيبة في كتابه الشعر والشعراء حيث قال : " هو زهير بن ربيعة بن قُرط والناس ينسبونه إلى مزينة ولنا نسبه إلى غطفان " وزهير حكيم الشعراء فسي

=====

يمدح هرم بن سنان^(١)، ومطلعها :
 لَمَنِ الدِّيارُ يَنْقُتَ الحَجَرِ^(٢) . : أَقْوَيْنَ مِنْ^(٣) حَجَجَ وَمِنْ^(٤) دَهْرٍ^(٥) (٦)
 (٧)

- ===== الجاهلية ، وفي أئمة الأدب من يفضله على شعراء العرب كافة ، وكانت عائلته كلها شعراء ، فخاله شاعر ، وأخته سلمى شاعره ، وابناه كعب وبجير شاعران ، وأخته الخنساء شاعرة . / انظر ترجمته في : طبقات فحول الشعراء : ١ / ٦٣ ، الشعر والشعراء : ١٤٣ / ١٥٩ ، شرح شعر زهير - صنعة ثعلب - : ١٣ / ١٥ ، الاشتقاق : ٣٦ - ١٨٢ ، الأغاني - دار الأحياء - : ١٠ / ٢٨٨ - ٣١٦ ، الاستيعاب - ضمن الإصابة - ٣ / ٢٨٥ - ٢٨٠ ، أسد الغابة : ١ / ١٩٧ ، الإصابة : ٣ / ٢٧٩ رقم (٧٤١٣) ، خزانة البغدادي - : دار صادر - : ١ / ٣٧٥ ، الأعلام : ٣ / ٥٢ .
- (١) هو هرم بن سنان بن أبي حارثة المري من مرة بن عون بن سعد بن زبيان (. . - ١٥ ق هـ) من أجواد العرب في الجاهلية يُضرب به المثل ، وقد أكثر زهير من مدحه ، ومدح ابن عمه الحارث بن عوف بن أبي حارثة لإصلاحهما بين عيس وزبيان ، ومات هرم قبل الاسلام فسي أرض لبني أسد يقال لها " رضاء " . / انظر ترجمته في : شرح ديوان زهير صنعة ثعلب : ١٥ ، الأغاني : ١٠ / ٢٩٣ - ٢٩٤ ، الأعلام : ٨ / ٨٢ .
- (٢) القنّة : أعلى الجبل وأراد به هنا : ما أشرف من الأرض .
- (٣) الحجر : اسم موضع وهو بالكسر حجر ثمود ، وهو موضع عند وادي القرى ، وبالفتح هو حجر اليمامة . / شعر زهير صنعة أبي العباس ثعلب : ٧٦ ، شعر زهير صنعة الأعظم : ١١٤ .
- (٤) أقوين : خلون وأقفرن / شرح ثعلب : ٧٦ ، شرح الأعظم : ١١٤ .
- (٥) رواية الأغاني : " مذ حجج ومذ دهر " .
- (٦) رواية الأعظم : " ومن شَهر " .
- (٧) ديوانه - صنعة الأعظم - : ١١٤ .

وقبل الشاهد :

(١) مَتَّصِرْفٍ لِلتَّجْدِ مُعْتَرِفٍ .: (٢) لِلنَّائِبَاتِ يُرَاحُ (٣) (٤) لِلذِّكْرِ
جَلْدٍ يَحُثُّ عَلَى الْجَمِيعِ إِذَا .: (٥) كَرِهَ الظُّنُونُ جَوَامِعَ الْأُمَرِ

وبعدهما الشاهد وبعده :

(٦) وَلَا نَتَّ أَشْجَعُ حِينَ تَتَّجُهُ .: (٧) أَبْطَالُ مِنْ لَيْثٍ أَبِي أَجْرٍ
(٨) وَرْدٍ عَرَاضِ السَّاعِدَيْنِ حَدِيدٍ .: (٩) فِي النَّابِ بَيْنَ ضَرَاغِمِ غُثْرِ
(١٠) يَصْطَانُ أَحْدَانُ الرِّجَالِ فَمَا .: (١١) تَنْفَكُّ أَجْرِيهِ عَلَى نَخْسِرِ

استشهد الشيخ بالبيت على أنه تكثر إفادة تقديم المسند إليه على الفعل ،
التوكيد والتقوية في مواضع المدح والافتخار ؛ لأن من شأن المادح ، أو المفتخر
أن ينع السامعين من الشك فيما يمدح به ، ويباعدهم من الشبهة . قال الشيخ :

-
- (١) رواية ثعلب : " للحمد " .
(٢) رواية ثعلب : " لِلرُّزْءِ " .
(٣) رواية ثعلب : " نَهَاضَ " .
(٤) رواية ثعلب : " إِلَى الذِّكْرِ " .
(٥) الظنون : الذي ليس يوثق بما عنده ، والظنون : البئر القليلة الماء
التي لا يوثق بها . / ثعلب : ٨١ ، الأعم : ١١٩ .
(٦) تتجه : يواجه بعضها بعضاً . / ثعلب : ٨٢ ، الأعم : ١٢٠ .
(٧) أَجْرٍ : جمع جرو ، والجرو للسباع ، وغيرها من الكلاب ، وأمثالها ، وجمعه
أَجْرٍ وَجَرَاءٍ . / شرح شعر زهير صنعة ثعلب : ٨٢ .
(٨) وَرْدٍ : أي تعلولونه حمرة / شعر زهير الأعم : ١٢٠ .
(٩) غُثْرُ : الغُثْرُ الغُبْرُ / ثعلب : ٨٢ ، الأعم : ١٢٠ .
(١٠) أَحْدَانُ : جمع واحد والهمزة بدل من واو أي يسطار الرجال واحداً
بعد واحد / الأعم : ١٢١ .
(١١) نَخْرُ : ما يدخر لما بعد اليوم / الأعم : ١٢١ .

"... وكذلك يكثر في المدح كقولك : " أنت تعطي الجزيل "

" أنت تقرّي في المخل " " أنت تجود حين لا يجود أحد " ،

وكما قال :

" وَلَأَنْتَ تَقْرِي مَا خَلَقْتَ وَبَعْدَ . . . خُرَ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْـقِرِي "

وكقول الآخر :

" نَحْنُ فِي الْمَشْتَاةِ نَدْعُو الْجَفْلَى "

وذلك أن من شأن المادح أن يمنع السامعين من الشك فيما يمدح به ،
ويباعد هم من الشبهة ، وكذلك المفتخر^(١) .

• لهرم ابن سنان في التاريخ مواقف أخلاقية جليلة يضرب بها المثل ، فأراد
الشاعر أن يؤكد هذه الأخلاق ، فمدحه بمغضاء العزم ، فهو إذا قدّر أمراً ، أو همّ
به مضي ، ولم يتوقف لشجاعته ، وجراته ، وجودة رأيه ، ولم يثنه عن عزمه حين ولا هية ،
فقدم الشاعر المسند إليه على المسند الفعلي ؛ ليؤكد هذه الصفات ويقررها في نفوس
السامعين ، وينعمهم من الشك فيما يمدح به ، ويباعد هم من الشبهة ، وزاد الأمر
تأكيداً بإدخال لام التوكيد على المسند إليه . قال الأعلم :

" المعنى : إنك إذا تهيأت لأمر مضيت له ، وأنفذته ، ولم تعجز عنه ، وبعضُ
القوم يُقدّر الأمر ، ويتهيا له ، ثم لا يُقدم عليه ، ولا يمضيه عجزاً وضعف^(٢) .
ثم أنظر إلى موقع " ثم " ، وكيف ساعدت على إظهار تقاعسهم عن إمضاء الأمر

الشاهد الثاني والسمعون :- (*) (الرمل)

(٣) (٤)
* نَحْنُ فِي الْمَشْتَاةِ نَدْعُو الْجَفْلَى *

(١) الدلائل ، رضا : ١٠٣-١٠٤ ، خفاجي : ١٦٩ ، شاكر : ١٣٤ .

(٢) شعر زهير - صنعة الأظم - : ١٢٠ .

(*) الدلائل ، رضا : ١٠٤ ، خفاجي : ١٦٩ ، شاكر : ١٣٥ .

(٣) المشتاة : أيام الشتاء ، وأراد وقت القحط . / اللسان " شتاء " : ١٤ / ٤٢٢ .

(٤) الجفلى : قال الأخفش : دعي فلان في النقرى لاني الجفلى ، والأجفلى : =====

(١١) ذكر الشيخ صدر البيت فقط، ومن غير نسبة ، وهو لطرفة بن العبد ،
وعجزه :

لَا تَسْرَى الْآدِيبَ (٢) فِينَا يَنْتَقِرُ (٣) (٤)

- == أي دُعي في الخاصة لا في العامة . / اللسان * جفل * : ١١٤/١١ ، وهم
يُذْعون الجَفَلَى ، وهي الدعوة العامة . / أساس البلاغة * جفل * : ٦١ .
- (١) هو طرفة بن العبد بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة
الشاعر المشهور (نحو ٨٦ - ٦٠ ق هـ) وكنيته أبو إسحاق ، ويقال :
أبو سعد ، وقيل : أبو عمرو ، وقيل عمرو اسمه . ، وأمه وردة بنت قتادة
ابن مشنوء ، وهو شاعر جاهلي جعله ابن سلام في الطبقة الرابعة من
فحول الشعراء ، ولد في بادية البحرين ، وتنقل في بقاع نجد ، وكان
من ندماء الملك عمرو بن هند الذي أرسله فيما بعد إلى عامله - علي
البحرين وعمان - المكعب برسالة يأمره فيها بقتله لأبيات بلغ الملك
أن طرفة هجاه بها ، فقتله المكعب ، وهو ابن عشرين ، وقيل : ابن ست وعشرين .
انظر ترجمته في :-
- طبقات ابن سلام : ١٣٨/١ - ٢٠٢ ، الشعر والشعراء : ١٩١/١ ، مختارات
ابن الشجري : ١٧٢ - ٢٠٧ ، وانظر كذلك : شعراء النصرانية : ٢٩٨/١ -
٣٢٠ ، شعر الشعراء الستة الجاهليين : ٢ / ٤ - ١٠٥ ، معجم شعراء
اللسان : ٢٤٢ ، معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين : ٢٦٩ - ٢٧٠ ،
الأعلام : ٣ / ٢٢٥ .
- (٢) الآدب : الداعي إلى المأدبة .
- (٣) ينتقر : من نقر ، وانتقر الشيء وتَنَقَّرَهُ ، ونَقَرَّ عنه كل ذلك : بحث عنه ،
ودعاهم النَّقَرَى إذا دعا بعضاً دون بعض ، والنقري خلاف الجفلي . /
- اللسان : ٥ / ٢٣٠ .
- (٤) انظر البيت في :
- شرح ديوان طرفة بن العبد - دار مكتبة الحياة - : ٤٥ ، النوادر فسي
اللفة : ٨٤ ، أمالي المرتضى : ٣٤٥/١ ، مختارات ابن الشجري : ١٨٩ ،
اللسان : * نقر * : ٢٣٠/٥ ، * جفل * : ١١٤/١١ ، الإيضاح : ١٤١/١ ،
شرح أبيات الإيضاح :- فيض الله - : ٢٢ ، شعراء النصرانية : ٣٠١/١ ،

وهو من قصيدة يفتخر بها، ويصف نفسه، وقومه بشدة الكرم، ومطلعها :
 أَصْحَوْتُ الْيَوْمَ أَمْ شَاقَّتْكَ هِرٌّ . . . وَمِنْ الْحَبِّ جُنُونٌ مُسْتَعِزٌّ (١) (٢)

وبعد شاهد بعده :

حِينَ قَالَ النَّاسُ فِي مَجْلِسِهِمْ (٣) . . . أَقْتَارُ ذَاكَ أَمْ رِيحُ قُطْرٍ (٤)
 بِجِفَانٍ تَعْتَرِي نَائِيْنَا (٥) . . . مِنْ سَدِيفٍ حِينَ هَاجَ الصَّنِيرُ (٦)
 كَالْجَوَابِي لَا تَبِي مُتْرَعَةً (٧) . . . لِقَرَى الْأَضْيَافِ أَوْ لِلْمُحْتَضِرِ (٨) (٩) (١٠) (١١)

(١) شاقتك : الشوق والاشتياق نزاع النفس إلى الشيء، يقال شاقه الشيء، فهو شائق، ومشوق، وشوقه فتشوق أي هيج شوقه. / مختار الصحاح : " شوق " : ٣٥١

(٢) هِرٌّ : بلد وموضع في جفاف، وهي أرض لأسد وحنظلة واسعة يألفها الطير " هبر "، و " هِرٌّ " بالضم والتشديد قف باليامة. / انظر : معجم ما استعجم : ١/٢/٣٨٧/٤/٢٠١٣٥٠، معجم البلدان : ٥/٣٩٧
 اللسان : " هِرر " : ٥ / ٢٦٢

(٣) قُتَارُ : رائحة اللحم المشوي / اللسان " قتر " : ٥ / ٧١
 (٤) قُطْرٌ : العود الذي يحرق ليتبربه، يعني أنهم جادون في وليمتهم. / اللسان " قُطْر " : ٥ / ١٠٧
 (٥) جِفَانٌ : جمع جفنة وهي القصعة أي القدر الكبيرة الضخمة. / تاج العروس : " جفن " : ٩ / ١٦٢

(٦) السديف : شحم السنام المقطع / التاج : " سدف " : ٦ / ١٣٦
 (٧) الصَّنِيرُ : وهو البرد الشديد القارس، وهو القَرُّ والزمهرير مثله. / فقه اللغة : ٣٥٢

(٨) الْجَوَابِي : الجوبة شبه رهوة تكون بين ظهراني دور القوم يسيل منها ماء المطر، وقيل هي الحفرة المستديرة الواسعة. / اللسان " جوب " : ١/٢٨٦
 وقال الثعالبي : الجابية الحوض الكبير / فقه اللغة : ٢٩٠
 (٩) المترعة : ترع الشيء بالكسر ترعاً، وهو ترعٌ وترعٌ : امتلأ / اللسان " ترع " : ٨ / ٣٢

(١٠) القرى : خدمة الضيف واستضافته. / اللسان " قرا " : ١٥ / ١٧٩

(١١) المحتضر : الذي يأتي الحضر. / التاج : " حضر " : ٣ / ١٤٩

الشاهد فيه كسابقه ، وهو أن المسند إليه قُدِّم على الخبر الفعلي في موضع الافتخار ليؤكد الشاعر ما يريد الافتخار به ، ويمنع السامع من الشك فيما يفتخر . فالشاعر في البيت أراد أن يصف قومه بالكرم الشامل ، والجود العمام ، فأخرج هذا الافتخار في أبدع صورة وأغربها ، وأجمل أسلوب وآنفه .

فقد اختار الزمن ، فأحسن الاختيار ، فقدم الجار والمجرور " في الشتاء " على متعلقه " ندعو " ليثبت ويظهر أنهم ليسوا كرماء في وقت الرخاء فقط ، فهذا الوقت يكثر فيه المتصارعون على الكرم ، أما وقت القحط والجذب حين تنقبض أيدي الكرماء تمتد أيديهم ، ويشتد كرمهم ، وليس هذا فحسب ، فبعد أن وفق في اختيار الزمن أخذ يضيف على موقفهم نوعاً من الغرابة ، فهم في وقت الشتاء ، وهو وقت القحط تمتد أيديهم للعمام والخاص ، للصغير والكبير ، للغني والفقير ، فدعوتهم عامة شاملة ، وهذا أعظم ما يكون الكرم .

فاجتماع زمن القحط ، وكون الدعوة عامة أمر غريب تتعجب له النفس وتستغربه ، وتدهش له .

ولأن الأمر فيه نوع من الغرابة قد يشك السامع فيها ، قدم المسند إليهم على الخبر الفعلي " نحن في المشتاة ندعو " ؛ لينبه الأسماع ويوقظها ، حتى إذا ماوقفت النفس على تلك الصفات تقررت فيها وقويت وتأكدت ، وزال عنها كل شك .

الشاهد الثالث والسبعون :- (*) (الرجز)

• قَدْ أَغْتَدِي وَالطَّيْرُ لَمْ تَكَلِّمْ (١)

(*) الدلائل ، رضا : ١٠٥ ، خفاجي : ١٢٠ ، شاكر : ١٣٦ .

(١) لم أقف عليه فيما اطلعت عليه من مصادر ، ولم أعر على قائله .

ذكره الشيخ من غير نسبة ، ولم يذكر نصفه الآخر .
 واستشهد به على أن الكلام البليغ هو أن تبدأ بالاسم ثم تبني الفعل عليه ،
 فإذا كان الفعل مضارعاً ، وقع بعد واو الحال ، لم يصلح إلا مبنياً على الاسم ؛
 لأن الأمر يصير بمعرض الشك . قال :

" فإذا كان الفعل فيما بعد هذه الواو التي يُراد بها الحال مضارعاً
 لم يصلح إلا مبنياً على اسم ، كقولك : " رأيتك وهو يكتب " ، و " دخلت
 عليه وهو يبلي الحديث " (١)

وعنده أن الفعل إذا كان ما لا يشك فيه ، ولا يُنكر بحال ، كان خلفاً من القول
 أن تأتي به مبنياً على الاسم ، فإذا أردت الإخبار عن رجل من عاداته أن يخرج في
 كل غداة قلت : " قد خرج " ، ولم تحتج إلى أن تقول : " هو قد خرج " ، لأن خروجه
 ليس بشيء يشك فيه السامع فتحتاج أن تحققه ، فإن أردت أن تخبر عن حال رجل
 على نية الركوب والمضي ، ولم يكن شك ، وتردد أنه يركب أو لا يركب كان خبرك
 فيه أن تقول : " قد ركب " ولا تقول : " هو قد ركب " ، ولكن إن جئت بهذا الكلام ،
 ووضعت بعد واو الحال حسن ؛ لأن الحكم تغير ، وصار الأمر بمعرض الشك ،
 وذلك أنه إنما يقول هذا من أنه يصادفه في منزله ، وأن يصل إليه من قبيل
 أن يركب ، فإن قلت ، فإنك قد تقول : " جئته وقد ركب " بهذا المعنى ومسمع
 هذا الشك ، فإن الشك لا يقوى حينئذ قوته في الوجه الأول (٢) .

(١) الدلائل ، رضا : ١٠٤ ، خفاجي : ١٧٠ ، شاكر : ١٣٦ .

(٢) الدلائل ، رضا : ١٠٤ - ١٠٥ ، خفاجي : ١٧٠ ، شاكر :

الشاهد الرابع والسبعون :- (*) (الطويل)

(١) تَمَزَّزَتْهَا وَالَّذِيكَ يَدْعُو صَبَاحَهُ . : إِذَا مَا بَنُو نَعَشٍ دَنَوْا فَتَصَوَّسُوا (٢) (٣) (٤)

أورد الشيخ الشاهد من غير نسبة ، وهو للناطقة الجعدي (٥) من قصيدة

أولها :-

(*) الدلائل ، رضا : ١٠٥ ، خفاجي : (١٧) ، شاكر : ١٣٧ .

(١) رواية الديوان ، والكتاب ، والمفصل ، ومغني اللبيب ، وشرح شواهد المغني :
" شربت بها " .

ورواية مجاز القرآن : " شربت إذا ما الذيك " .

ورواية معاني القرآن للأخفش الأوسط : " بَاكَرَتْهَا وَالَّذِيكَ " . . .

ويبدو أن رواية الدلائل ومن وافقها أدق وأجمل من هذه الروايات
لأن التمزز معناه شرب الشراب قليلاً قليلاً فيوجد له طعم / اللسان
" مزز " : ٥ / ٤١٠ .

أضف إلى ذلك أن على كل رواية من الروايات السابقة مأخذاً ، فرواية
" شَرِبْتُ بِهَا وَالَّذِيكَ يَدْعُو صَبَاحَهُ " عَدَّى شَرِبَ بالباء ، وهو متعد بنفسه .

ورواية : " شَرِبْتُ إِذَا مَا الَّذِيكَ " . . . حذف المفعول لغير سر بلاغي

ورواية : " بَاكَرَتْهَا وَالَّذِيكَ " . . . البيت فيه خرم وهو اسقاط الحرف

الأول من الجزء الأول ، فيما هو مبني على الأوتاد المجموعة ، وذلك

يكون في خمسة أوزان من العروض : الطويل ، والوافر ، والهزج ، والمضارع ،

والمقارب / ، كتاب القواني : ٦٩ .

(٢) بنات نعش : من منازل القمر الثمانية والعشرين ، شبهت بحملة العرش

في تربيعها ، وهي سبعة كواكب : أربعة منها نعش لأنها مربعة ،

وثلاثة بنات نعش .

وقوله : " إِذَا مَا بَنُو نَعَشٍ دَنَوْا فَتَصَوَّسُوا " موضع شاهد عند النحاة ،

فقد استشهد به سيوييه على تذكير بنات نعش ، لإخباره عنها بالدنس

والتصويب كما يخبر عن الآدميين حيث صارت هذه الأشياء عندهم تؤمر

وتطبيع وتفهم الكلام بمنزلة الآدميين .

وذكر ابن هشام أن واو ضمير الذكور قد تستعمل لغير العقلاء إذا نُزِلُوا

=====

.....

==== منزلتهم نحو قوله تعالى : " يَا أَيُّهَا النَّفْلُ آذْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ " وذلك

لتوجيه الخطاب إليهم ، وشذ قوله :

شَرِبْتَ بِهَا وَالَّذِيكَ يَدْعُو صَبَاحَهُ .. إذا ما بنو نَعَشٍ دَنُوا فَتَصَوُّبُوا
والذي جرَّاه على ذلك قوله : " بَنُوا " لا بَنَاتٍ ، والذي سَوَّغَ ذلك أن
ما فيه من تذيير نظم الواحد شبهه بجمع التكسير ، فسهل مجيئه لغير
العاقل ، ولهذا جاز تأنيث فعله نحو : " إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُوسُ
إِسْرَائِيلَ " مع اختراع قامت الزيدون .

(٣) تَصَوُّبُوا : التَّصَوُّبُ الانحدار / اللسان " صوب " : ٥٣٤ / ١

(٤) أي دنوا من الأفق للغروب .
انظر البيت في :

ديوان النابغة الجعدي : ٤ ، الكتاب : ٢ / ٤٧ ، مجاز القرآن
لأبي عبيدة : ٢ / ٨٣ ، معاني القرآن للأخفش الأوسط : ٤٢٤ ،
شرح أبيات سيويه للنحاس : ١٥٠ ، المقتضب : ٢ / ٢٢٤ ، الصحاح
" نَعَشٌ " : ٣ / ١٠٢٢ ، الموشح : ١٠٢ ، الصاحبي : ٤١٩ ،
العمدة : ٢ / ٢٨٢ - ٢٨٣ ، المقتصد في شرح الإيضاح : ١ / ٢٠٠ ،
شرح المفصل : ١ / ٥ / ١٠٥ ، مغني اللبيب : ٢ / ٣٦٥ ، شرح
شواهد المغني : ٢ / ٧٨٢ ، لسان العرب : " نَعَشٌ " : ٦ / ٣٥٥ ،
خزانة الأدب للبغدادلي : ٨ / ٨٢ ، الشاهد رقم (٥٨٩) .

(٥) ذُكِرَ البيت في " الكتاب " و " مجاز القرآن " و " معاني القرآن

للأخفش " و " شرح أبيات سيويه للنحاس " و " المقتضب " و

" الصحاح " و " المقتصد في شرح الإيضاح " و " شرح المفصل " و

" مغني اللبيب " و " شرح شواهد المغني " و " خزانة الأدب "

من غير نسبة .

ونسبه المرزباني وابن رشيق للنابغة الذبياني .

وَمَوْلَى جَفَّتْ عَنْهُ الْمَوَالِي كَأَنَّمَا . . . يَرَى وَهُوَ مَطْلَى بِهِ الْقَارُ أَجْرَبُ^(١)

وبعد بيتان قبل الشاهد :

رَئِيتُ إِذَا لَمْ تَرَأِ الْبَازِلَ ابْتَهَا^(٢) . . . وَلَمْ يَكْ فِيهَا لِلْمُبْسِينَ مَطَلَبُ^(٤)
وَصَهْبَاءُ لَا تَخْفِي الْقَذَى وَهِيَ كُوثُهُ . . . تَصَفَّقُ فِي رَاووقِهَا ثُمَّ تَقْطُبُ^(٥)
^(٦) ^(٧) ^(٨) ^(٩)

وبعد هما الشاهد وبعد :

وَبَيْضَاءُ مِثْلَ الرَّثْمِ لَوْ شِئْتُ قَدْ صَبْتُ . . . إِلَى وَفِيهَا لِلْمَحَاضِرِ مَلْعَسُ^(١٠)

- (١) القار والقيصر بالكسر لغتان : وهو صعد يذاب فيستخرج منه القار، وهو شي أسود يُطلى به السفن فيمنع الماء من الدخول ، وكذا الإبل عند الجرب اللسان : " قير " : ٥ / ١٢٤ .
- (٢) رَئِيتُ : عطفْتُ وهو من رَئِيتُ الناقة ولدها تَرَأَمُهُ رَأْمًا وَرَأْمَانًا عطفْتُ عليه ، ولزمته / اللسان " رَأَم " : ١٢ / ٢٢٣ .
- (٣) البازل : الناقة التي بُزل نابها أي شُق / اللسان : " بزل " : ١١ / ٥٢ .
- (٤) المبسين : جمع مُبْسٍ ، وهو الذي يقول للناقة بسبس حتى تدر / اللسان ، ٢٧ / ٦ .
- (٥) وصهباء : أي رب صهباء ، وهي الخمر المصنوعة من العنب / فقه اللغة : ٢٧٦ .
- (٦) القذى : القذى في الشراب ما يقع فيه من ذباب وغيره . / التاج : " قَذِي " : ١٠ / ٢٨٩ .
- (٧) تَصَفَّقُ : التصفيق تحويل الشراب من إناء إلى إناء مزوجاً ليصفسو . / اللسان " صفق " : ١٠ / ٢٠٢ .
- (٨) الراوق : ناجود الشراب ، الذي يروق به فيصفى ، والشراب يستروق منه بغير عصر . أي المصفاة : " روق " : ١٠ / ١٣٤ .
- (٩) تَقْطُبُ : تنزع بالماء . / اللسان : " قطب " : ١ / ٦٨٠ .
- (١٠) الرَّثْمُ : بالكسر : الطبي الخالص البياض ، وجمعه أَرَامٌ وآرَامُ . / اللسان " رَأَم " : ١٢ / ٢٢٤ .

موضع الشاهد قوله : " وَالَّذِي يَدْعُو صَبَاحَهُ " .

والشاهد فيه كسابقه، وهو أن الكلام البليغ أن تبدأ بالاسم، ثم تبني الفعل عليه ، فإذا كان الفعل مضارعاً ، وقع بعد واو الحال لم يصلح إلا مبنياً على الاسم ؛ لأن الأمر يصير بمعرض الشك .

فالشاعر هنا أراد أن يصف الوقت الذي ترتاح فيه نفسه للشرب ، فجاء بـواو الحال ، وقدّم المسند إليه على الفعل ليبالغ في وصفه بشدة البكور ، فيمنع بذلك المستمع من الشك في الخبر ، وهذا أحسن وأدق وصفاً مما لو قال :

" تَمَرَّزْتُهَا وَيَدْعُو الدَّيْكَ صَبَاحَهُ " .

وفي جعل الديك ينادي على الصباح لطافة وحسن في التعبير وأناقة وابتكار من الخيال .

٤ - مواضع التقديم والتأخير - مثل وغير :

الشاهد الخامس والسبعون : (*) (السريح)

يَمْلُكَ يَثْنِي الْحَزْنَ عَنْ صَوْبِهِ (١) . وَيَسْتَرِدُّ الدَّمَاعَ عَنْ غَرِيبِهِ (٢) (٣) (٤)

(*) الدلائل ، رضا : ١٠٦ ، خفاجي : ١٧٢ ، شاکر : ١٣٨ .
(١) رواية الديوان والدلائل تحقيق شاکر وشرح أبيات الإيضاح ، ومغنية الإيضاح :
" يَمْلُكَ يَثْنِي الْحَزْنَ عَنْ صَوْبِهِ " .

ورأى الاستاذ عبد المتعال الصعيدي أن رواية " المزن " لا تناسب مقام الرثاء ، وكذلك رأى الشيخ عبد الهادي المعدل في كتابه (دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القاهر) أن رواية " المزن " تحريف لم يفتن الناشر له . وأثبت الخطيب في الإيضاح والشيخ محمد رشيد رضا والاستاذ عبد المنعم خفاجي رواية " المزن " من غير تعليق أو إنكار .

(٢) الصوب : نزول المطر وهو أيضا القصد ، فلان مستقيم الصوب إذا لم

يَزِغَ عن قصده يميناً وشمالاً في مسيره . / اللسان " صوب " : ١ / ٥٣٦ .

(٣) غربه : الضروب : مجاري الدمع ، وللعين غريان ، مقدمها ومؤخرها . قال

الأصمعي : يقال بعينه غُرب إذا كان يسيل ، ولا تنقطع دموعها ، والفَرْبُ =====

ذكره الشيخ من غير نسبة ، وهو لأبي الطيب المتنبي من قصيدة له قالها
(١)
يعزي أبا شجاع عضد الدولة - وقد ماتت عته - ومطلع القصيدة :-
آخِرُ مَا الْمَلِكُ مَعَزَى بِهِ . : هَذَا الَّذِي أَثَّرَ فِي قَلْبِهِ
وقبل الشاهد :

(٢)
حَاشَاكَ أَنْ تَضَعَفَ عَنْ حَمَلٍ مَا . : تَحُلُّ السَّائِرُ فِي كُتُبِهِ

====
مسيل الدمع ، والغرب : انهما له من العيين ، والغروب : الدمع حين
تخرج من العيين ، والغروب أيضا مجاري الدمع / اللسان " غرب " :
٠٦٤٢ / ١

(٤) انظر البيت في : -

ديوانه بشرح العكبري : ١ / ٢١٦ ، نهاية الإيجاز : ١٢٤ ، الإيضاح :
١ / ١٤٨ ، شرح أبيات الإيضاح : - فيض الله - : ٢٢٢ .
(١) هو السلطان عضد الدولة " أبو شجاع " فنا خسرو بن ركن الدولة حسن
ابن بويه الديلمي ، تملك فارس بعد عمه عماد الدولة ، ثم اتسعت ممالكه ،
وسار إليه المتنبي ، ومدحه وأخذ صلاته .

قصد عضد الدولة العراق ، والتقى بأبن عمه عز الدولة وقتله ، وملك العراق ،
ودانت له الأم ، كان بطلا شجاعا مهيبا نحويا أدبيا عالما جبارا عسوفيا
شديد الوطأة ، وله صنف أبو علي الفارسي كتابي " الإيضاح " و " التكملة " .
ومدحه فحول الشعراء ، وكانت وفاته سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة ببغداد
ودفن بمشهد النجف ، وحكم بعده ابنه صمصام الدولة . / انظر ترجمته :
يتيمة الدهر : ٢ / ٢١٦-٢١٨ ، الكامل لابن الأثير : ٧ / ١١٣-١١٥ ،
العبر : ٢ / ١٣٨-١٣٩ ، وفيات الأعيان : ٤ / ٥٠-٥٥ ، النجوم الزاهرة :
٤ / ١٤٢-١٤٣ ، بغية الوعاة : ٢ / ٢٤٧-٢٤٨ ، شذرات الذهب :
٣ / ٧٨-٧٩ ، سير أعلام النبلاء : ١٦ / ٢٤٩-٢٥٢ .

(٢) السائر : الذي حمل إليه الكتاب بوفااتها يقول : إذا كان قد أطاق
حمل ذكر وفاتها ، فحكم قلبك أن يكون أشد طاقة له ، وهذه مغالطة ،
وإنما أراد تسكينه ، فتوصل إليه بكل وجه . / شرح العكبري : ١ / ٢١٦ .

وَقَدْ حَمَلَتِ الثَّقَلِ مِنْ قَبْلِهِ . : فَأَغْنَتْ الشَّدَّةُ عَنْ سَخِيهِ
(١)
يَدْخُلُ صَبْرُ الْمَرْءِ فِي مَدِّ حِسِّهِ . : وَيَدْخُلُ الْإِشْفَاقُ فِي ثَلْبِهِ

ومعدها الشاهد ومعده :

(٢)
إِنَّمَا لِإِبْقَاءٍ عَلَى فَضْلِهِ . : إِنَّمَا لِتَسْلِيمٍ إِلَى رَبِّهِ
وَلَمْ أَقُلْ يَثْلُكْ أَعْنِي بِهِ . : سِوَاكَ يَا قَرْدًا بِلَا مُشْبِهِ

استشهد الشيخ بالبيت على أنه إذا قصد بـ " مثل " ما أضيفت إليه ، ولم يقصد بها المعنى اللغوي الظاهر ، وهو الشبيه والنظير - أي إذا استعملت كناية من غير تعريض - كان تقديمها على الخبر الفعلي كاللزام ، " وإنما كان التقديم فيها كاللزام ، ولم يكن لازماً ، لأنه لا شيء يوجب من جهة القياس " ، ولا من جهة الكناية ، وإنما هو ما يساعد على الفرض المقصود منها ، وهي حاصلة مع التقديم والتأخير ، فليس هذا اللزوم إلا في استعمال البلغاء .
(٣)

والسرف في تقديم مثل ، وغيره ، إفادة تقوي الحكم . قال البهاء السبيكي :

(٤) (٥)

" والسرف فيه أن تقديمهما يفيد تقوي الحكم " .

(١) ثلبه ثلباً : إذا صرح بالعيب فيه ، وتنقصه . قال الراجز :

" لَا يَحْسُنُ التَّعْرِيفُ إِلَّا ثَلْباً " .

والمثالب : العيوب ، الواحد " مثلبة " . / شرح المعكبري : ٢١٦ / ١ .

(٢) إيماء : يريد إيماءً أنشد ثعلب قال :

يَا لَيْتَنَا أَمْنَا شَالَتْ نَعَامَتُهَا . : أَيْتَنَا إِلَى جَنَّةٍ أَيْتَنَا إِلَى نَارِ

والمعنى : أنك إذا فعلت ما قلت لك : إما لتبقى ، فلا تهلك من الجزع ،

وإما لتسلم الأمر إلى الله ، فإن الأمر له فيما شاء في عباده . / .

شرح المعكبري : ٢١٢ / ١ .

(٣) بغية الإيضاح : ١٥٦ / ١ .

(٤) يقصد " مثل وغير " .

(٥) شرح التلخيص : - عروس الأفراس - : ٤٢٥ / ١ .

قال الشيخ :

" وما يرى تقديم الاسم فيه كاللزام " مثل " و " غير " في نحو قوله :
 مَثَلُكَ يَثْنِي الْمَزْنَ عَنْ صَوْبِهِ . . . وَيَشْتَرِدُّ الدَّمْعُ عَنْ غَرْبِهِ
 وقول الناس : " مثلك رعى الحق والحرمة " ، وكقول الذي قال له الحجاج :
 لا تحلنك على الأدهم يريد القيد ، فقال على سبيل المغالطة : ومثل
 الأمير يحمل على الأدهم والأشهب ، وما أشبه ذلك ما لا يقصد فيه بمثل
 إلى إنسان سوى الذي أضيف إليه ، ولكنهم يعنون أن كل من كان مثله في
 الحال والصفة كان من مقتضى القياس ، وموجب الحرف ، والعادة أن يفعل
 ما ذكر أو أن لا يفعل (١) .

" ووجه الدلالة فيه : أنه إذا ثبت أن من كان مثله ، وعلى أخص أوصافه
 يفعل كذا ، أو لا يفعل لزم عقلاً أنه هو أيضاً يفعله أو لا يفعله ، لأن ما ثبت
 لأحد المثلين أو نفي عنه يجب أن يثبت مثله للآخر ، أو ينفي عنه ،
 فكأنك تقول : أنت تفعل كذا ؛ لأن مثلك يفعله ، فهو من استعمال
 الملزوم في اللزام (٢) .

وذكر الشيخ أن هذا الأسلوب الكنائي أفخم من الأسلوب الصريح ، فهو مركوز
 في الطباع ، وجار في عادة كل قوم ، فلو قيل : " يثنى المزن عن صوبه مثلك ، و " رعى
 الحق والحرمة مثلك " رأيت كلاماً مقلوباً عن جهته ، ومغيراً عن صورته ، ورأيت
 اللفظ قد نبا عن معناه ، ورأيت الطبع يأبى أن يرضاه (٣) .

فالشاعر في البيت أراد أن يصف المدوح بقوة الصبر ، والجلد عند المصاب ،

(١) الدلائل ، رضا : ١٠٦ - ١٠٧ ، خفاجي : ١٧٢ ، شاکر : ١٣٨ - ١٣٩ .

(٢) دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القاهر : ٢٨٩ .

(٣) الدلائل ، رضا : ١٠٧ - ١٠٨ ، خفاجي : ١٧٣ ، شاکر : ١٤٠ .

فأخذ يقوّي هذا المعنى في نفس مدّوحه، فجاء بـ " مثل " مضافة إلى ضمير المخاطب " المدّوح " وأراد بذلك أنت " تقدر على دفع الحزن عن قصده، وتغلبه بالصبر، وترد الدّمع إلى قراره ومجراه، بأن تصرفه عن المجرى، وكيف لا تفعل هذا وأنت لاشبه لك (١) .

وهذا الأسلوب أمضى للعزم، وأدعى للصبر، وأحث على الجلد، وأريح للنفس.

الشاهد السادس والسبعون : (*) (السريح)

وَلَمْ أَقْلَ مِثْلَكَ أَغْنِي بِـ . . . سَوَاكَ يَا فَرْدَا بِلَا مُشْبِهٍ (٢)

أورد الشيخ البيت من غير عزو، وهو للمتنبي من قصيدته التي منها الشاهد السابق، والتي قالها لتعزية عضد الدولة، وقد ماتت عمته، وهو آخر بيت في القصيدة .

استشهد به الشيخ للتنظير على القول الذي ساقه في بيان أن مقصوده من " مثل " التي يكون تقديمها كاللّازم هي ما كان معناها نفس المعنى الذي قصده الشاعر، وهو أنت أعني لا سواك أي أن المقصود بها ما أضيفت إليه دون التعريض .

-
- (١) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ٢١٦/١ .
 (٢) الدلائل، رضا : ١٠٧، خفاجي : ١٧٣، شاكر : ١٣٩ .
 ذكر الشيخ عبد القاهر في المختار من دواوين المتنبي والبحري وأبي تمام، أن البيت قبل الشاهد " وجعل القافية ساكنة " :

يَمُوتُ رَاعِي الضَّأْنِ فِي جَهْلِهِ . . . مَوْتَةَ جَالِيْنُوسٍ فِي طَبَّاسِهِ
 وهذا البيت في الديوان هو الخامس عشر من القصيدة، وبيت الشاهد هو البيت الأخير منها وهو الخامس والثلاثون .

انظر البيت في :

الديوان بشرح العكبري : ٢١٧/١، الطرائف الأدبية : ٢٠٥، وفي التثيل والمحاضرة ذكر أربعة أبيات من القصيدة، ولم يذكر ضمنها بيت الشاهد :
 ٤٠٥، الإيضاح : ١٤٧/١، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٢٢ ب .

الشاهد السابع والسبعون : (*) (البسيط)

* غَيْرِي بِأَكْثَرِ هَذَا (١) النَّاسِ يَنْخَدِعُ (٢)

ذكر الشيخ الصدر دون العجز ومن غير نسبة، وهو لأبي الطيب المتنبّي، والشاهد مطلع قصيدة قالها في مدح سيف الدولة (٣)، ويذكر فيها الواقعة التي حدثت في جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة، وهي الواقعة التي نكب فيها المسلمون (٤).

وعجز البيت :

* إِنْ قَاتَلُوا جَبَنُوا أَوْ حَدَّثُوا شَجَعُوا * (٥)

(*) الدلائل، رضا : ١٠٧، خفاجي : ١٧٣، شاكر : ١٣٩.

(١) الناس اسم من أسماء الجموع عبر عنه بإشارة الواحد على اللفظ لا على المعنى،

ولو أراد المعنى لقال : هؤلاء . / شرح الديوان للعسكري : ٢٢١ / ٢ .
(٢) ينخدع : يغتر، وأصله من خدع الضب في جحره إذا دخل فيه، ومنه قول

الشاعر - المعزق العبدى - :

أَرِقْتُ فَلَمْ تَخْدَعْ بَعِينِي نَعْسَةً . . . وَمَنْ يَلْقَ مَا لَاقَيْتَ لَا بُدَّ يَأْرُقُ

أي لم تدخل بعينى نعسة، والخداع : المنع، والخداع : الحيلة، وخدع

الضب ينخدع خدعاً، وانخدع : استروح ربح الإنسان، فدخل في جحره لئلا

يحترش، والخدع إظهار خلاف ما تخفيه وخدعه يخدعه خدعاً بالكسر مثل سحره

يسحره سحراً . / اللسان : " خدع " : ٦٣-٦٦ .

(٣) ذكر صاحب العرف الطيب أنه قالها في رثاء أبي شجاع فاتى، وقد توفي بمصر

سنة (٣٥٠ هـ) / العرف الطيب : ٣١ / ٤ .

وليس البيت عنده مطلع القصيدة، بل مطلعها :

الْحُزْنُ يَقْلِسُقُ وَالتَّجَلُّلُ يَرْدَعُ . . . وَالذَّمُّعُ بَيْنَهُمَا عَصِيٌّ طَيِّعُ

وبيت الشاهد هو البيت الثاني والأربعون منها .

وقبله :

لَا قَلْبَتْ أَيْدِي الْفَوَارِسِ بَعْدَهُ . . . رَمَحًا وَلَا حَمَلَتْ جَوَادًا أَرَبَّعُ

وبعد الشاهد :

أَهْلُ الْحَفِیْظَةِ

(٤) جاء في تاريخ الطبري والكامل لابن الأثير : أن سيف الدولة بن حمدان دخل إلى

بلاد الروم فغزا، وأوغل فيها، وفتح حصوناً كثيرة وسبى، وغنم، فلما أراد الخروج من

بلد الروم أخذوا عليه المضايق فهلك من كان معه من المسلمين أسرا وقتلاً،

واسترد الروم الغنائم والسبي، وغنموا أثقال المسلمين وأموالهم، ونجا سيف الدولة

في عدد يسير . / انظر :

تاريخ الطبري : ١١ / ٣٧٢، الكامل لابن الأثير : ٦ / ٣٣٤ .

(٥) ديوانه بشرح العسكري : ٢ / ٢٢١، العرف الطيب : ٣٩ / ٤ .

وبعد :

أَهْلُ الْحَفِظَةِ إِلَّا أَنْ تُجَرِّبَهُمْ . . . وَفِي التَّجَارِبِ بَعْدَ الْغَيِّ مَا يَسْزَعُ
وَمَا الْحَيَاةُ وَنَفْسِي بَعْدَ مَا عِلِمْتُ . . . أَنَّ الْحَيَاةَ كَمَا لَا تَشْتَهِي طَبْعُ
وَالْبَيْتُ شَاهِدٌ عَلَى أَنْ " غَيْر " إِذَا سَلَكَ بِهَا سَلَكٌ " مِثْل " كَانَتْ مِثْلَهَا
فِي الْحُكْمِ .

قال الشيخ :

" وكذلك حكم " غير " إذا سَلَكَ به هذا المسلك فقل : " غيرى يفعل
ذاك " ، على معنى أني لا أفعله ، لا أن يُؤَيَّيَّ " غير " إلى إنسان فيخبر
عنه بأن يفعل كما قال :

" غيرى بأكثر هذا الناس ينخدع " ، وذاك أنه معلوم أنه لم يُرد أن يُعَرَّضَ
بواحد كان هناك ، فَيَسْتَنْقِصَهُ ، وَيَصِفُهُ ، بأنه مضعوف يُغَرَّ وَيُخَدَّعُ ، بل
لم يُرد إِلَّا أن يقول : إِنِّي لست ممن ينخدع ، وَيُخَدَّرُ (١) .

وهذا الاستعمال الكنائى لـ " غير " أبلغ وأقوى من الأسلوب الصريح ، لأنَّه
كدعوى الشيء ببيئته (٢) .

" ووجه الدلالة : أنك إذا حكمت على غيرك على سبيل العموم بحكسهم ،
لزم ثبوت ضده لك ، فإذا نفيت عن غيرك أمراً لزم ثبوت ضده لك ، وإذا أثبت له
أمراً لزم نفيه عنك ، فالذي يقول : " غيرى ينخدع " أثبت لغيره الانخداع ، فلمزم
نفيه عن نفسه ، والذي يقول : " غيرك لا يوجد ، نفى عن غير المخاطب الجود ،
فلزم إثباته له ، وهكذا (٣) .

(١) الدلائل ، رضا : ١٠٧ ، خفاجي : ١٧٣ ، شاكر : ١٣٩ .

(٢) دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القاهر : ٢٩٢ .

(٣) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

الشاهد الثامن والسبعون : (*) (الوافر)

قال أبو تمام :-

وَفَيْرِي يَأْكُلُ الْمَعْرُوفَ سَخْتًا ^(١) . وَتَشْحَبُ ^(٢) عِنْدَهُ بَيْضُ ^(٣) الْأَيَّادِي ^(٤) (٥)

وهو من قصيدة يمدح بها أبا عبد الله أحمد بن أبي دؤاد ^(٦) ، ويعتذر

(*) الدلائل ، رضا : ٥١٠٧ ، خفاجي : ١٧٣ ، شاکر : ١٣٩ .

(١) يأكل : يجحد .

(٢) السَّخَتْ والسَّخَتْ كل حرام قبيح الذكر ، وقيل : هو ما خُبِتَ من المكاسب

وَحَرَمٌ ، فَلَزِمَ عَنْهُ الْعَارُ ، وَالسَّخَتْ : الْحَرَامُ الَّذِي لَا يَحِلُّ كَسْبُهُ ، لِأَنَّهُ

يَسَخَتْ الْبَرَكَةُ أَيُ يُذْهِبُهَا / . اللسان " سحت " : ٢ / ٤١ .

(٣) روي الفعل في شرح أبيات الإيضاح مبنياً للمجهول : " تَشْحَبُ " .

وَتَشْحَبُ : مِنْ شَحِبَ لَوْنُهُ وَجَسَمُهُ يَشْحَبُ ، وَيَشْحَبُ بِالضَّمِّ شَحْوِيًّا ، وَشَحْبُ

شَحْوِيَّةٌ ، تَفْقِيرٌ مِنْ هُزَالٍ ، أَوْ عَمَلٌ ، أَوْ جُوعٌ أَوْ سَفَرٌ / اللسان : " شحب " :

١ / ٤٨٤ .

(٤) بَيْضُ الْأَيَّادِي : وَهُوَ مِنْ إِضَافَةِ الصِّفَةِ إِلَى الْمَوْصُوفِ ، وَهُوَ مُجَازٌ بِلِيْغٍ ،

فَالْمُرَادُ بِالْأَيَّادِي هُنَا النِّعَمُ ، وَالْمُرَادُ بِبَيَاضِهَا شَهْرَتُهَا ، وَأَنَّهَا غَيْرُ مَشْوِيَّةٍ

بِالنَّشْرِ / شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٢٣٠ .

(٥) انظر البيت في :

ديوان أبي تمام - دار صعب - : ٧٢ - ٧٣ ، شرح ديوان أبي تمام

محمد محيي الدين عبد الحميد - : ٢٣٠ / ١ ، الإيضاح : ١٤٩ / ١ ، شرح

أبيات الإيضاح : - فيض الله - : ٢٣٠ .

(٦) هو القاضي أبو عبد الله أحمد بن أبي دؤاد فرج بن جرير القاضي

(١٦٠ هـ - ٢٤٠ هـ) كان فصيحاً مفوهاً وشاعراً جواداً ممدحاً رأساً

في التجهم ، وهو الذي شغب على الإمام أحمد بن حنبل وأفتى بقتله ،

وكان من المعتزلة ، وله مكانة عند المأمون والمعتصم ، وهو أول من بدأ

الخلفاء بالكلام ، وكانوا لا يتكلمون حتى يتكلموا ، وكان بينه وبين ابن الزيات

ضغينة ومهاجاة عظيمة ، توفي بالغالج في خلافة المتوكل / انظر ترجمته :

تاريخ الطبري : ١٩٧ / ٩ ، أخبار أبي تمام : ١٤١ - ١٥٧ ، تاريخ

=====

إليه عما اتهم به الوشاة من أنه ^(١) هجاء ، ومطلع القصيدة :
 سَقَى عَهْدَ الْحِمَى سَبَلَ الْعَهْدَانِ . . . وَرَوَّحَ حَاغِرَ مِثْنِهِ وَيَسَارِ ^(٢)
 وقبل الشاهد :

وَكَانَ الشُّكْرُ لِلْكَرَمَاءِ خَصْلًا . . . وَمَيِّدَانَا كَمَيِّدَانِ الْجِيَارِ
 عَلَيَّ عَقْدَتْ عَقْدِي وَلَا حَسْتُ . . . مَوَاسِمُهُ عَلَى شَيْمِي وَعَارِي ^(٤)
 وبعدهما الشاهد وبعده :

=== بغداد : ٤ / ١٤١ - ١٥٦ ، العبر : ٣٣٩ / ١ ، ميزان الاعتدال :
 ٩٧ / ١ ، وفيات الأعيان : ١ / ٨١ - ٩١ ، لسان الميزان :
 ١٧١ / ١ ، شذرات الذهب : ٢ / ٧٥ - ٨٧ - ٩٣ ، سير أعلام
 النبلاء : ١٦٩ / ١١ .

(١) جاء في أخبار أبي تمام :-
 أن أبا تمام مر بقوم فاستوقفوه وسألوه : أي رجل أنت لو لم تكن
 في اليمن ، فقال : ما أحب أني بغير الموضع الذي اختاره الله
 لي ، فمن تحبون أن أكون ، فقالوا : من مَضَر ، فقال : أبو تمام
 إِنَّمَا شَرَفَتْ مَضَرُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا قِيسُوا
 بِمَلُوكِنَا ، وَفِينَا كَذَا ، وَفِينَا كَذَا ، فَفَخِرَ وَذَكَرَ أَشْيَاءَ غَابَ نَفَرًا مِّنْ
 مَضَرٍ ، فَانْتَقَلَ الْخَبْرَ إِلَى أَبِي تَمِيمٍ دَوَادٍ ، وَزَادَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : مَا أَحَبُّ
 أَنْ يَدْخَلَ إِلَيَّ أَبُو تَمَامٍ ، فَلْيُحْجَبْ عَنِّي ، فَقَالَ أَبُو تَمَامٍ الْأَبْيَاتُ يَعْتَذِرُ
 إِلَيْهِ وَيَمْدَحُهُ / ونظر :

أخبار أبي تمام : ١٤٧ - ١٤٨ .

(٢) رواية - دار صادر - : سبيل ، ويروى : " صوب العهد " ، وسبيل
 العهد : مطريجيء بعضه في إثر بعض . / ونظر :
 فقه اللغة : ٢٨٥ .

(٣) ديوانه - دار صادر - : ٧١ ، شرح الديوان - محمد محيي الدين - :
 ٢٢٣ .

(٤) ويروى " عَلَيْهِ عَقْدَتْ عَوْدِي " ، والعَوْد - بضم العين ، وفتح الواو جمع عود ،
 وهي ما يوضع على الصبي ليقيه العين والحسد " نقلًا عن شرح ديوان أبي تمام
 - محمد محيي الدين - : ٢٣٠ .

- (١) تَثَبَّتْ إِنْ قَوْلًا كَانَ زُورًا . . . أَتَى النَّعْمَانُ قَبْلَكَ عَنْ زَيْتَارِ
 (٢) وَأَرَثَ بَيْنَ حَيِّ بَنِي جَسْلَاحٍ . . . شَبَا حَرْبٍ وَحَيِّ بَنِي مَصَّارِ
 (٣) وَقَادَرَفِي صُدُورِ الدَّهْرِ قَطْلَى . . . بَنِي بَدْرِ عَلَى ذَاتِ الْإِصَادِ
 (٤) فَمَا قَدْ حَاكَ لِلْبَّارِي وَلَيْسَتْ . . . مَتُونُ صَفَاكَ مِنْ نَهْزِ السُّرَادِي
 (٥) وَلَوْ كَشَفْتَنِي لَوَجَدْتَ خِرْقًا . . . يُصَافِي الْأَكْرَمِينَ وَلَا يُصَاصِي
 (٦)

الشاهد في البيت كسابقه ، فالشاعر هنا لم يرد التعريض بشاعر آخر ، فيزعسم

أن ما اتهم به عند الممدوح كان من ذلك الشاعر ، بل كل الذي أراد ، هو أن يقوي معنى براءته في نفس الممدوح ، بقوله : " إني لا أكل معروفك سحتا ، ولا اتعاطى إحسانك حراماً ، ولا تتغير عندي أياديك البيض ، وعطاياك المشهورة الجميلة

- (١) المقصود بزياد هنا : النابغة الذبياني ، والمقصود بالنعمان النعمان ابن المنذر ملك العرب في الحيرة ، وكان قد بلغ النعمان أن النابغة يشبب بأمراته ، فحقد عليه النعمان ، فهرب النابغة ، ثم ما زال يعتذر له بقصائد جواد حتى صفح عنه . / انظر :

الأغاني : ١١ / ٨ - ١٤ - ٢٨ - ٢٩ .

- (٢) أَرَثَ : أفسد ، والتأريث الإغراء بين القوم ، وهو من أَرَثَ النار أوقدها / اللسان " أَرَثَ " : ٢ / ١١١ .

- (٣) بنو جلاح : أصل اسمهم " بنو الجلاح " بالالف واللام ، وهم مسكن كلب بن وبرة / ، انظر :
 جمهرة أنساب العرب : ٤٥٨ .

- (٤) بنو مَصَّاد : هم من بني عليم بن جناب ويرجعون فن نسبهم إلى كلب ابن وبرة . / انظر :
 جمهرة أنساب العرب : ٤٥٧ .

- (٥) بنو بدر : أراد حذيفة بن بدر وأخوته / جمهرة أنساب العرب : ٢٥٦ .

- (٦) ذات الإصَاد : الردهة التي قُتِلَ عليها قيس بن زهير حذيفة بن بدر ،

وهي موضع ماء بالهباءة / معجم ما استعجم : ١ / ١٦٢ .

- (٧) قَدْ حَاكَ : القِدْحُ : السهم قبل أن يَراش وَيَنْصَلَّ / اللسان " قدح " ٢ / ٥٥٦ .

الصفية عن الشوائب بالكفران والغمط ، ولما اتهمت به من الهجاء^(١) .
قال الشيخ :

" لم يرد أبو تمام بقوله :

وغيري يأكل المعروف سَحْتًا . . . وَتَشَحَّبَ عِنْدَهُ بَيْضُ الْأَيْدِي
أن يعرض مثلاً بشاعر سواه ، فيزعم أن الذي قَرِفَ^(٢) به عند المدوح من
أنه هجاه كان من ذلك الشاعر لا يَنْهَ ، هذا محال ، بل ليس إلا أنه نفَى
عن نفسه أن يكون ممن تَكْفُرُ النِّعْمَةُ ويلوم^(٣) .

وما أجمل تصويره إنكار المعروف في صورة أكل السحت ، للتقبيح والتشنيع من
هذا الفعل .

وفي قوله : " تَشَحَّبَ عِنْدَهُ بَيْضُ الْأَيْدِي " مجاز رائع بليغ ، وهو مجاز مرسل
علاقته المحلية ، لأن اليد هي محل النعمة وموضعها ، فالعرب يطلقون اليسد ،
ويريدون بها النعمة .

فالروعة في هذا المجاز أنه أتى في جملة تلاحت أجزاءها ، وتشابكت
الفاظها ، فخرجت صورة رائعة ومختصرة عن الشخص اللئيم الذي ينكر الفصل
العظيم ، فعبر عن النعمة باليد ، وعبر عن عظمها وفضلها بالبياض ، ثم عبر عن
إنكارها بالشحوب وتغير اللون ، وقدّم الظرف " عنده " على " ببيض الأيدي " .
إمعانا في وصفه باللوم .

(١) شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٢٣ .

(٢) قَرِفَ : أي اتهم . / اللسان " قرِفَ " : ٢٨٠ / ٩ .

(٣) الدلائل ، رضا : ١٠٧ ، خفاجي : ١٧٣ ، شاكر : ١٣٩ .

الفصل الخامس

شواهد القول في الحذف

٢ - حذف مبتدأ .

٣ - حذف لمفعول به .

الحذف :

قدم الشيخ عبدالقاهر لهذا الفصل بمقدمة بيّن فيها أهميته فسي
 التراكيب اللغوية ، وأثر هذه التراكيب في نفس السامع أو القاري ، فهو . . . باب
 دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر ، شبيه بالسحر ، فإنك ترى به
 ترك الذكر أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، وتجدك أنطق
 ما تكون إذا لم تتطرق ، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبين ، وهذه جملة قد تنكرها
 حتى تخبر ، وتدفعها حتى تنظر^(١) .

ثم عرض بعد ذلك كثيراً من الشواهد التي لم يزد فيها على أن بين موضع
 الحذف ، ثم ترك للقاري حرية التدقيق .

وقد تحدث في هذا الفصل عن :

١- حذف المبتدأ .

٢- حذف المفعول به .

وفيما يلي سأعرض شواهد في هذا الفصل محاولة بيان مظهر لي من أسرار

الحذف .

(١) الدلائل ، رضا : ١١٢ ، خفاجي : ١٧٨ ، شاكر : ١٤٦ .

٢- حذف المبتدأ:

الشاهد التاسع والسبعون : (*) (البسيط)

أَعْتَادَ قَلْبَكَ مِنْ لَيْلَى عَوَائِدُهُ . . . وَهَاجَ أَهْوَاءَكَ التَّكُونَةَ الطَّسْلُ (١) (٢) (٣)
 رَبْعٌ قَوَاءٌ أَذَاعَ الْمُعْصِرَاتِ بِهِ . . . وَكَلَّ حَيْرَانَ سَارٍ مَؤُهُ خَضِيلُ (٤) (٥) (٦) (٧) (٨) (٩) (١٠) (١١)

البيتان ذكرهما الشيخ من غير غزو، إلا أنه أشار إلى أنهما في أبيات الكتاب.

- (*) الدلائل ، رضا : ١١٢ ، خفاجي : ١٧٨ ، شماكر : ١٤٦ .
- (١) رواية الكتاب ، وشرح أبيات سيويه للنحاس ، والخصائص ، وشرح أبيات سيويه للسيرافي ، والمغني : " اعتاد قلبك من سلسي " .
- (٢) رواية شرح أبيات سيويه للنحاس : " عَوَائِدُهَا " .
- (٣) رواية شرح أبيات سيويه للنحاس : " وهاج أهوالها " .
- ورواية مغني اللبيب وشرح شواهد المغني : " وهاج أحزانك " ، ورواية الأهواء أجود لأنها أعم وأشمل ، فهي تشمل الحزن ، وكل ما يضطرب في جوانح النفس من أحاسيس تهيجها الذكريات .
- (٤) الربيع : المنزل والوضع الذي أقاموا به ، وهو من رُبْعَ المكان أقام به ، وأقاموا فسي ربعمهم وربوعهم ورباعهم ، وهذا مربعمهم / أساس البلاغة : (ربيع) : ١٥٢ .
- (٥) قواء : أي قفر خال ، أقوت الدار من أهلها ، ونزلوا بالقواء واليقي : بالقفر / أساس البلاغة " قوى " : ٣٨٣ .
- (٦) أذاع المعصرات به : أن هبته وطمست معالمه . / اللسان " ذيع " : ٩٩ / ٨ .
- (٧) رواية شرح شواهد المغني : " أذاع المعصرات بها " .
- (٨) حيران : السحاب المتحير ، وهو سحاب ثقيل متردد ليس له ريح تسوقه لكثرة مائه ، فلا يبرح مكانه حتى يصب مطره . / اللسان : " حير " : ٢٢٣ / ٤ - ٢٢٤ .
- (٩) سار : عام ، وهو من : سار الشيء وسرته ، فَعَمَّ / اللسان : " سير " : ٣٩٠ / ٤ .
- (١٠) خضيل : أي غزير شديد ، وهو من : أخضلتنا السماء : بَلَّتْنَا بِلَا شَدِيدٍ . / اللسان : " خضل " : ٢٠٨ / ١١ .
- (١١) لم أقف على البيتين في ديوانه . :
 انظرهما في :
 الكتاب : ٢٨١ / ١ ، شرح أبيات سيويه للنحاس : ١١٦ ، الخصائص : ٢٢٦ / ٣ -
 ٢٩٦ / ١ ، شرح أبيات سيويه للسيرافي : ٣٩١ / ١ ، اللسان : " ذيع " : ٩٩ / ٨ -
 ذكر الشطر الأول من البيت الثاني فقط - مغني اللبيب : ٦٠١ / ٢ ، شرح
 شواهد المغني : ٩٢٤ / ٢ .

ونسبهما البغدادي في شرح شواهد المغني^(١) لعمر بن أبي ربيعة^(٢)،
وعلى قوله هذا سار كثير من المحققين^(٣).

وموضع الشاهد قوله : " ريع " ، والشاهد فيه : رفع " ريع " على أنه خبر
مبتدأ محذوف ، كأنه قال : هو ريعٌ قواء اعتاده قلبك مرة بعد مرة . قال
سيبويه :

" كأنه قال : " وذاك ريع " ، أو " هو ريع " ، رفعه على ذا ، وما أشبهه ،
سمعناه من يرويه عن العرب^(٤) .

ومنع حمله على البدل ؛ لأن الريع أكثر من الطلل ، ولا يجوز أن يبدل الأكثر
من الأقل .

وروي أن السيرافي أجاز كونه بدلاً ، ورد ذلك ابن جني والنحاة . جاء في الخصائص :

(١) نقلاً عن تحقيق شرح كتاب سيبويه للسيرافي حيث ورد فيه " هو عمر بن أبي
ربيعة وذلك عند البغدادي في شرحه لشواهد المغني الشاهد (٨٣٤) ورقة
٧٥٥/أ مخطوط استانبول (طبع منه أربعة أجزاء) وفيه (أحزانك) بدل
أهواءك) / شرح كتاب سيبويه للسيرافي : ٣٩١/١ .

(٢) ذكر البيتان في الكتاب ، وشرح أبيات سيبويه للنحاس ، والخصائص ،
وشرح أبيات سيبويه للسيرافي ، واللسان ، والمغني ، وشرح شواهد
المغني من غير نسبة .

(٣) انظر : معجم شواهد العربية : ٢٩١ ، الكتاب : - تحقيق عبد السلام
هارون - : ٢٨١/١ ، الخصائص - تحقيق - محمد علي النجار - ٢٢٦/٣ ،
٢٩٦/١ ، شرح أبيات سيبويه للسيرافي - تحقيق محمد علي سلطاني -
٣٩١/١ ، الدلائل - تحقيق - شاكر : ١٤٦ .

(٤) الكتاب : ٢٨٢ / ١ .

(٥) ذكر في تحقيق كتاب شرح أبيات سيبويه للسيرافي - محمد علي سلطاني -
أنه وجد ذلك مذكوراً على حاشية الكتاب . قال المحقق :
" وقال السيرافي على حاشية الكتاب يجوز أن يكون " ريع " بدلاً من
الطلل كأنه قال : وهاج أهواءك ريع .

قلت : ولكنه على هذا يفقد المعنى عنصر التأثير إذ يجعل البيتين =====

" والبدل لا يجوز إذا كان الثاني أكثر من الأول ، كما يجوز إذا كان الأول أكثر من الثاني ، ألا ترى أنهم لم يُجيزوا أن يكون " رُبْع " ... بدلاً من " الطلل " ، من حيث كان الربيع أكثر من الطلل ، ولهذا حمله سيبويه على القطع والابتداء دون البدل والإتباع (١) .

وذكر آبن هشام علة أخرى لمنع البدل ، وهو لئلا يصير الشعر معيياً لتعلق أحد البيتين بالآخر ، إذ البدل تابع للبدل ، وهذا ما يسميه علماء القوافي تضييلاً (٢) .

ولقد رد الشيخ عبد القاهر مقاله سيبويه والنحاة في هذا الموضع ولم يزد عليهم شيئاً يبين السر البلاغي لهذا الحذف .

فالببيت إذاً محمول على القطع والاستئناف ، ولعل السر في هذا الحذف أنه حين طرقت قلب الشاعر الذكريات ، ومرت بخياله صور الأطلال هاجت في صدره الأهواء التي كان يكنها ويسترها ، وثار شعوره الجياش وإحساسه المتوتر ، فقطع الكلام ، واستأنف كلاماً جديداً عميق الصلة بكوا من نفسه باعثاً معه زفريات الحسرة والألم على تلك الديار الخالية ، وقد أدّ هَبَّت الأمطار معالمها وطمستها ، وقد زاد من حزنه وألمه اشتداد تلك الأمطار على هذه الديار ، فالسحاب حيران لا يبرح مكانه حتى يصب مطره ، وهذا ما زاد في اندثارها .

واستعماله لفظ " هاج " أضفى على البيت قيمة شعرية ، وازدادت هذه القيمة حين أسند الهيجان إلى الطلل الذي هو سبب في هيجان الأشواق المكنونه ، لكي يُظهر شدة تلك الأشواق .

" وهو من باب المجاز العقلي " .

===
كليهما لغرض واحد محدد ، مع أن في البيت الثاني انطلاقة أخرى مسع
الذكريات ، وتعبيراً مثيراً عن الحسرة والألم لخلو الربيع من أهله " : ٣٩٢ / ١ .

(١) الخصائص : ٢٢٦ / ٣ .

(٢) السفني : ٦٠١ / ٢ .

الشاهد الثامن :- (*) (البسيط)

(١) (٢) (٣)
 هَلْ تَعْرِفُ الْيَوْمَ رَسْمَ الدَّارِ وَالطَّلَا . . . كَمَا عَرَفْتَ يَجْفَنَ الصَّيْقِلِ الْخِلَلَا
 (٤) (٥) (٦)
 دَارَ لِمَرْوَةِ إِذْ أَهْلِي وَأَهْلُهُمْ . . . بِالْكَانِسِيَّةِ نَرَعَى اللَّهْوَ وَالْفَرْلَا
 (٧)
 أوردته الشيه من غير نسبه ، ونسبه سيبويه في الكتاب لعمر بن أبي ربيعة ،
 وهو وارد في ديوانه ، وذكر السيرافي في شرح أبيات سيبويه أنه نسبها إلى عَوْجِ
 ابن حَزَام الطائي (٨) .

- (*) الدلائل ، رضا : ١١٢ ، خفاجي : ١٧٨ ، شاكر : ١٤٦ .
- (١) الجفن : غمد السيف / معجم مقاييس اللغة : (جفن) : ١ / ٤٦٥ .
- (٢) الصيقل : صانع السيوف وَجَلَّأُهَا / اللسان " صقل " : ١١ / ٣٨٠ .
- (٣) الخللا : وهو جمع الخلة ، وهي جلود تنقش ، وتلبس جفون السيف ،
 فشيء نهاب الرسم والآثار يذاهب هذه النقوش وانطماستها /
 اللسان : " خلل " : ١١ / ٢٢٠ .
- (٤) رواية شرح أبيات سيبويه للنحاس : " وأهلها " .
- (٥) رواية شرح أبيات سيبويه للسيرافي : " بالكاسية " .
 والكانسية : موضع ، ولم أجده في معجم البلدان لياقوت ولا في معجم
 البكري ، والموجود هناك " كاس " ، وهو مكان بنجد ، وجاء في
 اللسان : الكناسة والكانسية موضعان .
- (٦) انظر البيتين في : -
 ديوان عمر بن أبي ربيعة - دار صادر - : ٣٢٠ ، الكتاب : ١ / ٢٨٢ ،
 شرح أبيات سيبويه للنحاس : ١١٧ ، شرح أبيات سيبويه للسيرافي :
 ١٩٩ / ١ - ٢٠٠ ، اللسان : " كنس " : ٨ / ٨٣ .
- (٧) وذكر البيت من غير نسبة في :
 شرح أبيات سيبويه للنحاس ، اللسان .
- (٨) لم أعثر على ترجمته :
 قال السيرافي : " قال سيبويه قال عَوْجُ بن حَزَام الطائي " ثم ذكر أربعة
 أبيات سأذكرها .

وبعد البيتين :

أَسَى شَبَابَكَ عَنَّا الْغَضُّ قَدْ رَحَلَا . : وَلَا حَ فِي الرَّأْسِ شَيْبٌ حَلَّ فَاشْتَعَلَا
إِنَّ الشَّبَابَ الَّذِي كُنَّا نَزْنُ بِهِ . : وَلَى وَلَمْ نَقْضِ مِنْ لَذَاتِهِ أَمَلَا
وَلَى الشَّبَابُ حَمِيدًا غَيْرَ مَرْتَجِعٍ . : وَاسْتَبَدَلَ الرَّأْسُ مِنِّي شَرًّا بَدَلَا

وفي شرح أبيات سيبويه للسيرافي ذكر بعد البيت الأول :

رَسْمًا كَسَنَهُ اللَّيَالِي بَعْدَ جِدَّتِهِ . : دُقَاقُ تَرَبُّسَفَتِهِ الرِّيحُ فَانْتَحَلَا
وَكُلُّ أَسْحَمٍ رَجَافٌ لَهُ زَجَجُلٌ . : وَاهِي الْعِزَالِي إِذَا مَا أَنْهَلَ أَوْ وَبَلَا^(١)

والبيتان يستشهد بهما النحاة على رفع " دار " على أنها خبر لمبتدأ محذوف
تقديره " هي دار " ، أو " تلك دار " ، ولم يجعلوه بدلاً من قوله : " هل تعرف
اليوم رسم الدار " بل استأنف الكلام به ، فقيل " دار " ، قال النحاس في شرح أبيات
سيبويه :

" لم يقل داراً ، وقد قال هل تعرف رسم الدار ، لأنه لم يعطفه على الفعل ،
ولكنه ابتداء به كأنه قال : تلك دار^(٢) .

وقال السيرافي :

" الشاهد فيه أنه رفع " دار " ، والذي قبله : " هل تعرف اليوم رسم الدار " ،
فلم يجعله بدلاً مما قبله ، واستأنف الكلام به ، فقال : " دار " رفع ، وجعله
خبر ابتداء محذوف ، كأنه قال : هو " دار لمروة " ^(٣)

" إنا ذكرت الكانسية فاضت نفس عمر بن أبي ربيعة حنيناً ، وأنبعثت فيها
الذكريات العذبة ، ففيها قضي أجمل فترات حياته ، وفيها ذاق متعة الحياة
والصبا ، وما أجمل تعبيره عن تلك المتعة بقوله :

(١) شرح أبيات سيبويه للسيرافي : ١ / ٢٠٠ .

(٢) شرح أبيات سيبويه للنحاس : ١١٧ .

(٣) شرح أبيات سيبويه للنحاس : ١ / ١٩٩ - ٢٠٠ .

” نَرْغَى اللَّهَوَ وَالْغَزَلَ ” ، فدل على أنها متعة مستمرة لا يشوبها كدر ولا ملل .
 فحين وقعت عين عمر على أطلال دار مروءة تحسّر على آنصرام تلك الأيام الحلوة ،
 وأندثار تلك الديار الحبيبة ، وأنبعثت من قلبه كلمات حيرت تدل على الأسى
 الذي يكأيده الشاعر ، فلجأ إلى الاستفهام وحمله كل معاني الحزن والحسرة التي
 تضطرم في نفسه ، ” هَلْ تَعْرِفُ لِمَوْمَ رَسَمَ الدَّارِ وَالطَّلَا ”
 ولأن تلك الرسوم البالية - هي رسوم ديار مروءة ، حسنت في عينيه ، فشبهها ،
 بالخلل والنقوش التي تكون على جفون السيف :

” كَمَا عَرَفْتَ بِجَفْنِ الصِّقْلِ الْخِلَا ”

ولشدة تعلقه بتلك الرسوم ضاقت نفسه بألم الذكرى ، فقطع الكلام واستأنف
 كلاماً جديداً يعلن فيه سبب تعلقه بتلك الديار - فهي ديار مروءة !

الشاهد الواحد والثمانون :- (*) (البسيط)

دِيَارَ مَيَّةَ إِذْ مَيَّ تَسَاعَفْنَا (١) . وَلَا يَرَى مِثْلَهَا عَجْمٌ وَلَا عَـرَبٌ (٣)
 (*) الدلائل ، رضا : ١١٣ ، خفاجي : ١٧٩ ، شاكِر : ١٤٧ .

(١) ذكر شارح الديوان الإمام أبو نصر الباهلي أنه يروى ” دَارَ لَمِيَّةَ ” اتفق الرواة
 على أن ” مَيَّةَ ” هذه هي حفيدة الصحابي الجليل قيس بن عاصم المنقري
 سيد أهل البوهر كما سماه الرسول صلى الله عليه وسلم ، واختلفوا في اسم أبيها
 فجاء في طبقات ابن سلام : ٥٥٩ / ٢١ ، والأغانى (٢٥ / ١٨) أنها مَيَّةَ بنت
 طَلْبَةَ بن قيس ، وورد في جمهرة الأنساب (٢١٦) ، والوفيات : (١١ / ٤) ،
 والبداية والنهاية لابن كثير (٣١٩ / ٩) أنها بنت مقاتل بن طَلْبَةَ ، وفي الشعر
 والشعراء (٥٣٣ / ١) مَيَّةَ بنت فلان بن طَلْبَةَ ، فأهل ذكر أبيها ، وفي السمط
 (٨٢ / ١) مَيَّةَ بنت عاصم ، ورجح محقق الديوان أنها مَيَّةَ بنت منذر بن طَلْبَةَ
 لوورد أسم منذر في القصيدة .

(٢) تساعفنا : المساعدة والصواتاة ، والقرب في حسن مضافة ومعاونة /

اللسان ” سعف ” : ١٥٢ / ٩ .
 (٣) انظر البيت في : ديوان ذي الرمة - شرح الإمام أبي نصر الباهلي - تحقيق =====

(١)

ذكره الشيخ من غير نسبة ولكنه ذكر أنه من أبيات الكتاب ، والبيت لذي الرمة ، وهو من بائيته المشهورة ^(٢) التي مطلعها :

مَا بَالَ عَيْنِكَ مِنْهَا الْمَاءُ يَنْسَكِبُ . : كَأَنَّهُ مِنْ كُلِّ مَفْرِئَةٍ سَرَبُ

== عبد القدوس أبو صالح : ٢٣ / ١ ، نوادر أبي زيد الأنصاري : ٣٢ ، شرح أبيات سييويه للنحاس : ١١٦ ، همع الهوامع : ١٦٨ / ١ ، خزانة البغداد ي ٣٣٩ / ٢ ، شاهد رقم (١٤٠) . وانظر كذلك : ٣٤٥ .

(١) هو غيلان بن عقبة بن بهيش (بهيم) بن حارثة بن عمرو بن ربيعة بن مضر (٧٧-١٩٧ هـ) أبو الحارث ذو الرمة ، وهو شاعر من الطبقة الثانية من فحول الإسلام ، قال أبو عمرو بن العلاء ، فُتِحَ الشعر بآسري القيس ، وختم يذي الرمة ، وكان ذو الرمة مدور الوجه حسن الشعر جعداً أقنى خفيف العارضين أكحل حسن الضحك مَفْوْهًا إذا كلمك كلمك أبلغ الناس ، وهو من عشاق العرب المشهورين . / انظر ترجمته في :-

طبقات فحول الشعراء : ٥٥٩ / ٢ ، الشعر والشعراء : ٥٣١ / ١ - ٥٤٣ ، الأغاني : ١٨ / ١ - ٤٧ ، الموشح : ١٥٥ - ١٦٨ ، وفيات الأعيان : ١١ / ٤ - ١٧ الأعلام : ١٢٤ / ٥ .

(٢) وردت في كتب الأدب أخبار كثيرة تدل على شهرة هذه القصيدة ، وفخامتها منها : ما جاء في الأغاني من حديث ذي الرمة عن شعره قال :- " من شعري ما طأوعني فيه القول ، وساعدني ، ومنه ما أجهدت نفسي فيه ، ومنه ما جئنت به جنونا . . . أما ما جئنت به جنوناً فقولني :
" مَا بَالَ عَيْنِكَ مِنْهَا الدَّمْعُ يَنْسَكِبُ " .

وورد أيضاً في كتاب الأغاني أن عمارة بن عقيل قال : كان جرير يقول : ما أحببت أن ينسب إلي من شعر ذي الرمة إلا قولـــــــــــــــــه :
" مَا بَالَ عَيْنِكَ مِنْهَا الْمَاءُ يَنْسَكِبُ " .

فإن شيطانه كان له فيها ناصحاً / : ٢٢ / ١٨ - ٢٣ . وجاء في الموشح : " وقال أبو عمرو بن العلاء قال جرير : لو خرس ذو الرمة بعد قصيدته : " مَا بَالَ عَيْنِكَ . . . " كان أشعر الناس . / ١٥٦ .

=====

وقبل الشاهد :-

(١) لَابِلٌ هُوَ الشَّوْقُ مِنْ دَارٍ تَخَوَّنَهَا .: ضَرْبُ السَّحَابِ وَمَرِّيَّارِجٌ تَرْبُ (٢) (٣)
 تَيْدٌ وَلِيعَيْنِكَ يَنْهَا وَهِيَ مُزِينَةٌ .: نَفْثٌ (٤) وَنَسْتَوْقَدُ بَالٍ وَمُحْتَطَبٌ
 إِلَى لَوَائِحَ مِنْ أَطْلَالٍ أَخَوِيَّةٍ .: كَانَتْهَا خِلَلٌ مَوْشِيَةٌ قَشَبٌ (٥) (٦)
 بِجَانِبِ الزَّرْقِ لَمْ تَطْمِسْ مَعَالِمَهَا .: دَوَارِجُ الْمَوْرِ وَالْأَمْطَارُ وَالْحَقَبُ (٧) (٨) (٩)

وبعد هـ :

(١٠) بَرَاقَةُ الْجِيدِ وَاللَّبَاتِ وَاضِحَةٌ .: كَانَتْهَا ظَبْيَةٌ أَفْضَى يَهَا لَبِيبٌ (١١)

==== وجاء في أساس البلاغة :

وعن ذي الرمة : قلت مَابَالٌ عَيْنِكَ - بيتا واحداً - ثم أرتج على فمكنت حولاً
 لأضيف إلى هذا البيت شيئاً حتى قدمت أصبهان فحيمت يهها حُمسِي
 شديدة فهديت لهذه القصيدة فتسالت - أي تتابعتم - على قوافيها
 فحفظت ما حفظت منها، ونُذِيبُ عَلَى مِنْهَا / " سئل " : ٢٠٢ .

- (١) تخونها : تعهد لها / اللسان " خون " : ١٤٥ / ١٣ .
- (٢) البارح : الريح الحارة في الصيف / القاموس المحيط (برح) : ١ / ٢٢٣ .
- (٣) تَرْبُ : كثير التراب أو ريح تسوق التراب / اللسان " ترب " : ١ / ٢٢٨ .
- (٤) نَفْثٌ : النفث حفرة حول الخباء لئلا يدخله ماء المطر / الصحاح : " نفث " : ٢٥٠٠ / ٦ .
- (٥) أَخَوِيَّةٌ : بيوت مجتمعة من الناس على ماء / اللسان " حوا " : ١٤ / ٢١٠ .
- (٦) قَشَبٌ : جد / اللسان " قشب " : ١ / ٦٧٤ .
- (٧) الزَّرْقُ : أكتبة رمل بالدهناء / اللسان " زرق " : ١٠ / ١٣٨ .
- (٨) الدَّوَارِجُ : إذا درجت الريح حتى يرى لها ذيل كالرسن في الرمل فهي الدَّروج / فقه اللغة : ٢٧٨ .
- (٩) الْمَوْرُ : التراب الذي تمر به الريح / فقه اللغة : ٢٩٦ .
- (١٠) اللَّبَاتُ : وسط الصدر والمنحر " اللسان " (لب) : ١ / ٧٣٣ .
- (١١) اللَّبِيبُ : ما انحدر من الرمل، أو ما استرق منه / فقه اللغة : ٢٩٩ - ٣٠١ .

بَيْنَ النَّهَارِ وَبَيْنَ اللَّيْلِ مِنْ عَقْدٍ (١) . عَلَى جَوَانِبِ الْأَشْبَاطِ وَالْهَدَبِ (٢) (٣) (٤)

البيت أيضا - من أبيات الكتاب ، استشهد به سيويه والنحاة ، وتبعهم الشيخ
عبد القاهر على أن ديار منصوبة بإضمار فعل " كأنه قال : أذكر ديار مئة ، ولكنه
لا يذكر أذكر لكثرة ذلك في كلامهم واستعمالهم إيّاه (٥) .

وذكر سيويه أن من العرب من يرفع ديار كأنه يقول تلك ديار فلانة أي أن
المحذوف المبتدأ لا الفعل (٦) .

وذكر البغدادي في خزانة الأدب أنه يجوز أن يكون مجروراً على أنه يسدل
من دار في بيت قبله ، وهو :

لَا بَلْ هُوَ الشَّوْقُ مِنْ دَارِ تَخَوَّنَهَا . . . مَرّاً سَحَابٌ وَمَرّاً بَارِحٌ تَسْرِبُ (٧)

وعلى هذا التقدير ينسقي موضع الشاهد .

ويبدو أن حمل البيت على حذف الفعل ، أو المبتدأ يضيف على البيت سحراً
جمالياً ، ويكشف عن الخواطر ، والأحلام التي امتلأت بها نفس الشاعر .

فلذا كرى الاطلال أثر في نفس المحب ، والإطالة في ذكرها يثير في نفسه
الشجون ، ويحرك كوامن الأسى ، ففضل الشاعر هنا ذكر الديار بسرعة ، فحذف
الفعل " أذكر " منعاً للنفس من التألم والأسى ، فوصف الديار حين كانت

(١) العقد : ماتعقد من الرمل / فقه اللغة : ٣٠٠ .

(٢) السَّبَطُ : بالتحريك نبتُّ الواحدة سَبْطَةٌ / اللسان (سبط) :

٣٠٩ / ٧ .

(٣) الهَدَبُ : كل ورق ليس له عرض / اللسان (هدب) : ٧٨١ / ١ .

(٤) أنظر الأبيات في : ديوانه : ١٩ / ٢٧ .

(٥) الكتاب : ١ / ٢٨٠ .

(٦) المصدر السابق : ١ / ٢٨١ .

(٧) خزانة الأدب للبغدادي : - مكتبة الخانجي - : ٢ / ٣٤١ .

مَيَّ تواصله وتواتيه بأنها تبلغ من الروعة والجمال إلى حد ينبغي أن لا يكون لها مثيل عند العجم والعرب .

وللدكتور أبي موسى تعليل لطيف للحذف عند ذكر الديار . قال :
 " وقد يقال : إِنَّ الديار والمنازل من المثيرات التي تهز النفس
 فتتراحم فيها الخواطر والأطياف والأحلام التي بددتها الأيام
 في طغيان قاس عنيف ، فالشاعر في هذا الموقف مستلبي النفس
 أعظم الامتلاء متوتر الحس أشد التوتر وهذه حال . تدعو إلى أن تكون
 الصياغة مركزة أشد التركيز ، ليكون الأسلوب أشبه بالنفس ،
 وقد يُقَوَّى هذا أنك إذا راجعت النظر في الأبيات السابقة
 التي بُنيت على الحذف تجدها تذكر معنى هو أهم بقلب الشاعر
 من سابقه ، لأنه يخصص الديار ، ويحددها ، فهي دار مروءة ،
 أو دار سلس ، أو ديار مئة ، وبهذا التحديد نظم أحسن الذكرى
 وتطوف به أعذب الأطياف ، وهذا موقف يعظم سلطانه على
 النفس الشاعرة ، وهذا التفسير الذي نفسر به هذه الخصوصية
 في سياق الأطلال هو ما نراه تفسيراً للخصوصية نفسها عند ذكر
 الرجال مدحاً أو قدحاً ، فإنهم حين تحسى نفوسهم بذكر المناقب
 أو المثالب يقطعون الكلام ليستأنفوا مقطعاً جديداً من مقاطع
 المعنى ، ويبنون هذا المقطع الثاني على إسقاط المسند إليه ،
 وكأنَّ الحذف هنا تمييز ، وفصل بين لونين من ألوان المعنى (١) .

الشاهد الثاني والشانون :- (*) (الكامل)

وَعِظْتُ أَنْتَ يَوْمَ ذَا ^(١) . كَ مَنَازِلَ كَعْبًا وَنَهْدًا
قَوْمٌ إِذَا لَيْسُوا الْحَدِيدَ . سَدَ تَتَمَرُوا حَلَقًا ^(٢) وَقِيدًا ^(٣)

ذكرهما الشيخ من غير عزو ، وهما لعروبن معدي كرب ، من قصيدة قالها
في حربه نهداً وكعباً محالفاً جرماً التي خذلت ، فجرم ونهد قبيلتان من قضاة
من بني الحارث بن كعب ، قتلت جرم رجلاً من أشرف بني الحارث ، فأرتحلت
عنهم ، وتحولت في بني زبيد ، فخرجت بنو الحارث يطلبون دم أخيهما ، فالتقسوا ،
فعبأ عمرو جرماً لنهد ، وتعباً هو وقومه لبني الحارث ، ففرت جرم ، واعتلت بأنهما
كرهتا دماً نهداً (٤)

(*) الدلائل ، رضا : ١١٣ ، خفاجي : ١٢٩ ، شاکر : ١٤٨ .

(١) يومذاك : ويجوز أن يكون المشار إليه أمراً قد علمه السامعون ، وهو
الحرب ، ويجوز أن يكون المشار إليه السلاح الذي زعم أنه أعده ،
ويوم السلاح يوم الحرب ، ويجوز أن يكون أشار به إلى الحدّثان ؛
لأنه قد قال : * أَعَدَدْتُ لِلْحَدَثَانِ * . / انظر :

شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ١ / ١٧٦ .

(٢) حَلَقًا : انتصب حَلَقًا على أنه بدلٌ من الحديد ، ويريد به الدروع
التي نُسِجَتْ حَلَقَتَيْنِ حَلَقَتَيْنِ ، والقِدِّ أراد به اليلب ، وهو شبه
يرع كان يُتَّخَذُ مِنَ الْقِدِّ ، ويرى : * حَلَقًا وَقَدَّ * ، ويكون انتصاب
حَلَقًا على التمييز ، أي تشبّهوا بالنير في أخلاقهم وخلقهم ، ودلّ
على الخلق قوله : قَدًا . / انظر :

شرح الحماسة للمرزوقي : ١ / ١٧٦ .

(٣) انظر البيتين في :-

ديوان عمرو بن معدي كرب : ٦٨ ، ديوانه - مطبوعات مجمع اللغة

العربية - : ٦٤ ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ١ / ١٧٤ ،

شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ١ / ٩١ ، لسان العرب :

* نمر * : ٥ / ٢٣٥ .

(٤) شرح الحماسة للتبريزي : ١ / ٨٤ .

ومطلع القصيدة :-

يَا أَيُّهَا الْمُفْتَا بِنَا .: جَهْلًا بِنَا وَلِيدَت عَبْدَا

وبعده أبيات قبل الشاهد :

لَيْسَ الْجَمَالُ بِمِثْـلِ زَرْ .: فَأَعْلَمَ وَلِنْ رُدِّيَتْ بُرْدَا

(١)

إِنَّ الْجَمَالَ مَعَانٍ .: وَمَنَاقِبُ أَوْثَنَ مَجْدَا

(٢)

أَعْدَدْتُ لِلْحَدَثَانِ سَا .: بِفَمَةٍ وَعَدَاءً عُنْدِي

(٣)

نَهْدَا وَذَا شَطْبٍ يَقْدُ (٤) (٥) (٦) .: الْبَيْضَ وَالْأَبْشَدَانَ قَدْ (٧)

وبعدها الشاهد وبعده :

كُلُّ أَمْرٍ يَجْـرِي إِلَى .: يَوْمِ الْهِيَاكِ يَمَا آسَسْتَعْدَا

(٨)

لَمَّا رَأَيْتُ نِسَاءَنَا .: يَفْحَضُنَ بِالْمَعْزَاءِ شَدَا (٩)

(١) رواية حساسة البحري : " معادن ومآثر " .

ورواية عيون الأخبار : " معادن وموارث " : ١ / ٣٠٠ .

(٢) رواية لباب الآداب : " للهيحاء " .

(٣) علندي : أصل الكلمة ثلاثي ، والنون والألف زائدتان ، فهو من العلند ،

وهو الغليظ الشديد من كل شيء ، وذكر بعضهم أن العلندي : الضخم

من الإبل ، والخييل جسيما ، وجمعه " علايد " ، وإن شئت : " علايد " .

والألف في علندي للاحاق بدليل أنه يقال للمؤنث علنداة ، وينسون ،

فيقال علندي . / انظر :

شرح ديوان الحساسة للمرزوقي : ١ / ١٧٥ ، التبريزي : ١ / ٩١ .

(٤) نهدا : أي فرساً غليظاً . / المرزوقي : ١ / ١٧٥ .

(٥) وسيفاً ذا شُطْبٍ : ذا طرائق يقطع البيض والدروع قطعاً ، ويقال سيف

فيه شُطُوب وطرائق . / المرزوقي : ١ / ١٧٦ .

(٦) القُدُّ : القطع طولا ، والقط القطع عرضا . / المرزوقي : ١ / ١٧٦ .

(٧) البدن من الدروع : قدر ما يستر البدن . / المرزوقي : ١ / ١٧٦ .

(٨) يفحصن : يؤثرن لشدة العدو وفي المعزاء ، ويروى " يفحصن " والمحسن :

العدو والشديد . / المصدر السابق : ١ / ١٧٧ .

(٩) الأمعز والمعزاء : الأرض الحزنة ذات الحجارة ، والأصل في المعز

وَبَدَتْ لِمَيْسُ كَأَنَّهَا . . . بَدُرُ السَّمَاءِ إِذَا تَبَيَّدَتْ
وَبَدَتْ مَحَاسِنُهَا التَّيْسِي . . . تَخَفَى وَكَانَ الْأَمْرُ جِدًّا^(١)

ذكر الشيخ البيت شاهداً على أنه من المواضع التي يطرد فيها حذف المبتدأ

وهي " القطع والاستئناف " . قال :

" ومن المواضع التي يطرد فيها حذف المبتدأ " القطع والاستئناف " يبدأون

بذكر الرجل ، ويقدمون بعض أمره ، ثم يدعون الكلام الأول ، ويستأنفون كلاماً

آخر ، وإذا فعلوا ذلك أتوا في أكثر الأمر بخبر من غير مبتدأ^(٢) .

• كان عمرو بن معدى كرب شاعراً وفارساً مقدّماً ، ولشعوره بهذه الشجاعة والقدرة أخذ يفتخربها ، فذكر أنه نازل كعباً وهي قبيلة من ولد الحارث بن مذحج ، ونهدا وهي قبيلة من قضاة ، ثم قطع الحديث ، وانتقل إلى جزء آخر من المعنى هو بقلبه أوثق ، وينفسه أشد ، فاستأنف الحديث عن شجاعتهم وعدتهم وعنادهم ، وأنهم قوم إذا لبسوا الحديد والدروع واليلب تشبهوا بالنمر في أفعالهم فسي الحرب ، أو أن الخلق والقِد تختلف ألوانها اختلاف لون النمر ، وقد رأى الميزوقي أن المعنى الأول أجود قال :

== الصلابة ، ويقال رجل مِعِزٌّ وَمِعِزٌّ / المصدر السابق : ١٧٧ / ١ .

(١) البيت الثاني والثالث في : الوساطة : ٣٤٣ ، التثيل والمحاضرة :

٦٥ ، والبيت الثاني في الحماسة البصرية : ١ / ٥ ، والبيت

الرابع والخامس والتاسع والعاشر مع بيتين آخرين في لباب الآداب :

٢٠٤ ، والبيت التاسع والعاشر في الخصائص لابن جني من غير عزو ،

وانظر الأبيات : شرح ديوان الحماسة للميزوقي : ١ / ١٧٤ - ١٧٨ ،

والتبريزي : ١ / ٩٠ - ٩٣ .

(٢) الدلائل ، رضا : ١١٣ ، خفاجي : ١٧٩ ، شاكر : ١٤٧ .

* ويروى " خُلِقًا وَقَدًّا " ويكون انتصاب خُلِقًا على التمييز أي تشبيهها بالنير في أخلاقهم وخلقهم ، ودَلَّ على الخلق قوله قَدًّا ، ومعنى الرواية الأولى أنهم إذا لبسوا الحديد ، والدُّروع واليَلَب تشبهوا بالنير في أفعالهم في الحرب ، ويجوز أن يريد بتنتروا تَلَوَّنُوا بألوان النمر لطمول ثباتهم ، وملازمتهم الحديد ، وحينئذ يصح أن يكون انتصاب خُلِقًا على التمييز ، والمعنى الأول أجود (١).

ورأى الدكتور محمد أبو موسى أن الحذف وقع في مقطع جديد من مقاطع المعنى ، فقد ذكر في البيت الأول كعباً ونهداً من غير إشارة إلى ما هم عليه من العُدَّة والقوة ثم استأنف حديثاً آخر أو جزءاً جديداً من المعنى فذكر عدتهم وبنى هذا الاستئناف على الحذف لقوة الدلالة عليه ؛ ولأنه مناسب لقوة الانفعال بهـذا الجزء من المعنى ، فالإحساس بالفروسية يعظم حين تكون الملاقة مع عدو موفور العُدَّة عظيم الاقتدار ، وحين يقوى التأثير بالمعنى ، ويعظم الإحساس به يكون السياق سياق إيجاز وتلميح ما دام ليس هناك ما يدعو إلى النص على شيء معين وإبرازه (٢).

وكذلك رأى الدكتور أبو موسى أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين البيتين ، وسيقاق القصيدة ، وعلّة الحذف ، فموسيقى البيت موسيقى وثابة تصف روح الشاعر المستفزة المتحمسة ، وهذه الأنغام السريعة تحتاج إلى التركيز الشديد . قال :

* وهكذا يمضي الشاعر مصوراً قيم الفروسية في تصورهما العربي الدقيق ، وهذه الموسيقى الوثابة ، تصف هذه الروح المستفزة ، وتتسع في بعض مراحلها إلى الفلسفة التي تبدو هادئة في تحليل الجمال ، وهذه الأنغام السريعة يقتضيان تركيز العبارة أشد التركيز ؛ لأن ذكر ما يمدل عليه السياق ، والحال هذه عائق يعوق تدفق النغم ، ويحبس اندفاع الروح (٣).

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ١٢٦/١ .

(٢) خصائص التراكيب : ١٢١-١٢٢ .

(٣) المرجع السابق : ١٢٢ .

الشاهد الثالث والثمانون :- (*) (الوافر)

هَمْ حَلَّوْا مِنَ الشَّرَفِ الْمَعْلَى ^(١) . . . وَمِنْ حَسَبِ الْعَشِيرَةِ حَيْثُ شَاؤُوا ^(٢)
بِنَاءً مَكَارِمٍ وَأَسَاةً ^(٣) كُلِّسِمٍ ^(٤) . . . دَاءُهُمْ مِنَ الْكَلْبِ ^(٥) الشِّفَاءُ ^(٦) ^(٧)

(*) الدلائل ، رضا : ١١٣-١١٤ ، خفاجي : ١٨٠ ، شاكر : ١٤٨ .

(١) رواية زهر الآداب : " حازوا " .

(٢) الْمَعْلَى : يعني المرفَّع إلى أبعد الغايات ، وأقصى النهايات ،

ويجوز أن يكون أراد القَدَحَ الْمَعْلَى ؛ لأنه أشرف القَدَاح ، وأكثرها
أنصباة ، فجعله مثلاً لأرفع المدارج وأسنَى المراتب . / انظر :

شرح الحماسة للمرزوقي : ٤ / ١٦٥٩ ، التبريزي : ٤ / ٩٦ .

(٣) رواية زهر الآداب : " ومن كرم " .

(٤) أَسَاة : الأساة الأطباء الواحد : آسٍ . / انظر :

المرزوقي : ٤ / ١٦٥٩ .

(٥) الْكَلَمُ : الْجَرْحُ / معاني أبيات الحماسة : ٢٢٠ .

(٦) الْكَلْبُ : - داء الكلب - وهو أن يعض الكلبُ الرَّجُلَ فينبح نبح الكلب . /

معاني أبيات الحماسة : ٢٢٠ .

(٧) انظر البيتين في :-

الحماسة - ت عسيلان - : ٢ / ٣١٠ ، الحيوان : ٢ / ٥ ، المعاني

الكبير : ١ / ٢٤٣ ، الاشتقاق : ٢١ ، المؤتلف والمختلف : ٦٢ ،

معجم الشعراء للمرزباني : ٣٣٣ ، معاني أبيات الحماسة : ٢٢٠ ،

الحماسية (٧٣٤) ، ديوان المعاني : ١ / ٤٣ ، شرح ديوان الحماسة

للمرزوقي : ٤ / ١٦٥٨ - ١٦٥٩ ، أمالي المرتضى : ١ / ٢٥٩ ،

زهر الآداب : ٢ / ٥٥٢ ، سبط اللاكبي : ١ / ٢٧٠ ، شرح ديوان

الحماسة للتبريزي : ٤ / ٩٦ ، الحماسة البصرية : ١ / ١٥٤ ، نهاية

الأرب : ٣ / ١٨٧ ، أنوار الربيع : ٦ / ١١٢ ، الإيضاح : ١ / ١١٣ ،

ذكره في " تعريف المسند إليه " ، شرح أبيات الإيضاح :- فيض الله :-

والبيتان ذكرهما الشيخ من غير عزو ، وهما على الأرجح ^(١) ، لأبي السَّجَرِ
القَاسِمِ بْنِ حَنْبَلٍ المُرِّي ^(٢) يمدح بهما زُفَر بن هاشم بن سِنَان ^(٣) .

(١) ذكر الجاحظ البيت الثاني من بيتي الشاهد مع ثلاثة أبيات آخر ونسبها
إلى بعض المُرِّيِّين ، ولعله قصد به أبا البرج القاسم بن حنبل المُرِّي .
وذكر الآمدي والبصري البيت الثاني فقط مع أبيات آخر ، وكذلك ذكر
الخوارزمي " شرح أبيات الإيضاح " البيت الثاني فقط مع بيت آخر
قبله ، ونسبوها إلى أبي البرج المُرِّي ، وزاد البصري أنها تروى
أيضا لمرّة الجعدي .

وذكر النويري البيت الأول فقط مع أبيات آخر منسوبة لأبي البرج أيضا ،
وذكر المرزباني والمرزوقي والتبريزي البيتين مع عدة أبيات آخر ، ونسبوا
كذلك لأبي البرج .

وذكر في المعاني الكبير ، ومعاني أبيات الحماسة البيت الثاني فقط
من بيتي الشاهد من غير عزو .

وذكر ابن دريد الشطر الثاني من البيت الثاني من غير عزو أيضا ،
وذكر المرتضى في أماليه البيت الأول من بيتي الشاهد ، وذكر أن محمد بن يحيى
الصولي قد أشده ، ونسب البيت الثاني إلى أمية بن أبي الصلت ، وهو فسي

ديوانه : ١٧ برواية :

بِنَاءٌ مَكَارِمٍ وَأَسَاءَةٌ كُلِّمْ . دِمَاءٌ وَهَمٌّ مِنَ الْكَلَمِ الشَّقَاءُ
وفي سبط اللآلي ذكر البيت الثاني منسوبة للحطيئة ، وهو غير موجود
في ديوانه . وذكر الميمني في تعليقه أن هذه النسبة خطأ ، ولعلها زيادة
من أحد النساخ .

(٢) هو أبو البرج المُرِّي ثم الشَّهْبِي ، سهم بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان

ابن بغيض ، واسم أبي البرج القاسم بن حنبل ، وأضاف الحصري لقب
" المدني " ، وهو شاعر إسلامي كما قال صاحب القاموس المحيط / انظر

ترجمته فسي : المؤلف والمختلف : ٦٢ ، معجم الشعراء : ٣٣٣ ، شرح

ديوان الحماسة للمرزوقي : ٤ / ١٦٥٨ ، شرح الحماسة للتبريزي :

٤ / ٩٦-٩٧ ، القاموس : " برج " :

(٣) لم أقف على ترجمة له .

وبينا الشاهد من قصيدة أولها :-

(١) أَرَى الْخِلَانَ بَعْدَ أَبِي حُبَيْبٍ (١) . وَحَجَرٍ فِي جَنَابِهِمْ جَفَاءُ

وقبل بيت الشاهد :

(٢) مِّنَ الْيَمِينِ الْوُجُوهُ بَنِي سِنَانٍ . لَوْ أَنَّكَ تَسْتَضِيءُ بِهِمْ أَضَاءُ

(٣) لَهُمْ شَمْسُ النَّهَارِ إِذَا اسْتَقَلَّتْ . وَتَوَرَّ مَا يُغَيِّئُهُ الْعَمَاءُ

(٤) - (٥) ويعدهما الشاهد ويعدده :

(٦) فَأَمَّا بَيْنَكُمْ إِنْ عُدَّ بَيْنَتْ . فَطَالَ السَّمُكُ وَاتَّسَعَ الْغِنَاءُ

(٧) وَأَمَّا أَسُّهُ فَعَلَى قَدِيمٍ . مِّنَ الْعَادِيِّ إِنْ ذُكِرَ الْبِنَاءُ

(٨) فَلَوْ أَنَّ السَّمَاءَ دَنَتْ لِمَجْدٍ . وَمَكْرَمَةٍ دَنَتْ لَهُمُ السَّمَاءُ (٢)

موضع الشاهد قوله * بِنَاءُ مَكَارِمٍ وَأَسَاةُ كَلَمٍ * حيث حذف المبتدأ، والأصل :
هم بِنَاءُ مَكَارِمٍ وهم أَسَاةُ كَلَمٍ .

والشاهد من أبيات المدح الجياد ، فقد بلغ الشاعر فيه غايته ، وأصاب فيه
مرماه ، فقد جعل المدح في أعلى درجات الشرف ، فكان الشرف والحسب له
مراتب ، وهم قد تربّعوا في أعلاها ، واحتلوا أشرفها ، فلا يدانيهم فيها أحد ،
وهذا قمة المدح .

(١) ويروى : أَبِي حَبِيبٍ .

(٢) هذه الأبيات بكاملها موجودة في معجم الشعراء للمرزباني : ٣٣٣ ،

وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٤ / ١٦٥٨ - ١٦٥٩ ، وشرح

ديوان الحماسة للتبريزي : ٤ / ٩٦ - ٩٧ مع اختلاف بسيط فسي

رواية البيت الأخير ففيها :

* دَنَتْ لَكُمْ * بدل لهم .

والبيت الأول والثاني والثالث في الحيوان مع اختلاف في رواية البيت

الأول فجاء فيه :

أَرَى الْخِلَانَ بَعْدَ أَبِي عَمِيرٍ . بِحَجَرٍ فِي لِقَائِهِمْ جَفَاءُ .

ويعد أن أضفى عليهم هذه الصفة ، وألبسهم هذا الشرف قطع الكلام ،
وانتقل إلى معنى آخر وثيق الصلة بالمعنى الأول ، فاستأنف ، وحذف المبتدأ ،
وكان الصفات التي سيذكرها من خصوصياتهم ، وأن الذهن يخطئهم بل سينصرف
اليهم تلقائياً .

فمن سر الحذف هنا ما ساء المتأخرون العدول إلى أقوى الدليلين اللذين
هما العقل واللفظ وأقواهما هو العقل (١) .

وللدكتور أبني موسى كلام في بيان سر الحذف قال فيه :
" قال بناء مكارم وأراد هم بناء مكارم ، والحذف كما ترى واقع في مقطع
من مقاطع المعنى ، يوضح ما ذكره في البيت الأول مجعلاً ، وهو شرفهم
وتكثرتهم ، فذكر أنهم بناء مكارم هكذا بإطلاقهم المستغرق مكارم الجود ،
والنجدة والشجاعة والقوة إلى آخر ما تحمله العبارة ، ثم هم أساة كلهم ،
فهم يملكون من الشدة والحكمة ما يأسون به الجراح ، وكان الشاعر أراد أن
يبرز تميز هذا الجزء من المعنى بقطعه عن سابقه ، وحذف المسند إليه
وهو وسيلته في ذلك ؛ لأنه لو ذكره لقال هم فيكون رابطاً واضحاً وقوياً بسين
البيتين فيفوت غرض الشاعر ، والكلام وإن كان على تقديره إلا أن إسقاطه
من اللفظ يفيد هذا الغرض (٢) .

=== والبيت الأول والثاني والثالث والثامن في المؤلف والمختلف مع اختلاف
بسيط في البيت الأول فورد فيه : " يحجر " بدل " وحجر "
والبيت الثاني والثامن في أمالي المرتضى ، والبيت الثاني والثامن في
زهر الآداب ، والبيت الأول والثاني والثالث والثامن في الحماسة
البصرية ، مع اختلاف بسيط في رواية البيت الثالث ففيه :
" هم شمس النهار " .

والبيت الثاني والثالث والثامن في نهاية الأرب .

(١) انظر: الإيضاح : ١٠٩ ، شرح التلخيص : ١ / ٢٢٥-٢٢٦ .

(٢) خصائص التراكيب : ١٢٣

واستشهد القزويني بالبيت الأول في تعريف المسند إليه بالإضمار لكـون
المسند إليه مذكوراً، أو في حكم المذكور لقريئة؛ لأن المقام مقام الغيبة^(١).

الشاهد الرابع والثمانون :- (*) (الطويل)

رَأَيْتُ عَلَى مَائِي عَمِيلَةً فَأَشْتَكِي . . . إِلَى مَالِهِ حَالِي أَسْرَكَا جَهْرَ
غَلَامٍ رَمَاهُ اللَّهُ بِالْخَيْرِ مُقْبِلًا . . . لَهُ سَيِّئًا لَا تَشُقُّ عَلَى الْبَصَرِ^(٥)
أورد هذا الشيخ من غير عزو، وهما لأُسَيْدِ بْنِ عِنَقَاءِ الْفَزَارِيِّ^(٦) من قصيدة قالها في

(١) الإيضاح : ١ / ١١٣ .
(*) العلائق ، رضا : ١١٤ ، خفاجي : ١٨٠ ، شاكر : ١٤٨ .
(٢) رواية الصحاح ، والمؤتلف ، والمتع ، واللسان :

” غَلَامٌ رَمَاهُ اللَّهُ بِالْحُسْنِ ”

وجاء في اللسان أن أبا رياش اعترض على رواية ” بِالْحُسْنِ ” : ” قال ابن بري :
وحكى علي بن حمزة أن أبا رياش قال : لا يروى بيت ابن عناق الفزاري :
” غَلَامٌ رَمَاهُ اللَّهُ بِالْحُسْنِ يَافِعَا ”
إلا أعي البصيرة ؛ لأن الحسن مولود ، وإنما هو :
” رَمَاهُ اللَّهُ بِالْخَيْرِ يَافِعَا ”

قال : حكاه أبو رياش عن أبي زيد ” / اللسان ” سوم : ١٢ / ٣١٣ .
(٣) رواية الصحاح ، والمؤتلف ، واللسان : ” يَافِعَا ” .

(٤) روى البيت في اللسان برواية : ” سَيِّئًا ” ، ورواية ” سَيِّئًا ” والسَّوْمَةُ
والسَّيْمَةُ ، والسَّيْنَاءُ ، والسَّيْمَاءُ : العلامة له سيئاً لا تشق على البصر
أي يفرح به من ينظر إليه / اللسان : ” سوم ” .

(٥) انظر البيتين في :-

الصحاح : ” سوم ” : ٥ / ١٩٥٦ ، الأمازي لأبي علي القاسمي :
١ / ٢٣٧ ، المؤتلف والمختلف : ١٥٩ ، المتع في صنعة
الشعر : ٢٣٨ ، لسان العرب : ” سوم ” : ١٢ / ٣١٣ .

(٦) سماه المرزباني سويد بن عناق الفزاري ، وهو أكبر أهل زمانه وأشد هم
عارضة ولساناً ، طال عمره ، وثكبه دهره ، واختلت حالته ، فأكرمه عَمِيلَةٌ ،
ذكر له في اللسان خمسة أبيات منها بيت الشاهد . / انظر :
=====

مدح عَمِيلَةَ الْفَزَّارِيِّ ، حين رأى عَمِيلَةَ حاله وقد نكبه الدهر ، فأعانه وواساه ، وقصة ذلك أن عَمِيلَةَ رأى يوماً أَسِيداً ، وهو في حال سوء ، فسأله قائلاً : يا عَمِ ما أشارك إلى ما أرى من حالك ؟ فقال بخل مثلك بماله ، وَصَوْنِي وَجْهِي عَسَنَ مسألة الناس ، فقال : والله لئن بقيت إلى غد لأُغَيِّرَنَّ ما أرى من حالك ، فرجع ابن عتقاء إلى داره ، وهو بين رجاء وبأس ، فلما كان السحر سمع رُغَاءَ الْإِبِلِ ، وَرُغَاءَ الشَّاةِ ، وصهيل الخيل ، وَلَجَبَ الْأُمُوالِ ، وأُخْبِرَ بأن عَمِيلَةَ ساق إليه ماله ، فقسم المال بينهما شطرين ، فَأَنْشَأَ أَسِيدٌ يَقُولُ :

رَأَيْتَنِي عَلَى مَا بِي عَمِيلَةَ فَأَشْتَكِي ويَعِدُهُ :

دَعَانِي فَأَسَانِي وَلَوْضَنَ لَمْ أَلَمْ . . عَلَى حِينٍ لَا بَدُّ وَيُرْجَى وَلَا حَضَرَ
فَقُلْتُ لَهُ خَيْرًا وَأَثْنَيْتُ فَعَلِمَهُ . . وَأَوْفَاكَ مَا أَثْلَيْتُ مِنْ ذَمٍّ أَوْ شَكَرَ
وَلَمَّا رَأَى الْمَجْدَ اسْتَعْمِرَتْ ثِيَابُهُ . . تَرَدَّى رِداءً سَابِغَ الذَّلِيلِ وَأَتَكَرَّدَ
غَلَامٌ رَمَاهُ اللَّهُ بِالْخَيْرِ مُقْبِلًا . . لَهُ سِيْنِيَاءٌ لَا تَشُقُّ عَلَى الْبَصَرِ
كَأَنَّ الثُّرَيَّا عَطَّتْ فَوْقَ نَحْرِهِ . . وَفِي أَنْفِهِ الشَّعْرَى وَفِي خَدِّهِ الْقَمَرُ
إِذَا قِيلَتِ الْعَوْرَاءُ أَغْضَى كَأَنَّهُ . . ذَلِيلٌ بِلَا دُلٍّ وَلَوْ شَاءَ لَا نَتَصَرَّ (١)

موضع الشاهد قوله : " غَلَامٌ رَمَاهُ اللَّهُ بِالْخَيْرِ مُقْبِلًا " والشاهد فيه كسابقه

وهو حذف المبتدأ ، والأصل " هُوَ غَلَامٌ " ، ولعل سر الحذف هو كون المسدوح

معروفا عقلاً فمن العبث ذكره إلى جانب وقوع القطع عند أهم جزء في المعنى .

فقد كان لصنيع المسدوح أبلغ الأثر في إحساس الشاعر وإثارة أنفعاله ، فوصفه

قبل بيت الشاهد بأنه ماجد ، وأن صفة المجد صفة ملازمة له ، وأصيلة في خلائقه ،

===== أُمالي القالي : ١ / ٢٣٧ ، المؤتلف والمخطف : ١٥٩ ، لسان

العرب : " عرر " " عور " " خصص " " سم " " حوا " ، معجم

الشعراء في لسان العرب : ٤٩ - ٣١١ .

(١) انظر الأبيات والقصة في :

الأُمالي للقالي : ١ / ٢٣٧ ، المستع في صناعة الشعر : ٢٣٨ .

فهو ليس كمن يدّعي المجد ، وهو تعبير رائع عن تفاير حال المدح عن غيره
 ممن يدّعي المجد ؛ ولشدة شعور الشاعر بفضله هذا المدح وتأثره بموقفه النبيل
 قطع الكلام ، وانتقل إلى أهم جزء في المعنى ، وأبلغ صفة أراد الشاعر وضعها بها .
 وفي بناء الاستئناف على قوله " غلام " تنبيه للسامع ولفت لنظره إلى أنه غلام
 يافع بلغ مبلغ الرجال بفضله وجوده ، وتوجيه للعقول والأذهان إلى تلك الخصلة
 التي رآه الله بها ، فعلمة الخير فيه لا يخطئها أحد ؛ لأنها ظاهرة ، قرّسي
 الله له بالخير كأنه إصابة أحدثت فيه علامة قوية لا يمكن نزعها ، وعلامات النجابة
 والإحسان مرسومة على وجهه ، وكأنها أبت أن تُعبس في داخله ، ففاضت على
 خلقه ، وخلقته .

على أن كلمة " غلام " لم يرضها الحجاج حين وصفته بها ليلي الأخيلية ،

ف قالت :

(١) إِذَا وَرَدَ الْحَجَّاجُ أَرْضًا مَرِيضَةً . . . تَتَّبِعُ أَقْصَى دَائِمَهَا فَشَفَاهَا
 (٢) شَفَاهَا مِنَ الدَّاءِ الْعَقَامِ الَّذِي يَبْهَا . . . غُلَامٌ إِذَا هَزَّ الْقَنَاةَ ثَنَاهَا
 (٣) فقال لها : لا تقلبي " غلام " ، وقولي " هَمَام " .
 (٤)

ومن العجيب في الأبيات أن يوصف رجل بمثل هذه الأوصاف " له سيميا " . . .
 كأن الشرا عُلقت فوق نحره . . . وفي أنفه الشعري . . . وفي خدّه القسّر .
 فهي إنما تقال في الفتيات الجميلات ، أو المرد .
 والمدح الجيد في قوله : " إِذَا قِيلَتِ الْعَوَاء "

(١) رواية أمالي القالي : " إِذَا هَبَط " .

(٢) رواية أمالي القالي : " الْعُضَال " .

(٣) رواية أمالي القالي : " سقاها " .

(٤) الكامل للمبرد - مكتبة المعارف - : ١ / ١٧٩ .

أمالي القالي : " إِذَا هَبَط " .

الشاهد الخامس والثمانون :- (*) (الطويل)

إِذَا ذَكَرْنَا الْعَنْبَرِيَّةَ لَمْ تَضِقْ ^(١) . ذِرَاعِي وَالْقَى بِأَسْتِهِ مَنْ أَفَاخِرُ
هَلَا لَنْ حَمَلًا نِ فِي كُلِّ شَتْوَةٍ . . مِنْ الثَّقَلِ مَا لَا تَسْتَطِيعُ الْأُبَاعِرُ ^(٢)

البيتان أورد هما الشيخ من غير نسبة ، وهما بيتان لاثالث لهما ، يُنسبان
لِمُوسَى بْنِ جَابِرِ الْحَنْفِيِّ ^(٣) .

(*) الدلائل ، رضا : ١١٤ ، خفاجي : ١٨٠ ، شاكر : ١٤٨-١٤٩ .

(١) هما مِرَادَسٌ وَعَاِمِرٌ أَبْنَا شَمَّاسٍ بِنِ لَآئِي مِنْ بَنِي أَنْفِ النَّاقَةِ أُمُّهُمَا مَسْنُ
بَنِي الْعَنْبَرِ ، وهما خَالَا مُوسَى بْنِ جَابِرِ الْحَنْفِيِّ ، وذكر المرزوقي
في شرحه أنهما من آبائه . / شرح الحماسة للمرزوقي : ٣٦٩ / ١ .
شرح الحماسة للتبريزي : ١ / ١٩١ .

(٢) انظر البيتين في :-

الحماسة (ت - عسيلان) : ١ / ٢١٤ رقم (١٢٨) ، معاني أبيات الحماسة
٢١٦ " الحماسية " ١٢٨ " في الملحق المنقول من كتاب " إصلاح ماغلط فيه
أبو عيد النمري " للهندجاني - ذكر البيت الثالث فقط - .

شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ١ / ٣٦٩ ، رقم الحماسية (١٢٦) ،
شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ١ / ١٩١ .

(٣) هو موسى بن جابر بن أرقم بن سلمة بن عبيد الحنفي اليمامي نصراني
جاهلي يلقب بأزريق اليمامة ، ويعرف بابن ليلى ، وهي أمه ، وهو شاعر
كثير الشعر ، ويلقب أيضا بابن الفرعة وهي أمه ، وذكر التبريزي أن أبا
العلاء قال : موسى منقول من العبرانية ، ولم أعلم أن في العرب من سمي
موسى زمان الجاهلية ، وإنما حدث هذا في الإسلام لما نزل القرآن
وسمى المسلمون أبناءهم بأسماء الأنبياء على سبيل التبرك .
وكأنه أراد أن يقول أنه شاعر إسلامي ، وذكر البكري في ذيل السمت أنه
شاعر مخضرم / انظر ترجمته : في :-

العقبة والبررة " نوادر المخطوطات " : ٢ / ٣٦٦ ، ذيل الأُمالي والنوادر
٧١ ، المؤلف والمختلف : ١٦٥ ، معجم الشعراء للمزباني : ٣٧٦ ، شرح

ديوان الحماسة للمرزوقي : ١ / ٣٦٣-٣٧٤ ، حماسة ابن الشجري : ٢٢ ، شرح =====

وموضع الشاهد قوله : " هلالان " والأصل " هما هلالان " .

يفتخر موسى بن جابر بأخواله أشد افتخاراً ، فإذا مرّ ذكرهما وجد طرق الفخر متسعة وممهدة

أما ما لهما من مناقب وأمجاد وسؤدد ، فقلوه : " لم تضق ذراعي " أي لم تعجز نسي

مقالات الفخر ، ولم يضق بي المقام في الفخر والمباهاة ، وأمام مناقبهما وشرفهما

يعجز كل من يحاول مضاهاتهما . فقلوه : " وألقى باسته من أفاخر " أي قعد

وجلس وسكت وأنكسرت حدته ، وأنطفأت حميته ، وهو من التعابير المستعملة في

مقام المعجز والهزيمة ، من باب الكناية .

وبعد أن أثبت لهما الفخر ، وأنه لا يدانيهما فيه أحد قطع الكلام ، واستأنف

معنى جديداً وثيق الصلة بالسياق ، وهو أهم جزء فيه لذا أتى به مباشرة ، فحذف

المبتدأ ونى عليه الاستئناف ، وفي هذا تنبيه للأذهان إلى ما يقصده الشاعر ، فأعلن

أنهما هلالان ظاهران للعيان لا يخفى صنيعهما ، ففي وقت الشتاء حين ينضب

معين الأجواد ، وتقضب أيادي الكرام ، في هذا الوقت يتلأل نجمهما ويظهر جودهما

فهما يحملان فيه أعباءً ثقالاً ، وتبعات عظاماً كتبعات الجود والكرم ، وتبعات النجدة ،

وتبعات المجد والسيادة مالا تستطيع الإبل حمله لو أنه جسّم ، وألقى عليها لتحمله .

قال النسري :-

" هذان الرجلان يحملان من أعباء المغارم ، وأثقال الصنائع مالم لو أنسه

يوزن لم تستطع حمله الإبل ، وهي أثقل الحيوان حملاً ، وأكثره صبراً " .

وقال المرزوقي :

==== ديوان الحماسة للتبريزي : ١ / ١٨٩ ، التذكرة السعدية : ٦٨-١٤٣ ،

الأعلام : ٣٢٠ / ٧ ، معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين : ٣٥٤ ،

معجم شعراء اللسان : ٤١٥ ، ذيل السمت : ٣٥ .

(١) معاني أبيات الحماسة : ٢٦١ ، الحماسية (١٢٨) الملحق .

" هما في الاشتهار واعتلاء الشأن ، واستضاءة الناس بنورهما ، والانتفاع
بمكانهما بمنزلة هلالين ، ويتكلفان عند كلَّ جَدْبٍ ومَحْلٍ من الأثقال
والأعباء ، مَالَو صارت أَجْرَامًا لعَجَز عن النهوض بها وتحملها البَقَرَان ،
فإن قيل : إذا كان قصده في تحمّل الأثقال إلى قَرَى الضيف ، ونَحْر
الجزور ، وقَسَمَتَهَا في التيسر والصبر على المَوْن ، والنهوض بالكلف ، فكيف
قال حَمَلَان من الثقل مالا يستطيع الأباعر ؟ وكيف مَثَل ما يَثْقَل على القلوب
من الغَرَامَاتِ والحقوق ، بالأوقار التي تَثْقَل على الظهور ؟ قلت : إننا
نريد أن تلك المَوْن والتكاليف التي يلتزمها ، ويسعى بها وفيها لَوَجَسَتْ
ثم حِيلَتْ ، لكانت الجمال لا تستقلَّ بيها ، ولا تقوى عليها ، فهذا وجهه ،
ويجوز أن يكون لَمَّا قال حَمَلَان في كل شتوة من الثقل جعل لِفَقَه ، لا يستطيع
الأباعر ، إذ كانت الجمال وأشباهها هي التي لحمل الأثقال خُلِقَتْ
وبها اشتهرت ؛ وليكون في اللفظ توافق مع الأمن من عارض الالتباس (١) .
وقد علق أبو العلاء على قول النمري بأنه جائز ، ولكنه بعيد ، والأولى حمل
الكلام على ماكثر . قال :-

" قد تأول النمري له معنى قد يجوز مثله ، ولكنه بعيد وإنما ينبغي أن
يحمل الشيء على ماكثر ، وذلك أنه ذهب إلى أن هذين السد وحسين
يحملان من قِرَى الأضياف ، ومن نحر الإبل مالا يستطيع الأباعر أي أنها
لا تقوى عليه لأنه يهلكها ، وهذا مجانس قولهم بنو فلان ظلامون للجزر
قال ابن مقبل :

(٢)
عَادَ الْإِذْلَةَ فِي دَارٍ وَكَانَ يَهَا . . خُرْسُ الشَّقَاشِقِ ظَلَامُونَ لِلْجَزْرِ (٣)
أي يعقرونها كثيراً ، فكان ذلك ظلم لها .

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ١ / ٣٦٩ - ٣٧٠ .
(٢) خرس الشقائق : البعير الكثير الهدر / اللسان " شقق " : ١٠ / ١٨٥ .
(٣) ديوانه : ٨١

ونحو منه قول الآخر :

قَتِيلَانِ لَا تَبْكِي الْمَخَاضَ عَلَيْهِمَا . : إِذَا شَبِعَتْ مِنْ قَرْمَلٍ وَأَفَانِي
أَي كَانَا يَعْقِرَانَهَا فَلَمَّا قَتِلَا لَمْ تَبْكِي عَلَيْهِمَا .
فَلَا تَعْدِلْنِ عَمَّا ذَكَرَهُ أَبُو الْعَلَاءِ إِلَى غَيْرِهِ (١)

الشاهد السادس والثمانون : (*) (الطويل)

أَلَا لَافَتَى بَعْدَ ابْنِ نَاشِرَةِ الْفَتَى (٢) (٣) وَلَا عُرْفَ إِلَّا قَدْ تَوَلَّى وَأَدْبَرَ (٤)
فَتَى حَنْظَلِي مَا تَزَالُ رِكَابُكُمْ (٥) (٦) (٧) تَجُودُ بِمَعْرُوفٍ وَتُنْكِرُ مُنْكَسَرًا (٨) (٩)

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ١٩١/١ - ١٩٢ .

(*) الدلائل ، رضا : ١١٤ ، خفاجي : ١٨١ ، شاکر : ١٤٩ .

(٢) قوله : " لافتى " و " لاعرف " حذف منهما الخبر ، كأنه قال : لافتى في الدنيا بعد ذهابه ، ولا عرف موجود بعد تولي عرفه ، ويجوز تنوين لافتى ولا عرف ، فيكون في موضع الرفع بالابتداء ، قال التبريزي : " حذف الخبر من قوله لافتى ولا عرف جسيماً كأنه قال : لافتى في الدنيا بعد ذهابه ، ولا عرف موجود بعد تولي عرفه ، ولك أن تتون لافتى ، وأن الأول أشرف في المعنى وأبلغ ، فيكون في موضع الرفع بالابتداء ، وكذلك لا عرف ترفعه وتنونسه ، ولكك تلغي حركة الهزة من إلا وهي كسره على التنوين ، والفصل بين الرفع والنصب أن النصب يفيد الاستغراق كأنه نفى قليل الجنس وكثيره إن كان جواب هل من فتى ، وهل من عرف والرفع لا يكون فيه الاستغراق بكونه جواباً ، وهل عرف لا يمتنع أن يكون السؤال عن واحد من الجنس ، ويكون الجواب عن حده . / انظر :

شرح الحماسة للتبريزي : ٢٢/٣ .

(٣) ابن ناشرة : هو عبد الله بن ناشرة ، أحد بني عامر بن زيد مناة بن

تيم ، وكان غلب على سجستان أيام ابن الزبير ، وتغير الذي أسلموه ، وقتله عبد العزيز بن عبد الله بن عامر وقد مدحه الفرزدق ورثاه . /

انظر ترجمته وبعض أخباره في : ديوان الفرزدق : - دار بيروت - :

١ / ٢١٦ ، المتسع في صنعة الشعر : ٢٥٨ .

=====

=====

.....

(٤) رواية البيان والتبيين والأشباه والنظائر (٢ - ٢٢٠) والمتع في
صناعة الشعر :

"وَلَا خَيْرَ إِلَّا قَدْ تَوَلَّى وَأَدْبَرَ"

وورد في الأشباه والنظائر : (٢ / ١٣١) رواية أخرى :

"وَلَا مَجْدَ إِلَّا قَدْ تَوَلَّى وَأَدْبَرَ"

(٥) أجاز التبريزي نصب "فتى" على المدح والاختصاص، فيكون المحذوف هنا
الفعل لا المبتدأ، فينتفي موضع الشاهد .

(٦) نسبة إلى حنظلة الأكرمين، وهو حنظلة بن مالك بن زيد مائة من تميم
جذ جاهلي، بنوه عدة بطون منهم "بنو الظليم" واسمه مرة "وينوقيس،
وينوعرو، وينويروع . / انظر ترجمته :

سبائك الذهب : ٩٣ ، الأعلام : ٢ / ٢٨٧ .

(٧) رواية الأشباه والنظائر : (٢ / ١٣١) :

"فَتَى حَنْظَلِي مَا تَرَالُ يَمِينُهُ"

(٨) رواية الأشباه والنظائر : (٢ - ١٣١) :

"تعرف معروفًا"

(٩) ذكر في البيان والتبيين البيت الأول من بيتي الشاهد مع أبيات أخرى-
سترد فيما بعد- وفي الأشباه والنظائر عند نسبتها لأبي خزابة ذكر
البيت الأول فقط مع ثانٍ له غير بيت الشاهد الثاني .

وكذلك في المتع في صناعة الشعر ذكر البيت الأول من الشاهد مع ثلاثة
أبيات أخرى دون ذكر البيت الثاني من الشاهد . وذكر بيتا الشاهد مع
بيت آخر في الأشباه والنظائر- عند نسبتها للجرمي - ، وكذلك في
الحماسة للتبريزي / انظر :

البيان والتبيين : ٣ / ٣٢٩ ، الأشباه والنظائر : ٢ / ٢١٦ -

٢٢٠-١٣١ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٣ / ٢٢ ، المتع في

صناعة الشعر : ٢٥٩ .

ذكرهما الشيخ من غير نسبة ، وهما لأبي حَزَابَةَ ^(١) .

وموضع الشاهد قوله : " فتى حنظلي " حيث حذف المبتدأ والأصل : " هو

فتى " .

والأبيات كما ذكرت في البيان والتبيين :

أَلَا لَفَتَى بَعْدَ آبِنِ نَاشِرَةِ الْفَتَى . . وَلَا خَيْرَ إِلَّا قَدْ تَوَلَّى وَأَدْبَرَا ^(٢)
وَكَانَ حَصَادًا لِلْمَنَآيَا أَزْدَرَعْنَهُ ^(٣) . . فَهَلَّا تَرَكْنَ النَّبْتَ مَا كَانَ أَخْضَرَا
لَحَا اللَّهُ قَوْمًا أَسْلَمُوا وَرَفَعُوا ^(٤) . . عَنَّا جَسِيعٌ ^(٥) أَعْطَتْهَا يَمِينُكَ ضَمَرَا

(١) نسب الشاهد لأبي حَزَابَةَ في البيان والتبيين ، وفي موضع من الأشباه والنظائر ،
ونسب في موضع آخر منه لمسعود بن مالك الجرمي .

وورد من غير نسبة في شرح ديوان الحماسة للتبريزي ، والمتع في صنعة
الشعر .

وأبو حَزَابَةَ : هو الوليد بن حنيفة ، أحد بني ربيعة بن حنظلة بن
مالك بن زيد مَنَاءَ بن تميم ، شاعر من شعراء الدولة الأموية بدوي حضر
وسكن البصرة ، ثم اکتتب في الديوان ، وُضِرَ عليه البعث إلى سجستان ،
فكان بها مدة ، وعاد إلى البصرة ، وخرج مع ابن الأشعث لما خرج على
عبد الملك ، وأظنه قُتل معه ، وكان شاعراً راجزاً فصيحاً خبيث
اللسان هجاءً / أنظر ترجمته في :

الأغاني : ٢٢ / ٢٦٠ .

(٢) ورد في الأشباه والنظائر بعد هذا البيت بيت الشاهد الثاني - برواية
" ماتزال يمينه " -

(٣) ازدرعنه : زرعه / اللسان : " زرع " : ٨ / ١٤١ .

(٤) لَحَاهُ اللَّهُ لَحْيًا أَي قَبَّحَهُ وَلَعَنَهُ / اللسان : " لحا " : ١٥ / ٢٤٢ .

(٥) العناجيج مفرد هَا مُعْجُوجٌ ، وهو الرائع من الابل . / انظر :

معجم مقاييس اللغة : " عنج " : ٤ / ١٥٢ .

أَمَا كَانَ فِيهِمْ فَارِسٌ ذُو حَفِیْظَةٍ ^(١) . . . تَرَى الْمَوْتَ فِي بَعْضِ التَّوَاتِينِ أَعْدَارًا
يَكْرَهُ كَمَا كَرَّ الْكَلْبِيُّ ^(٢) بَعْدَ مَا . . . رَأَى الْمَوْتَ تَحْدُوهُ الْأَسِنَّةُ أَقْسَرًا ^(٣)
فَكَرَّ عَلَيْهِ الْوَرْدُ ^(٤) يَدْمَى لِبَاسُهُ ^(٥) . . . وَمَا كَرَّ إِلَّا رَهْبَةً أَنْ يُعَيَّرَا

ولعل من أسرار الحذف في البيت ضيق المقام .

فقد كان لابن ناشرة مكانة عظيمة ، ومحبة خالصة في نفس الشاعر ، فحين علم بمقتله اعتصر الألم فؤاده ، فسالت الكلمات تسجل خطراته ، فأبن ناشرة فستي لا يخلفه أحد بعد ذهابه ، فالعرف قد آرتحل من الدنيا برحيل عرفه ، وكأنه لا يستطيع أحد أن يؤدي حق العرف إلا هو .

وترى نفس الشاعر لشدة حزنها حائرة مضطربة تبحث عن كلمة تلون بها ، فخرجت كلمة " فتى " كزفرة تروّج عن تلك النفس الضائعة ، وهذه الزفرة وإن كانت تحمل كل معاني الأسى والحزن على ذلك الفتى النادر الوجود إلا أن في تغني الشاعر بها ما يطرب روحه ، ويخفف حدة حزنه ، فلو أنه قال : " هو فتى " لطال النفس وطال معه الحزن ، وفات مراد الشاعر ، فالنفس الحزينة لا تقوى على الإطالة والتكرار .

وَوَجَدَتِ النَّفْسُ فِي هَذِهِ الْكَلِمَةِ انْطِلَاقًا تعبر عن كل ما يدور فيها ، فأخذت تدعو على هؤلاء القوم الذين أسلموه للموت ، وأخذت تلوم فرسانهم وتتهمهم بسوء الحفيظة وقلة مراعاة الحرمة .

(١) الحفيظة : الذب عن المحارم والمنع لها عند الحروب / اللسان " حفظ " : ٧ / ٤٤٢ .

(٢) الكلبى : هو عثمان بن عبد الله أحد بني عبید قتل معه . / انظر :
المتع في صنعة الشعر : ٢٥٩ .

(٣) رواية المتع في صنعة الشعر :

يَكْرَهُ كَمَا كَرَّ الْكَلْبِيُّ صَهْرَهُ . . . وَمَا كَرَّ إِلَّا ضِيقَةً أَنْ يُعَيَّرَا

(٤) الْوَرْدُ : الأسد / اللسان : " ورد " : ٣ / ٤٥٦ .

(٥) اللَّبَانُ : الصدر / اللسان " لبن " : ١٣ / ٣٧٦ .